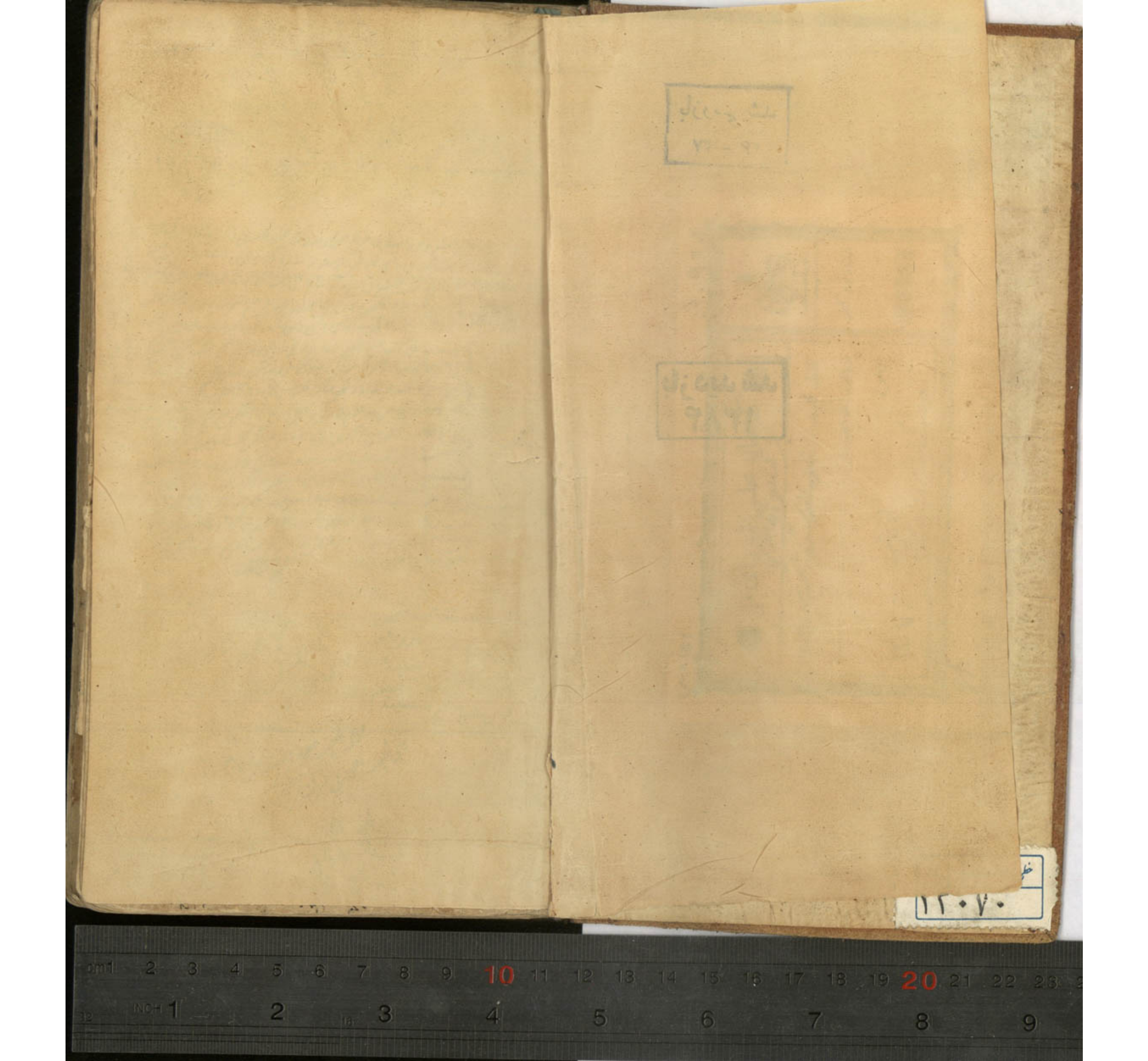


بازرسی شد
۲۶ - ۳۷
بازدید شد
۱۳۸۴
خطی «فهرست شده»
۱۲۰۷۰



قد نقل عن افلاطون انه قال بوجود المثل المجرده عن اللواحق بمعنى انه يوجد في الخارج لكل نوع فرد ازلي ابدي قابل للمتقابلات
قال الفارابي في كتاب الجمع بين رايي افلاطون وارسطو انه اشارة الى ان للموجودات صورا في علم الله باقية
لا تبيد ولا تتغير وقال صاحب الاشراق وغيره انه اشاره الى ما عليه الحكماء المتالهين من ان لكل نوع من
الافلاك والكواكب والبسائط العنصريه ومركباتها جواهر مجردة في عالم العقول يدبر امره [illegible] الذي
[illegible] هو الذي يحفظها وينورها ويجذب الذهن والنمو ويسمى رب النوع ويعبر عنه بلسان الشرع بملك
الجبال وملك البحار ونحو ذلك ومع الاعتراف بكونه جزئيا يقولون انه كلي ذلك النوع بمعنى ان
نسبة فيضه الى جميع اشخاصه على السواء لا بمعنى انه مشترك بينها حتى يلزم ان يكون انسان مجرد موجود في الاعيان
مشترك بين جميع الافراد محقق في المواد ويكون هناك محسوس فاسد واخر معقول مجرد لا يتغير ابدا
وهذا غير المثل المعلقة التي يسمونها عالم الاشباح المجرده فانها ليست من الجواهر المجرده بل
كالوسائط بين المعقول والمحسوس وليست لانواع الاجسام بل يكون لكل شخص من الجواهر والاعراض
صرح بذلك صاحب الاشراق حيث قال والصور المعلقة ليست مثل افلاطون فانها نورية [illegible] عالم العقل
وهذه المثل المعلقة من عالم الاشباح المجرده منها ظلمانية ومنها مستنيرة وذكر ان لكل نوع من الفلكيات
والعنصريات التي في عالم المثل نعم رب نوع من عالم العقول ولان رب النوع انما يكون للانواع
الجسمانية المستقلة وتدبير الاعراض والاجزاء مفوض الى رب النوع الذي هو محلها من الاجسام ومثال من عالم
العقل جوهر مجرد له هيئات نورية اذا وقع ظله في هذا العالم يكون منه الصنم اي الكل او النوع
او الانسان مع اختلاف اعضائه

كج مقاصد

اموت ولا تدري وانت قتلتني
وان كنت تدري كنت لا شك ترحم
وان كنت ما تدري فتلك مصيبة
وان كنت تدري فالمصيبة اعظم

مرض الحبيب فعدته فمرضت من حذري عليه
فاتى الحبيب يعودني فبرئت من نظري اليه

ذخرا ليوم المعاد ۞ وتوسلا الى رب العباد ۞

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلني ممن شرح صدره للاسلام ۞ فهو على نور من ربه
وجبلني على نفس ابية وهمة علية لا تكاد تستأنس الا بذكر جنبه وملاحظة نعت
جلاله ۞ وعد نعوته واوصافه وافعاله ۞ اعاف سفساف الامور وقشورها
واخاف الموجبات للثبور وموقعاتها ۞ المفضحات للنفوس يوم النشور
ومهلكاتها ۞ اميل عن زخرف الدنيا وزبرجها ۞ واكبح النفس ان تخوض حركات
مخرجها ومولجها ۞ انفي الجسم وقواه ۞ وارضيت البدن والبسه متبعاه ۞ على طاعة
مولاه ومعيده ومبداه ۞ واتعب النفس وهواها ۞ في ابتغاء مرضات الله
الذي سويها ۞ فالهمها فجورها وتقويها ۞ واعرضت صريحا عما اكب عليه المشهورون
عند الناس باسم العالم ۞ ولم ار باسا في التجنب عما اعتقده المعدودون
بالفضل والكمال خوفا عن لوم لايم ۞ وسددت الاسماع عن العلماء ۞
المبرزين المجتهدين عن الوفاء ۞ شزر العيون الى الاماني الفارغة الفانية
والاضاليل الملهية المثبطة عن السعادات الباقية ۞ تاقت قلوبهم الى الكرامات
الدائمات ۞ واشتاقت ارواحهم الى اللذات الحقيقيات ۞ وتاهت ضمائرهم
في بيداء عظمة الملك والملكوت ۞ وتلاشت اسرارهم في تجليات ديمومية العزة
والجبروت ۞ فلخصوا من الناسوت ۞ ووصلوا الى اللاهوت ۞ وفنوا بهوهو
وبقوا بوجوده ۞ ورضي كل منهم بقضاء معبوده ۞ فحلت لهم الذات ۞
واتحدت عندهم المختلفات ۞ فتساوى لديهم الانكار والاقرار ۞ وتماثل لديهم

الانفاع والاضرار ۞ اذ لم تطمح اعينهم الا الى تحصيل ما يقرب الى الله زلفى ۞
وما جرت السنتهم الا بذكر الحق طوبى لهم وبشرى ۞ اسالك اللهم باولياءك
والتوفيق لشكر ما اسبغت علي من عطائك ۞ واتممت من نعمائك واعوذ
بك ان اذل او اضل فيما اتي واذر وان اركن الى الذين ظلموا فتمسني النار
يوم العرض الاكبر ثبت اقدامي اقدام اهل الحق على الصدق ولا تقيض ان انطق
بكلام سوى الحق ۞ واجعلني بفضلك ممن لا ينظر الا اليك ۞ ولا يرغب الا فيما
لديك ۞ برئني من عمر سابق علم مني ورستني من غير حق توجب ذلك عليك ۞
فان افتخرت فبما انعمت علي وقد امرت ۞ واما بنعمة ربك فحدث ۞ وان استغفرت
فيما اسرفت على نفسي وقد قلت ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله
غفورا رحيما فلا تؤاخذني بالنقصان الامكاني ۞ ولا تعاقبني بالنسيان
الانساني ۞ والصلوة على خير من اوتي اليه من الكتاب ۞
وانزل لديه فصل الخطاب ۞ البرزخ الجامع بين الوجوب والامكان ۞
والثمرة الحاصلة من وجود الافلاك والاركان ۞ سيد الكونين ومرآة العالمين
محمد ؐ وآله المعصومين الفائزين من ميراث النبوة والولاية
بالحظ الاوفى ۞ والقدح المعلى عليهم الصلوات ولهم التسليمات من الحق الاعلى
وملكوته العظمى ۞ وبعد فيقول المتشبث بلطفه العميم ۞ محمد بن ابرهيم
المشتهر بصدر الدين ۞ الشيرازي القوامي ۞ اعلموا ايها الاخوان السالكين
الى الله تعالى باقدام العبودية والعرفان المشتوقين الى معرفة ذات الحق
والصفات والافعال ۞ وكيفية بعثة الرسل والوحي اليهم بالانزال والارسال ۞
والمتاملين في اسرار المبدا والمآل ۞ والمتدبرين في خلق السموات والارض
بدقائق الانظار ۞ والمتفكرين في عجائب صنع الله بالتدبر والاعتبار ۞

العاقلين صح

ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ۝ والموقنين بهم وباحوالهم
على سبيل الاستبصار ۝ والمحققين انهم عالم من غير استكبار ۝ عن طلب الحجب
او استنكار ۝ فان كم الهية هذه المخاطبة العلية ۝ وحكم استيهال التحف
هذه التحف السنية ۝ ان الله سبحانه من جملة ما من به على عبده الفقير اليه البرى
المتوجه الى جنابه من كل جناب ۝ والمتوسل الى بابه من كل باب ۝ مع خلوص
النية وصفاء الوقت ان اطلعه على بعض اسرار كتابه الكريم الحاوي كل
معرفة جليلة وعلم جسيم ۝ من المعاني الالهية والمعارف الربانية ۝ والرموز
النبوية ۝ والاشارات الولوية الالهامية ۝ التي لم يحط به احد من العلماء المشتهرين
بعلوم التفسير للتنزيل ۝ ولم يحم حوله احد من الفضلاء المتفكرين في بدائع
علم التاويل ۝ لكنه مندوقف حصره على خزاين تلك الاسرار ۝ والمطلعين على معادن
الجواهر المودعة في قلوب عباد الله واوليائه الابرار وعلمائه الاخيار ۝
واستجليت منها ما شاء الله وقدر عند رفع الاستار وكشف الانوار ۝ ثم لم اجد
من جانب الحق للاظهار ما جاد به باعثا من جهة الافادة والاظهار ۝ ولا رغبة
يدعو الى طلب التصريح والاظهار ۝ فرجح عندي السكوت والكتمان ۝ وغلب
في حكم الاخفاء على الاعلان ۝ مع ما في الطبايع المؤلفة والغرايز المعروفة
الواقعة في هذا الزمان ۝ من القصور والنقصان ۝ والغفلة والجهل و
العدوان والطغيان ۝ لحكمة قضائية ومصلحة قدرية بها انتظم حلقة الاكوان ۝ ولا
تم بدونها المعيشة الدنياوية المتوقفة على فنون الحرف والصنايع في المدن
والبلدان ۝ ولم يزل حالي الى ان جدد الحق داعية العزم لهذا الكرة
الاخرى واجتزى بالانبساط مرة بعد اولى وحرك خامد النشاط بتجلية
ملكوته انس من جانب طور القدس نارا جنيا فقضى الاجل الموعود في رياض الحضرة

قوا ما المترددة فاسلكت ومنايقت في اطاعتك كلمة الله وسار بالامن القوى البركة
والمنفعل فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر
او قبس لعلكم تصطلون فلما اقبل بوجه القلب على شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة
متوجها بشراشره نحو دواعيه العلية وجنوده العلية منحة صاحب اللاهوت ومالك

قدس سره

ملك الجبروت عند ذلك فتحا جديدا ۝ وجعل بصر بصيرته بنوره حديدا ۝
واكشف له في هذا الفتح من اسرار كتابه المجيد ۝ الذي هو تنزيل من عزيز حميد
مزيدا فوق مزيد ۝ محركا للابراز تنبيها من تلك الاسرار ۝ الى اخوانه الامين

الباطن صح

الابرار ۝ سيما الواحد منهم الذي ترى في وجهه من نور بصيرته سيما الفلاح والنجاح ۝
والوصول الى منزل الخير والصلاح ۝ والمرجو من فضل الله ورحمته الشاملة ۝
الامن من الغائلة ۝ والحفظ من سوء العاقبة ۝ لا في استجيب لله في امضاء هذه
الداعية ۝ رجاء لمزيد مخزلي عنده ثمرة صالحة ۝ وجعلها كلمة باقية وكانت
الشواهد القطعية ۝ والدلائل العقلية والنقلية ۝ متطابقة متوافقة على ان آية
الكرسي سيدة ايات القرآن لما فيها من معنى السيادة الماخوذة في مفهومها
المتنوعة لواحد من نوع والتابعة لغيره من افراد ذلك النوع او الصنف والفرد
في المعنى المشترك بينه وبين امور واقوى منها نوع اخص هي في الانسان
ما يكون في باب الانسانية المعتبرة فيها معرفة الله وعبوديته كمالا غاية الكمال كنبينا
صلى الله عليه وآله وسيد الانبياء من كون له الاكملية في معنى النبوة كهو عليه وسيد الكواكب
ما يكون نوره اقوى واشد من انوار الكواكب وهو الشمس اذ روح الكوكب وملاكه
هو النورية الحسية والاشراق والشمس اشد الكواكب نورية واشراقا فيكون هي حرية
بهذا الاسم فيما بينها وهكذا الحال في كل معنى مشترك يكون لفرد كمال شديد الكمال
سواء كان اطلاق السيادة في الجميع على سبيل الحقيقة وذلك اذا لم يعتبر فيها العقل

والشكور، او في سبيل الشي في غير ذوي العقول والتحقيق فهم الاعتبار ذلك منها واما تحقيق سيادة قراءة الكرسي على ساير الايات فلانها تحقق الافضلية في المعنى الذي هو روح القرآن ولبابه الاصفى وسره ومقصده الاقصى وهو دعوة العباد الى الجبار وسياقتهم الى العزيز الغفار وهذا المطلب كانه امر مشترك جنسي ذو نوع منحصرة في ستة انواع او اقسام فبعضها كالدعايم والاصول المهمة فبعضها معرفة الحق الاول المسلوك اليه المعبود بما فيه من الصفات العظمى والاسماء الحسنى والافعال القصوى وبعضها معرفة الصراط المستقيم الذي يجب ملازمته في السلوك اليه وبعضها معرفة الحال عند الوصول اليه فهذه ثلثة اقسام واما الروادف المغنية احدها معرفة احوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله فيهم وثانيها حكايات الجاحدين وكشف فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمحاجة على الحق وثالثها معرفة عمارة منازل الطريق وكيفية اخذ الزاد والاستعداد والمقصود في الاول اما التشويق والترغيب والاعتبار والترهيب وفي الثاني اما الايضاح والتثبيت والتقرير وذلك في جنبة الحق او الافضاح والتحذير والتنفير وذلك في جنبة الباطل وفي الثالث رعاية الوصول الى الاصل في رفع الموانع عن الترجه والسير الى خلاق الخلايق ومحقق الحقايق

ثم القسم الاول من الاقسام الثلثة الاصلية يتنوع على معارف ثلثة معرفة الذات ومعرفة الصفات ومعرفة الافعال اما الاولى فهي الكبريت الاحمر الذي لم يظفر بعد بيسير منها الا الملوك الآخرة وسلاطينها الذين هم الانبياء والاولياء صلوات الله عليهم اجمعين لكونها اضيق المعارف مجالا واعسرها منالا واعصاها على الفكر وابعدها عن قبول الذكر ولا يطلع عليها الا واحد بعد واحد من الاكابر

ويعضها كالروادف والتوابع مغنية المتمة الا الدعايم الاصولية

ما در همه کس رسیم و کس در ما نه یکی جوی بر چشمه تواند والنشه

والاولياء وذلك بعد فنائهم عن ذواتهم واندكاك جبل انانيتهم ولذلك لا يشتمل القرآن منها الا على تقدسات وتنزيهات وسلوب نقايص وكثرات واما الثانية فالمجال في الصفات افسح ونطاق النطق فيها اوسع وبلوغ الافهام اليها اسهل وايسر لكونها معاني كلية ومعقولات عامية يقع الاشتراك فيها بوجه بين الحق والخلق ويوجد ظل ضعيف من حقايقها في ما سوى الواحد الاول ولذلك اكثر ايات القرآن يشتمل على امهاتها وهي العلم والقدرة والحيوة والسمع والبصر والكلام والحكمة واما الثالثة فبحر ما ايضا متسع الاكناف ولا ينال بالاستقصاء فيها الاطراف بل ليس في الوجود الا الله وافعاله اذ ما سواه فعله من حيث هو اثره وكون وجوده تابعا له ظلا لنوره لكن القرآن اشتمل على معرفة الجلي منها الواقع في عالم الحس والشهادة ككليات الاجرام الشديدة البنيان ومعظمات الطبايع والاركان حيث ذكر السموات والكواكب والارض والجبال والبحار والحيوان والنبات وانزال الامطار والثلوج وتصريف الرياح واثارة السحاب المسخر بين السماء والارض الى غير ذلك من الايات وساير اسباب النشو والحيات اذ كل ذلك من الامور الجلية للحس واما الامور الخفية منها في التي لا يتصل اليها افهام اكثر الناس وهي اعجبها وابدعها وازهرها رتبة واعظمها جلالة واولاها بان يعظم مبدعها وخالقها بها لكونها من عالم الملكوت والروحانيات وكالملائكة والروح الانساني المسمى باللطيفة الربانية من جملة اجزاء الآدمي من سنخ الملكوت وعالم الغيب فيمكن له عند استكماله بالعلم والتجرد عن الدنيا ان يدرك بالبصيرة الباطنية خلايق عالم الملكوت الاعلى وحقايقها الغيبية وهم على مراتب متفاوتة ودرجات مختلفة منها الملائكة الارضية الموكلة بجنس الانس وهم التي سجدت لآدم ومنها الشياطين المتمردين عن

فيه خلق

الطاعة المسلطين على افراد الانسان لأن اخلصه الله سبحانه ومن انزلت
عن التجرد ومنها الملائكة السماوية واعلاهم الكروبيون وهم العاكفون حظيرة القدس
الذين لا التفات لهم الى هذا العالم لاستغراقهم في مشاهدة جمال الحضرة الربوبية
وجلال الساحة الالهية واعلم ان ادراك اكثر الخلق مقصور على عالم الحس والتخيل
وهو النشأة الاخرة من نتائج عالم الملكوت والقشر الاقصى عن اللب الاصفى
ومن لم يجاوز هذه الدرجة فكأنه لم يشاهد من الرمان الا القشرة ومن عجائب
الانسان الا البشرة فاذا تمهد ما ذكرناه من بيان ابواب القرآن
واقسامه ولب الغرض من الجميع والمقصود الذي هو روح القرآن وسره ولبابه
هو سياقة الانسان الى جوار رب الملائكة والانس والجان تحقق وتقرر
لم ان لبعض آيات الكتاب العزيز فضيلة وشرافة على الاخرى منه وعلم حقيقة
ما دلت عليه الاخبار والآثار النبوية والاحاديث المروية عن خير البرية عليه
وآله الصلوات الزكية والتسليمات المرضية الدالة على شرف بعض الصور [السور]
على بعض من قوله فاتحة الكتاب افضل القرآن وقوله قل هو الله احد تعدل
ثلث القرآن وقوله يس قلب القرآن وكذلك الاخبار الدالة على
فضيلة بعض الآيات من قوله آية الكرسي سيد آي القرآن وما وردت من
الاخبار والآثار الدالة على تفضيل بعض الصور وتخصيص بعض الآيات وكثرة
الثواب في تلاوتها والمنافع المذكورة في الخواص القرآنية المذكورة على السنة الرواة
والمثبتة في كتب الاحاديث المروية بالاسانيد العامية والخاصية المنتهية الى [المنتهية]
سادات الامم ورؤساء العصمة والائمة واهل بيت النبوة والولاية
عليهم السلام اكثر من ان يحصى ومن لم يقف بعد هذه الدلائل النقلية والقواعد العقلية
الموفقة في تفضيل بعض السور والآيات وضعف نور بصيرته عن ادراك الفرق بين آية الكرسي

وآية المداينات وسورة الاخلاص النازلة في معرفة الرب وسورة تبت يدا
ابي لهب محال عليهم ان يسرح في ميدان معرفة الصانع الكل عليه لم ينفق نصره عن
آثار رحمة الله ولا ينظر اليها ويشتغل من لباب القرآن بالقشور ويتوجه الى
القرطاس المنقوش من الرق المنشور ويكتفي من العلوم الشرعية التي يستنبط اصولها
وفروعها من آيات الكتاب بنوادر الطلاق ودقائق علم النحو والرواية [السلم]
وغرائب النحو واللغة وصنعة الكلام وطريقة الجدال لدفع الخصام الذي هو متاع
الانعام قد علم كل اناس مشربهم قوة كل طائر على قدر حوصلته حوصلته
گر بپرد پشه چندانکه هست کی کمال صرصرش آید بدست اذا لم
تستطع امرا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع فمن رجع الى ملاحظة المقصود
الاصلي من انزال القرآن وروح المعنى المراد منه والقدر المشترك بين اقسام
الذي هو سياقة الخلق الى جوار رحمة الله سبحانه وانه مما تتفاوت في تلك الاقسام
كمالا ونقصا وشدة وضعفا اما لاجل التدرج في التعليم من مرتبة الى مرتبة اخرى
فوقها او اللطف في الهداية من جهة الاشتغال من فن الى فن لكيلا يلزم الكلال
والملال بسبب التكرار والمواظبة على نهج واحد في المقال واما لاجل اختلاف
القرائح والطبائع في اللطافة والكثافة والذكاء والغباوة فكل انسان
بحسب عقله طور من الاطوار كما ان لكل حيوان بحسب جبلته شكل من الاشكال
كالفرس والحمار والبعير والانسان المتخالفة في الحركات والآثار فتفطن
وتيقن ان المقصد الاقصى واللباب الاصفى من اقسام القرآن وعلومه جمع
معرفة ذات الله تعالى وصفاته وافعاله ويعلم ان سائر الاقسام مراد لهذا القسم
وهو مراد لنفسه لا لغيره فان العلم الاعلى والحكمة الالهية هو رئيس العلوم
الحقيقية ومخدومها لان غاية العلوم الالهية التي هي مقصوده لغيرها من المعارف

الالهية لهم

الربانية وهي ليست غاية لشيء لغرضها بل غاية الغايات واخر سير الافكار و
نهاية الحركات وما عداها من العلوم الكلية والجزئية من خدمها وتوابعها وعبيدها
وهو السيد المطاع والرئيس المقدم الذي يتوجه اليه وجوه الاتباع ويتولى
شطره قلوب الخدم فيحذون حذوه وينحون نحوه ويحذرون عرضه

واذا تامل الناظر المتفكر وتدبر بعين البصيرة

في جملة المعاني التي يشتمل عليها اية الكرسي من المعارف الالهية والمطالب
الربوبية من التوحيد والتقديس وشرح الصفات العلى والافعال العظمى
لم يجدها مجموعة في اية واحدة من ايات القران الا هذه الاية فلذلك لها
السيادة والرياسة على ساير آي القران الامي وحدها فان شهد الله ليس
فيه الا التوحيد وقل هو الله احد ليس فيه الا التوحيد والتقديس وقل
اللهم مالك الملك ليس فيه الا الافعال وكمال القدرة والفاتحة فيها رموز
الى هذه الصفات من غير شرح وهي مشروحة في اية الكرسي والذي يقرب
منها في جمع هذه المعاني في اخر الحشر واول الحديد اذ يشتمل على اسماء وصفات
كثيرة ولكنها ست ايات لا اية واحدة وهذه اية واحدة فاذا قابلتها باحد
تلك الايات وجدتها اجمع للمقاصد الالهية التي هي روح القران
فلذلك تسمى السيادة على الاي كلها ويكون مصداقا لما ورد في فضلها وشرفها
من الاخبار والاثار منها ما ورد منه صلى الله عليه وآله انه قال اية الكرسي
سيد اي القران ومنها انه قال صلعم ما قرئت هذه الاية في دار الا
اهتجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة
ومنها ما روي عن امير المؤمنين عليه السلم سمعت نبيكم وهو على اعواد
المنبر يقول من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم تمنعه عن دخول

الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ
مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وذكر
الصحابة افضل اي القران فقال لهم امير المؤمنين ع اين انتم عن اية
الكرسي ثم قال قال رسول الله صلعم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد
ولا فخر وسيد الكلام القران وسيد القران البقرة وسيد البقرة اية الكرسي يا علي
ان فيها خمسين كلمة في كل كلمة خمسون بركة وعن ابي بن كعب قال قال رسول الله
يا ابا المنذر اي اية من كتاب الله اعظم قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم
قال فضرب في صدري ثم قال ليهنك والذي نفس محمد بيده ان لهذه
الاية للسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش نقلها ابو علي الطبرسي
رحمه الله في مجمع البيان ومنها ما روي عن ابي جعفر الباقر ع قال من قرا
اية الكرسي مرة صرف الله عنه الف مكروه من مكاره الدنيا والف مكروه
من مكاره الاخرة ايسر مكروه الدنيا الفقر وايسر مكروه الاخرة عذاب
القبر وعن ابي عبد الله ع ان لكل شيء ذروة وذروة القران اية الكرسي
كيف وفيها الحي القيوم وهما من اسم الله الاعظم كما سيظهر لك لمعة من انواره
ونكتة من اسراره ويشهد له ورود ما في الخبر بان الاسم الاعظم في اية الكرسي
واول ال عمران وعن امير المؤمنين صلوات الله عليه انه قال لما كان
يوم بدر قاتلت ثم جئت الى رسول الله صلعم انظر ما يصنع قال فجئت فاذا هو
ساجد يقول يا حي يا قيوم لا يزيد على ذلك ثم رجعت الى القتال ثم جئت
وهو يقول ذلك فلا ازال اذهب وارجع وانظر اليه ولا يزيد على ذلك الى
ان فتح الله له وما يكشف لنا ان هذا الذكر والعلم يتبعان المذكور في
المعلوم واشرف المذكورات والمعلومات هو الله بل هو متعال عن ان يقال

يقال ناهيك بك
اي لا تطلب زيادة
بين

هو اشرف من غيره لان ذلك نقيض نوع مشاكلة ومجانسة وهو مقدس
عن مجانسة ما سواه وكلما نبّه الا به مشتملة من نعوت جلاله واوصاف كبريائه
على الاصول والمهمات فلاجرم وصلت في الشرف الى اقصى الغايات
فقد ثبت مجملا وكشف عما اشرنا اليه قبل الخوض في بيانه ان لآية الكرسي
بخصوصها سيادة وشرافة على كل واحدة واحدة من آيات القرآن لانها
اجمع من كل منها واشمل لمعان هن روح القرآن ولبابه الاصفى من معرفة الذات
والصفات والافعال اذ ليس هذه المعاني مجموعة في غيرها من الآيات
وهي بأسرها مذكورة فيها فان قوله **الله** اشارة الى الذات الموصوفة
بالوجوب والغنى الذاتي والالهية وافادة الوجود واعطاء الكمالات الخير
والوجود لغيره وقوله **لا اله الا هو** اشارة الى توحيد الذات
ونفي المماثل في الوجود والشريك في الايجاد والشبيه في الصفة وقوله
الحي القيوم اشارة الى نعت الذات وجلالتها وعظمتها لما فيه من
معنى الحيوة المأخوذ في العلم والقدرة وسائر ما يتعلق بهما وبتعلقاته اذ الحي
هو الذي يدرك ويفعل ومعنى القيومية المستفاد منه جميع الصفات الكمالية والتنزه
عن جميع النقائص الامكانية فان معنى القيوم هو الذي يقوم بنفسه في ذاته
ويقوم به غيره فلا يتعلق قوامه بشيء وهو يستلزم سلب النقائص كلها اذ ما من
نقص الا وينبعث الافتقار الذاتي والامكان ويتعلق به قوام كل وهو يستلزم
استجماع الخيرات والفضائل كلها وينبوعية كمالات الاشياء ومعاضدة
بأسرها التي يتم بها قصوراتها ويجبر بها نقصاناتها وهذا غاية العظمة والجلالة
وقوله **لا تأخذه سنة ولا نوم** من الصفات التقديسية السلبية
لانه تنزيه وتقديس له عما ينافي القدم والالهية من صفات الحوادث وسمات

المركبات ولا شك ان التقديس عن وصمة التشبيه نوع من العرفان بل اوضح
اقسامه من حيث انه السبيل الى اكتناه ذاته بالبرهان وقوله **له ما في السموات**
وما في الارض اشارة الى الافعال كلها خلقها وامرها وعقولها ونفوسها
واعاليها وسوافلها وان جميعها يبدأ ويصدر منه وينتهي ويرجع اليه
وقوله **من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه** اشارة الى انفراده
بالملك والامر وتوحده بالوجود والقيوم وفناء ذوات الكل عند ذاته
واضمحلال اشعة نفوسهم عند سطوع النور الاول وان من ملك الشفاعة
والوسائط فانما يملكها بتشريفه اياه والاذن فيه بالامر التكويني المتعلق اولا
بذوات الوسائط المستعدة باذان الواعية قابلياتها الصافية وقلوبها السامعة
الفاهمة خطاب الحق بقوله كن وامره في دخولها دار الكون قبل غيرها واجابة دعوتهم
وامتثال امره في دخولها باستماع الخطاب وادخال غيرها باسماع كلامه اياه
كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا
وقوله **يعلم ما بين ايديهم** وما خلفهم الآية اشارة الى صفة العلم الرحماني المحيطي
التفصيلي الذي هو اعلى مراتب العلم ونفي صفة العلم المساوق للحيوة لكل الوجود عن
غيره الا من عطائه وهو بمبلغه حسب ارادته ومشيته وقوله **وسع كرسيه**
السموات والارض اشارة الى عظم ملكه وبسط قدرته وفيه سر
شريف وموقف غامض سينكشف لك لا يحتمل سماعه طاقة امثالك عند افضائنا
بهذا من شرح صفة الكرسي واتساع السموات والارض وقوله **ولا**
يؤده حفظهما اشارة الى كمال قدرته وعدم تناهي قوته وتنزهها
عن الدثور والكلال والنقصان والزوال وقوله **وهو العلي العظيم**
اشارة الى اصلين عظيمين في الاسماء والصفات سنشير الى شرحهما

بهذه

تحمله الاسماء فمن تأمل في جملة المعاني من التوحيد والتقديس والجمال والجلال
والعظمة والبسط والقهر والملك والملكوت تأملا كاملا وتفكر فيها
تفكرا شافيا كافيا وجدها غاية مقصد السالكين ونهاية مطلوب المحتاجين
بحيث يمكن بها ان يصل كل ذي حاجة ومسكنة الى بغيته ومرغوب مناه ومهواه
اذ فيها اصل السعادات ومنشاها وغاية الخيرات ومنتهاها فلنشرع في تقرير هذه
المعاني ونشرحها حسب ما الهمنا الله بها ومنحها على قدر وسعنا وطاقتنا ومبلغ
استطاعتنا وقوتنا لا على قدر جلالة تلك المعاني وعظمتها ومبلغ شرافتها وحقيقتها
ولنورد جملة هذه المعاني في عدة فصول يكون هي للحقائق العلمية دعامات واصول
مدرجا كل جملة من المقاصد المتعلقة بكلام مفرد اسنادي خبري في مقالة واحدة
ليسهل اخذها على المتامل الطالب ويتيسر ضبطها على السالك الراغب مرددا
في كل باب بين الاشارة الى ما هو صريح الحق والصواب وقرة عيون اولي
البصاير والالباب طائفة من كلمات القوم وتاليفاتهم وفوائدهم ونبذ نقلياتهم
في الكتاب ملخصا لثمرات كلامهم ومقربا للابعاد مرامي سهامهم ومقصرا لمسالك
اقدامهم ومجاوزا عن ابعد مدى غاية مرامهم وملتقطا من عقود نظامهم فرائده
من غير اخلال ومجتنبا من عقود نثارهم زوائده من غير اهمال ليكون سوانا للمحققين
بصدده ومعدا للناظر فيما يحتاج الى مدده وها انا اشرع فيما وعدناه واخوض
فيما قصدناه باذن مبدا الجود ومنتهاه وغاية الوجود ومبتغاه **المقالة الاولى**
فيما يتعلق باسمه تعالى الله وفيه ابحاث وتحقيقات لفظية ومعنوية
اوردناها في مسائل **المسئلة الاولى** في كيفية كتابة هذا اللفظ بحذف الالف بعد اللام
التعريف في الخط على ما هو الاصل في لفظ الله كما في ساير الاسماء المعرفة وانما حذف
الالف قبل الهاء لكراهتهم اجتماع الحروف المتشابهة في الصورة عند الكتابة ولانه بسم

لا منتهاه ومنتهاه وبها مقصد كل طالب مشتاق وكل متقرب مهتم مناه ومهواه حرر ارزو

الله م

اللاه في الكتابة قال بعض اهل الاشارة الاصل في قولنا الله اللاه وهو ستة احرف
وبقي بعد التصرف اربعة في اللفظ الف ولامان وهاء كان الهمزة من اقصى الحلق واللام
من طرف اللسان والهاء من اقصى الحلق وهذا حال العبد يبتدي من النكرة
والجهالة ويترقى قليلا قليلا في مقامات العبودية حتى وصل الى اخر مراتب الوسع
والطاقة ودخل في عالم المكاشفات والانوار اخذ يرجع قليلا قليلا حتى انتهى الى
الفناء في بحر التوحيد كما قيل النهاية هي الرجوع الى البداية ومن اللطائف
المتعلقة بمواد هذا الاسم وحروفه انك ان اسقطت الهمزة بقي لله وبه جنود
السموات والارض وان تركت من هذه البقية اللام الاولى بقيت البقية على
صورة له له ما في السموات والارض وان تركت اللام الباقية ايضا بقي الهاء
المضموم من هو قل هو الله احد والواو زايدة حصلت من اشباع الضمة بدليل
سقوطها في التثنية والجمع هما هم فانظر الى تقدس هذا الاسم وتنزهه عما يشبه
القوة والبطلان ويوهم النقصان والامكان ولو تخلت حرفه من مراتبه و
تفطن منه الى صمدية مسماه وترفعه عن التعطل والقصور في افاضة الوجود والرحمة
على ما سواه روي ان فرعون قبل ان ادعى الالهية قصدا وامر ان يكتب
بسم الله على بابه الخارج فلما ادعى الالهية وارسل الله اليه موسى ودعا
فلم ير به الرشد قال الهي كم ادعوه ولا ارى به خيرا فقال تعالى لعلك
تريد اهلاكه انت تنظر الى كفره وانا انظر الى ما كتبه على بابه فالنكتة فيه
هو ان من كتب هذه الكلمة على بابه الخارج صار امنا من العذاب وان كان
كافرا فالذي كتبه على سويداء قلبه من اول عمره الى اخره كيف يكون حكمه
المسئلة الثانية في كيفية التلفظ باسم الجلالة اعلم ان القراء
والمجودين استحسنوا تفخيم اللام وتغليظها من لفظ الله بعد الفتحة والضمة دون الكسرة

اما الاول فللفرق بينه وبين لفظ اللات في الذكر ولان التفخيم مشعر بالتعظيم ولان اللام الرقيقة تذكر بطرف اللسان والغليظة تذكر بكل اللسان فكان العمل فيه اكثر فيكون ادخل في الثواب وبهذا كما جاء في التورية احبب ربك بكلك وربما قال بعضهم بالوجوب مستندا لا بانه امر شايع فلا يجوز خلافه

واما الثاني فلان التنقل من الكسرة الى اللام الغليظة ثقيل على اللسان لكونه كالصعود بعد الانحدار وربما قيل بالتفخيم في الاحوال الثلثة ونقل ذلك عن بعض القراء واعلم انه عد اللام الغليظة حرفا والرقيقة حرفا اخر كما عدوا الدال حرفا والطاء حرفا اخر مع ان نسبة الرقيقة الى الغليظة كنسبة الدال الى الطاء فان الدال بطرف اللسان والطاء بكل اللسان لاطراد استعمال الغليظة مكان كل رقيقة ولم يتحقق عايق الكسرة وعدم اطراد الطاء مكان كل دال

اقول وجهها وجه لغز وهو ان الوجدان لما تعرض فيهما سوى التفاوت بالغلظة والخفة في المخرج وهو التفاوت بالرخاوة والشدة مع ان كلتيهما من الحروف الشديدة عند القراء وهي حروف اجد قط بكت اذ لا شبهة ان ليس جميع الحروف في درجة واحدة من الشدة كما ليس الرخوات ليست متساوية في حد الرخاوة وحذف الالف لحن يبطل الصلوة ان اما ورد في الشعر المفرد

ولا ينعقد به اليمين عند اصحابنا اذ ليس حينئذ من الاسماء المختصة ولا الغالبة واما الشافعية فاليمين لما كان عندهم على ضربين الصريح وهو الذي ينعقد عندهم بمجرد التلفظ بالاسم من غير نية وهو الحلف بالاسماء المختصة والكناية وهو ما يحتاج فيه الى النية بان ينوي الحالف الذات المقدسة وهو الحلف بالاسماء المشتركة كالحي والسميع والبصير فاليمين بالاسم المذكور ينعقد عندهم مع النية واما على ما ذهب اليه اصحابنا فاليمين لا ينعقد الا بلفظين احدهما الله والكن

1

كونه من الاسماء المختصة له تعالى وهو مفقود عند حذف اللام 7

المسئلة الثالثة في انه من اي لغة كان عربي او عبري او سرياني وفي انه اسم او صفة جامد او مشتق قد اختلف السنة الفحول وتشعبت اراء ارباب العقول وتاهت انظار علماء النقول واصحاب الاصول واضطربت اقوالهم في لفظ الجلالة كما تاهت افكار العقلاء في مدلولها وتحيرت اذهانهم في مفهومها وكما اضمحلت ذوات العارفين في حقيقة مسماها واندكت جبال انياتهم في بوادي الاول المحتجبة تحت ضوء الابهر ونوره الاقهر عن عيون خفافيش العقول فكانه قد رشح من بحر تنزهه وتقدسه وعكست شعلة من نار كبريائه وجلاله على منصات ظهور جلاله هذا اللفظ الذي هو باسميته فتلجلج لسان الفصحاء عن بيانه وتحجج البلغاء في اظهار عرفانه فقيل هو لفظ عبري وقيل هو سرياني واصله لاها فعرب بحذف الالف من اخره وادخال اللام والالف عليه وقيل بل هو عربي واصله الاله فحذفت الهمزة كما في اشياء عن حذف العوض او عوضه وقيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا اله وانما حقق القطع به محضا لما في العوضية للاضرار عن اجتماع اداتي التعريف وقيل انه والاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس فيقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما غلب النجم على الثريا والسنة على عام القحط والبيت على الكعبة واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود الحق لم يطلق على غيره فهل هو اسم او صفة فالمختار عند جماعة من النحاة كالخليل واتباعه وعند اكثر الاصوليين والفقهاء ان لفظ الجلالة ليس بمشتق وانه اسم علم له سبحانه لوجوه

احدها انه لو كان مشتقا لكان معناه كليا لا يمنع نفس مفهومه من وقوع الشركة فيه فلا يكون قولنا لا اله الا الله موجبا للتوحيد المحض ولما كفى في دخول الاسلام كما لا يكفي اشهد ان لا اله الا الرحيم او الا الملك بالاتفاق ويرد عليه انه يجوز ان يكون

الالف حرف

فرق

عوض عنها بالالف واللام وحرف بجواز استقاطها حال النداء ولام

اصل الوصفية الا انه نقل الى العلمية **والثاني** ان الترتيب العقلي يقتضي ذكر

الذات ثم تعقيبه بالصفات نحو زيد الفقيه الاصولي النحوي ثم انما نقول

الله الرحمن الرحيم ولا نقول بالعكس فضعيف ولا نصف به فدل ذلك على ان اسم

علم وقد يرد عليه ان هذا لا يستلزم العلمية لجواز كونه اسم جنس او صفة غالبة تقوم مقام

العلم في كثير من الاحكام وكذلك ايضا قوله تعالى صراط الله العزيز الحميد الله الذي له

ما في السموات في قراءة الخفض في الله واجيب بان قراءة الخفض عند قراء البيت لاجل

انه جعل وصفا وانما هو للبيان كما في قولك مررت بالعالم الفاضل زيد **والثالث**

قوله تعالى هل تعلم له سميا وليس المراد الصفة والا لزم خلاف الواقع فوجب ان يكون

المراد اسم العلم وليس ذلك الا الله ولقائل ان يمنع تالي الشق الاول مستندا بان

المراد من الصفة كما لها المعري عن شوب النقص **والثالث** انه سبحانه يوصف

بصفات مخصوصة فلا بد له من اسم خاص يجري عليه تلك الصفات اذ الموصوف اما اخص

او مساو للصفة وفيه اولا ان هذه مغالطة من باب الاشتباه بين احكام اللفظ واحكام

المعنى فان الاختصاص بالنعوت والاوصاف توجب مساواة الموصوف واخصيته

بالقياس الى الصفة لا وقوع لفظ مخصوص بازاء الذات اذ الاول لا يستلزم الثاني وثانيا

انه على تقدير التسليم لا نسلم لزوم العلمية لان الصفات مفهومات كلية ولم تخصصت ببعضها

ببعض لا ينتهي الى التعين الشخصي غاية الباب ان يصير كليا منحصرا في فرد ويكفي

لموصوفها عنوان هو امر كلي منحصر في فرد وثالثا انه يرد عليهم ما وردوا على الاول

فاما القائلون بالاشتقاق فحجتهم امور منها قوله تعالى وهو الله في

السموات وفي الارض اذ لو كان علما لم يكن ظاهر هذه الاية مفيدا معنى صحيحا لان وجهه

بعضهم من التشبيه بالكتابة لان ذلك حدث لمن تعلق بعلم ارفع من مباحث الالفاظ ولعل

الالفاظ المشعرة بالتجسم في القرآن غير محصورة والرد في الجميع شيء واحد ليس هذا موضعه

وذلك لا يقتضي الاشتهار

الرابع

محل بيانه بل لان المعنى العام لا يصلح للتقييد بالظرف وغيرها بخلاف المعنى الوصفي

فانه لا يجوز ان يقال هو زيد في البلد وانما يقال هو العالم في البلد او الواعظ

في المجلس والجواب ان الاسم قد يلاحظ معه معنى وصفي اشتهر مسماه به فيتعلق بالظرف

كما في اسد علي لتضمنه معنى الصائل او المقدم فكذلك يلاحظ هنا معنى المعبود بالحق

لكونه لازما لمسماه مشتهرا في نحو اه ومنها انه لما كانت الاشارة ممتنعة في حقه تعالى

كان العلم له ممتنعا ومنها ان العلم للتمييز والا شريك له فلا حاجة اليه والجواب عن

الوجهين ان وضع العلم لتعيين الذات المعينة ولا حاجة فيه الى الاشارة الحسية

لا موقوف على حصول الشركة قال بعض العلماء تشبه ان يكون النزاع بين الفريقين

لفظيا غير مورد لا فائدة لان القائلين بالاشتقاق متفقون على ان الاله مشتق

من اله بالفتح الهة اي عبد عبادة وانه اسم جنس يقال على كل معبود ثم غلب على

المعبود بحق كما مر واما انه بحذف الهمزة مختص بالمعبود الحق لم يطلق على غيره ولم

يفهم سواه وهذه خاصية العلم وقيل اشتقاقه من الهت الى فلان اي سكنت وهذا

المعنى انما لا يتحقق الا بالقياس الى جنابه المقدس اذ النفوس لا تسكن الا اليه

والعقول لا تقف الا لديه لانه غاية الحركات ومنتهى الرغبات كما بين في الحكمة

الالهية ولان الكمال محبوب لذاته الا بذكر الله تطمئن القلوب وقيل من الوله

وهو ذهاب العقل وهو بالحقيقة ثابتة للذوات بالنسبة الى قيوم الهويات

وجاعل الماهيات سواء فيه الواصلون الى ساحل بحر العرفان المستغرقون

في لجج الانفاق والواقعون في ظلمات الجهالة والعميان المتزحزحون

في تيه الخذلان وقيل من لاه بمعنى المرتفع وهو تعالى مرتفع عن شوب مشابهة الممكنات

ومتعال عن وصمة مناسبة المحدثات وقيل من اله في الشيء اذا تحير فيه لان

العقل وقف بين الاقدام على اثبات ذاته نظرا الى وجود مصنوعاته

والتكثر لنفسه تعالى ذاته عن ضبط وهم وحس وكذلك قال المحققون
السالك الواصل لا درك الواجب لذاته بهو كه البرهان الماخوذ عن
معنى الوجود ولمن له مبداء قيوم لذاته فهو الشاهد على ذاته وعلى كل شئ
لا العقل اذ ليس له الا ان يقر بالوجود والكمال مع الاعتراف بالعجز عن
ادراك الجمال والجلال ٥ معجز العقل هيهنا عن درك الادراك ادراك
وقيل من لا يكره اذا احتجب لانه لكنه صمديه محجب عن العقول فانها انما استدل
على كون الشعاع مستفادا من الشمس بدورانه معها وجودا وعدما وطلوعا
وافولا وشروقا وغروبا ولو كانت الشمس ثابته في كبد السماء لما حصل اطمينان بكون
الشعاع مستفادا منها ولما كان ذاته باقيا على حاله وكذا الممكنات التابعه
له فربما يخطر ببال الضعفاء العقول لمن هذه الاشياء موجوده بذواتها وكثير
منهم لا يكنهم تصور دوام المجعول مع الفاعل التام مع ان البقاء لاحدها
بالاصاله والحقيقه وللاخر بالتبعيه والمجاز اذ الماهيات والاعيان مظلم الذوات
بذواتها لازم الفقدان والعدم بانفسها الا انها من اثر تحقيق الاول ومجالي
لظهور نور الحق لم يزل فاحتجب الحق بالخلق وظهر الخلق بنور الحق فلا سبب
لاحتجاب نوره ٥ الا كمال ظهوره ٥ كما لا سبب لظهور الخلق الا غايه ظهوره
وبطلانه فالحق محجب والخلق محجوب وقيل من الكرا الفضيل اذا دلي باسمه
لان العباد يفزعون اليه في الملمات واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين
اليه هذا شان ان قصين واما العارفون الكاملون فهم في بحر شهوده
مستغرقون وهو جليسهم وانيسهم شكا بعض المريدين كثرة الوسواس فقال له
الشيخ كنت حدادا عشر سنين وقصابا عشرا وبوابا عشرا فقيل وكيف ولم ذلك
منك قال القلب كالحديد الينه بنار الخوف عشرا ثم نزع في عنقه عن الاوطار و

الاوزار عشرا ثم وقفت على باب القلب عشرا اسل سيف لا اله الا الله فكم اترك
حتى يخرج منه حب غير الله تعالى و يدخل فيه حب الله فلما خلت عرصه القلب
عن غيره وقويت محبته سقطت من بحر عالم الجلال قطره من النور فعرف القلب
فغرق في تلك القطره وفني عن الكل ولم يبق فيه الا مخض لا اله الا الله و
قيل من الكرا الرجل يا لله اذا فزع من امر نزل به فالله اي الجأ
والمجير لكل الخلائق من كل المضار هو الله ولا يجار عليه كشف تحقيقي
الحق ان وضع الاسم المخصوص للذات الاحديه والهويه الغيبيه مع قطع
النظر عن النسب والاضافات غير متصور اصلا لا لما قيل لمن ذاته تعالى
من حيث هي غير معقول البشر فلا يمكن ان يدل عليها بلفظ اذ يرد عليه
ما ذكره بعض المحققين ان اقصى ما يلزم منه عدم تمكن البشر من وضع الاسم لذلك
شانه والمدعي ان ليس له علم اصلا وقد صح ان اسماؤه توقيفيه فيجوز لمن
يضع هو لذاته المقدسه اسما على ان الغرض نعم تمكن البشر من وضع العلم
محل كلام اذ يكفي في وضع الاسم تعقل المسمى بوجه تمايزه عما عداه بل
لان الغرض من وضع الالفاظ والنقوش الكتابيه ليس الا الدلاله على المعاني
الذهنيه الداله على الحقايق الخارجيه اذ لو كانت الحقيقه بنحو وجودها الخارجي
حاضرا عند العقل المخاطب سقط اعتبار اللفظ بل لا يحتاج الا الى اشاره عقليه
والاحسيه ولما لم يتصور لحقيقه الباري صورة ذهنيه مطابقه لذاته فلا يمكن
نيل ذاته الا بصريح ذاته المقدسه واشراق نور وجهه الكريم بعد فناء السالك
عن ذاته واندكاك جبل انيته واضمحلال العين والماطه اذى هويته في طريق
الحق من البين فحينئذ فلا اسم له ولا رسم ولا نعت ولا خبر عن الغيب المحض والمجهول المطلق
فالسالك ما دام في حجاب وجوده وعينيته فلا فايده للالفاظ في حقه ولا خبر له عن

الدلاله عليه بالالفاظ
الذهنيه المطابقه لم
ايض اذ لا يمكن حضور

الحق اصلا واذا وصل الى الشهود الحقيقي فلا اثر منه عند الغير كما قيل
اين مدعيان در طلبش بيخبرانند كانرا كه خبر شد خبرى باز نيامد ومن
ههنا تبين وتحقق لك ان الالفاظ ليست موضوعة للمفهومات الذهنية ولا
للاعيان الخارجية كيف وقد ثبت في مقامه ان لا سبيل للعلم بانحاء الوجودات
الخارجية للمهيات الا بالحضور العيني والمشاهدة الاشراقية فان قلت لا شبهة
في ان العلوم والصور الذهنية دلالات على المعلومات والاعيان الخارجية وان
لم يحضر الامر الخارجي فالعلم لا يتوقف على حضوره وايضا لا شك ان الاحكام
الجزئية كلها ليست جارية على مجرد الصور العقلية والا كانت القضايا كلها ذهنيات
فلم يبق قضية حقيقية او خارجية فالحكم على الشيء لا بد من ادراكه قلت الحق ان
لنا للصورة العقلية دلالة على الشيء الخارجي بوجه من الوجوه بل المعلوم بالذات
بالذات للعقل عند اطلاق اللفظ ليس الا الصور الذهنية الا انها قد تكون
على وجه يمكن ان تصير عنوانا لحقيقة خارجية كما في المحصورات الخارجية فان المحكوم
عليه في قولنا كل انسان كاتب هو الصورة العقلية للانسان المأخوذة من
حيث هي هي بلا شرط على وجه يكون مرآة لملاحظة الافراد على سبيل الاجمال
على ان كل واحد واحد من الافراد لو كان حاضرا مشهودا بهويته
العينية كان متحدا مع تلك الصورة المأخوذة كذلك وهكذا الحكم في الافراد
المقدرة في القضية الحقيقية بخلاف الطبيعية والذهنية فان المحكوم فيها
مجرد الصورة من حيث كونها في الذهن ففي القضيتين المدرك بالذات
ليس الا صورة الشيء الخارجي بوجه دون هويته وذاته الا انه في احدهما
اعتبر المطابقة مع الامر الخارجي على الوجه المذكور وفي الاخر لم يعتبر وهذا
هو الفرق بين العلم بوجه الشيء وبين العلم بشيء بالوجه مع الاتفاق في

سواء كان الغرض منه معرفة احوال تلك الاعيان واحكامها ام لا كما في الاحكام الذهنية وهما ترى لم وضع الالفاظ للصور الذهنية م

قوله بهذه الدلالة على الامر الخارجي ... الخصوصية لا يكفي ... العلم الحصولي بها اللفظ اذا دل عليه فانما دل على الصورة الذهنية وبتوسطها على الامر الخارجي واما القضايا والاحكام الخارجية الحقيقية م ر م

كون المعلوم بالذات هو الوجه لا الكنه فقد استتار وانكشف لك حقيقة
المقدسة باعتبار الاحدية الغيبية لا يمكن لها اشارة عقلية كما لا يمكن له اشارة
حسية وبهذا مر قوله ع ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار
وان الملأ الاعلى يطلبونه كما انتم تطلبونه **المسئلة الرابعة**
في ان موضوع لفظ الجلالة ماذا اعلم ان لك اقسام الاسماء
الواقعة على المسميات تسعة اولها اسم الشيء بحسب ذاته كزيد وثانيها اسمه بحسب
جزء من اجزائه كالحيوان على الانسان وثالثها اسمه بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته
كالاسود والحار ورابعها اسمه بصفة اضافية كالمالك والمملوك
والمتيامن والمتياسر وخامسها اسمه بصفة سلبية كالجاهل والاعمى وسادسها
اسمه بصفة حقيقية مع اضافة لها الى شيء كالعالم والقادر وسابعها اسمه
بصفة حقيقية مع صفة سلبية كاطلاق الجوهر بمعنى الموجود بالفعل لا في
موضوع على الموجود زائد على مهيته وثامنها اسمه بصفة اضافية مع صفة سلبية
كالاول فان معناه سابق غير مسبوق وتاسعها صفة حقيقية مع اضافة
وسلب فهذه اقسام الاسماء المقولة على الشيء ولا يكاد يوجد اسم خارجا
عنها سواء كان لله او للمخلوقات اذا تقرر هذا فلقائل ان يقول لما تبين
وتحقق ان حقيقته تعالى المقدسة عن لوث الافهام والاوهام بحسب هويته
الغيبية غير قابلة لاسم ولا رسم ولا حد ولا اشارة وانما الفاظ الاسماء والصفات
جارية على ذاته باعتبار مرتبة من مراتب ... كلية او اضافية او سلبية
فلقائل ان يقول ... فالاسم الله لما لم يكن موضوعا لصفة كلية لخصوص
كالعالم او القادر مثلا وغير ما ... كان المفهوم من كلمة الله هو بعينه المفهوم من
العالم مثلا ولما كان قولنا الله عالم مفيدا للمعنى لم يكن تقييده على احد جزئيه

لو لم يكن موضوعا للذات لكان اسما م ر م

معنى زايد على معنى اصلا م ر م

بل تكون مثل قولنا الله الله او العالم العالم هو ظاهر ~~الاستحالة دلالة~~
موضوع لصفة اضافية محضة كالاولية والسبقية والآخرة والغاشية مثل
الشان المذكور ولا انه موضوعا للسلب المحضة كالقدوسية والفردية والجلال
وهو ظاهر ~~وكذا الحال في المعاني المركبة من بعضها مع بعضها حقيقي ولا ايضا~~
موضوع بجزء من الذات لاستلزامه تركب الواجب تعالى عنه علوا كبيرا
وبالجملة لم يبق من الاحتمالات التسعة المذكورة الحاصلة من وقوع الاسماء الكثيرة
الا واحد وهو كون الاسم الله واقعا على الذات دالا عليها مطابقة لاستحالة
غيره لما علمت من استحالة التوالي باسرها عند فرض المقدمات الثمانية المحتملة في
بادي النظر ولفساد التوالي لا يستلزم فساد المقدمات وكذا استحالة
المفهوم المردد بين التوالي تستلزم استحالة المفهوم المردد بين شقوق المقدم
واستحالة توجب ثبوت نقيضه وهو الذي ادعيناه من كون لفظ الجلالة
بازاء الذات الاحدية المعراة عن الاعتبارات حقيقية كانت او اضافية
او سلبية والا لزم كون هذا الاسم مع جلالته مهملا غير موضوع لمعنى ظاهر
البطلان **اقول** في الجواب ان هذا الاسم في التحقيق الذي لا محيص
فيه من الاعلام الجنسية للذات المستجمع للصفات الكمالية باسرها المنزهة
عن النقايص الامكانية برمتها فهو علم لهذا المفهوم الكلي المنحصر في
الواجب القيوم بذاته وليس من اسماء الاجناس ~~لا له مفهوم الجنس~~
كما زعمه طايفة من المتصوفة تعالى عما تقول الظالمون علوا كبيرا
ولا موضوع لصفة من الصفات بخصوصها اي صفة كانت ايجابية او سلبية
كما ذكره التفليسي فلم يبق من الاحتمالات الا الذي ادعيناه اذ لا يرد عليه شيء
من النقوض والايرادات المذكورة وهو خارج عن الشقوق التسعة المشهورة

ودعوى انحصار اقسام الاسماء فيما ذكر ممنوع لانه غير مستند الى امر عقلي بل
مجرد استقراء غير تام يكاد يوجد اسم خارج عن الجميع سواء كان اثباتا او غيره وسواء
كان الواقع بواسطة او غيره **فان قلت** هذا الاسم اشرف الاذكار وهو
الاسم الاعظم عند بعضهم واذا كان كذلك فلا بد ان يكون سماء الذات
الاحدية لان شرف الذكر والاسم بشرف المذكور والمسمى كما ان شرف
العلم بشرف المعلوم **قلنا** قد مر ان ذكر الذات الاحدية باعتبار
هويته الغيبية وكذا تسميته والاشارة اليه والاشعار به غير متصور اصلا
بل امر مستحيل لان الهوية الغيبية المذكورة مجهول مطلق لما سوى ذاته والمجهول
المطلق من حيث هو مجهول مطلق لا خبر عنه ولا ذكر ولا اشارة اليه بوجه من
الوجوه وهذا لا يقدح في كون هذا الاسم اشرف الاذكار واعظم الاسماء
فان المذكور والمسمى في كل ذكر واسم من الاذكار والاسماء الحسنى معنى من
المعاني العقلية والاعتقادية الصادقة في حقه تعالى اللائقة بجناب الهيته وقيوميته
وليس شيء منها نفس ذاته المقدسة تعالى عن ان يحوم حوله ادراك فكر او قياس
او ينال ذاته او عقل او وهم او حواس الا انه ما يدل عليه هذا الاسم باعتبار
الاستجماع الذي اشرنا اليه اشرف المذكورات الدالة عليها ساير الاسماء
فلو اتفق لعبد من عباده الوقوف على ذلك الاسم على ما يكون بان تجلى
له معناه والكشف له فحواه اوشك ان ينقاد له عوالم الجسمانيات والروحانيات
ثم القائلون بان الاسم الاعظم موجود اختلفوا في وجوده فمنهم من قال هو ذو الجلال
والاكرام متمسكين بقوله صلى الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال والاكرام ورد بان الجلال
من الصفات السلبية والاكرام من الاضافية ومن البين ان الذات الماخوذة مع الصفات
الحقيقية او الذات المطلقة الماخوذة بلا قيد اشرف من السلوب والاضافات ومنهم

قال انه الحي القيوم لما مر سابقا من الروايات ولقوله صلى الله عليه وآله
لابي ابن كعب ما اعظم آية في كتاب الله تعالى فقال الله لا اله الا هو
الحي القيوم فقال ليهنك العلم يا ابا المنذر وزيف بان الحي هو الدراك
الفعال وهذا ليس فيه عظمة لانه صفة واما القيوم فمعناه كونه قائما بنفسه مقوما
لغيره والاول مفهوم سلبي وهو استغناؤه عن غيره والثاني اضافي وسنذكر ما
يليق بهذا المقام وبيان كون هذين الاسمين من الاسماء العظام ومنهم من قال
ان اسماء الله كلها عظيم لا ينبغي ان تفاوت بينها ورد بما مر من ان اسم الذات
اشرف من اسم الصفة وفيه ان الذات [البحتة] لم يوضع له اسم والاولى ان يقال ان
المفهوم من بعض الاسماء اشرف من بعض بكثير والاظهر القول بان الاسم
الاسم الاعظم [غير] منحصر في واحد واثنين غير بعيد عن الصواب كما سنشير اليه وبه
يندفع التدافع بين نصوص الواردة في اعظمية اسم والواردة في اعظمية اسم آخر
غيره ومنهم من قال ان الاسم الاعظم هو الله وهو قول منصور لانك
قد علمت انه علم للذات المستجمع للصفات الكمالية والالهية مع التقدس عن
جميع النقائص الكونية فهو يجري مجرى العلم للذات الحقيقية الاحدية وينوب منابه
كانه دال على ذاته المخصوصة الاحدية وهذا المقام غير متحقق لشيء من الاسماء
العظام لعدم دلالته على ما دل عليه هذا الاسم الا على سبيل الالتزام مع بيان
وبرهان كما في الحي القيوم ويؤيده ما روي عن اسماء بنت يزيد انها روت
عن رسول الله صلعم انه قال اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين والهكم اله
واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة سورة آل عمران الله لا اله الا هو
الحي القيوم وعن بريدة ان رسول الله صلعم سمع رجلا يقول اللهم اني اسئلك
باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد

ولم يكن له كفوا احد فقال والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الاعظم الذي
اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى ولا شك ان الاسم الله في الآيتين و[الحكم فيهن]
اصل والصفات مترتبة عليه والتحقيق ان شرافة اسم على اسم باعتبار شرافة مدلوله
باحد الدلالات فمن نظر الى ان مدلول الاسم الله بحسب الدلالة المطابقية هو
الذات المستجمع لجميع الصفات الجمالية والجلالية ولا يوجد في الاسماء ما له هذه
الجامعية في الدلالة الوضعية الا اسم الله حكم بانه الاعظم ومن نظر الى ان الحي
القيوم يدل مفصلا على ما دل عليه اسم الله مجملا من تلك الاوصاف والنعوت
الالهية الوجوبية لكن على بعضها دلالة وضعية وعلى بعضها دلالة عقلية والدلالة [التفصيلية]
ارجح في طلب القرب والوصول من الدلالة الاجمالية فحكم بان هذا اعظم الاسماء
ومن نظر الى ان كل واحد من الاسماء الحسنى يرشد الى الآخر ويدل
عليه دلالة عقلية عند التأمل الصادق فيه والمواظبة على ذكره حكم بانه
لا رجحان لاسم على اسم بل كل واحد منها اذا نظرت اليها فهو عين [جميع]
الاسماء بحسب المفاد لقوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا
فله الاسماء الحسنى

المسئلة الخامسة في اعرابه ونظمه

هو مرفوع بالابتداء وخبره اما محذوف وهو موجود او ثابت او واحد
بقرينة ما بعده وهو لا اله الا هو مؤكد له ويحتمل ان يكون الجملة خبرا بنفسها
لا تابعا ويحتمل ان يكون الله خبر مبتداء محذوف اي هو الله دون غيره
ومعناه على الاول ان الله بنفس ذاته موجود لا يزيد وجوده على ذاته
كما في الممكنات التي لها ماهيات قابلة للوجود والعدم غير مقتضية لشيء منهما
بذواتها فتحتاج الى ما يرجح احد الطرفين فيها على الآخر فتؤدي سلسلة الافتقار
الى موجود لا يزيد وجوده على ذاته دفعا للدور والتسلسل وعلى الثاني ان الموجود

الوجوبية ح

وكذا يقاس كونه واحدا

الحق بنفس هويته اله العالم لا بصفة زائدة على ذاته اى صنع الالهية في
الواجب ليس كصنائع ذوي الصناعات الامكانية التي صانعيتها انما يتحقق
بشي زائد على ذاتها كالمرء انا شيئين يتجوهر باحدهما وهو النطق ويكتسب بالآخر
وهو صنعة الكتابة وكذا النار تتجوهر بصورتها المخصوصة وتحرق بحرارتها و
كذا الشمس تتنور بشي وتفرض الارض بشي آخر فهذه لا يكفي في وجودها المبادي
الفاعلية الذات والصفة بل يحتاج مع ذلك الى قابل وحركة حتى يظهر منها
آثارها لان شانها الاعداد والتحريك لا الجود والافاضة واما الاله المحض
والجواد الحق فلا ينقسم لشيئين باحدهما يتجوهر ذاته وبالآخر الهيته بل بذاته
اله وبنفسه خلاق والا لاحتاج في ايجاد صفة الهيته الى الهية اخرى وهكذا
حتى يتسلسل او يدور وكلاهما ممتنع فهو الله بذاته وهو الرحمن الرحيم بنفسه لا بصفة
زائدة بها يحصل الالهية اما ارتباطه بما سبق فهو ان من عادة سبحانه و
تعالى في هذا الكتاب المجيد ان يمزج هذه الانواع الثلثة بعضها ببعض اعني علم
التوحيد وعلم الاحكام وعلم القصص والمقصود من ذكر القصص اما تقرير دلايل
التوحيد او المبالغة في الزام الاحكام والتكاليف وهذا الطريق هو الاحسن
في الهداية واللائق بالانسان فان الكلام في النوع الواحد كانه مما يوجب الملال
فاما اذا وقع الانتقال من نوع العلوم الى نوع فكانه ينشرح به الصدر ويفرح
القلب وينشط به الذهن ويتسع الطبع فيصير الكلام اقرب الى فهم معناه والعمل بمقتضاه
واذ فرغ من علم الاحكام والقصص اقتضى المقام ارادة ذكر آيات تتعلق بعلم التوحيد

المسألة السادسة في تحرير محل هذا القول بان هذا الاسم عين ذاته تعالى او غيرها

اعلم انه قد اختلفت كلمة اهل الكلام في ان الاسم مطلقا هل هو عين المسمى
او غيره فالاول منسوب الى الاشاعرة والثاني الى المعتزلة والمتأخرون عن
آخرهم في التحارير بصدد تحرير محل النزاع ومورد الخلاف بحيث يصير قابلا
للمتقابلين مثل قيام الدليل عن قطع الاستحالة في احد الجانبين وجزم بعضهم ان
البحث فيه لفظي او عبث وهو كذلك بحسب الظاهر على ما هو مصطلح اهل
الكلام واما على ما هو عرف العرفاء في الاسماء فالخطب فيه عظيم والبحث فيه مهم
كما سيلوح لك منه شي وذلك لانه لا يشك عاقل في ان لفظ الاسد ليس
حيوانا مفترسا ولا لفظ الاسود قابضا للبصر ولا لفظ النار محرقا ولا التلفظ
بالعسل والسكر يوجب الحلاوة وربما استدل بعضهم على هذا الامر الفطري
بان الاسم حاصل من اصوات غير قارة ومختلف باختلاف الامم ومتعدد تارة كالمترادفة
ومتحد اخرى كالمشترك والمسمى بخلافه في الاولين وبعكسه في الاخيرين وبانهما متضايفان
والمتضايفان متغايران وفيه ما فيه وبان اللفظ عرض ممكن والمسمى قد يكون جوهرا
بل واجبا واستدلت المعتزلة بقوله تعالى تبارك اسم ربك وبوقوع الطلاق والعتاق
رجعا بالحمل على الاسماء واجيب عن الاول بانه كما يجب علينا تنزيه ذاته عن النقائص
يجب تنزيه اسمه عن الرفث وسوء الادب وبانه قد يراد بلفظ الاسم مجازا كما في
قول لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما وعن الثاني بان المراد الذات
التي يعبر عنها بهذا اللفظ هذا ما قيل في هذا المقام **واقول**
الاسم في عرف المحققين من اكابر العرفاء هو الذات مع الاعتبارات والحيثيات عبارة
عن الذات الماخوذة مع بعض الشئون والاعتبارات والحيثيات
فان الحق سبحانه وتعالى بحسب كل يوم هو في شان شئونا ذاتية ومراتب غيبية
يحصل له بحسب كل منها اسم او صفة حقيقية او اضافية او سلبية ولكل منها
نوع من الوجود حتى السلوب فانها مما يعرضها الوجود من وجه كما اذا تمثل في

الاشعرة ر

المعتبرين م

ذهن الا ذهنان او يكون له مصداق ينتزع منه اذا قيس الى الامر المسلوب و
الفرق بين الاسم والصفة من اعتبار العقل كالفرق بين المركب والبسيط اذ في الاسم
الذات معتبرة في مفهوم الاسم دون مفهوم الصفة لانها مجرد العارض فالاسم الله
عبارة عن مرتبة الالوهية الجامعة لجميع الشؤون والاعتبارات للذات المندرج
فيها جميع الاسماء والصفات التي ليست الا تجليات ذاته وهو اول كثرة وقعت
في الوجود وبرزخ بين الحضرة الاحدية الذاتية الغيبية وبين المظاهر الخلقية
وهو بعينه جامع بين كل صفتين متقابلتين واسمين متقابلين لما علمت ان الذات
مع كل صفة معينة واعتبار تجل خاص من تجلياته اسم وهذه الاسماء الملفوظة
هي اسماء الاسماء ومن هيهنا تحقق وانكشف لك ان المراد بان الاسم عين المسمى
ما هو وقد يقال الاسم للصفة اذ الذات مشتركة بين الاسماء كلها والتكثر
فيها بسبب تكثر الصفات وذلك التكثر انما يكون باعتبار مراتبه الغيبية التي
هي مفاتيح الغيب وهي معان معقولة في عين الوجود الحق يعني بها الذات
الالهية بحيث لو وجد في العقل او امكن ان يلحظها الذهن لكان ينتزع منه هذه
المعاني ويصفها بها فهو في نفس الامر مصداق لهذه المعاني من دون حاجة الى لحوق
صفة في ذاته وهذا مراد المحققين من الحكماء وغيرهم ان صفاته عين ذاته ومنه كلام
امير المؤمنين وامام الموحدين عليه السلام كمال التوحيد نفي الصفات الى آخره
انه مجرد وجود الذات هو بعينه وجود الصفات بالعرض لا ان لصفاته من وجود
في انفسها ولذاته وجود آخر في نفسه كما في صفات الممكنات ليلزم منه جهتا
قبول وفعل ولا انه شيء من الذات ما ذا صفة وشيء منها ذا صفة اخرى ليلزم
التركيب في ذاته تعالى عن ذلك علوا كبيرا فصفاته الحقيقية على كثرتها موجودة
بوجود واحد بسيط احدي هو وجود الذات وهو بعينه مصداق لكل الصفات

كلها وليس المراد ان ليست الصفات مفهومات متغايرة في الذهن والا لكانت
مترادفة الالفاظ وهو ظاهر الفساد فهي في انفسها كساير المفهومات
الكلية ليست من حيث هي موجودة ولا معدومة ولا عامة ولا خاصة ولا كلية ولا جزئية
جزئية بالذات بل بالتبعية فهي كلية في الذهن جزئية في الخارج موجودة في
العقل معدومة في العين واما الحكم والاثر فمن الوجود العيني بل ينسحب عليها احكام
الوجود بالعرض وهي تتنور بنوره وتنصبغ بصبغه من الوجوب والوحدة
والازلية كما يجري عليها احكام الامكان عند ظهورها في الاعيان الثابتة التي
هي ناشية منها باعتبار تعينها في علم الحق وتحقيق هذا المرام يطلب من كتب
الوفاء الكرام قال الشيخ محيي الدين الاعرابي في الفص اليوسفي
من كتابه الوجود الحق هو الله خاصة من حيث ذاته وعينه لا من حيث اسمائه
لان الاسماء لها مدلولان احدهما عينه وهو عين المسمى والمدلول الآخر ما يدل عليه
ما ينفصل الاسم به عن الاسم الآخر ويتميز في العقل فقد بان لك بما هو كل اسم
عين الاسم الآخر وبما هو غيره فبما هو عينه هو الحق وبما هو غيره هو الحق المتخيل
الذي كنا بصدده فسبحان من لم يكن عليه دليل سوى نفسه ولا يثبت كونه الا
بعينه انتهى كلامه **اقول** مراده من الحق المتخيل المشار
اليه من ان كل من مفهومات الاسماء الالهية وان كان بحسب نفس معناها
عارية عن صفة الوجود الحقيقي من الوجوب والقدم والحقية الازلية الا
انها تجري عليها تلك الاحكام وتنصبغ بها بالعرض وتقبلها بتبعية العين وهذا
النحو من الاتحاد والعينية الذي ~~ذهب اليه الوفاء~~ بين ذاته تعالى والاسماء ضرب
من الاتحاد بالعرض غير ما الفه الجمهور وشاع في الكتب العقلية اذ ليس كاتحاد
العرضيات والمشتقات مع ذات الموضوع كما في اتحاد الابيض والاسود مع زيد مثلا

يقبلها

التي ذهب اليه محققو الوفاء من هذا الاتحاد

بالعرض فيما بين ... اسمه

جدا ای یار
صفای کی شاه
ای برویت آرزوهم
خا دوش وقت
صبح ان صنم باده
فروش

بعد ان الوجود المنسوب اولا وبالذات الى زيد هو بعينه منسوب الى الوصف المشتق
ثانيا وبالعرض اى على سبيل المجاز ثم جواز ان يكون لهذه الصفات الوضعيات
نحو من الوجود يناسبها فرداتها مع قطع النظر عن عروضها للموضوع فان
لمفهوم الابيض نحو من الوجود في نفسه الذي يتحقق بعين وجوده الرابطي
وهو وجود العرض فان وجود العرض هو بعينه وجوده لمحله وهذا غير الوجود
بالعرض فان هذا عندهم مجازي دون ذلك وقد تبين الفرق بينهما في علم
الميزان فالحاصل ان اتحاد العرضيات عندهم بالموضوع اتحاد بالعرض
والموجودية بها موجودية مجازية لصدقها عليه بحسب مرتبة من الواقع واما
اتحاده بالاعراض التي هي مبادي اشتقاقها اتحاده بالذات ووجوده حقيقة
كوجود تلك الاعراض لاتحاد العرض والعرضي بالذات كما هو التحقيق عند المحققين
واما عينية صفاته المقدسة واسمائه الحسنى للذات الاحدية فليست من
هذا القبيل بل المعية التي هي بين العرض والذاتي في الطبائع الامكانية اذ ليست الصفات
نحوا من الوجود عن ذاته ولا كمعية الذاتيات مع الذات لان الحق ليس ذا ماهية
كلية اصلا فضلا عن ان يكون مركبا من مقومات متحدة في الوجود بل حقيقته ليست
الا وجودا مقدسا بسيطا صرفا لا اسم له ولا رسم ولا اشارة ولا حد ولا برهان
عليه وهو البرهان على كل شيء والشاهد عليه وجود فمعنى كون صفاته عين ذاته هو
ما اشرنا اليه ان الذات الاحدية بحسب مرتبة هويته الغيبية وانيته العينية مع
قطع النظر عن انضمام امر او اعتبار حيثية عن ذاته بوجه من الوجوه يحصل ويصدق
في حقه هذه الاوصاف الكمالية والنعوت الجمالية وتعرف منه هذه الاحكام
ويستفاد منه هذه المعاني ويظهر من نور ذاته هذه المحامد القدسية ويترآى
في شمس وجهه هذه الشمائل العلية ومن حدود انفسها مع قطع النظر عن نور

بعد مرتبة وجود الموضوع صح

على كل شيء

وجهه لا شيئية لها ولا ثبوت اصلا فهي بمنزلة ظلال وعكوس لها تمثل
في الاوهام والحواس وكذا الحكم في الاعيان الثابتة وساير المعقولات
والاعيان المعلومة وهي النقوش وعلامات دالة على انحاء الوجودات
الامكانية التي هي رشحات جود الحق واشعة نور الوجود المطلق ومظاهر
اسمائه وصفاته ومجالي جماله وجلاله واما نفس تلك الاعيان والماهيات
مع قطع النظر عن الوجودات فلا وجود لها بالذات لا عينا ولا عقلا
لقوله تعالى ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
ولعل الكلام انجر الى ما لا يطيق تقريره اسماع الانام بل يضيق عن فهمه نطاق
اكثر الافهام ويضعف عن سلوكه الاقدام

المسئلة السابعة في انه هل لمعنى هذا الاسم حد ام لا

الحد عند الحكماء
قول دال على تصور اجزاء الشيء ومقوماته فما لا جزء له لا حد له واما لا حد له لا برهان
عليه لانهما متشاركان في الحدود كما بين في الميزان واذا تقرر هذا
فلا شبهة في ان ذات الباري تعالى لتقدسه عن شوب التركيب سواء
كان من الاجزاء الوجودية او المقدارية او الذهنية او التحليلية على اقتضاء
برهان التوحيد لا حد له ولا برهان عليه واما ان مفهوم لفظ الله هل له
حد ام لا فالحق هو الاول لان معناه الموضوع له معنى مجمل متضمن لجميع الصفات
الكمالية فلكل منها عند التفصيل جزء من مفهومه والفرق بين الحد والمحدود
ليس الا بالاجمال والتفصيل في نحو الادراك فان الالفاظ المذكورة في
الحد تدل على ما دل عليه لفظ المحدود بعينه بدلالة تفصيلية وليس من شرط
الحد ان يكون بالتأليف من جنس وفصل بل من اجزاء الشيء سواء كانت بعضها
اعم من بعض مطلقا ام لا بان يكون متساوية او متباينة او لها اعمية من وجه

لا عينا ولا عقلا

الا انه المشهور بين الجمهور ان الحد لا يكون الا من جنس وفصل لها والذي الحق
المتأصل الحق لما طلبهم نوعيه لا يكون الا كذلك وبالجملة كل لفظ وضع لمعنى اجمالي قابل
للتحليل الى معان متعددة يدل عليها بالفاظ متعددة يكون الاول محدودا و
الثاني حدا وهكذا اسم الله بالنسبة الى جميع الاسماء الحسنى فانه بالنسبة المجموع اليه الحسنى
نسبة الحد الى المحدود وهذا الاعتبار بساطة الذات المقدسة واحدية الوجود
القيومي تعالى عن التصور والتمثل والتخيل والتعقل فيعم كل ما يدركه العقل من
معاني الاسماء بحسب مفهوماتها اللغوية او الاصطلاحية فهي خارجة عن ساحة العز
والكبرياء لا نحد الا من سبيل الينا من ملاحظة مظاهرها ومجاليها وشاهد
مربوباتها ومحاكيها قال ابن الاعرابي في الفص النوحي ان الحق
في كل خلق ظهورا خاصا فهو الظاهر في كل مفهوم وهو الباطن عن كل فهم الا
فهم من قال ان العالم صورته وهويته وهو الاسم الظاهر كما انه بالمعنى روح ما ظهر
فهو الاسم الباطن فنسبته لما ظهر من صور العالم نسبة الروح المدبر للصورة فيؤخذ
في حد الانسان مثلا باطنه وظاهره وكذلك كل محدود فالحق محدود بكل حد وصور
العالم لا ينضبط ولا يحاط بها ولا يعلم حدود كل صورة منها الا على قدر ما حصل
لكل عالم من صورة فلذلك يجهل حد الحق فانه لا يعلم حده الا من يعلم حد
كل صورة وهذا حصوله في حد الحق محال ثم قال فحد الالوهية بالحقيقة
لا بالمجاز انتهت الفاظه وتلخص من كلامه ان معنى لفظ الله هو المنعوت بجميع
الاوصاف والنعوت الالهية لما تقرر عندهم انه ما من نعت الا وله ظل
مظهر في العالم وثبت انه ليس الاشتراك بين كل الاسم ومظهره ليس بمجرد
اللفظ فقط حتى يكون لفظ العلم والقدرة وغيرها موضوعا في الخالق لمعنى
وفي المخلوق بمعنى آخر والا لم يكن هذه المعاني مما لا يدل على تحققها في البارئ

[هامش: الفاظ صح]

[هامش: والمحقق خلافه فيبطل كون الاشتراك فيها بمجرد اللفظ صح]

على وجه اعلى واشرف لم يوجد هذه المعاني في المخلوق مع الضعف والقصور بحسب
فرحته الحق تعالى في غاية العظمة والجلال فيكون الاسماء الحسنى مظاهرها
ومجاليها التي هي المهيات الثابتة والاعيان مشتركة في اصل المعنى سواء كانت المظاهر
من الصور المتنوعة الجسمانية المدركة بالحواس الظاهرة والتي هي من عالم الشهادة
وعالم الخلق ومظهر الاسم الظاهر المشتمل على الاسماء الكثيرة التي تحت حيطته
لما مظاهر مختلفة من هذا العالم الظاهر او التي كانت من الصور العقلية المجردة
الذوات المدركة بالمدارك الباطنة العقلية والروحية التي هي من عالم
الغيب ومظهر الاسم الباطن المشتمل على اسماء كثيرة يكون على اختلافها تحت
حيطة ذلك الاسم كالتي مظاهرها المختلفة الانواع مندرجة تحت عالم الامر وحد الشيء
كما عرفت عبارة عن صورة تفصيلية عقلية يدل عليه ما دل على [illegible] ذلك الشيء [هامش: هو معنى اجمالي]
اجمالا على معناه بان يكون لحقيقة واحدة كالانسان صورتان ادرا
كيتان احديهما موجودة بوجود واحد اجمالي والاخرى موجودات متعددة تفصيلية
فكانت المفصلة انها حد المجملة فعلى هذا يلزم ان يكون مفهومات جميع الكائنات [هامش: انها محدود]
ومظاهرها التي هي اجزاء العالم ظاهرا وباطنا على كثرتها حدا حقيقيا لمفهوم
اسم الله والمراد من لفظ الحق في قوله فالحق محدود بكل حد هو مفاد لفظ
الله باعتبار معناه العقلي ومفهومه الكلي لا باعتبار حقيقة معناه التي هي الذات
الاحدية وغيب الغيوب اذ لا نعت له ولا حد ولا اسم ولا رسم ولا سبيل اليه
للادراك والتعقل ولا ينال اهل الكشف والشهود لمعة من نوره الا بعد فنائهم
بهويتهم وانه كما كان جبل موجوديتهم وتوبيده ذلك ولما قال في الفص الاسمعيلي
اعلم ان المسمى الله احدي بالذات كل بالاسماء وكل موجود فماله من الله الا ربه خاصة
يستحيل ان يكون له الكل واما الاحدية الالهية فما لواحد فيها قدم لانه لا ينال

الواحد منها شيئا والآخر منها شيئا لانها لا تقبل التبعيض فاحديته تجمع كلا من القولين

المسئلة الثامنة في معنى كون الله معبودا للكل

اعلم ان اكثر الناس لا يعبدون الله من حيث هو الله وانما يعبدون معتقداتهم في ما يتصورونه معبودا لهم فالهتهم في الحقيقة اصنام ينحتونها بتصورهم ويعبدونها بقوة اعتقاداتهم العقلية او الوهمية وهذا هو الذي اشار اليه عالم اهل بيت النبوة والولاية سلام الله عليهم اجمعين كل ما ميزتموه باوهامكم في ادق معانيه فهو مصنوع مثلكم مردود اليكم الى آخر الحديث اي فلا يعبد معتقده من المحجوبين الذين جعلوا الاله في صورة معتقدهم فقط الههم الا ما جعلى في نفسه وتصوره بوهمه فالهه مجعول لنفسه منحوت بيد قوته المتصرفة فلا فرق بين الاصنام التي اتخذت آلهة دينية في انه مصنوع لنفوسهم سواء كانت في خارجها او في داخلها بل الاصنام كلها الخارجية ايضا انما عبدت من جهة اعتقاد الالوهية من عابديها في حقها فالصورة الذهنية معبودة حينئذ بالذات والصورة الخارجية معبود بالعرض فمعبود عبدة الاصنام كلها ليست الا صور معتقداتهم واهواء انفسهم كما اشير اليه في آيات من اتخذ الهه هواه فكما ان اصحاب الاصنام الجسمية يعبدون ما عملوا بايديهم فكذلك اصحاب الاعتقادات الجزئية في حق الحق يعبدون ما كسبتها ايدي عقولهم اف لكم ولما تعبدون من دون الله واما الكمل من العرفاء فهم الذين يعبدون الحق المطلق المسمى باسم الله من غير تقييد باسم خاص وصفة مخصوصة فيتجلى لهم الحق تعالى المنعوت بجميع الاسماء وهم لا ينكرونه في جميع التجليات الاسمائية والافعالية والآثارية بخلاف المحجوب المقيد الذي يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه وذلك بغلبة احكام بعض المواطن عليه

والاحتجاب بعض المجالي عن بعض في حقه ومن هذا الاحتجاب نشاء الاختلاف بين الناس فيكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا وكل احد يثبت للحق تعالى غاية ما يراه ويعتقده لايقا للربوبية من العظمة والجلالة وينكر غيرها وقد اخطأ واساء الادب معه تعالى وهو عند نفسه انه قد بلغ الغاية في المعرفة والتقديس وكذلك حال كثير من الملكوت والملائكة الا الانسان الكامل الذي علمه ربه علم جميع الاسماء ومظاهرها كما قال الله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا الآية فاذا تجلى الحق سبحانه بالصفات السلبية التنزيهية للعقول المسبحة المنزهة تقبله تلك العقول ويجدونه ويسبحونه وينكره كل من لا يكون مجردا كالوهم والخيال والنفوس المنطبعة اذ ليس من شانهم ادراك الحق الا في مقام التشبيه كاكثر الناس واذا تجلى بالصفات الثبوتية فيقبله القلوب والنفوس الناطقة لانها شبيهة من حيث تعلقها بالاجسام ومنزهة من حيث تجرد جوهرها وينكره المجردون بالتجرد المحض كاكثر الفلاسفة فيقبل كل نشأة من النشآت العقلية والنفسية والخيالية من التجليات الالهية ما يناسبها ويليق بحالها واما الانسان الكامل والعارف الفاضل فهو الذي تقبل الحق ويهتدي بنوره في جميع تجلياته ويعبده بجميع اسمائه وصفاته فهو عبد الله في الحقيقة ولهذا سمي بهذا الاسم اكمل نوع الانسان صلى الله عليه وآله فان الاسم الالهي كما هو جامع لجميع الاسماء ومحيط بها فكذلك مرتبة عبوديته كذلك طريقه جامع طرق الاسماء كلها ولكن كل واحد من تلك الطرق مختص باسم رب مظهره ويعبده ذلك المظهر من ذلك الوجه ويسلك سبيله المستقيم الخاص بذلك وليس الجامع لها الا ما سلك عليها المظهر الجامع النبوي الختمي المحمدي صلوات الله عليه وآله وهو طريق التوحيد الذي عليه جميع الانبياء والاولياء

اشارة الى ما ذهب اليه بعض الحكماء كالاسكندر الافروديسي وغيره من ان الانسان الذي بلغ درجة العقل المستفاد حكمه ... النفوس الحيوانية المنطبعة

وهو الغرض من بعثة الانبياء ونصب الاولياء وبه يحصل النجاة من عذاب
نار القطيعة وجهنم البعد والاحتجاب عن رب الارباب ومن لم يكن كل احد
يرجع الى ربه توجه كما قال كل الينا راجعون الا ان اكثرهم نكسه
رؤسهم محجوبة عقولهم مقيدة ابدانهم بالسلاسل والاغلال وجميع الطرق
تتشعب متفرع من طريق التوحيد ونوه ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وآله لما اراد ان يبين ذلك للناس خط خطا مستقيما ثم خط من جانبيها
خطوطا خارجة من ذلك الخط وجعل الاصل الصراط المستقيم الجامع والخطوط
الخارجة منها جعل سبل الشيطان كما قال الله تعالى ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله يعني السبيل التي لكم فيها السعادة والنجاة والا فالسبل كلها اليه
لان الله منتهى كل سبيل فاليه يرجع الامر كله ولكن ما كل من رجع اليه اما
سعد ونجى عن التفرقة والعذاب فسبيل السعادة واحدة قل هذه سبيلي ادعوا
الى الله انا ومن اتبعني واما جميع السبل فغايتها كلها الى الله او لا ترى تولاه
الرحمن آخرا وبقي حكم الرحمن فيها الى الابد الذي لا نهاية لبقائه وهذه
مسئلة عجيبة قل من استقام عقله عند سماعها ووصل فهمه الى نيل فحواها
لكن المقصود من بيان هذه ونظائرها ليس كل من له صلاحية المخاطبة الى
دون المكاشفة الذوقية لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ولكن
نوع من الانتفاع عام لغيره او لا ترى لمن الخطاب في الكلام المجيد شامل
لكل احد والفهم لا يختص بمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه لقوله
تعالى وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم في قراءة الوصل والدليل عليه
قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقوله انك لا تسمع الموتى
ولا تسمع الصم الدعاء وقوله بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا

بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقوله تعالى
م

العلم وكما ان الاذواق مختلفة في الانتفاع والالتذاذ بالارزاق الصورية
والاغذية الجسمانية بحسب سلامة القوة الذوقية ومراتب البعد عن الامراض
والمحذورات المزاجية كذلك الفهوم والمدارك مختلفة في الانتفاع و
الاستلذاذ بالارزاق المعنوية والاغذية الروحانية بحسب سلامة الفطرة عن
الامراض الباطنية ومراتب خلوص القلب عن الوساوس الوهمية والتعلقات
النفسانية كقوله تعالى في حق الكل والله فضل بعضكم على بعض في الرزق
وقوله في حق الانبياء تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقوله ورفع بعضهم
درجات وقوله في حق الملائكة وما منا الا له مقام معلوم فظهر لمن شاء ان الناس و
حظوظهم مختلفة واذواقهم متفاوتة في باب الاخذ من شرايع العلم ومنابع الحكمة
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

المقالة الثانية فيما يتعلق بقوله سبحانه لا اله الا هو وفيه مشارع المشرع الاول في نظمه بما سبق وبالحق

اعلم ان الغاية القصوى في القران عاما وفي هذه الاية خاصة توحيده
تعالى ذاتا وصفات وافعالا اذ به يرتقي الانسان من اسفل سافلين الى اعلى عليين
وبحسب مراتب التوحيد له تعالى يكون تفاوت درجات الموحدين قربا وبعدا
وكمالا ونقصانا وفضيلة ورذيلة وشرافة وخسة فرب موحد فاز بتوحيد الذات
الواجبية بوجه ولم يفز بتوحيد الصفات والافعال كاكثر المتكلمين و
جم اصحاب الحكمة الاشراقية المثبتين للوسايط الجاعلات والعلل المؤثرات
الموجبات وهو نوع من الشرك الا ان محققيهم مطبقون على ان الفاعل
الحقيقي هو الحق تعالى والوجود معلول له على الاطلاق والوسايط معدات
وجهات وسوابق ومقدمات قدمها الباري لنفس نظم البديع

ورب فائز بتوحيد الذات و
الصفات دون الافعال
كجمهور الفلاسفة القايلين بعينية
الصفات للذات

وحكمة الاسماء التي يكون لها دخل في التأثير والايجاد بل في التهيئ والاعداد

اذا تقرر هذا **فنقول قوله الله** اشارة الى توحيد

الذات **وقوله لا اله الا هو** اشارة الى توحيد الصفات

وقوله الحي القيوم اشارة الى توحيد الافعال اما بيان

الاول فلان معنى الله كما علمت هو الذات المستجمع للصفات

الكمالية ولا شبهة في ان التركيب من الاجزاء ينافي الوجوب الذاتي

لكونه مستلزما لافتقار المركب الى كل واحد من الاجزاء والافتقار [illegible]

عن النقصان والامكان الذاتيين وهما منافيان للكمال والوجوب

الذاتيين بمعنى الالهية المستلزم لكون الشيء مبدا سلسلة الوجود و

الايجاد ينافي التركيب المستلزم للحاجة واما بيان الثاني فلان التعدد

في الصفات الكمالية الالهية يستلزم التعدد في وجود الذات لافتقار

كل صفة الى موصوف ولكون كل صفة لشيء فرع وجود ذلك الشيء فيلزم

تعددها بتعدده ولو بحسب العقل فلو تعددت الصفات الخاصة بالواجب

تعالى كالالهية والقادرية على ما يشاء والعالمية بجميع الاشياء يلزم تركب

كل من اثنين من الذات والصفة والتركيب ينافي الالهية لاستلزامه الامكان

المنافي للوجوب لا يقال التركيب في مجموع الذات والصفة لا ينافي بساطة الذات

ولا يستلزمها والواجب الوجود هو الذات فقط دون المجموع من الذات

والصفة لانا نقول الكلام في الصفات الكمالية فاذا لوحظ

وجود الذات بحسب نفسه وقطع النظر عما يزيد عليه اهو موصوف

بالصفة الالهية الكمالية ام لا لا سبيل الى الاول والا لزم افتقاره الى

الغير في كمال ذاته وانه لم يكن مبدا سلسلة الممكنات سواء كانت

الذاتية الوجوبية صح

للعالم صح

والتعدد صح

صفات او افعالا لان البرهان دل على وجود امر بسيط يفتقر اليه الاشياء

وهو نفس ذاته المقدسة اخر ومبدا للكل فمفهوم ذاته هو بعينه مفهوم

الالهية وكذلك سائر الصفات التي تستوجبها الالهية وتستحقها الواجبية

الوجود والعلم والقدرة والارادة فيجب ان لا يصدق جميعها الا على

الهوية البسيطة ويحمل عليها بمعنى [illegible] ثم الوحدة في الذات الواجبية يستلزم

في الصفات الالهية مطلقا سواء كان مع تعدد الموصوف عينا كفرض

الهين منفصلين او عقلا فقط كفرض صفات واجبة متعددة لموصوف

واحد كما ذهب اليه الصفاتيون تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا واعلم

ان الفساد والاستحالة في هذا الشق اشنع واخفى والظلم فيه اشد عندي

اذ لزم فيه فوق ما لزم في الاول من التركيب اللازم للتعدد المنافي للوجوب شيء

اخر وهو خلو الواجب في حد نفسه عن الواجبية والصفات الكمالية بحسب اول

الوضع وهي مفسدة مختصة بهذا الشق دون الشق الاول اذ لا حاجة في

فرض واجبين يكون صفات كل منهما عين ذاته الى ان يقوم البرهان على استحالته

والبرهان ولو رجع منها الاستحالة ايضا لكن بحسب التادية والاستمرار

اخيرا لا بحسب الوضع صريحا من اول الامر وكما ان فوق كل ذي

علم عليم الى اعلم العلماء وهو صاحب القوة القدسية فكذلك تحت كل ذي

جهل جهيل الى اجهل الجهال وهو الجاهل بلزوم احد النقيضين للاخر اذ الزم

في اول الوضع ولو كان جميع الجهالات مشتركة في التادية الى الجهل بوضع شيء

بعينه مع نقيضه ومتفاوتة مراتبها بحسب مراتب سرعة التادية وبطوءها

وطول مسافة المقدمات وقصرها الى النتيجة فالراسخ في الجهل بتحقق

[illegible] بعدم التفطن بفساد الشيء البين الفساد من الامر [illegible] وهذا هو الغاية

هذا خلف صح

جميعا على ذاته صح

استحالة التعدد صح

في هذه صح

أو بعدم العلم باندراج الاكبر في الاصغر مع قلة الحدود والوسايط بينهما مع
اعتقاد نقيض النتيجة وفي مقابلة الرسوخ في العلم وهو سرعة التفطن
بالنتيجة مع كثرة الحدود والمبادي وهو الذي يقال له الحدس الشديد
وغايته العلوم القدسية التي للانبياء والاولياء، وعدم الرسوخ في كل منهما
يعرف بمعرفة الرسوخ فيه اذ مراتب كل منهما لكونهما وجوديين متقابلين مختلفة
شدة وضعفا ورسوخا وفتورا **واما بيان انه** فلان القيوم لكونه
صيغة مبالغة يدل على كمال الاستقلال في التقويم والايجاد شدة وعدة
فلو كان في الوجود فاعل آخر سواء كان تاما في الفاعلية او ناقصا مباينا او
مشاركا فعلى الاول لزم خلاف المفروض وهو كونه ضعيفا في الفاعلية كاملا فيها
اما على تقدير كونه تاما في الفاعلية والايجاد فلانه يلزم ان لا يكون بعض الممكنات
خارجا عن صنعه وايجاده فلم يكن قدرته شاملة لامتناع توارد العلتين
المستقلتين على معلول شخصي معين فيكون عدد مقدوراته ناقصا يمكن الزيادة عليه
فلم يكن قيوميته في الغاية بحسب العدد واما على تقدير كونه ناقصا مشاركا له
في الفاعلية سواء كان جزءا او معينا او معدا او آلة او سببا غائيا او
مصلحة او انتظارا لفرصة او غير ذلك فحينئذ لم يكن بحسب ذاته قويا على
ما تقوى عليه ذاته مع الشركة وهو احد الامور المذكورة اي امر كان منها
فقيوميته تدل على انه لا فاعل غيره كما ان ذاته تدل على انه لا واجب سواه
لقوله **شهد الله انه لا اله الا هو** فهذه العلوم
الثلثة التوحيدية اعني توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الافعال
اعلى طبقات العلوم واعلى هذه الثلثة واشرفها هو علم الذات
ثم علم الصفات ثم علم الافعال ولهذا وقع بهذا الترتيب في قوله

تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم وكذا وقعت الدلالة على هذه
العلوم الثلثة في قوله سبحانه والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم
بهذا المنهج فان قوله الهكم اله واحد توحيد الذات وقوله لا اله الا هو توحيد
الصفات على ما قررناه وقوله الرحمن الرحيم اي رحمن الدنيا ورحيم الاخرة
توحيد الافعال هذا طريق التدريج في سلك الآية واما طريق التدريج
في مسلك العبودية فبعكس هذا الترتيب وهو الترقي من الافعال الى
الصفات ومن الصفات الى الذات كما ان طريق الآية نقيض التدريج النزولي
الى ادنى المراتب ونحن اقرب اليكم من حبل الوريد انا عند المنكسرة قلوبهم
انا عند المندرسة قبورهم لو دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله
وذلك لان كمال النورية والظهور يوجب كمال القرب والدنو الا ترى
انه اذا كان في سطح واحد سواد وبياض يرى البياض لوضوحه اقرب
والسواد لخفائه ابعد وفي طريق العبودية يقع التدريج الصعودي
الى اعلى المراتب وهو مقام العبدية لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب
ولا نبي مرسل فوقع بيان هذه المراتب في كلام الله تعالى على سنة الآية كما وقعت
في كلام الرسول صلعم على سنة العبودية حيث قال اعوذ بعفوك من عقابك
فهذه ملاحظة توحيد الافعال ثم قال واعوذ برضاك من
سخطك هذا بملاحظة توحيد الصفات ثم قال واعوذ بك منك
هذا بملاحظة توحيد الذات فلم يزل على القرب يترقى من طبقة الى
طبقة ومن رتبة الى مرتبة في الشرف والقرب حتى انتهى الى النهاية ثم عند
النهاية اعترف بالعجز والقصور لان الذات الاحدية ليس لاحد فيها
قدم فقال لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فهذا

ادق العلوم واشرفها وخلية الرف والغوص علم الآخرة وعلم المعاد
وبه يتوصل بعلم المعرفة وهذه العلوم الاربع قد اودعنا
بعض كتبنا ورسائلنا شيئا من مجامعها واوساطها دون القدر الذي
رزقنا منه مع قصر العمر وطول الشواغل وقلة الاعوان والرفقاء
وكثرة الاضداد والمعاندين ولم نشبع الكلام حسب ما جعل الله فسطر
لانه مما كل عنه اكثر الافهام ويستنفر به الضعفاء وهم اكثر المترسمين بالعلم
واني ما رايت في مدة عمري هذا وقد بلغ سنه الى ست واربعين عنده
جزء من علم الآخرة على وجه يطابق القرآن والحديث ويعمل بمقتضى الكشف
الصحيح بل قل من العلماء من احكم ظواهر العلوم الحقيقية ومبادئها فضلا عن
اواخرها واقاصيها حتى ارتاض نفسه واستقامت على سواء السبيل فعسى
له طلب وشوق الابلاء الحق وحرام في ارتقاء الاوق الراجي والفضا
السابق الآتي ان يرزق شيء من هذه العلوم الاربعة خصوصا معرفة
الذات وعلم الآخرة الا مع رفض الدنيا وطلب الخمول وترك
الشهوة مع حطه وقلة واقاده وقربه منها وذكاء طبعه وفطرة صافية وحدس شديد

المشرع الثاني في قراءة التهليل

واعلم ان لا اله الا الله هو المد وكذلك جميع التهليل روي الباقر
عن ابن كثير المد الطويل مرادا منه من حملة القراء الذين يقصرون المد
المنفصل وهي التي تحصل حيثما يكون حرف المد في كلمة وسببه وهو الهمزة في كلمة
اخرى وذلك لورود الاثر في باب المد لهذه الكلمة وهو ما روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله ومد غفر له ما تقدم من ذنبه اربعة آلاف
ومن العجب ان بعض المتشيعين في المجالس استدلوا بمثل هذا الحديث
المعلنين بالذكر والشاعر

على فضيلة الجهر ورفع الصوت في الذكر والصياح في الدعاء والنداء وظنوا
فاسد وهم كاسد وقد ورد في القرآن ما ينادي بخلافه كقوله تعالى واذكر ربك
في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول كما قال بعض اصحاب القلوب
يا رافع الصوت بالدعاء ويا جهوري الصياح في النداء امن القرب تنادي
او من البعد تكلم أفنا جهل فيك ام رزاق اتهمك سبحان الله عما
يصفون وتعالى ذاته عما يشركون انا من خلق الانام انطقون لنزلائنا كلوا
ارزاقكم دون لن ترفعوا اصواتكم اشهب ثم لا شبهة في ان لسان الحال
افصح ورواق الرجا ابسط وافسح وفايدة الذكر والتهليل هو القرب الحق
الجليل وهو انما يحصل بكلام الباطن بلسان الحال دون مقارعة الاسماع
بالة الاصطكاك بالمقال وكلما كانت العبادة اروى واخفى فهي ابعد عن شايبة
الرعونة والرياء ولهذا المعنى اختار المصطفون من اهل الله والسالكون سبيل
العبودية الخلوة عن الخلق للذكر والمناجاة وانزوى العزلة عن الناس حذرا
عن الوسواس واستوحشوا من رؤيتهم خوفا عن مزاحم الاغيار بل لا
يخلو الا لهم في الخفية اوقات ازعاجهم الى الحق كيلا يتشوش
حالهم ولا يتكدر عيشهم وما لهم هذا حال المريدين السالكين قبل الوصول
واما عند كشفهم بالوجود البقائي بعد تمام حركاتهم ذاهبين الى ربهم اولا
ثم ذاهبين فيه اخيرا فلا يتفاوت عليهم الخلوة والجلوة والاسرار والاظهار
بل ربما كان لهم ولغيرهم في الجهر والاعلان مصلحة دينية وحكمة شرعية ترجع
الى نفس الانسان بشخصه او الى اصلاح مدينة فاضلة كما في الجمعة والجماعات
والاعياد والجيوش وحيث ما ورد في الشرع الاقدس من استحباب رفع
الصوت والاعلان كما في الاذان وفي مواضع من الصلوات المكتوبة وغيرها

ويناسب ذلك ما روي عن اهل الشرائع القديمة انهم ندبوا في شريعتهم
الى رفع الاصوات بالاذكار في معابدهم وكذا ما قاله بعض قدماء الحكماء ان قطع
الاصوات في بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات يحل عقدة
الافلاك الدايرات والكواكب السايرات وما قال بعض ارباب
القلوب في بعض مخاطباته للنفس اذكري ايها المدينة الفاضلة ربك بالصوت
المجامعة والصياح والتعظيم والتعليم ايهاك المدينة يحيي بذكر الله سواقها
وشوارعها وسككها ودورها وسطوحها عند بلوغ راس الزمان الى
حرابهم التسبيح وكبري تكبيرا جهرا تا تنقرض تنهزم به جنود الشيطان وتهرب
عبدة الطاغوت وترعد خبيثات النفوس وتهتز الارواح وتحرك
الاشباح الصحيحة الجوهرية فريضة في كتاب الله المسطور من البنيان
وبما قررنا ظهر لك ان كلا من الجهر والاخفات والاعلان والاسرار
مستحسن بوجه وحيثية واندفع التدافع الذي يترأى بحسب الظاهر
بين ما ورد في باب كل منهما من الاستحسان والاستهجان وذلك لان
ملاك الامر في اعمال العبد وافعاله النية الخالصة والتوجه التام
الى معبوده والاقبال بالكلية الى مقصوده اذ العبادة والعمل بدون
الاخلاص في النية معطل مهمل كجسد لا روح فيه وبذر لا ثمرة منه كقوله
تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فالامر انما تعلق بالعبادة بهذا
الوجه فاذا كان تمام العمل بالاخلاص فالانسان ما دام في هذه النشأة
الدنياوية ولم يخرج عن اسر هذه القيود الجسمانية لا يخلو عما يشوش
روحه ويبعده عن حاق النية الالهية فيحتاج غالبا في اوقات انزعاجه
الى الحق الى العزلة والخلوة والاستيحاش عن الخلق والاسرار في العبادات

بالبنان

ينطلق عن

والاذكار تخلصا عن فتنة السمعة والرياء في الاظهار وتحفظا على ادامتهم
العبودية لله الواحد القهار واقامة لوظايف المذلة والتواضع والانكسار
تقربا الى العزيز الغفار لقوله انا عند المنكسرة قلوبهم واما اذا قوي
روحه بالعلم والعمل واستحكم اساس معرفته وايمانه بالله عز وجل وفني
نفسه عما سوى الله بحيث يكون وجود الدنيا وما فيها في نظر شهوده
كظل وفيء وشبيهها كلا شيء فلا تتغير حالة عند تغير الاحوال ودام
على ما هو عليه في كل حال فالاحسن لمثل هذا الانسان ان يجهر رفع همته ونظرا الى علو
مرتبته وحالة ليتأسى به غيره ويتبرك بوجوده ويقتدى به في طريق السلوك
والعبادة والطاعة وهكذا كان داب اكابر العلماء والمجتهدين في البداية
والنهاية

المشرع الثالث في حقيقة الوحدة المقصودة من كلمة التهليل

اعلم ان لفظ الواحد قد يكون اسما هو الواحد بما هو واحد و
قد يكون صفة وهو الشيء الواحد فالاول هو الذي يقوم منه العدد
بتكريره والثاني كقولك شخص واحد وربما يوجد شيء آخر واحد باعتبار
كعشرة واحدة فان الوحدة العارضة للعشرة غير الوحدات التي تقوم
منها ومطلق الوحدة معناه انه لا ينقسم من جهة ما قيل انه واحد فالانسان
الواحد يستحيل ان ينقسم من حيث هو انسان الى انسانين لان صرف
الشيء وحقيقته لا يكون الا معنى واحدا فكلما فرضته ثانيا له فاذا نظرت اليه
فهو بعينه هذا اذ لا يفارقه الا بمعنى آخر غير حقيقته فالانسان ينقسم الى
الابعاض والاجزاء ليس شيء منها انسانا او الى جزئيات واشخاص لكن
تعدده بسبب نفس الانسانية بل بامور عارضة ومشخصات لاحقة لنفس

مهيتها وذلك من جهة الفرق ومن ههنا نعلم ونحقق ان الوحدة
لازم لكل حقيقة ولكل مهية والكثرة امر لاحق له في الخارج كما انه
الوجود عام منبسط لكل شئ من الاشياء حتى اللاوجود فانه من حيث انه
له مفهوم ذهني له حظ من الوجود العقلي اذ هو بهذه الحيثية شئ من الاشياء
لا باعتبار انه سلب للوجود بل المعدوم المطلق والمجهول المطلق كل
منها عنوان في الذهن يحمل ذلك العنوان على نفسه بالحمل الاولي الذاتي
ولكنه لم يحمل بالحمل الشايع الصناعي لا على نفسه ولا على غيره لكن يحمل على
نفسه نقيض ذلك المفهوم وهو الوجود في الجملة والمعلوم بوجه ما
فكذلك الوحدة لشمولها وانبساطها يصدق على نفسها وعلى مقابلها
اي الكثرة حيث يقال كثرة واحدة وعدد واحد كما ان الوحدة والوجود
كانهما رفيقان متصاحبان اينما تحقق احدهما تحقق الاخر بل الكشف
والبرهان يحكمان بانهما امر واحد ذاتا وحقيقة وما قيل من ان الوحدة
تغاير الوجود لان الوجود ينقسم الى الواحد والكثير والمنقسم الى شيئين
مغاير لما به الانقسام فالجواب ان الكلام ليس في سلب المفهوم
من الوحدة عن الوجود لانه يستبين الفساد والا لكانا مترادفين
ولكان قولنا موجود واحد غير مفيد لكونه بمنزلة قولنا موجود موجود
او واحد واحد ولكان قولنا موجود كثير تناقضا والتالي بط فكذا
المقدم بل المقصود نفي حقيقة الوحدة عن حقيقة الوجود وكل نحو من
انحاء الوجود عين نحو من انحاء الوحدة ثم نقول المقسم
بهذا التقسيم مفهوم الوجود المطلق العام لا حقيقته الخاصة كما
انه الوجود بالمعنى العام ينقسم الى الواحد الكثير فكذا الواحد بالمعنى

العام الشامل للواحد الحقيقي والكثير الحقيقي ينقسم اليهما ثم اعلم ان
الوحدة مما يعرض للكثرة وبيان ذلك انه الموجودات متفاوتة في درجات
الوحدة كما انها متفاوتة في فضيلة الوجود وكما ان احق الجميع بالموجودية
الوجود القيومي اذ هو صرف الوجود الذي لا يتصور فيه عدم بوجه من
الوجوه اصلا لكونه موجودا بجميع الاعتبارات في جميع التقادير وجوبا
ازليا ابديا وضرورة ذاته ازلية بخلاف ساير الضرورات الذاتية
او الوصفية لتقيدها بما دام الذات او ما دام الوصف وبعده الوجودات
العارضة للمهيات في تفاوت مراتبها فان صدق الموجودية لها في زمن
الوجود مقيد بما دام باذام الجاعل التام ايا ما ثم نفس المهيات الممكنة
المعروضة للوجود في الخارج ثم الذهنيات الصرفة والوضعيات الكاذبة وكذلك
احق الاشياء بالوحدة نفس الواحد بما هو واحد الذي صدق الواحد عليه ضروري
الازلية فهو الواحد الحقيقي الذاتي الازلي ثم الوحدات الحقيقية العارضة للبسائط
او المركبات من جهة صورتها الطبيعية التي من جهة وحدتها ثم الامور التي
التي لها كثرة حقيقية ولها كثرة ولها وحدة جمعية اشتراكية من جهة
اخرى وتلك الجهة اما مقومة او عارضة او لا هذا ولا ذاك فالاول
قد يكون جنسا لكثرة اشتراك الانسان والفرس في الحيوان وقد يكون
نوعا كاشتراك زيد وعمرو في الانسان ونسميه الاتحاد في الفصل ايضا
والثاني قد يكون موضوعا كالكاتب والضاحك المتحدين في الانسان
المحمولين عليه والثالث وهو الواحد بالاضافة الى شئ واحد ثم
المشاركة في المحمول ان كان في النوع يسمى مماثلة وفي الجنس مجانسة وفي
الكيف مشابهة وفي الكم مساواة وفي الوضع مطابقة وفي الاضافة مناسبة

واجبا ثم

قد يكون محمولا لها وهو الواحد
بالمحمول كالقطن والثلج المتحدين
في الابيض المحمول عليهما حرم

الوحدة في هذه الامور المذكورة اذا قيس الى نفسها ولئن كانت وحدتها
حقيقية بالمعنى الاعم لكنها ليست في مرتبة واحدة من الكمال لان وحدة
الجنس ليست كوحدة النوع ووحدة الاضافة ليست كوحدة الذاتي المقوم
ولئن كان الجميع عقليات لا وجود لها في الخارج بخلاف الوحدة الشخصية
لانها خارجية ثم الواحد الشخصي الذي لا ينقسم اصلا احق بالوحدة
من الذي ينقسم بوجه والثاني ايضا على مراتب فانه قد يكون واحدا بالاتصال
وهو الذي ينقسم بالقوة الى اجزاء متحدة في تمام الحقيقة انقساما لذاته كالمقدار
او لغيره كالجسم الطبيعي الواحد البسيط وقد يكون واحدا بالتركيب والانضمام
وهو يكون كثرة بالفعل ويقال له الواحد بالاجتماع وذلك على ضربين
تام ان حصل فيه جميع ما يمكن حصوله فيه وغير تام لئن لم يحصل فيه ذلك ويقال
له كثير ويسمونه الناس غير واحد ثم التامية اما بحسب الوضع كالدرهم
الواحد او الصناعة كالبيت التام او الطبيعة كالانسان التام الخلقة و
الخط المستقيم لقبوله الزيادة الى غير النهاية فليس بواحد من جهة التمام
بخلاف المستدير اذا تمت احاطته بالمركز واما الذي لا ينقسم في الخارج
اصلا اي لا بالقوة كالمتصل ولا بالفعل كالمجتمع فهو اما ذو وضع كالنقطة
او غير ذي وضع كالعقل والنفس واذا تحققت الحقائق علم ان
شرف كل موجود بغلبة الوحدة فيه وشرف كل واحد بغلبة الوجودية
ولئن لم يخل موجود ما عن الوحدة حتى العشرة في عشريته ولم يخل و
حدة ما عن الوجود كالاعداد الغير المتناهية والفرضيات العقلية فكل
ما هو ابعد عن الكثرة فهو اشرف واكمل وحيثما ارتقى العدد الى الكثرة
نزلت نسبة الوحدة فلا اقل ولا احق بالوحدة من اقسام الواحد الحقيقي

بالمعنى الاعم هو ما لا ينقسم اصلا لا في الكم ولا في الحد ولا بالقوة ولا
بالفعل ولا ينفصل وجوده عن ماهيته بحسب العقل ثم ما لا ينقسم في الكم اصلا
لا بالفعل ولا بالقوة وان تصور انقسامه الى اجزاء الحد ذهنا ثم الواحد
بالاتصال ثم الواحد بالاجتماع ثم الواحد العددي احق بالوحدة من الواحد
النوعي لكون وحدته كوجوده ذهنية وهو احق من الواحد الجنسي لشدة ابهامه
وعدم تحصله وكذا الاجناس تتفاوت ضعفها في الوحدة بحسب مراتب عمومها
وابهامها وبعدها عن الوحدة العددية الشخصية

انارة عقلية يزاح بها غشاوة وهمية

ولقائل ان يقول حسبما جرى في الكتب الحكمية الرسمية لئن الوحدة مغايرة
للوجود لان الكثير من حيث هو كثير موجود ولا شيء من الكثير من حيث
كثير بواحد بالضرورة فليس كل موجود واحدا فاذا الوحدة مغايرة للوجود نعم عرض
لذلك الكثير وحدة وخصوصية لانه يعرض الكثرة لما عرضت له الوحدة
فنقول له ان اردت بالوصف بالحيثية المذكورة في المقدمتين ما يراد
منه في مباحث الماهية لاجل التمييز بين الذاتي والعرضي فالصغرى ممنوعة
الكثير بهذا المعنى لا موجود ولا معدوم بمعنى ان وصف الوجود ليس بعين وجزء
الكثرة ولئن اريد ان موصوف الكثرة حين كونه معروضا للكثرة او بشرط
اتصافه بها موجود سلمنا لكن منعنا الكبرى اذ كما انه موجود فهو واحد
ايضا اذ ما من شيء الا وله وحدة حتى الكثير في كثرته فثبت ان الوجود غير
منفك عن الوحدة فان رجع وقال بعد اختيار الشق الثاني لئن
الوحدة ههنا عرضت للكثرة لا لما يعرض له الكثرة فموضوعاهما متغايران
مثلا العشرة عارضة للجسم والوحدة عارضة للعشرة من حيث انها عشرة

فههنا شيئان الكثرة وموضوعها فالكثرة للموضوع والوحدة لتلك الكثرة
فوحدة الكثرة لا تناقض تلك الكثرة لعدم اتحاد الموضوع بخلاف وحدة
موضوع الكثرة فانها تنافي كثرته مع اتحاد الزمان ولا تنافي وجوده فثبت التغاير
بين الوجود والوحدة **فنرجع ونقول** قد مر ان الوحدة كالوجود
على انحاء شتى فكل وحدة خاصة يقابلها كثرة خاصة والوحدة المطلقة
يقابلها الكثرة كما ان الوجود الخاص الذهني او الخارجي يقابله العدم الذي
بازائه والعدم المطلق بازاء الوجود المطلق والدعوى ان وحدة ما عين
وجودها باي اعتبار اخذ فاذا تقرر ذلك **فنقول** ما ذكره
لا يدل على مغايرة الوحدة المطلقة للوجود المطلق اذ الكثير المقابل لها
لا وجود له اصلا لان كل موجود فله جهة وحدة ولو بالاعتبار فموضوع الكثرة
كالرجال العشرة مثلا من حيث كونهم عشرة ليس لهم وجود غير وجودات
الاحاد الا اثنين ~~فاذا كان موضوع الاثنينية موجودا~~ باعتبار العقل لا في
الخارج والا لم ينضبط شيء من التقسيم اذ كل ما يعتبر من الشيئين يكون منقسما
الى ثلاثة اشياء وهكذا ولم ينحصر اجناس المقولات في عشر اذ موضوع هذه
العشرة لو كان موجودا خارجيا كان مقولة اخرى غير احدى المقولات
العشر فقد علم ان الكثير من حيث الكثرة لا وجود له الا في الاعتبار العقلي
وكما ان العقل لم يعتبره موجودا فانه لم يعتبره شيئا واحدا فاتقن هذا المقام
لانه مما زلت فيه الاقدام **اذا تقرر ما ذكرناه فنقول**
ان الواحد الحق لكونه مبدأ سلسلة الممكنات يجب ان يكون وحدته
هي الوحدة الحقيقية بالمعنى الاخص بمعنى ان ذاته بذاته نفس حقيقة الوحدة
بلا شوب كثرة واثنينية اذ لو كانت الوحدة عارضة لذاته بذاته

الاثنين ... كان موضوع الاثنينية

فلم يكن ذاته من حيث هي هي واحدة ويكون الواجب في اتصافه بالوحدة
مفتقرا الى سببه وذلك السبب اما ذاته او غيره فعلى الاول يلزم ان
يكون ذاته موجودة واحدة قبل هذه الوحدة لكونها علة للواحد وعلة الواحد
واحد فينقل الكلام الى الوحدة السابقة ويتسلسل او ينتهي الى سبب واحد يكون
وحدته عين ذاته وهذا خلف مع انه المطلوب وعلى الثاني يلزم افتقار الواجب
في وحدته الى الممكن وهو مح لان الافتقار في الوحدة يستلزم الافتقار في
الوجود اذ الشيء ما لم يكن واحدا امتنع ان يوجد وايضا يلزم الدور في
افتقار الواجب في وحدته الى الممكن وبالعكس لكون كل ممكن مفتقرا اليه
على ما هو المعين فثبت ان وحدة الواجب كوجوده عين ذاته ومن ههنا
يظهر للبيب العارف ان حقيقة الوحدة امر واحد **فان قيل** هذا الكلام
يتوقف على امرين احدهما ان الوحدة صفة ثبوتية والاخر انها امر متحقق في
الخارج ونحن لا نسلم كونها ثبوتية لم لا يجوز ان يكون سلبية بمعنى نفي الكثرة ولو سلمنا
كونها امرا ثبوتيا فلا نسلم انها متأصلة الثبوت في العين فضلا عن ان يكون لها صورة
عينية وذلك لانها لو كانت للوحدة وجود عيني لكانت الوحدات متشاركة
في ماهية الوحدة ومتباينة بتعينات بها فيكون للوحدة وحدة اخرى وهلم جرا
وذلك هو التسلسل المحال **فالجواب اما عن الاول**
فهو ان المفهوم من الوحدة امر ثبوتي لانه لو كان سلبيا لكان سلبا
للكثرة فان كانت الكثرة سلبية فسلب السلب ثبوت فالوحدة ثبوتية
وهو المط ولو كانت الكثرة ثبوتية ولا معنى لها الا مجموع الوحدات كانت
الوحدة سلبية حصلت من الامور المعدومة امر موجود وهو مح فثبت ان الوحدة
صفة ثبوتية **واما عن الثاني** فلانه لا يمكن ان يقال ان حقيقة

انها الامر الذهني لانا نعلم بالضرورة ان الشيء المحكوم عليه بانه واحد قد كان
واحدا في نفسه قبل ان وجد ذهنا واعتبارا فثبت ان كثيرا من الماهية ما واحدة
صفة ثبوتية زايدة على تلك الماهية قايمة بها مع قطع النظر عن الاعتبارات
والنسب والحيثيات العقلية ثم ان كون الوحدة موجودة لا يستلزم
الا ان تكون واحدة اعم من ان يكون بعين ذاتها لا بامر زايد عليه للاستغناء
عنه او بامر عارض كما في ساير المشتقات على ما هو التحقيق بل وزان الامر
في الوحدة كوزانه في الوجود فان كون الاشياء موجودة انما يكون
بالوجود وكون الوجود موجودا انما هو بنفس الوجود لا بامر زايد عليه
لاستغنائه عنه فكذا الحكم في كون الوحدة واحدا على ان الماخوذ في
مفهوم المشتقات هو المعنى المصدري للشيء وكلامنا في اثبات حقيقة الوحدة
اي به الشيء واحدا لا في الواحدية المصدرية فاذا كانت للوحدة حقيقة في
الخارج كانت واحدة لكن لا يلزم ان يكون وحدتها غير نفسها كما في
الاشياء الواحدة التي حقيقتها امر غير الواحدة تحتاج في وحدتها الى ان
يقوم بها وحدة خارجة عن ذاتها فوحدة الوحدة وراء ذاتها ليست الا ذاتها
كما ان وجود الوجود وراء حقيقته ليس الا نفس موجوديتها وبهذا
يندفع التسلسل المذكور في مثل هذا المقام لان خطرات الاوهام تقف
عند حد والعجب من بعض الحكماء كيف عول في نفي موجودية الوجود
والوحدة وغيرهما على مثل ذلك البيان مع انه قد حقق في باب الكلام في حقيقة النور
انها ظاهرة بذواتها لا بظهور زايد عليها وكذا في الامتداد الجوهري الذي
بنفس ذاته ممتد وامتداد اجزاء الزمان بانفسها تقدمات وتاخرات
وذوات تقدم وتاخر وخلاصة الغرض ان للوحدة كالوجود معنيين

احدهما

احدهما امر عام مصدري وهو كون الشيء واحدا والثاني
هو منشاء الواحدية وقد يكون عين ذات الشيء وقد يكون زايدا عليها
والواحد الحق من قبيل الاول لكونه احق الاشياء بالواحدية اذ الكثرة
مثار الامكان والنقص والقصور من ضرورة كونه واحدا حقيقيا كونه
وجودا صرفا مقدسا عن الماهية وذلك لانه لو كانت له ماهية كلية كانت وحدته
وحدة مبهمة مشوبة بالكثرة والانقسام ولم يكن الوحدة عين ذاته لان كل ماهية
سواء كانت نوعا او جنسا يكون الوحدة عارضة لها اذ الماهية من حيث
هي هي ليست واحدة ولا كثيرة فثبت ان حقيقة الوحدة لا يمكن ان يكون
ذا ماهية كلية فالواجب بحت الوجود ومحض الهوية وبهذا يثبت معنى كلمة التوحيد
فان معنى لا اله الا هو على هذا التحقيق لا اله الا ما يكون ذاته هويته
اي وحدته العينية الحقيقية بخلاف غيره من الاشياء التي يكون هويتها بعينها
زايدة على اعيانها الثابتة ثم من ضروريات كون الحق واحدا بهذا المعنى
له الاحدية الصرفة كونه واحدا بمعنى عدم الشريك وقالوا الواحدية والفردانية
وذلك لان الاشتراك في الالهية والواجبية يوجب الاشتراك في الذات
اذ الصفات الكمالية الواجبية قد مر انها عين الذات والاشتراك فيها
اشتراك في نفس الذات فيكون وحدتها وحدة اشتراكية من قبيل الوحدة
النوعية او الجنسية وقد مر ان وحدة الماهية الكلية وحدة عارضة وان حقيقة
الوحدة لا يمكن ان يكون عارضة لشيء فلو كان للواجب الحق شريك تعالى عن ذلك
علوا كبيرا لزم ان يكون وحدته الحقة وحدة غير حقيقية فلزم الخلف وهذا
نمط جديد في البرهان على التوحيد يستنبط من نفس كلمة التوحيد بحمد الله سبحانه والهامه
ومن الله التاييد على ان لا ترانا عن سبيل هذا المطلب العالي الرفيع

ان الشيء
اي النعوت

لم يسبق بمثله احد قبلنا حيث لم يرد عليه شيء من الايرادات والشبهات خصوصا
الشبهة المشهورة المنسوبة الى ابن كمونة الواردة على الدلائل المتداولة بين الناس
قد كتبناه في اسفارنا الاربعة من اراد ذلك فلينظر فيها

المشرع الرابع في كيفية التوصل الى معنى التوحيد الحقيقي وطريق السير الى عالم الوحدة الحقة

اعلم ان النظر الى مفهوم الوجود وكونه
على وجود قائم بذاته واجب بنفسه والا لم يتحقق موجود ما اصلا لان الوجود حقيقته
انه من الاعيان فاذا لم يكن ما هو في نفسه لنفسه بنفسه وجود موجودا لم يكن
لشيء من الاشياء صفة النورية اصلا الا انه ليس من شرط كون الشيء نورا
ان يكون قائما بنفسه بلا علة بخلاف كون الشيء وجودا بنفسه فانه يلزم ان يكون
وجودا صرفا مقدسا بلا علة اذ اثبت وجوب الوجود فهو يقتضي ان لا يكون
الواجب لذاته مفتقرا في شيء من الاشياء فلا شيء من الاشياء اصلا
والا لزم في جهة امكانه غير جهة الوجود فهي خارجة عن حقيقة الوجود فلا يكون
ما نفس حقيقة الوجود الصرف الا من كان في غاية الجمال والعظمة والجلال
والاكرام ولا ريب ان من كمالات الجميل كونه عديم المثل والنظير كما هو المشهور
واما بحسب النظر العلمي فلان الاشتراك يوجب الابهام وعدم الاستقلال
التحصل وهذا ينافي كون الشيء وجودا حقيقيا ذا هوية حقيقية ويلزم تركيب الوجود
الصرف وهو خلاف المقدر هذا اذا كانت جهة الاشتراك امرا مقوما
واما اذا كانت صفة زائدة فهو افضح لما مر من ان حقيقة الوجود القائم
بذاته كماله بنفس ذاته لا بامر زايد واما اذا كانت صفة سلبية او اضافية
فالسلوب والاضافات ليست في الحقيقة اشياء تستلزم الاشتراك فيها

وجود اصلا كما انه لو لم يكن في الوجود نور في ذاته لم يكن لشيء من الاشياء

فاعل وغاية وتركيب وكثرة وتكثر وتجسم وحلول وتعلق لانه صرف

فيكون مركبا وكل مركب

منزه الذات من انحاء التعلق بشيء والتركيب من شيء

اشتراكا في صفة كمالية بل هي في الحقيقة سلب صفات او مجرد امور اعتبارية محضة
هذا لمن يحقق معنى حقيقة الوجود بنور الباطن وصفاء الضمير لم يشك
في وجود الواجب تعالى ولا في ان واجب الوجود لذاته واجب الوجود في
جميع صفاته الكمالية ولا في ان واجب الوجود في جميع صفاته الكمالية واحد بجميع
حيثياته فرد عن جميع اعتباراته حتى عن حمل مفهوم الوحدة عليه لان طبيعة الحمل
تقتضي الاثنينية وهو فوق العقل وهو منحط عن درجة الاحدية وعن تصور ذاته
وههنا حالة عجيبة فان العقل ما دام يلتفت الى الوحدة
وهو يعد لم يصل الى عالم الوحدة فاذا ترك الوحدة فقد وصل الى الوحدة فليعرف
هذه الاسرار ليتخلص عن ظلمات الشبهات الاشرار ويفوز بنفحات الابرار
ويستغرق في بحار عالم الانوار بشروق نور الواحد الجبار

المشرع الخامس في نفي انحاء الكثرة عن الواحد الحقيقي مطلقا

لما تحقق وتقرر كونه تعالى واحدا بنفس ذاته في جميع المراتب الوجودية
فلك ان تقول انه لا مماثل له في ذاته ولا مجانس له في حقيقته ولا مشابه
له في صفاته ولا مساوي له ولا مطابق ولا مناسب ولا مقارن ولا مكافي
ولا مانع لان كلا من هذه المعاني نوع من انحاء الكثرة من جهة وحدة
ناقصة كما علمت ان المماثلة والمجانسة نوعان للاتحاد في ماهية كلية نوعية او جنسية
وحقيقة الوجود مقدس عنه والمشابهة والمضاهاة نوعان للاتحاد في كيفية قائمة به وصفة
كمالية زايدة عليه والحق تعالى انما يتجلى بذاته وبريء بنفسه لا بامر اخر وكذا
او غيرها والمساواة والمحاذاة نوعان للاتحاد في كم معدود والمطابقة نوع من الاتحاد في الوضع
والجسم والله تعالى منزه عن ان يكون جسما او جسمانيا والمناسبة نوع من الاتحاد

وهذا المسلك اولى بان ... طريقة الصديقين الذين يستشهدون بالحق على كل شيء لا عليه ... المشار اليها في الكتاب بقوله اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ما وصفه صاحب الاشارات وهو الذي ذكر او لا من النظر في مفهوم الوجود العام المعبر ... مطلق العام

اضافته تحد معه غيره فيها واضافته تعالى الى الاشياء ليست الا قيوميته لها
وحيث لا تقوم سواه فلا مناسبة له اصلا والمعية والاقتران يوضعان
لكون المتقدم آخر في الزمان او كون المتقدم غيره في المكان والمكافاة تكون
بين شيئين متفقين في درجة الوجود وفي رتبة العلية والمعلولية وسواه
الحق الاول معلول له اما بواسطة او بغير واسطة والمعلول لا يكون في
درجة الوجود مع علته وقس عليه جميع انحاء الاشتراك والاتحاد
وقد تنزه الحق الاول عن كل وحدة غير حقيقية فوجب تمام الترك
الخفي او الجلي وازل عن مرآة قلبك ٢ بصيقل هذا التوحيد بقية من
غبار وجود الاغيار ويتجلى له الحق الواحد القهار فاذا علمت
وتحققت هذا المقام ظهر لك ان المناسبات التي اثبتها بعض الصوفية
في حقه تعالى كلها ادناها مشركا اعلى درجة التوحيد قول من
توهم من هؤلاء ان نسبة الباري تعالى الى العالم كنسبة النفس الى
ابداننا وذلك لان نسبة النفس الى البدن ليست نسبة القيومية
بل نسبة التدبير والتصرف بالتعاون فانها وان كانت مجردة عن
المادة البدنية ذاتا لكنها مزاولة لها فعلا بمعنى ان لا تأثير لها في شيء
من الاشياء الا بتوسط البدن وتوابعه بحسب الوضع كساير القوى الجسمانية
التي يتوسط المادة بينها وبين آثارها بالوضع بل نسبة النفس الى البدن وقواه
في هذا العالم كنسبة صاحب السفينة الى السفينة والانهار في البحر لانها ما يحتاج
اليها لجري في بحر الطبيعة لاقتناص جزئيات هذا العالم لينتفع منها ويتزود
بها في سفر الآخرة ويتجر بها بتجارة لن تبور ومن ان تسعد بلقاء الله تعالى
ورضوان منه واين هذا الارتباط الذي هو بين النفس والبدن ارتباط تعلق

يوجب تأثر كل منهما عن صاحبه وافتقاره اليه بوجه يحصل منهما نوع واحد طبيعي والله تعالى
مقدس عن لحوق معنى التأثر والانفعال متعال عن ذلك علوا كبيرا وبحث من
هؤلاء اعتقاد اهل العالم مذهبا من ذهب الى ان الحق تعالى ذات واحدة
مصورة بصورة مختلفة وهيئات متغايرة هي حقائق الممكنات وصورها الخارجية
هذا الذي نقول هو ابو صفة الهيولى الاولى التي هي اظلم الذوات واخس الموجودات
واكدرها التي تكون لغاية النقص والخسة والقصور فعليتها محض القوة والابهام
ووجودها ادون مراتب الوجود لكونه شبيها بالعدم واللاوجود لان وجودها
هو استعداد وجود الصور وذلك كفر صريح واين هي من ابدع تعالى وهو محض الكمال
والفضيلة والغنى والفعلية والوجوب لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا اجسيم هو مجمع الكثافة والظلمة رب
العزة تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وجماعة منهم زعموا ان الحق قوة سارية
في جميع العالم من سفله الى اعلاه ويكون في كل شيء منشأ اثره الخاص وهذا الذي
افتروا به على الله هي الطبيعة الكلية السارية في الاجسام واين هو من رب العزة
سبحانه وجماعة منهم زعموا ان للعالم بجميع اجزائه ذاتا واحدة متصرفة فيه بارية
اياه مقبلة لكيفيات وبها حيوة كل جسم من الاجسام وحركته الارادية ونشوه
الى الديمومة والبقاء وقالوا ان الباري عز اسمه هو نفس العالم التي بها حيوته
وحركته ولم يهتدوا ان هذه صفة النفس الكلية للجسم الكلي فان العالم بجميع
اجزائه حيوان واحد له نفس واحدة كلية هي مجموع النفوس وهذه النفس هي
عبد من عباده تعالى عالمها عالم اللوح والقدر وقد تقرر ان الله منزه عن هذا
الوهم تنزيها عظيما وجماعة زعموا ان للعالم نورا كليا محيطا به علوا وسفلا يحرك
النفوس على سبيل التشويق والامداد به يستفيد الانسان الكمالات من العلوم

والمعارف والالهامات وبهذه النسبة انقطع صاحب شرح الحق عنها لانها
صفة عبد من عباده وهو العقل الكلي الذي هو اول ما خلق الله ثم قال له
اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر وهو قلم الحق وعالم علم القضاء الالهي
وهو الممكن الاشرف والعبد الاعلى والمخلوق الاعظم لانه تعالى قال وعزتي
وجلالي ما خلقت خلقا اعظم منك فبك اعطي وبك آخذ وبك اثيب
وبك اعاقب كما وقع في الحديث النبوي صلى الله عليه وآله وكونه اشرف
الممكنات لا ينافي كون محمد صلى الله عليه وآله اشرف المخلوقات حتى الملائكة
المقربين وذلك لان حقيقته هي الحقيقة المحمدية فهو عند الاقبال والبداية
عقل اول هو اول الجواهر والعقول عند التنزلات وخاتمة
سلسلة العلل والمعلول وفاتح باب الرحمة والجود وواسطة فيض الحق
في الوجود وعند الادبار والنهاية عاقل آخر هو زبدة العناصر والاكوان
وخاتم كل نبي ورسول وثمرة شجرة عالم الاضداد وسابق العباد الى
منزل الرشاد ودرج السداد وهادي الخلق الى رضوان الله الملك
الحق والمعبود المطلق فثبت وتحقق لمن الحق تعالى كما انه واحد فرد في
ذاته فكذلك في جميع صفاته وسلوبه واضافاته لان جميع صفاته الحقيقية يرجع الى صفة
واحدة هي وجوب الوجود الذي هو عبارة عن الوجود المتأكد العري القائم
بذاته وكذلك جميع اضافاته من القادرية والعالمية والرازقية والمبدائية
والسببية والتقدم يرجع الى اضافة واحدة هي قيوميته للاشياء على الوجه
الذي يعرفها الكاملون في المعرفة والراسخون في العلم وكذا سلوبه كسلب الجوهرية
والجسمية والتحيز والحلول والعجز والفتور والتقصير والفقر كلها يرجع الى
سلب الامكان مطلقا كما يظهر لمن يدرب في الصناعة العلمية فاذ لا تركيب

له في هذا السلب فلا تركيب له في السلوب كلها اذ لا تركيب له تعالى
في قيوميته فلا تركيب له في الصفات الاضافية كلها فهو واحد فرد في
ذاته وجماله وافعاله وجلاله فظهر انه سبحانه كما انه منزه عن المثل والند والشبيه
فهو منزه عن المثال والنظير فما حكم به الغزالي وغيره انه منزه عن المثل
لا عن المثال محل نظر فهم هذه الامثلة الواقعة في القرآن المبين والحديث
المتين وكلام اكابر الدين والائمة المعصومين سلام الله عليهم اجمعين التي جرت في
حق الله عند تفهيم الخلق وتقريب افهامهم لدرك حقيقته ونسبته الى العالم
وكيفية نظمه للموجودات وحكمته وصنعه للاشياء وان لم يكن شيء منها مثالا له
بالحقيقة لعدم اتحاد شيء من الاشياء معه في اضافاته ونسبته الى ما سواه
لكن كل منها شبيه بالمثال لكونه مقربا من وجه فاطلاق المثال عليه من باب
الاطلاق على الشيء باسم شبيهه فاذا احققت الامر واستقمت في توحيده
تعالى على هذا الوجه المستدعي لتقديسه وتنزيهه عن الاشتباه والشركة في
الاضافات بل في السلوب ايضا فقد صرت من الفائزين بكرامة التحقيق والتعبير
السالمين عن شين الظن والتخمين وبهذا المعنى قيل التوحيد اسقاط الاضافات
وهذه المرتبة من التوحيد يفضي السالك الى مقام تقصر عنه البيان ولا تفهمه
الا المشاهدة والعيان دون المشافهة والبيان ومن كشف له الغطاء
صار حيران ومن طبع على قلبه وحرم عن طبعه تمنى بالخذلان وبعد عن حقيقة الايمان
وانحط عن درجة الايقان وكل ميسر لما خلق له ولكل منهم للسلوك منهج وسبيل

المقالة الثالثة فيما يتعلق بقوله سبحانه الحيّ القيّوم وفيه فصول الفصل الاول في مفهوم هذا الاسم

فقيل الحيّ هو الذي يصح ان يعلم ويقدر او هو الدراك الفعال فاورد عليه

ان هذا الاقتضى المدح لما ركه اخس الحيوانات اياه في ذلك
ويمكن الجواب بان مفهوم الادراك والقدرة مما يقبل الاشد
والاضعف والمقول بالتشكيك مما يختلف صدقه على الاشياء
بالكمال والنقص والاولوية وعدمها ففي كل جنس فالنوع حي الحيوان
كونه هو الاحساس دون ما يحتاج العقل وكذا الفعل في الحيوان
من باب التحريك وفي حقه تعالى من باب الابداع فهو حي وان كان مفهومها
الاول معروف في الحيوان بالحساس المتحرك اي من شانه ان يحس ويتحرك
وفي الواجب بان يكون عالما بالفعل بجميع الاشياء قادرا بالذات على كل
الموجودات لتعاليه عن القوة والكلال وارتفاعه عن التجدد والاستيناف
ولا شك ان هذا مما يوجب المدح والثناء **اقول**
وعلى هذا التحقيق لا يحتاج الى ما عدل اليه الخطيب الرازي وتبعه البيضاوي
من ان الحي في اللغة ليس عبارة عن وحدانية هذه الصحيحة العضوية هذه
الحيثية فقط بل كل ما يكون كاملا في جنسه فانه يسمى حيا ومن هنا صح ان يقال
لعمارة الارض الحرثية احياء الموات وقال تعالى فانظر الى اثار
رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها وقال الى بلد ميت فاحيينا به الخ
فان كمال حال الارض ان تكون معمورة فسميت حيوة وكمال حال الاشجار
ان تكون مورقة نضرة فسميت حيوة والصفة المسماة بالحيوة ثبت ان العلوم
في عرف المتكلمين كمال للجسم لان كمال الجسم ان يكون حساسا متحركا فلا جرم سميت
هذه الحالة حيوة فثبت ان المفهوم من الحي هو الكامل في جنسه والكامل في
الوجود هو الذي يجب وجوده بذاته فلا حي بالحقيقة الا الواجب الوجود لذاته
انتهى قوله وفيه التعسف لا يخفى على الذوق المستقيم اما اولا فلان دعوى

كون الحيوة في اللغة ليس بمعنى ذي الشعور والفعل الارادي بعيد عن الانصاف
كما يظهر لمن يتتبع موارد استعمال هذا اللفظ واما ثانيا فلان كمال
كل شيء في جنسه او نوعه لو كان حيوة في عرف اللغة لجاز ان يقال في اللغة
لكل كامل في جنسه انه حيوان وليس كذلك اذ لا يقال للذهب الكامل العيار انه
حيوان وللثوب الكامل في نسجه انه حيوان وللدر الصافي انه حيوان وللسواد
الشديد والخط الطويل والدائرة التامة انها حيوانات واما ثالثا
فلان المتبادر الى الذهن في معنى من غير قرينة دليل الحقيقة وعدمه دليل
المجاز ونحن اذا سمعنا الحيوان لم يتبادر في ذهننا الا ما له صلاحية الادراك
والفعل الارادي وما كان كاملا في جنسه او نوعه ثم من العجب ان
كثيرا من علماء العربية ينكرون كون الافلاك حية مع انها كاملة في الجسمية
لكونها كاملة البنيان عظيم المقدار رفيع المكان بل من كمل من الذوات
والصفات مرفوعة عن ارجاس العنصريات وذلك لان المعتبر عندهم في
الحيوان بحكم اللغة تتبع الارادات والحركات بالنسبة الى اصلاح امر الدوام
والاغراض مع كلال وتعب او وجود راس وذنب وشهوة وغضب
لانهم ما نظروا الى الحيوان الا هذه الديدان الارضية كالارضة التي لا غرض لها
الا الارضيات ظنا منهم ان ليس لله تعالى عالم غير هذه المدرة وليس
لها خلائق حية ناطقة الا هذه الحيوانات الحاصلة من العفونات صامتها
وناطقها ولم يعلموا بالطائفة العرفانية ان له تعالى عالما اخر هي دار الحيوان
بالحقيقة لقوله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون
وله سبحانه خلائق ملكوتيون حيوتهم بالعقل الكلي والشوق الالهي وغذاؤهم
التسبيح والتقديس والله يطعمهم ويسقيهم لقوله صلى الله عليه وآله ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني

واما معنى القيوم في اللغة فقال الراغب يقال
قام كذا اي دام وقام بكذا اي حفظه والقيوم القائم اي الحافظ لكل شيء
والمعطي له ما به قوامه وقد علم منه ان الظاهر من عبارته ان القيام بمعنى الدوام
ثم بسبب التعدية صار بمعنى الادامة والحفظ وح يتوجه عليه ان المبالغة ليست من
اسباب التعدية فاذا عري القيوم عن اداة التعدية لم يكن الا بالمعنى اللازم
فلا يصح تفسيره بالحافظ ثم ان المبالغة في الحفظ كيف يفيد اعطاء ما به القوام
واجيب بان الاستقلال بالحفظ انما يتحقق بذلك لان الحفظ فرع التقويم
فلو كان التقويم بغيره لم يكن مستقلا بالحفظ وعلى هذا لا يرد ما يورد على تفسير الطهور
بالطاهر بنفسه المطهر لغيره من ان الطهارة لازم والمبالغة في اللازم لا توجب
التعدية وذلك لان المبالغة في اللازم ربما تقتضي معنى لفظ متعديا بل المعنى
اللازم قد يتضمن معنى ذلك كالقيام المتضمن لتحريك الاعضاء اقول
في كلام هذا القائل سؤالا وجوابا نظر اما في السؤال فلانا لا نسلم
ان المبالغة ليست من اسباب التعدية في الجملة بمعنى ان الشيء اذا اشتد
كماله في صفة من الصفات يفيض منه ويتعدى الى غيره ليس اول
ان المبالغة من اسباب التعدية وضعا او ان صيغ المبالغة في كل لازم وضعت
للتعدية كما هو شأن باب الافعال والتفعيل وحروف الجر بل المراد ان
الشيء اذا صار تاما في معنى من المعاني واشتد تمامه فيه حتى صار فوق التمام
يفيض منه ذلك المعنى على غيره فكذلك المبالغة في معنى القيام تقتضي
عقلا لا لفظا الاقامة والادامة والحفظ والحاصل ان مدلول القيوم
هو الحافظ المديم لكل شيء دلالة عقلية لا وضعية وكثيرا ما تذكر في اللغة
المعاني الالتزامية التي صارت بكثرة الاستعمال بمنزلة المطابقي لا على ان نقول

لم لا يجوز ان يكون القيوم بالمعنى المذكور ماخوذا من قام بالمعنى الذي
هو المتعدي لمعنى مناسب قد ترك استعماله ونظائره في اللغة كثيرة مثال
ذلك يذر ويدع الماخوذان من وذر وودع على راي واصلهما مهجوران
في الاستعمال **واما في الجواب** فلان المبالغة في لفظ واحد لا يكون
الا مبالغة واحدة في معناه الاصلي فاذا سلم كون المبالغة في هذا اللفظ بجعل
معنى القيام بمعنى الحفظ لم يحصل من المبالغة في القيام التي هي من اسباب التعدية
بحسب اللفظ على تصوره وفرضه الا مجرد الحفظ لا الاستقلال فيه فمن اين حصل
معنى الاستقلال من التعدية التي مفادها الحفظ والادامة ومنشؤها المبالغة
في معنى القيام ليتفرع عليه توقفه على اعطاء ما به القوام بل الحق ان يقال
في هذا المقام ان هذا المعنى انما يحصل من المبالغة في اصل القيام فان
الشدة والكمال على الوجه الابلغ الاوفى كما توجب الاقامة توجب الاستقلال
في الاقامة ايضا وهذا انما يحصل الا بافاضة اسباب كل شيء واعطاء ما به
قوام ذاته ووجوده ولهذا حكموا بان لا موثر في الوجود الا الله و
هذا احد الوجوه لتوحيد الافعال وبه يعلم وجه من وجوه عظم هذا
الاسم لدلالته على هذا التوحيد كما يدل على غيره من الصفات الالهية ثم
ان لفظ الطهور ليس موضوعا للمبالغة واعتبار التطهير فيه ليس لازما
من انه مشتق من المبالغة بل هو اسم لما يتطهر به كالسحور والفطور والذي يتطهر به
يلزم غالبا الطهارة والتطهير فيصدق عليه انه طاهر مطهر فتعريف الطهور بهما
تعريف باللازم لا انه تفسير لمفهوم اللفظ **واما اشتقاقه** فالقيوم
في الاصل كان قيووم على فيعول فجعلت الياء الساكنة والواو
الاولى ياء مشددة ولو كان قووما على فعول لقيل قووم وقرئ الحي القيام والقيم

الفصل الثاني في اثبات كونه تعالى هو الحيّ القيوم

بيانه ان كل جملة من علل ومعلولات لا بد وان ينتهي الى طرف هو علة ليس بمعلول لان تلك الجملة اما متناهية واما غير متناهية والثاني باطل بالبراهين المذكورة في موضعها حيث ذكر ان كل مقدار او عدد ذي ترتيب بالطبع او الوضع موجود معا فلا بد وان يكون متناهيا فكل جملة مترتبة من علل ومعلولات لها مبداء وهو علة ما سواه وموجده ومبدعه ولانه لو لم يكن لهذه الجملة طرف لم يصلح واحد من الاحاد للعلية والمعلولية لانهما معا ممكنة ولا مزية لاحد من الممكنات على الاخر من حيث هي ممكنة بخلاف ما اذا كان لها طرف تقتضي الاستغناء عن الغير والتقدم للكل فيكون ما هو اقرب اليه مستحقا للعلية والتقدم على ما هو ابعد منه فيكون علة له واذا لم يكن الجملة طرف خارج عن الممكنات واجب الوجود بذاته متقدم على غيره فلا يكون للممكنات قرب ولا بعد ولم يتميز من تلك الجملة شيء هو علة عن شيء هو معلول ولان العلل والمعلولات كثرة وكل كثرة فالواحد الحقيقي موجود فيها لان كل كثرة لا يوجد فيها الا الواحد لا ينتهي ابدا الى الاحاد ولا يحصل منها اصلا اذ كل جزء منه لا يخلو اما ان يكون واحدا او لا وعلى الثاني اما ان يكون لا شيء محضا او كثيرا فعلى الاول يستحيل ان يحصل من لا شيء شيء كثيرا وعلى الثاني كان الكلام باقيا فيتجر الى غير النهاية وهو جزء من الكثير الاول ويلزم ان لا فرق بين الجزء والكل وكلا الشقين باطلان فثبت من هذا القول ان الواحد موجود في كل كثرة كل شيء من المعلولات من جملة هذه الكثرة بواحد حقيقي اذ كل معلول زوج تركيبي ولو بوجه فهو واحد من وجه لا واحد من وجه واذا لم يكن في المعلول واحد ولا بد في الكثرة من واحد فيكون الواحد في الكثرة وليس في المعلولات

فيلزم ان يكون ما لا يتناهى من الاعداد الموجودة المترتبة خارجا عن الاثنين فلم يكن ح فرق بين كل جزء من اجزاء الكثير الاول حرره

فذلك الواحد هو العلة للجميع وهو الواحد الحق الذي يعطي سائر الاشياء الواحدية وهذا شريف استفدناه من كلام بعض المتقدمين الربانيين على اثبات الصانع ووحدته ايضا ولهذا المطلب مسالك وطرق اخرى تركناه ذكرها مفصلا مخافة التطويل منها مسلك الخليل ع وهو النظر في الحركات والاشراق الكلية للاجرام العظام الفلكية المستلزم للافول في هوى الامكان وهو منوط مفوت للسالك الهارب عن النقص والفناء الطالب للوجود والبقاء ولذلك قال لما راى افول الكواكب انى لا احب الافلين وقال ايضا على نبينا وعليه السلام فانهم عدو لي الا رب العالمين عند ازعاج الى المحبوب الاول والانقطاع عن الاسباب والعلل ومنها طريقة النفس الانسانية من جهة تعلقها لا بالبدن وتجردها عن الاحياز والامكنة وعلمها بذاتها وكونها مع تجردها لا تخلو عنها جزء من اجزاء البدن علوها وسفلها فامكانها يوجب الانتهاء الى موجود واجب الوجود مجرد عن الاجرام والاحياز والامكنة والاقدار ومع ذلك لا يخلو عنه سماء ولا ارض ولا بر ولا بحر اذ موجد الشيء اولى بان يكون بريا من النقائص التي تبرأ عنها الخ وهذه طريقة نبينا صلى الله عليه واله لقوله ع من عرف نفسه فقد عرف ربه ومن اشرف الطرق المسلوكة لغيره من الانبياء والحكماء وذلك لان المسلك فيها عين السالك فلا يمكن احسن منها في الطرائق الامكانية فما اشرفها واشرف سالكها ومنا هجها صلى الله عليه واله نعم ههنا طريقة اخرى اشرف الطرائق كلها لا يسلكها الا الاعزة وقد سلكها الرسول وسلكها الصديقون من اهل بيته واولاده عليه وآله الصلوة والسلام وسلكها الشهداء الصالحون من امته التي هي خير امة اخرجت للناس وهي النظر اولا

في حقيقة الوجود المطلق لفطري النفوس وموته الضروري التقديري بل منه
لكونه اظهر من ان يستر واجل من ان يخفى ثم الارتقاء منه الى نيل مرتبة [illegible]
ودرك حقيقته الواجبية وهوية نور الانوار وانية الواحد القهار وهذا
اشرف الطرق وانورها وافضلها مطلقا لكون الوجود هو السالك فيها بالحقيقة
والمسلك في السلوك اليه جميعا وخاصية هذه الطريقة هو فناء السالك اولا في
التوحيد ثم بقاؤه بالوجود الحقاني كما اشير اليه بقوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
واولو العلم فانظر الى طريقة الجمهور وقس اليها الطريقة الابراهيمية لتجد بينهما من التفاوت
ما لا يحصى فان طريقة الخليل ع التجريد المحض وسفر الآفاق والسير الى الله لقوله
اني ذاهب الى ربي سيهدين والاحتجاب عن الحق بالخلق وترك السلوك
المرتبة الاحدية لقوله فانهم عدو لي الا رب العالمين ومن لوازمه
الذهول عن لوازم الالهية والمظاهر الاسمائية وطريقة الحبيب ص حفظ
الادب مع الله تعالى والمواظبة على العبودية في المواطن كلها والجمع بين الحجب
الذاتية والاسمائية والآثارية وملازمة الحق في جميع الاسفار الاربعة اليه وفيه
وبه ومنه كما في قوله تعالى هو معكم اينما كنتم وهذه المعاني مفصلة مشروحة
في مسفورات شتى وما ذكرناه يكون للمستبصر فيما نحن بصدده انشاء الله
فاذا ثبت ان مبدأ الممكنات موجود واجب بالذات ثبت كون الباري
قيوما لكونه قائما بذاته مقوما لغيره ثم ان المؤثر اما ان يكون مؤثرا على سبيل
الجبر والتسخير واما مؤثرا على سبيل القدرة والاستقلال لكن الاجبار والتسخير
ينافيان الوجوب الذاتي والمبدائية المطلقة فيتعين ان يكون مؤثرا بالقدرة
فازيل توهم كونه مجبورا في القيومية والايجاد بقوله الحي القيوم فان الحي معناه
كما سبق الدراك الفعال فقوله الحي دل على كونه عالما قادرا وقوله القيوم

دل على كونه قائما بذاته ومقوما لكل ما عداه وعند من ذهب الى ان كمال كل ذي
حيوة كامر فالقيومية لما دلت على كمال الوجود وتأكده كما اشرنا اليه فالقيوم
يكون حيا لا محالة والنكتة في عد هذين الكلمتين اسما واحدا من اسماء الله تعالى كما
وقالوا انه من قبيل بعلبك من توافقهما في المعنى قوة او فعلا وتداخلهما في المفهوم

الفصل الثالث في ان جميع المعارف الربوبية والمسائل المعتبرة في علم التوحيد يتشعب الى اصلين

منها ان واجب الوجود بسيط الحقيقة غير مركب
من الاجزاء الخارجية لافتقار كل مركب خارجي الى اجزائه في الوجود العيني
والافتقار الى الشيء ينافي القيومية ولا من الاجزاء العقلية لان كل ما له جزء
عقلي من جنس وفصل فله ماهية كلية غير الوجود فلا يكون قيوما لافتقاره في الوجود
والقيام الى جاعل يجعله موجودا قائما وقد برهن على ان الوجود لا يمكن ان يكون
لازما لماهية من الماهيات ولا من الاجزاء المقدارية والا لكان جسما او جسمانيا
وشيء من الجسم والجسماني لا يمكن ان يكون قيوما اما الجسماني فلافتقاره الى الجسم
بالحلول فيه واما الجسم فلتركبه وافتقاره الى الاجزاء اما من الجواهر الفردة ٧ كما زعمه المتكلمون م
او من جوهرين هيولى وصورة كما رآه جماعة من الحكماء والمركب من جوهر وعرض
كما رآه آخرون بهذا الجسم المادي والحقيقة والجسم التعليمي والعدد الجسمية
والعوارض المشخصة كما ذهب اليه الكل والمفتقر الى الشيء لا يكون قيوما واذا ثبت
ان كل قيوم بسيط الحقيقة ثبت ان القيوم لا يكون الا واحدا اذ لو فرض
وجود اثنين قيومين لكانا مشتركين في حقيقة الوجود القائم بذاته والاشتراك
يوجب كون المشترك فيه امرا كليا وكون كل من المشتركين ذا ماهية كلية وكون
وجود الحق قيوما وهو خرق الفرض لكون كل منهما بذاته قيوم لا بسبب عارض او فصل [illegible]

وانه يلزم كون كل منهما مركبا من ما به الاشتراك وما به الامتياز اذ الاشتراك في
شيء لا ينفك عن الامتياز بشيء آخر لما مر ان الوحدة الاتحادية انما توجد ضمنها
الكثرة ومنها انه واجب الوجود ليس حالا في شيء لا عرضا في
موضوع ولا صورة في مادة لان الحال مفتقر الى المحل والمفتقر الى الغير لا يكون
قيوما بذاته وليس في جهة من الجهات ولا في حيز من الاحياز والا لكان جسما
او جسمانيا وقد ثبت بطلانهما وبطلان اللازم يوجب بطلان الملزوم واذا لم يكن متحيزا
لم يكن متشكلا ذا اعضاء كما توهمه الحنابلة ولا ذا حركة وسكون لانهما من
عوارض الاجسام واذا لم يكن متحركا لا يكون زمانيا لان الزمان كمية الحركة وعدد لها
من جهة المتقدم والمتأخر فلا يكون في حقه الماضي والحال والاستقبال
فلا يتجدد له حال ولا يعتريه انتقال وانفعال ومن هاهنا ثبت ما قاله العرفاء
الحكماء انه واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات اذ
لو لم يكن واجب الوجود بحسب حيثية من الحيثيات لكان امكان وقوعه
مستلزما لحالين احدهما التجدد والانتقال والآخر التركيب من جهتي الفعل
والانفعال كما هو مفصل محقق في مقامه ومنها انه عالم
بذاته وذلك لان العلم هو صورة حاضرة من المعلوم عند من له صلاحية
العالمية والمعلوم اما معلوم بالقوة وذلك اذا كان صورة مغشوشة
بغواشي مادية ولواحق جسمانية واما معلوم بالفعل وذلك اذا كان
صورة مجردة قائمة بذاتها فالواجب تعالى لما كان قائما بذاته لم تكن ذاته
صورة لمادة فتكون معقولا بالفعل لا بالقوة واذا كان ذاته معقولا
بالفعل كان عاقلا بالفعل واذ لا اثنينية في ذاته فيكون العقل والعاقل و
المعقول شيئا واحدا وليس من شرط المعقول ان يكون عين ذات العاقل

ولا من شرط العاقل ان يكون عين ذات المعقول والاضافة بينهما امر ذهني
لا توجب الاثنينية لا في الذات ولا في الاعتبار ومنها
انه اذا كان قيوما لغيره مقوما لغيره ومرجعا لما سواه جميعا المرتبط
او بغيرها وكان عالما بذاته وقد ثبت ان العلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول
وجب ان يكون عالما بجميع الاشياء كلياتها وجزئياتها معقولاتها
ومحسوساتها اذ ما من شيء الا وهو ينتهي اليه تعالى في سلسلة الحاجات ومع علمه
باسبابها ومباديها واستعداداتها وارتباطاتها والنسب الحاصلة
فيها وحركاتها وازمنتها لا يعزب عنه شيء من الامور التي تتأدى الى ايجاب
الكلية التي لم يشذ الى وجود الاشخاص الكائنة الفاسدة فيعلم من هذه الكليات
نحو وجودها الجزئي وتغيرها وتجددها وزوالها وانقلاب المواد والموضوعات
من صورة شخصية الى صورة اخرى شخصية ومن عرض شخصي الى عرض شخصي آخر
الى غير ذلك من المعلومات الشخصية والحوادث الجزئية ومع ذلك فلا يتغير علمه
بشيء ولا يخفى عليه خافية في وقت من الاوقات ولا يغيب عن ادراكه ذرة من
الذرات ولا يعزب عن علمه شيء في الارض ولا في السموات ومنها
ان فاعليته للاشياء على سبيل العناية لانه لما كان حيا قيوما كان ناشئا عن ذاته
الفاعل لما سواه فيعلم من ذاته كيفية صدور الاشياء عنه على الوجه الافضل
قبل حصولها وذلك لان ذاته بذاته دون انضمام امر اليه منشأ لنظام الخير
فلو لم يعلم ذاته على هذا الوجه قبل ايجاد العالم لم يكن عالما بذاته فثبت انه
وجود الاشياء عنه على هذا النحو الذي هو عليه من ضرورات علمه بذاته فيتحقق
الغرض بالعناية والقضاء اي وجود العالم قبل صدورها في العالم الربوبي والصقع
الالهي وجودا على وجه اشرف واعلى ومنها انه لما كان بذاته قيوما

يلزم لئن يكون حدوث العالم وفناؤه امرا لازما لهويته القاصرة عن قبول فيض
الوجود ازلا وابدا لا لمنع وتقتير او تجدد وتغير في جانبه تعالى والا فالجود
مبذول منه والعناية ذاتية له والحجر عجز اه والقصور انما يكون من القوابل
من جهة عدم استعدادها لقبول الوجود على الوجه الاكمل ومن هنا يعلم ان
تحقق الشرور في هذا العالم ليس لان الشر بالذات ليس الا امرا عدميا والعدم
لا يكون معلولا لامر اضافي بل يكفي في ثبوته عدم تحقق علة ما هو عدم له واما ما زعم بعض
الفضلاء على هو مسبوق من حدوث العالم ووجه ذلك بانه لما كان قويا كل ما سواه
كان كل ما سواه محدثا لان ماثره في عموم ذلك الغير ووجه ذلك بانه لما كان
يمتنع ان يكون حال بقائه لان الحاصل يمتنع فاما حال عدمه او حال حدوثه وعلى التقديرين
وجب ان يكون الكل حادثا محل نظر اذ قد بان من مقامه ان الممكن مفتقر الى العلة
وعلة افتقاره اليها هو من جهة امكانه لا من جهة حدوثه شرطا وشطرا او استقلالا
والامكان حاصل للممكن دايما ما دام ذاته لانه من لوازم الماهية بخلاف الحدوث
واذا كانت العلة دايما كان المعلول دايما فالافتقار الى المرجح ثابت للممكن
حال بقائه كما هو ثابت له حين حدوثه فالعلة موثرة في رجحان وجود الممكن على
عدمه حدوثا وبقاء واما حديث تحصيل الحاصل فالحق ان المحال تحصيل ما كان
لا بنفس هذا التحصيل اذ لا محذور فيه بل العلية لا ينفك عنه على ان السبب
الموثر في الشيء حدوثا وبقاء اقوى في السببية واولى باسم السبب ممن يكون اثره
نفس الحدوث دون الدوام على ان العلية ليست الا مجرد الاستتباع فالواجب
كان النير والضوء الحاصل منه في الاجسام القابلة لا كنسبة ذات الكاتب وكتابته
بل كنسبة المتكلم وكلامه والعجب ان اصحاب هذا القائل صرحوا بالقول بان
الباري سبحانه لو جاز العدم عليه بعد احداث العالم لما ضر عدمه وجود العالم وهذا

تحصيل م

غاية الجهل والفساد في النفس حيث ارتكب هذا القول الشنيع والظلم الفظيع
وغفلت عن ان المعلول ليس وجوده الا لمعة فايضة من المبدأ الاعلى او ضلاله عن
السبب الاقصى بما حداهم على هذا القول القبيح والظلم الصريح اصلا اصول فاسدة
ارتكبوها تعصبا وعنادا من غير بصيرة كشفية ولا موفقية حاصلة من اصول صحيحة
الهية مقتبسة من مشكوة نبوة او هو ذا هم الاعتراف بالجهل والقصور عن ادراك
الاسرار الايمانية والمعارف الربوبية وكيفية صدور الافعال الالهية على الوجه
الذي لا يوجب نقصا ولا انفصاما فان ذلك مما لا يتيسر الا برفض الهوى والشهوات
وترك الجاه والرغبات واختيار الخمول او الانزوا وايثار الفناء على الشهرة
والرياء مع سلامة الفطرة وشدة الذكاء ومنها انه تعالى اذا كان
حيا كان سميعا بصيرا لان الحيوة مصحح للادراك بانحائه الا ما اوجب تكثرا
او تجسما والمصحح للشيء بمعنى الامكان العام في العالم الربوبية وعالم التجرد كاشف
عن الضرورة الوجوبية اذ لا جهة امكانية في ذات الواجب لاستلزامها التركيب
من جهتي الامكان والوجوب كما لا وجه هناك للامكان بمعنى القوة والاستعداد
لانه من لواحق المادة الجسمانية كما حقق في مقامه وانما قلنا ان السمع والبصر
كونهما نحوان من الادراك لا يوجبان نقصا ولا تكثرا لان تخصيصهما بالحس باعتبار
المحل [illegible] يوجب التجسم تعالى عنه علوا كبيرا بل انما باعتبار المتعلق فان مدرك
احدهما الاصوات والحروف ومدرك الآخر الاضواء والالوان او باعتبار
نفس الادراك فانهما مما يعتبر فيهما المشاهدة الحضورية والانكشاف الاشراقي
النوري بخلاف مطلق العلم بالمسموعات والمبصرات اذ لا يقال له السمع والبصر
ما لم يكن بنحو المشاهدة فيكون اتصافه تعالى بهذين الوصفين بالحقيقة لا بالمجاز
واما الجارحة المخصوصة فليست معتبرة في مطلق السمع ولا في مطلق البصر اذ لو فرض

ان الله خلق الحالة الادراكية البصرية في الجبهة لكان الشخص بصيرا وكذا
الحال في السمع او لا ترى ان الانسان في حالة النوم وهو عبارة عن عدم استعمال
النفس حواسها الظاهرة لكلال وفتور يعرضها يبصر ويسمع لا بهاتين الحاستين
ولا بغيرهما بل بذاتها الحية السميعة البصيرة فان للنفس في ذاتها سمعا وبصرا
وذوقا وشما ولمسا ويدا باطشة ورجلا ماشية وهذه الحواس الظاهرة الجسمانية
حجاب لها عن استعمال مشاعرها الداخلة وقواها وجنودها الباطنة وعند
رفض هذه العوائق اما بالموت الارادي او الطبيعي يتحقق بذاتها وتخلص
في استعمال آلاتها الذاتية وجنودها الباطنية واليه اشير في قوله تعالى فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فاجعل النفس الانسانية
مقياسا لك في معرفة كثير من الصفات الالهية لانه سبحانه خلقها ليكون مثالا
ذاتا وصفات وافعالا ومرقاة لمعرفة باريها كذلك فان قلت فلم ذا
لم تستعمل في حقه تعالى انه شام او ذائق او لامس قلنا لاشعار هذه
الثلثة بالتجسم فوق الحاستين الاوليين لانهما الطف الحواس ومحسوسهما
الطف المحسوسات كما ذكره بعض الحكماء الاسلاميين في رسالة الحواس
ومنها ان كونه قيوما يوجب كونه حكيما جوادا غنيا لان حكمته
ايجاد الموجودات على احكم وجه واتقنه بحيث يترتب عليه المنافع ويندفع
عنها المضار ولو لم يكن حكيما لكان في ايجاده للاشياء نوع خلل او قصور
او نقصان فلم يكن قيوما بذاته اذ يتصور قيوم اخر عنه لم يكن فعله ذا خلل وافق
بمقتضى شأنه حكيم في افعاله على الوجه المذكور وهو انما ينتظم بابداعه في كل شيء
عشقا جبليا لما هو كامل منها كماله ليحفظ به كماله وشوقا غريزيا لما هو ناقص
منها لكماله ليتحرك نحو كماله الممكن في حقه ويجبر بها نقصه ولهذا قيل لولا عشق

الفلك لانطمس السافل وجوده تعالى عبارة عن اعطائه لكل شيء ما يليق به من غير
غرض ولا عوض سواء كان عينا او ثناء او صيتا او فرحا وبالجملة الجود حقيقة
ما لا يكون اعطاؤه لشيء لاجل اولوية حاصلة من الاعطاء عائدة الى ذاته والا
لم يكن اعطاؤه جودا بل كان معاملة واستفاضة فلم يكن تاما في ذاته لانه عادم كمال
يحصل بذلك الاعطاء نقصانه وكل ما كان كذلك لم يكن قيوما بذاته والامر يفتقر
في تحصيل كماله الى وسط بحت بل كمال بلا نقص وتمام بلا قصور وحيث انه قيوم
كان فعله منبعثا عن ذاته بذاته وكرمه ما شاء عن جانب حقيقته عن معللات بغيره
ولا مستند الا اليه سواه فيكون فعله جودا حقيقيا واذا ثبت انه جواد حقيقي لم يكن
في ذاته ولا في فعله مفتقرا الى غيره فيكون غنيا من جميع الوجوه وكل ما سواه لامكانه مفتقر
اليه كما قال تعالى الله الغني وانتم الفقراء ومنها انه لما كان
قيوما كان مالكا وملكا للموجودات الممكنة ويكون العالم كله ملكه ويؤيده قوله
له الملك وقوله ولله ملك السموات والارض وذلك لان القيوم
يعني المقوم لما سواه ذاتا ووجودا يلزمه ان يكون له وجودات الاشياء
وذواتها لان المعلول بما هو معلول انما وجوده لعلته الموجبة له وحققنا ذلك
بما لا مزيد عليه في موضعه والمالك للشيء ما له ارتباط ما اليه والملك للشيء
ما له التصرف فيه فاذا كان ذات كل شيء للقيوم تعالى كان هو المالك والملك
بالحقيقة والتخصيص المفهوم من قوله تعالى مالك يوم الدين فيه وجه
وجيه يعلمه الراسخون في العلم ولا يمكن لهم كشفه للمحجوبين مع لزوم ذكره لدفع
تشنيع الجهال المتشبهين باهل العلم وكذلك الخوض في اثبات سائر الصفات
الالهية والاحكام الوجوبية فان كان ساعدك التوفيق وتاملت في
هذه المعاقد لانكشف لك القناع عن وجهها وحسنت اعمالك وتيقنت فيها

علمت انه لا سبيل الى اللحاظ شيء من المسائل المتعلقة بالعلم الالهي الا بعد
كونه تعالى حيا قيوما فلا جرم ليس ببعيد **القول** بان الاسم الاعظم
هو هذا واما سائر الآيات الالهية كقوله والهكم اله واحد لا
اله الا هو وقوله شهد الله انه لا اله الا هو ففيه بيان التوحيد
بمعنى نفي الضد والند واما قوله قل هو الله احد ففيه ايضا بيان التوحيد
بمعنى نفي الضد والند وبمعنى ان حقيقته منزهة عن الاجزاء واما قوله ان
ربكم الله الذي خلق السموات والارض ففيه بيان صفة الربوبية
وليس فيها بيان الوحدة الحقيقية واما قوله الحي القيوم فانه يدل على
الكل لان كونه قيوما يقتضي ان يكون قائما بذاته ولان يكون مقوما لغيره
وكونه قائما بذاته يقتضي اتصافه بالوحدة الحقيقية الموجبة لنفي الكثرة وذلك
يقتضي الوحدة الانفرادية الموجبة لنفي الضد والند ويقتضي نفي التحيز
والحلول ونفي الجهة والاشارة الحسية وايضا كونه قيوما لغيره يقتضي
حدوث كل ما سواه جسما كان او روحا عقلا كان او نفسا ويقتضي اسناد الكل
اليه وانه مبدأ الاسباب والمسببات اليه وذلك يوجب القول بالقضاء
والقدر فظهر لمن هذين اللفظين كالمحيطين بجميع مباحث العلم الالهي فلا جرم
بلغت هذه الآية في الشرف الى المقصد الاقصى واستوجب ان يكون هذا الاسم
من اعظم اسماء الله تعالى ويؤيده ورود الخبر بان الاسم الاعظم في آية الكرسي
واول آل عمران وقد وجهنا القول وبينا السر في كون هذا الاسم
اعظم الاسماء من وجه وفي كون اسم الله اعظم من وجه آخر وفي كون كل من الاسماء
عظيما من وجه آخر عند طائفة فتذكره تعرف انه اذا تجلى الله للعبد بهاتين الصفتين
انكشف للعبد عند تجلي اسم الحي معاني جميع اسمائه وصفاته وعند تجلي اسم القيوم فناء

جميع المخلوقات اذ كان قيامها بقيوميته الحق لا بانفسهم فلما جاء الحق زهق الباطل فلا
يرى غير الوجود الالهي الحي القيوم فيفنى التعدد ويبقى الوحدة فذكره عند شهود عظم الوحدانية
بلسان عيان الفردانية فقد ذكر باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به
اعطى لانه ينطق بالله فيكون الحال كما جرى على لسانه لكونه مطابقا لما في القضاء
فاما الذاكر عند غيبته عن عظم الوحدانية فبكل اسم دعاه لا يكون الاسم الاعظم بالنسبة
لا حال غيبته وعند شهود العظمة فبكل اسم دعاه يكون الاسم الاعظم كما سئل
ابو يزيد عن الاسم الاعظم فقال الاسم الاعظم ليس له حد محدود ولكن فرغ قلبك
لوحدانيته فاذا كنت كذلك فاذكره باي اسم شئت ٥

المقالة الرابعة فيما يتعلق بقوله سبحانه لا تاخذه سنة ولا نوم ومن مقاصد الاول اشتمالها بالسبق وهو

انه سبحانه لما بين انه حي قيوم اراد ان يؤكد ذلك بابطال النقيضة مطلقا
وهو عدم القيام بتدبير الخلق على الوجه الاتم الاحكم وانما يستنتج ذلك بملاحظة
ان انتفاء العام بانتفاء جميع افراده وتحققه يتحقق فردما لكن العرض الكلي اذا كان
مقولا بالتشكيك على افراده المتفاوتة بالكمال والنقص فان كان له فرد قويا
فوجود الفرد الشديد عن الفاعل كاشف عن امكان وجود النحو الضعيف عنه واقتداره
عليه بالطريق الاولى لانه اهون عليه واسهل كما قال تعالى في باب اعادة الخلق يوم القيامة
وهو اهون عليه لان نفس الايجاد مما يقبل الاشد والاضعف كالوجود
والايجاد الثاني انما اسهل على الفاعل عن ايجاده اولا فاقتداره على الابتداء كاشف
عن اقتداره على الاعادة بخلاف تحقق الفرد الضعيف فانه ليس دليلا على تحقق الفرد
الشديد فان تحقق اعطاء الدرهم من زيد لا يدل على امكان اعطاء القنطار منه
وفي جانب السلب بعكس ذلك اذ سلب الفرد الضعيف عن شيء يدل على سلب

الفرد القوي ايضا بدون العكس فان حرمة الاف للابوين دال على حرمة الضرب
والقتل دون العكس وسلب الغفوة عن الشيء الواحد مقصور على الحال
الا مرفوع ذاته تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانما رفع اصل صفة الايجاد والا دام وانما بحققها
مع الفتور ومراتب الفتور في الفاعلية ايضا مختلفة كمالا ونقصانا واضعف الجميع السنة ثم
ثم النوم لان الفتور الحاصل بفساد اسباب الفاعلية كضعف القدرة او الارادة
او العطوفة والرحمة والعلم برجحان الفعل وعدم ذلك اقوى واشد ثم لم مراتب
كل من السنة والنوم مختلفة كما وكيفا فان السنة في الشدة فربما هي السكر الشهر
وكذا النوم في اليوم اشد في ما يجري النوم في الساعة واضعف الجميع سنة ما ونوم ما
على السكر الاكبر اذ تكفي في تحققه لحظة ما واقل منها فاذا انتفى هذا الفرد الضعيف عنه
تعالى فلا بد ان يكون عنه جميع الافراد منتفية بانتفاء الجميع قد انقطع الامر الجدي
اعني رفع الغفوة وبانتفاء هذا الرفع يحقق فيه مسرح لان رفع الرفع يستلزم الايجاب
فقال سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم ليكون تأكيدا لقوله الحي القيوم والمعنى انه
تعالى لا يفتر عن تدبير الخلق لحظة والا لانقطعت السموات والكواكب وفسدت الارض
ومن عليها وفيها وبطلت الازمنة والفصول وفنت المواد والاصول ولا يمكن
بعده ايجاد الموجودات لان الحدوث التكويني من غير مادة مستحيل واعادتها بعد عدمهم
بالمرة ممتنع فالفتور في تدبير الخلق ولو لحظة يوجب انسداد باب الفيض والايجاد
للموجود وقطع الفيض والكرم والجود تعالى عن ذلك علوا كبيرا فان قلت اذا كانت
السنة عبارة عن مقدم النوم فاذا قال لا تأخذه سنة فقد دل ذلك على انه لا تأخذه
نوم بطريق الاولى فكان ذكر النوم بعده تكرارا قلت تقدير الكلام لا تأخذه سنة فضلا عن ان يأخذه النوم

المقصد الثالث في السنة والنوم

اما السنة فهو فتور وكلال في الحواس بتقدم النوم يسمى النعاس

والنوم ترك استعمال النفس قواها الظاهرة لاجل صعود بخارات غليظة
من المعدة الى الدماغ وانما فسرناه بترك الاستعمال المذكور وعللناه بالصعود المذكور
لئلا يصدق على الموت فان النوم والموت اخوان مشتركان في عدم استعمال النفس الحواس
والالات الظاهرة التي بها نفع الروح في هذا العالم الا انهما يختلفان في ان ترك
الاستعمال المذكور في احدهما وهو النوم لعارض خارجي يمنع عن ذلك مع بقاء الاستعداد
والتهيؤ في الحواس بمنزلة الكاتب الذي اخذت يده في كمه او قيدت بسلسلة وفي
الاخر وهو الموت انما يكون لامر طبيعي لازم وهو بطلان الاستعداد راسا بمنزلة الكاتب
الذي زمنت يده وخرجت عن ان يكون لها صلاحية الكتابة فان معنى الموت في الحقيقة
زمانة البدن كله وانت تعلم ان زمانة اليد خروجها عن طاعة النفس وخروجها لبطلان
القوة التي تستعمل اليد بواسطتها فافهم ان كنت من اهله ان الموت زمانة مطلقة
في جميع الاعضاء ببطلان قواها فسلب الموت منك يدك ورجلك وعينك وسائر
حواسك وانت باق اعني حقيقتك التي بها انت انت فانك الان الانسان الذي
كنت في الصبى ولعله لم يبق معك من تلك الاجسام شيء بل انحل كلها وحصل بالغذاء
بدلها وانت انت وجسدك غير ذلك الجسد فالحاصل ان للنفس في استعمالها القوى
والحواس الظاهرة حالات اربعة قوة واستعداد وفعلية وبطلان فالقوة كما في
الجنين قبل خروجه الى الدنيا والاستعداد كالنائم والسكران والمغمى عليه والفعلية
كاليقظان والبطلان كالميت واعلم ان النوم والموت كما انهما في المشاعر المدارك
الباطنة للنفس الناطقة كالعقل والوهم والخيال وتحقيق ذلك ان العوالم على ما ذكر
ثلاثة والمدارك الانسانية منحصرة في ثلاثة والانسان بحسب كل واحد منها
يقع في عالم من هذه العوالم الثلاث فالحس يقع في عالم الدنيا ويدرك بها الصور الحسية
الكاسرة الفاسدة الملذة والمولمة بحسب الملائمة والمنافرة وبالقوة الباطنة الجزئية

تقع في النشأة الثانية التي هي عالم الصور الاخروية المنقسمة الى الجنة والنعيم والنار والجحيم وبالقوة الباطنة العقلية في النشأة الثالثة التي هي عالم الصور العقلية الالهية الافلاطونية فالناس اصناف ثلثة اهل الدنيا وهم اهل الحس كالحيوانات اللحمية مثل البهايم والحشرات لقوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا واهل الاخرة وهم الصلحاء اهل الاعتقادات التقليدية الظنية الخيالية واهل الله وهم العرفاء بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر كما وقع في الحديث الدنيا حرام على اهل الاخرة والاخرة حرام على اهل الدنيا وهما حرامان على اهل الله ولهذه الكلمة ... علمه وذكرها في تحقيق الايات المشيرة الى احوال القيمة والغرض ههنا بيان ... بعد ذلك اما ...

المقصد الثالث في بيان استحالة السنة والنوم على الله تعالى بوجه حكمي

اعلم ان اقامة السموات والارض من الله سبحانه وتحريكه وتسكينه بالقوى الفعالة السماوية والمنفعلة الارضية بجميع ما فيهما ليست كاستعمال النفس البدن وقواه المحركة والمدركة الحساسة لانك قد علمت بالبرهان الحكمي ان نسبة الحق الاول الى العالم كنسبة الروح الى البدن وبعد ذلك فقد عرفت ان الفتور العارض للنفس في استعمالها الحواس والقوى سواء كان في النوم او غيره انما هو لنقص جوهر البدن وقواه عن طاعة النفس فانها لها بمنزلة الالات لذوي الصنايع ولكن لها طبايع مخالفة لجوهر النفس في الذات والاقتضاء وانما يجبرها النفس مستعملا اياها في مقاصدها الارادية وهي مسرعة للخلاص عنها الى ما يلايم طبايعها من الميل الى احيازها الطبيعية بحسب الجزء الغالب في سمت خط واحد مستقيم ثم السكون بعد حصولها فيها او اللصوق بوجه الارض لنزلها تيسير الوصول الى اخرها المقتضى لها الثقل الطبيعي من الجزء الكثيف الغالب في بدن الحيوان وكذلك حكم

سائر القوى المتعلقة باعضاء البدن وبالجملة التخالف والتصادم الواقعان بين الحركات والافعال الارادية النفسانية الواقعة من النفس في الاغراض الشهوية والغضبية والفكرية وبين الحركات والافعال الطبيعية من القوى الاسطقسية ما يوجب عصيان البدن والحواس وخروجها عن طاعة النفس اذ البدن العنصري ليس معلولا للنفس كما بين علمه في علم النفس حتى يكون موافقا لها في جميع الوجوه والحيثيات فلا يعرض له كلال ولا للنفس ملال ... بينهما علاقة عرضية سيزول اما بعضها فبالنوم واما كلها فبالموت واذا تقرر هذا وظهر ان منشاء النوم كلال يعرض للبدن وملال يعرض للنفس بما يعرض في مستعمله وقواه لا جل تخالفهما في الطبيعة والذات وليس للباري بالقياس الى العالم بهذه الحالة فان وجود كله تابع لوجود الحق الاول ليس فيها جهة تباين سوى جهة المخلوقية والعبودية والطاعة فان وجوده من الباري كوجود الظل من ذي الظل لو كان لذي الظل علم بذاته الذي هو نفس ذاته وعلم وجود ظله الحاصل من علمه بذاته و... انه اذا كان وجود السموات والارض وما فيهما وما يلزمهما من الحركات وغيرها من علم الباري كوجود الظل من الشخص ووجود النداوة من البحر لم يتصور عروض الكلال والكلفة والتعب للباري جلت قدرته في صدورها عنه تعالى كما لا يتصور عروض الوهن والكلال للشخص في ثبوت الظل عنه واذا لم يتصور الكلال والتعب في حقه لم يتصور السنة والنوم لانهما من توابع الفتور الحاصل للمبدا والحركة والاحساس وههنا مباحث اخرى متعلقة ببيان حالات تعرض للقوى الفعالة النفسانية من التعب والملال والالم وغيرها وبيان الفرق فيها وتحقيق القول في استحالة عروض هنها لله سبحانه بوجه حكمي لم ينكشف على السالكين لمساحة العظمة والكبرياء اريد ان يعبر عن شيء من هذه الانفعالات والتغيرات اخرنا ذكرها الى ما نحن فيه فيما سياتي من ذي قبل ان شاء الله المعاني المتعلقة بقوله ولا يؤده حفظهما لانها الصق واربط بذلك فلنقلم تسطره منها ومن الدلايل على نفي السنة والنوم والسهو والنسيان عن الله سبحانه وتعالى عروضها له لان هذه المعاني انما هي عبارات عن اعدام العلم او عن اضداد العلم وعلى التقدير فجواز طريانها عليه وعروضها له يقتضي جواز زوال علمه سبحانه فلو كان كذلك لكان ذاته بحيث يصح ان يكون عالما ويصح ان لا يكون عالما فح يفتقر في حصول صفة العلم الى فاعل يجعله عالما وينقل الكلام الى ذلك الفاعل هل هو عالم من جميع الوجوه في جميع الاوقات او لا فان كان الاول فالباري جل ذكره هو بعينه ذلك الفاعل لا يجوز عليه النقص والتشاد لا اعني بالباري الا الذي وجوده واجب كمال وجوده ويستحيل عليه عدم الذات وعدم كمال للذات وقد فرضنا غيره ولو كان الثاني فينتقل الكلام الى ذلك الاخر ثم الكلام عن القوة الى الفعل وهكذا الى ان يدور او يتسلسل وهما محالان فلابد وان يكون مبدا سلسلة العلل عالما بكل علم بالفعل من جميع الوجوه والاعتبارات جهة قوة غير جهة العقل بالفعل فيكون عالما في جميع الاوقات بجميع الموجودات من جميع الحيثيات

واذا كان كل كان النوم والسهو والغفلة محالا عليه سبحانه عما افترى الصرات في بعض
المتفلسفين الذاهبين الى نفي علمه تعالى بالمتغيرات ظنا منهم لزوم العلم بالمتغيرات والزمانيات
من حيث كونها متغيرة زمانية لا يكون الا بالة جسمانية وابعد منهم اعداء الله عن هذا الفن القاصر
بانه كان لزم كثيرا من الافاعيل نقص في الباري تعالى فكذلك كثير من التعقلات وانت
لو كنت من اهل المجاهدة العقلية مع كفرة اعداء الله من القوى الوهمية الخيالية الجاحدة
لحق المتمردة عن طاعة الشرع العقلي والتدين بدين الله وطريق التوحيد الخاص بعون صفاء
الذهن وسلامة الفطرة لما استغنيت بشيء من الجزئيات بعد قيام البرهان على قاعدة مسلمة
عند اهل العقل بما لا سبيل اليه فاذا ثبت ان الباري فاعل الكل وعلة الجميع من والمقدمة المسلمة
والمبرهن عليها ان العلم التام بالعلة التامة يلزم فاذا تحقق علمه تعالى بذاته وتحقق كونه
سببا للجميع وتحقق كونه بالفعل من جميع الوجوه من غير ان يكون له جهة قوة واستعداد وانفعال
لزم كونه عالما بجميع الاشياء واما ان العلم بالمتغير من حيث كونه متغيرا متغير فهو ممنوع اما
اذا كان حضوريا فلان مرجعه الى اضافة نورية اشراقية من العالم القياس الى المعلوم
والتغير في الاضافات على فرض وقوعه لا يوجب التغير في الذات لا لكان [illegible] نفي
العلم بالجزئيات المتغيرة عنه تعالى منهم انهم ذهبوا الى ان مناط التشخص هو كون الشيء محسوسا
فلا يمكن ادراكه بالحس لا يعلم الامر الشخصي بما هو شخصي لانا نقول هذا ايضا لا يستلزم ما ذكرتم
اذ كون المحسوسية مناط الجزئية لا يوجب ان لا يكون ذات المحسوس بوصف محسوسية شخصية مدركة
لغير الجوهر الحاس فكما ان المحسوس بخصوصه قد يكون مدركا بالادراك الخيالي الحاصل من التخيل
غير الاحساس فكذلك يجوز ان يكون مدركا بالادراك الكلي العقلي والحاصل ان الكلية
والجزئية في هذا الاصل صفتان للادراك لا للمدرك والتفاوت في الادراك لا يوجب
التفاوت في المدرك فالواجب الحق يعلم جميع الكليات والجزئيات بعلم يليق بشأنه
من غير فتور وسهو ونوم ونسيان تعالى الله العزيز المنان عما تقول اهل الزور والبهتان والبغي والطغيان

المقصد الرابع في ذكر حكاية مروية في هذا الباب

روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه حكى عن موسى بن عمران عليه السلام انه وقع في نفسه هل ينام
الله سبحانه ام لا وقيل سال الملائكة هل ينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ولا يتركوه ينام
فاوحى الله بكلما فارقه ثلثا ثم اعطاه قارورتين مملوتين في كل يد واحدة منهما وامره
بالاحتفاظ بهما فكان يتحرز بجهده ان لا ينام في اخر الامر فاصطفقت يداه فضرب احدى
القارورتين على الاخرى فانكسرتا فضرب الله تعالى ذلك مثلا في بيان انه لو كان ينام
لم يقدر على حفظ السموات والارضين واعلم ان مثل هذا لا يجوز ان ينسب الى الانبياء
سيما اولي العزم من الرسل مثل موسى المعصوم عندنا بمذهب اصحابنا الامامية رضوان الله عليهم اجمعين

يوجب العلم التام

حيث لا يجوزون صدور الذنب منهم كبيرا كان او صغيرا واي ذنب اكبر من الجهل بصفات
الله التي هي من لوازم الالهية ومن ضروريات الواجبية ومن العلم التام بمبدعاته
من غير خلل وفتور ولا سهو وقصور ومن جوز النوم عليه سبحانه او كان شاكا في استحالته
كان كافرا فكيف يجوز نسبة هذا الى موسى عليه السلام فهذه الحكاية ان صحت وجب ان تنسب الى
جهال قوم موسى كطلب الرؤية فان الجسمانية كانت غالبة على قوم بحيث لم يمكنهم تصور امر مفارق
الذات والصفة عن المواد الجسمية لا في الممكن ولا في الواجب كالحنابلة منا [illegible]
الذين جعلوا الههم جسما مستويا على العرش والاشاعرة ولذلك لو ارتفع من هؤلاء
الا انهم شاركوهم في انكار التجرد واثبات التجرد لما سوى الواجب تعالى وهو على الجهالة الا فان
كثيرا من الاحاديث الالهية ليس مقصورا في التحقيق لا هو ولا مفردا له الا بالخير والتجسم والكائنات
لهم سلب المجردات زعما منهم ان تحقق امر مجرد في غير الواجب تعالى يوجب المشاركة
ولم يعلموا ان التجرد سلب محض والاشتراك في السلوب لا يوجب الاشتراك في معنى ذاتي او عرضي
يستلزم التركيب او النقص حتى يكون مناقضا لوحدانيته تعالى في ذاته وفي صفاته وفي افعاله على
انك قد علمت مما قررنا ان السلوب الصادقة كلها عليه تعالى في حقه ترجع الى سلب واحد هو
سلب الامكان وهو المصحح لجميع السلوب فسلب المادة اي مفهوم التجرد ليس من صفات
الله تعالى بالذات بل من الضروريات اللازمة لسلب الامكان عليه والاشتراك في اللوازم
العامة لا يوجب الاشتراك في الملزومات والا لزم اشتراك الواجب والممكن في الشيئية
والمفهومية والامكان العام اشتراكهما في الذاتيات [illegible]

المقالة الخامسة فيما يتعلق بقوله سبحانه له ما في السموات وما في الارض وفيه مطالب المطلب الاول في النظم

لما بين كونه قيوما واكده بنفي ما ينافيه اراد ان يرتب عليه ما يتفرع عليه من وجود آثار القيومية
وتوابعها وقد تقرر في علم الميزان انه اذا اريد تعريف المبادي البسيطة والقوى
الفعالة يعرف بما فيها ولوازمها وآثارها وقد صرح بعض اساطين المتفلسفين
بان تعريف الشيء البسيط بآثاره المنبعثة عن نفس ذاته الناشئة عن حاق حقيقته ليس وافيا بتمام
وكشف ماهية المعرف بالحد لكن ليس يصل هذا التعريف الى خاص الانسان بل الى حاق خصوصيته
بما هو خاص [illegible] الحد لا حاق حقيقة المحدود ومثاله تعريف الجوهر المنطقي في النفس
الانسانية بادراك الكليات وتعريف فصل الحيوان بالنفس الحيوانية الحساس وتعريف
الهيولى بالمستعد وامثال ذلك [illegible] من التحديد اذ كان مفهوم الحد مشروع
من نفس ذات المحدود وانت خاص منها كذلك هذه المفهومات حكايات لذوات تلك
القوى والمبادي الفعلية والخفية واذا تقرر هذا الكلام اقول انه تعالى

الرواية

بين الواجب والممكن في الشيئية والمعلومية

الشيخ الرئيس في الحكمة المشرقية

فيه اشارة الى ان الفصل بالحقيقة هو الصورة لا مفهوم الحساس منه

ذات الواجب وهويته الاحديه ولئن لم يكن غير معلوم لاحد غيره والاكثر بون نفى الع
لا بالحد لعدم تركبه ولا بالخواص والاثار اذ لا شي مساواه في نوريته وانكشافه حتى
يصير وسيله لانكشاف ذاته اذ المعرف للشي يجب ان يكون اجلى منه وسبب
خفائه غايه وضوحه وانكشافه لكن لنا سبيل الى معرفه صفاته المختصه مثل الالهيه و
القيوميه والخالقيه المطلقه لانها مفهومات عامه كليه متعلقه بذوات الممكنات وهياكل
الماهيات التي بمنزله صفحات وسطوح صيقله وقعت عليها اشعه هذه الصفات من النور
الحقيقي والنير الالهي الذي هو نور السموات والارض فللعقل ان يتصورها ويدل عليها بالفاظ
موضوعه لمعانيها الحاضره في الذهن واذا تصورها العقل بكنهها فقد تصور الذات
الاحديه من هذا الوجه لانها صفات ناشيه من ذات الحق وبعض حقايق حقيقتها بالاثار
قوه اخرى قايمه بها وهذا التصور من العقل المكحل بنور الهدايه والحكمه لهذه الصفات
ولذا استلزم تصورها تبعيه عنه وينشي من حيث كونه مبدا لها وينبوعا تبوعها
لما ذكرنا انه القوي تعرف بافاعيلها واثارها المنبعثه عن صرف ذاتها الالهيه فكذلك لا يجب
ان يكون الا حيا ان نعرف الذات الاحديه مع قطع النظر عن النسب والاضافات
لان تعقل الحق الاول باعتبار ذاته بذاته مستحيل قد اقيمت على استحالته البراهين القطعيه و
اما تعقله باعتبار انه قيوم للعالم وانه مبدا الموجودات وخالق السموات والارض
او انه مسلوب الكثره والاشتراك واحد احد فللعقل سبيل الى الاكتناه بهذه المعاني
ثم نقول قوله سبحانه له ما في السموات والارض وقع تاكيدا وتقريرا للحي القيوم
لان معنى القيوم اذا كان مقوم الممكنات وجاعل الماهيات ومن منحصره فيما في السموات
وما في الارض فالاول عباره عن الاجرام البسيطه المستديرة الاشكال والمستديره الحركات
الشوقيه الاراديه مع نفوسها المحركه القريبه المشوقه لاجل نيل الكمال المتشبهه بالمبدا الفعال
وعقولها المحركه البعيده المعشوقه لنفوسها لحركتها مقدسا عن المباشره والانفعال
منزها عن التجدد والانتقال واما الثاني فهو عباره عن العناصر الاربعه والمواليد
الثلث مع صورها ونفوسها الثلثه الارضيه اعني النباتيه والحيوانيه والانسانيه فاذا لم
يعرف اضافه هذه الاشياء اليه تعالى لم يعرف كونه قيوما فكانه لم يعرف
ذاته تعالى من جهه الالهيه والقيوميه فكانه لم يعرف شيئا من العالم الامكاني لما تقرر
في الميزان ان العلم التام بذي السبب لا يحصل الا من جهه العلم بسببه فكذلك بالعكس
فان من لم يعرف العالم الامكاني فكانه لم يعرف الا له القيوم اصلا ومن ههنا يستبين
ما ذكره ابن الاعرابي في الفص الابراهيمي ان الحكما وابا حامد ادعوا ان الله يعرف
من غير نظر الى العالم وهذا غلط نعم يعرف ذات قديمه ازليه لا يعرف انها اله

يعرف المالوه فهو الدليل عليه انتهى اقول لا نسلم ان النزاع بينه وبينهم لفظيا
اذ لا يبعد ان يكون مراد من اسم الله تلك الذات العظيمه الاحديه مع قطع النظر
عن صفه الالوهيه ولا شبهه في ان معرفه ذاته تعالى من حيث ذاته المجرده عن كل
نعت وصفه لا تتعلق بمعرفه العالم لكن الخلاف في ان حقيقه الواجب سبحانه هل هي
الوجود القايم بذاته بشرط سلب الزوايد والقيود الامكانيه عنه او الوجود المطلق
المقدس عن الاطلاق والتقييد جميعا فالاول هو مذهب الحكما والثاني هو مذهب
ابن الاعرابي ومتابعيه ولهذا ذكر متصلا بكلام نقلناه منه قوله ثم بعد هذا في ثاني الحال
يعطيك الكشف ان الحق نفسه كان عين الدليل على نفسه وعلى الوهيته وان العالم
ليس الا تجليه في صور اعيانهم الثابته التي يستحيل وجودها بدونه وانه يتنوع
ويتصور بحسب حقايق هذه الاعيان واحوالها وهذا بعد العلم به منا انه الهنا

المطلب الثاني في تحقيق الاضافه المستفاده من اللام في قوله تعالى له

قيل المراد من هذه الاضافه الملكيه في الخلق وتقريره انه لما كان واجب الوجود واحدا
كان ما عداه ممكن الوجود لا لذاته وكل ممكن الوجود فله موثر وكل ما له موثر فهو معلول
محدث باحداثه مبدع بابداعه فكانت هذه الاضافه اضافه الملك والايجاد اقول
المستفاد من هذه اللام هو الوجود الارتباطي المنسوب الى غيره والوجود المنسوب
الى غيره قسمان احدهما ان يكون الموصوف بذلك الوجود نفس الوجود والاخر ان
يكون حقيقه ماهيه غير الوجود وعلى التقديرين هذا الوجود النسبي اما عين وجود الشي في
نفسه ام غيره فههنا اربعه احتمالات احدها الوجود المضاف الذي هو عين نداته
على نفس الشي الموجود ومع ذلك وجوده النسبي عين وجوده لا امر اخر وهذا كوجود
الممكنات عند جمهور الحكما المنسوب الى ماهياتها والثاني الوجود المضاف الزايد على
ماهيه الشي المتحد مع وجوده في نفسه كوجود الاعراض والصور لموضوعاتها وموادها
قال بعض الحكما وجود الاعراض في انفسها هو وجوداتها لموضوعاتها سوى
العرض الذي هو الوجود فانه لما كان مخالفا لها لم يصح ان يقال ان وجوده في موضوع
هو وجوده في نفسه بمعنى ان للوجود وجودا كما يكون للبياض وجود بل بمعنى ان وجوده
في موضوع نفس وجود موضوعه وغيره من الاعراض وجوده في موضوعه وجود ذلك الغير على
العرض والثالث الوجود المضاف الذي لا يزيد على الماهيه ومع هذا وجوده النسبي غير
وجوده في نفسه وهذا كوجود الواجب المضاف الى الممكنات بالالهيه والقيوميه والرابع
الوجود المضاف الزايد على الشي المغاير لوجوده في نفسه كوجود الفرس للانسان فاذا تقرر هذا
فاعلم ان العقلا اختلفوا في ان موجوديه الكلي الطبيعي بالنفس الا على التام كموجوديه ما في السموات

الرابع

وما في الارض لم يحصر اي قسم من هذه الاقسام الاربعة فقوم من العقلاء ذهبوا الا ان من قبيل
القسم الثاني لا شاهده بحسب الظاهر لان لها وجودا منفصلا عن وجود باريها فهي موجودات
مستقلة في الموجودية الزائده على ذواتها الامكانية سواء كانت جواهر او اعراضا وانما
نسبتها الى البارئ جل اسمه بالمخلوقية وهذا هو المشهور وعليه الجمهور وقوم ذهبوا الى ان
وجودها لربها كوجود الاعراض لموضوعاتها وهم جماعة من مقلدة اهل العرفان المشتهرين بالصوفية
المغترين بظواهر عباراتهم مثل ان نسبة الحوادث الى الحق كنسبة الامواج الى البحر فتوهموا ان الله
العالم مادة الممكنات جهلا بان مادة الشيء امر ناقص بالقوة وجهلا بان الفاعل للشيء لا يمكن
ان يكون قابلا مستعدا له وقوم اخر ذهبوا الى ان نسبة وجودات الممكنات الى ذات الحق
من قبيل القسم الاول وهم الراسخون في العلم من الحكماء القائلين بان الموجودات الامكانية تحصلها
بحسب الخارج غير مستفاد من تحصل الماهيات بل الماهية تحتاج في تحصلها وتحققها الى الوجود وكل
وجود متقوم بوجود علته الجاعل اياه جعلا بسيطا فيكون كونها في نفسها هو عين فيضانها عن
جاعلها الذي هو الوجود البحت وتحقيق ذلك يحتاج الى بسط من الكلام مع صفاء الذهن وشدة العطش

المطلب الثالث في كلمة ما

اعلم ان ما يهما من الموصولة والفرق بينها
وبين من سواء كانتا موصولتين او استفهاميتين ان من انما يستعمل في ذوي العقول دون
ما ولكن بينهما فرق اخر عند ما استعملتا استفهاميتين وهو ان احدهما سؤال عن ماهية الشيء
وحقيقته والاخر سؤال عن هويته ونحو وجوده واما النكتة في ايراد لفظة ما في قوله
ما في السموات وما في الارض دون من في الموضعين مع ان الموجود في كل منهما مشتمل على ذوي
العقول وغير ذوي العقول مع انه لما كان الغرض نسبة الموجودات اليه سبحانه بالمخلوقية والمملوكية
وكان الغالب فيهما ما لا يعقل اجري الغالب مجرى الكل فاطلق القول وعبر عن الجميع بلفظة ما
تنبيها على ان المراد من هذه الاضافة مجرد المخلوقية هذا ما قيل لكن في الحكم بان الغالب
في السموات ما لا يعقل محل نظر وكذا ما في السموات والارضيات جميعا فان الافلاك
وما فيها احياء ناطقون مسبحون لربهم عند الحكماء الاسلاميين وما ورد في الحديث النبوي فيها
موضع قدم الا وهو صفه ملك ساجد او راكع يؤيد ذلك وفي بعض خطب امير المؤمنين صلوات الله عليه
من كتاب نهج البلاغة تصريحا بليغا ناصا على عمارة الافلاك وما فيها من الملائكة مسبحون
لربهم وساجدون وراكعون بحيث لا يسأمون اذ لا يغشاهم نوم العيون ولا فترة
الابدان والمشهور ان التسبيح والصلوة لا يصدران الا من العقلاء والله قوله وهم كل في
فلك يسبحون حيث وقع بالواو والنون يؤيد ما ذكرناه ويؤيد ما قررناه فالوجه ان يقال
ان هذه الاية لما كانت في مقام اثبات التوحيد والجلالة والقهر له تعالى ووقوع ملك
وجوده وفسح دائرة هويته بحيث يقهر ويضمحل الكل عند عظم كبريائه وهو في كل شيء

وظل حتى يسطع نور جلاله وبهائه فالملائكة في لم يحصل الكل ولو كانوا عقلاء كاملين
في وجوداتهم بمنزلة ذوي النقائص في الوجود او لا ترى الى قوله من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه كيف يدل على حاله طلوع شمس الحقيقة وظهور وحدة التامة وفناء كل شيء ورجوعه
اليه عند القيمة كذو بان الجميد بطلوع الشمس كما قال تعالى حكاية عن مثل هذه الحالة لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار مشيرا الى ظهور دولة حكم المرتبة الاحدية وكذا قوله وهو العلي
العظيم يشير الى هذا المقام اي بروز الواحدة التامة وفناء الكثرات وزوال التعينات
فانه اذا ظهر علوه وعظمته تفرد الذي يكون له رتبة الوجود في جنب عظمته وعلوه ولذلك عبر عن
الجميع بلفظة ما الدالة على مطلق الشيء العام التي تشمل المعدوم والموجود والحق والممكن
لكونها عريقا في الابهام بعيدا عن التحصل والتميز وما يدل على هذا اي جعل ذوي العقول
مستهلكة العقول في جنب عظمته وسطوع نور جلاله وسطوته قوله تعالى وله من في السموات
والارض كل له قانتون حيث اتى اشياء بعينها في مقام واحد هو مقام الاحدية وظهور
سلطان الذات وتجلي العظمة والجلال باسم الابهام ومن مقام اخر هو مقام الكثرة وظهور
سلطان الاسماء وتجلي صفات الرحمة والجمال باسم الجمعية الكمالية تنبيها على ما ذكرنا

المطلب الرابع في معنى كلمة في

اعلم ان بعض
الناس لوجود فرشتهم ملائكة الله المقربين كالعقول والنفوس مسكوبها
وامثالها على نفي المجردات القائلين بان الله تعالى لما كان غرضه عرض ما في
وسلطانه من الموجودات واظهار المالكية لجميع الممكنات بحيث لا يخرج عن اقليمه
وما لقيته وملكه شيء اصلا فلو كان من عالم القدرة شيء غير جسماني لكان ينبغي ان يعبر عنه
من جملة اضعف المحل باضافة الانشاء والخلق والملك ومنح طاح سائر المعدودات
في الذكر بل هو اولى بالذكر من غيره لكونه اشرف واعظم منها فلما اقتصر على ما في السموات
وما في الارض ولم يذكر غيرهما علم ان ذلك الصنف المجرد وجود وذلك لان لفظة في
موضوعة لنسبة الظرفية وطرفا هذه النسبة وهو الظرف والمظروف كلاهما جسمانيان
فكل ما في شيء منهما لا يكون الا جسمانيا وهو المطلوب والجواب فقبل الخوض
فيه يجب ان يعلم كل احد ان الحقائق الكلية والعلوم الحقيقية لا يمكن ان تقتنص من الاطلاقات
اللفظية فان لكل حقيقة سببا خاصا وعلة قريبة لا توجد الا بها وكما ان ذات كل حقيقة
لا يحصل الا من وجه خاص فكذا العلم بها ايضا لا يحصل الا من جهة العلم بمباديها ومقدماتها الذاتية
التي هي صورة المعلوم فهذا هو طريق اليقين والعرفان واما الظنون وسائر
الادراكات فربما يحصل من غير هذا الوجه ففي مقام لا يخرج فيه الا المعرفة التامة والكشف
الصريح لا يمكن استنباطه من الالفاظ لان دلالتها ليست قطعية نعم العمليات التي احكام

خاصة والمقصود منها العمل خاصة او الرياضة النفسية او المصالح النوعية والنظام الجملي فمجرد الظن والرجحان كاف للعمل لان العلم هنا وسيلة العمل فلا يكون اشرف منه واما المعارف الالهية كمعرفة الذات ومعرفة الصفات ومعرفة كيفية الافعال فلا يصح الاكتفاء فيها بالاخذ بما هو من الالفاظ استقلالا بل على سبيل التاييد والتنبيه كما هو داب اكثر المتكلمين وفي قولنا لفظ الظواهر تنبيه على لطيف تحت ذكراه باذكار اذ لحق عبارة عن الاعتقاد الصحيح الذي يطابقه الواقع فافهم تهتد فاذا تقرر هذا فنقول ان لفظ يستعمل في معان مختلفة يدل على بعضها بالاشتراك وعلى بعضها بالتجوز فان كون الماء في الكوز وكون الشيء في المكان وكون الشيء في الزمان وكون الجزء في الكل وكون الخاص في العام وكون الكل في الاجزاء وكون الطبيعة في الحركات وكون الشيء في الخصب والراحة وكونه في الحركة ليست لفظ في جميعها بمعنى واحد فكون الماء في الكوز ليس بمعنى كون الشيء في الشهر والسنة وكون السواد في الثوب ليس بمعنى كون الجسم المحسوس في المكان وكذلك كون الماهية الخارجية ليس بمعنى كونها في الذهن وكون اللفظ في المعنى ليس بمعنى كون النقوش في الكتاب بل لفظ في يختلف معناها في هذه المواضع وغيرها اختلافا كثيرا لا يحصر والجامع الكل الا اضافة ما وليست نفس الاضافة مقتضية لبنية في فان مع وعلى واللام وغيرها مما يدل على اضافة ما وليست مترادفة ولا مرادفة لها والاضافة المكانية تغاير الاضافة الزمانية في ذاتها واذا لم يكن نفس الاضافة مرادا بلفظ في وخصوص الاضافة مختلفة فيها وكل واحد مدخل في معنى في فاللفظ واقع فيها بالاشتراك واما كون الكل في الاجزاء فهو بالتجوز اشبه لان الكل هو مجموع الاجزاء والمغايرة شرط صحة الاضافة ولا يكون في كل واحد منها ولو قيل انه ليس الجزء في الكل فلا يكون بمعنى واحد والا يلزم اشتمال الشيء على ما يشتمل عليه وكذلك كون الشيء في نفس الامر بالتجوز اشبه فان قلت يجمع الكل الاشتمال والاحاطة قلت يرجع الكلام في الاشتمال والاحاطة الى الظرفية فانه ليست احاطة الزمان بمعنى ظرفية الماء في الكوز والمتمكن في المكان لتحقق الظرفية سواء كان سطحا او بعدا مجردا فقد علم مما ذكرنا ان لفظ في مستعمل في معان كثيرة الاختلاف لا يجمعها معنى محصل نوعي او جنسي فيحتاج في التخصيص باحد المعاني الا قرينة فقوله تعالى في السموات يشتمل بحسب اصل الاستعمال للاحوال القائمة بها اعراضا كانت او صورا وللاجزاء المقدارية المركوزة فيها كالكواكب والافلاك الجزئية والعناصر والاجزاء المعنوية مثل المادة والصورة والنفس والابدان وللامور المتعلقة بها كالملائكة المدبرة اياها والمحركة لها بامر مبدعها القيوم وكالنفوس هذه العقول

فيه للشيء الزماني كاحاطة المكان وظرفيته للمتمكن صح

المال

المقوم لها بقواها المنطبعة والمجردة فالمراد من لفظ في هنا اما جميع هذه المعاني المحتملة او البعض والاول اولى على ما هو سياق الآية كما ذكره القايل اذ التخصيص خلاف الاصل يشتمل الجميع على قدر جامع يكون هو مثل اضافة التعلق والارتباط

المطلب الخامس في دلالة هذه الآية على توحيد الافعال كما مر الاشارة اليه

لتعلم ان بعضهم قد احتجوا بهذه الآية على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى قالوا لان قوله ما في السموات والارض يتناول كل ما يكون فيهما ومن جملة ذلك افعال العباد فوجب ان يكون منسوبة الى الله تعالى انتساب الخلق والملك الى المالك والخالق لما مر ان هذه الاضافة اضافة الملك والايجاد ولاستحالة توارد الموجدين الفاعلين على معلول واحد بالعدد وكما ان اللفظ يدل على هذا المعنى فالعقل ايضا يؤكده لان كل ما سواه فهو ممكن لذاته والممكن لذاته لا يترجح الا بتاثير واجب الوجود لذاته والا لزم الترجيح من غير مرجح وهو محال واعلم ان هذا الدليل العقلي جدلي من قبيل الاخذ بالزامهم لا يجوز الترجيح من غير مرجح ولا يمكنهم ان يصححوا عقيدتهم في هذا الباب بهذا الدليل بل غرضهم الزام المعتزلة ومع ذلك فغير تام اذ المعتزلة لم يمنعوا ذلك مستندا بان الممكن يجوز ان يترجح بممكن اخر وذلك المرجح لامكانه يترجح الى ممكن اخر او بواجب بالذات وعلى التقدير لا يلزم الانتهاء الى الواجب بالذات حل انما دفعا للدور او التسلسل فاذن ليس من شرط الممكن ان يكون مرجح وجوده ابتداء هو الواجب اذ مجرد الامكان لا يقتضي ذلك ولا خصوصية كل ممكن بل خصوصية بعض الممكنات يستدعي الاستناد بالواسطة كالماديات والمتغيرات والكائنات والمركبات فان المركب مثلا لا بد في وجوده من سبق وجودات الاجزاء لتقومه بها فلا يمكن ان يكون وجود الكل والجزء في درجة واحدة ليكون كل منها منسوبا اليه تعالى بالجعل والايجاد من غير توسط وكذلك افعال الحيوان من الاحساس والتحريك وافعال النبات من التغذية والتنمية والتوليد وكذلك الافعال القبيحة الانسانية مثل الحسد والكبر والجهل المركب والشهوة والغضب ونظائرها لا يجوز ان ينسب اليه تعالى من دون وساطة المبادي القريبة لانه منزه عن الفحشاء والمنكر والبغي واعلم ان مذهب الاشاعرة ليس هو توحيد الافعال ولا ما ذهب اليه المعتزلة من كون العباد خالقين لافعالهم مستقلين في وجودها بل الحق الصحيح الذي ذهب اليه خواص الامامية ومحققوهم واستفادوه من احاديث الائمة المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين وكتب مطابقا لما عليه متالهة الحكماء والاقدمين ان فياض الوجود منحصر في الواجب بالذات والوسائط مكثرات الحيثيات جوده ومعدات قبول فيضه وادعى المحقق الطوسي رضوان الله عليه اطباق الحكماء على ذلك وذكر ان ما وجد في كلامهم من نسبة التاثير والافاضة الى بعض الممكنات المتوسطة بينه تعالى وبين المراتب النازلة انما يكون من باب المسامحة في التعاليم ومن باب كيفية صدور الكثير عن الواحد الحقيقي بحسب الوسائط من غير ان يكون للوسائط دخل في الايجاد بل شانها مجرد الاعداد وتكثير جهات الفيض للواجب الجواد

في شيء صح

ويؤيد ما ذكره قول بعض تواريخ الحكماء المشائي الاول يسمى جوهرا عقليا هو بحقيقته منبع ونور سطع
جوهر العقليات وجوهر ما سواها وقول بعض تواريخ الرواقيين ان النور القوي لا يمكن النور الضعيف في
الانارة فالقوة القاهرة الواجبية لا تمكن الوسائط لشدة نوريتها وقهرها لكن ليس شأن الحق
سبحانه وتحقيق هذا المقام ان لكل ممكن مهية ووجودا به يتحقق مهيته ويحصل والوجود في الجميع
معنى واحد بسيط لا اختلاف فيها الا بالشدة والضعف والكمال والنقص والا الاختلافات
النوعية والجنسية من الممكنات وتخصيص كل منها بمعاني وذاتي وخواص ولوازم فانما هي
جهة مهيتها وهي مراتب امكاناتها الناشية من تنزلات الوجود والنقص من الواحد الحقيقي والعقول
الاحدي هو امر واحد منبسط على هياكل الممكنات وذلك الامر هو محصلها ومخرجها من القوة الى
الفعل ومن العدم الى الوجود ومن الكمون الى البروز فالوجود امر واحد محجوب بحواجز الحدود والمراتب
المختلفة بالتقدم والتأخر والاولية والاخروية ناشية من خصوصيات المهيات الحاصلة من تنزلات
الوجود فالوجود في كل مرتبة يقتضي مهية خاصة يلزمها خواص ولوازم حاصلة بجعل جاعل وتاثير
مؤثر لان المهية ولوازمها غير مجعولة بمعنى الكلب مثلا يقتضي النجاسة العينية من غير جعل جاعل فاضت
تعلقات بها وانما الفائض من الباري جل ذكره هو وجودها فليس له من الافاضة
الوجود ما يعني الوجود هو نور يفيض منه على القوابل الخالية من القاذورات والاعيان النجسة
شخصية كانت او نوعية ومنشأ تخصيصات الافعال والاثار خصوصيات الاعيان الثابتة
التي ما شمت رائحة الوجود ابدا وعرفت هذا ما اعتقد عليه افعال العباد واجبلها وقاية عن نسبة
الشرور والافات الى الحق الجواد فهذه صورة المسئلة عند هؤلاء الاكابر واما البرهان
العقلي المناسب لاهل البحث على هذا المطلب الشريف فهو مثبت في بابه ليس ههنا
محل بيانه لانه تطويل الكلام ويخرج عما نحن بصدده من المرام ٥ ٥ ٥ ٥

المقالة السادسة في معنى قوله سبحانه من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وفيه مشاعر المشعر الاول في معنى الشفاعة

اعلم ان الشفاعة اي ما به يصير الشخص شفيعا وهو نور يشرق من الحضرة
الالهية على جواهر الوسائط بينه وبين الذين لهم مهوى البعد والنقصان بحسب
النقص الحاصل من تضاعف الامكان فالمتوسط في سلسلة البدو هو العقول
الفعالة ثم النفوس العمالة ثم الطبايع الفعالة الكلية وفي سلسلة العود الانبياء
ثم الاولياء ثم العلماء فكما ان الاشخاص هناك تتقوم بالطبايع وهي تتقوم بالنفوس
والنفوس تتقوم بالعقول ونور الوجود انما يفيض من الحق تعالى على الكل لكن
على العقول بالاستقامة وعلى غيرها بالانعكاس من بعض الى بعض فكذلك ههنا
يتقوم الناس بحب الحيوة الاخروية والوجود العلمي المعادي بالعلماء والعلماء بالاولياء

والاولياء بالانبياء ونور الهداية والوجود المعادي انما يفيض منه تعالى على جوهر النبوة وينتشر
منها لا كل من استحكمت مناسبتها مع جوهر النبوة بالانعكاس لشدة المحبة وكثرة المواظبة
على السنن وكثرة الذكر له بالصلوة عليه كما قال نقل حكاية عنه فاتبعوني يحببكم الله ويغفر
لكم ذنوبكم ومثال ذلك نور الشمس اذا وقع على الماء فانه ينعكس منه الى موضع مخصوص من
الحائط لا على جميع الحائط وانما تخصص ذلك الموضع بالانعكاس لمناسبة وضعية مخصوصة
بينه وبين الماء وبحسب تلك المناسبة ارتباطه بالنير بوساطة الماء في الوضع وتلك المناسبة
مسلوبة عن سائر اجزاء الحائط وذلك هو الموضع الذي اذا اخرج منه خط الى موضع النور من
الماء حصلت منه زاوية مساوية للزاوية الحاصلة من الخط الخارج من الماء الى قرص الشمس وهذا
لا يمكن الا في موضع مخصوص من الجدار وعن هذا المثال يتفطن اللبيب لسر المناسبة الروحانية
استفاضة الكمال من الله بتوسط النبي ليست اي مناسبة كانت بل يعني المناسبة المخصوصة التي
لها جهة اشتراك مع المناسبة التي بين النبي وبين الله كما في المثال فان جميع اجزاء الجدار
نسبة وضعية مع وجه الماء ومع ذلك المستفيض من تلك الاجزاء الجزء الخاص وذلك لان
نسبتها الى وجه الماء مع نسبة وجه الماء الى الشمس كونهما واقعين معا في سمت سطح واحد
عمود على سطح الماء وكذا حال البصر مع الصورة الخارجية ٧ دايما يحيطان بزاوية
يكون سطح تلك الزاوية قائما على سطح المراة كما يثبت في علم المناظر وشهد به التجربة فكذلك
حكم المناسبات المعنوية مع النور الالهي والوجود القيومي ومن ههنا يظهر معنى قوله صلعم من
اطاعني فقد اطاع الله ومن ابغضني فقد ابغض الله فان المناسبات المعنوية العقلية تقتضي
للجواهر المعنوية استفاضة النور العقلي بوسيلة من استولى عليه التوحيد وما كثرت مناسبته
مع الحضرة الاحدية واشرق عليه النور الالهي من غير واسطة ومن لم يترسخ قدمه في
ملاحظة الواحدانية لتضاعف جهة الامكان وضعف جهة الوحدة وغلبة التجسم والتكثر وجب
ان يحكم علاقة الامر الواسطة اوسع واسطة الواسطة فيفتقر الى واسطة الى وسائط
كما تفتقر الحائط الذي ليس بمكشوف للشمس الى واسطة المراة المكشوف للماء المكشوف
للشمس وعند اتحاد الجهة في الارتباط الموجب للشفاعة كما اشرنا اليه يكون حكم الواسطة التام
في الاشراق والانارة حكم الواسطة الاولى من غير تفاوت الا بالقوة والضعف من الاتحاد
في المهية كما ان حكم الواسطة الاولى حكم النير الحقيقي من غير تفاوت الا بالاصالة والتبعية
ولهذا قال صلعم من اكرم عالما فقد اكرمني واذا ... احد علم انه لا مثل
هذا يرجع معنى حقيقة الشفاعة في الدنيا ايضا فان السلطان قد يعفو عن جرائم اصحاب
الوزير ويعفو عنهم لا لعدم مناسبة اصلية بينهم وبين الملك بل لانهم يناسبون الوزير
المناسب للملك فتثبت العناية عليهم بالواسطة لا بالاصالة ولو ارتفعت انقطعت العناية عنهم بالكلية

التي رآها الانسان فان الخط من البصر الى المراة والمنعكس من المراة الى الصورة الخارجية
صح صح

المشعر الثاني في تعيين الشفعاء ومعنى الاذن قد علمت مما سبق
من تفسير الشفاعة ان الشفيع من يكون يوم القيامة ومعنى الشفيع عبارة عن جعله تعالى بعض
الممكنات مخصوصا بالقرب الى الله والزلفى عنده وبين من ليس له هذه المرتبة وذلك التقدم
وان صدر انما يكون لاجل استحقاق ذاتي وتفاوت جبلي حاصل لبعض الاعيان والمهيات بالقياس
الى البعض بحسب الفيض الاقدس وثبوتها في علم الله قبل وجودها الخارجي مع آثارها
ولوازمها فقوله تعالى من ذا الذي يشفع استفهام انكاري اي لا يشفع عنده الا بامره وذلك
لان الكفرة والمشركين كانوا يزعمون ان الاصنام لهم شفعاء مقربون كما اخبر عنهم بقوله
يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله ثم نفى
انهم لا يجدون بهذا المط[لب] لما علمت ان الشفيع هو الواقع في سلسلة الايجاد والعلية الطولية
دون الامور الجسمانية الواقعة في العرضية تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم (لحيثية صح)
ولا ينفعهم فان النافع للشيء ما يكون مؤثرا في وجوده او كماله وجوده بنحو السببية والغاية
او عدم ذلك الشيء او ما يساوقه ما حضر ثم بيّن ههنا انه لا شفاعة عنده الا استثناءا بعد
بقوله الا باذنه ونظيره قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا واعلم من هذا ان الماذون للشفاعة اولا وبالذات ليس الا الحقيقة
المحمدية المشرقة البداية بالعقل الاول والقلم الاعلى والعقل [illegible] (الفرقاني ثم)
عند وجودها الصوري التجردي وفي النهاية بمحمد بن عبد الله وخاتم الانبياء عند ظهورها البشري
الجسماني كنت نبيا وآدم بين الماء والطين انا سيد ولد آدم وصاحب اللواء
وفاتح باب الشفاعة يوم القيمة ثم اقرب الاولياء اليه سلفا وخلفا بحسب التابعية المطلقة
هو الحقيقة العلوية المشرقة البداية بالنفس الكلية الاولية واللوح المحفوظ لما
افاده وكتبه القلم وام الكتاب الحافظ للمعاني التفصيلية الفايضة عليه بتوسط الروح
الاعظم المحمدي وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وهو العقل الفرقاني وذلك عند
وجودها التجردي وفي النهاية بعيسى بن مريم وعلي بن ابي طالب عليهما السلام وهذا عند
وجودها البشري الجسماني ومن جملة المشابهات الواقعة بينهما عليهما السلام ان كلا منهما ممن وقع
الشك في الالهية وذلك لغلبة اوصاف الوحدة والتجرد والولاية عليهما ثم الاقرب
فالاقرب من العقول والنفوس الكلية بعد العقل الاول والنفس الاولى الطاهرة
في صور الانبياء والمرسلين سابقا وصور الاولياء والائمة المعصومين لاحقا سلام الله عليهم
اجمعين ثم الحكماء والعلماء الذين منازلهم دون منازل الانبياء والاولياء اذا
اقتبسوا انوار علومهم من مشكوة النبوة والولاية والا فليسوا من الحكماء والعلماء في شيء
الا بالمجاز وذلك لان الوصول الى الله تعالى ونيل روح الوجود من المنبع الحقيقي لا يمكن

الا باتباع الانبياء والاولياء صلوات الله عليهم اجمعين اذ العقل لا يهتدي اليه ابتداء
بطريق القلوب ويرتفع عن صاحبه الريب والشك ولا سبيل له في معرفة الحق الا بان
ينظر في الممكنات ويستدل بها على موجدها وهو الحق تعالى ثم على وحدته ووجوبه وعلمه
وقدرته والعلم صفاته الثبوتية الا بهذا القدر ومن صفاته التقديسية انه ليس بجسم
ولا جسماني ولا زماني ولا مكاني وامثال ذلك وليس بهذا الاستدلال الا من وراء
الحجب اذ لا حضور عنده الا مفهومات ذهنية ومعقولات ثانية وهذا بعينه كمن اراد (لا يسمن ولا يغني من جوع صح)
ان يستشعر بمفهوم الحلاوة عن السكر ومفهوم السلطنة عن السلطان فاصحاب العقول كما قال
الله فيهم اولئك ينادون من مكان بعيد لانهم يجعلون الحق بعيدا عن انفسهم و
يكشفون عن ذات الحق الاول ومشاهدة الذوات المقدسة العقلية وملاقات حقائق
اهل الجبروت والملكوت القاطنين في طبقات الوجود لمفهومات ذهنية وحكايات
مثالية ومع هذا لا يحصل لهم طريق استدلال الا في الذهنيات والكليات التي من طور
العقل واما في الامور التي هي وراء طور العقل من احوال الآخرة واحكام البرازخ
فيثبت فيها عقولهم وتقف عن ان يهتدي اليها الا باتباع الشرع ولهذا اعترف
شيخهم ورئيسهم بالعجز في ادراك المعاد الجسماني وصرح بان لا سبيل للعقل اليه الا من جهة تصديق
خبر النبوة التي اتى بها سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله ومن ههنا يظهر
معنى الشفاعة ومعنى كون النبي صلعم ماذونا فيها ومعنى كون الشفاعة منحصرا فيه بالاصالة فان النجاة
من العقاب الدائم لا يكون للانسان بحسب الكمال العلمي للقوة النظرية وهو المراد من الايمان
الا باستفاضة الحقائق العلمية من معدن النبوة الختمية صلى الله عليه وآله اما بغير واسطة (صلوات الله)
كما للاولياء او بواسطة كما للعلماء او بحسب الحكاية او التمثيل كما للعوام المسلمين قال
بعض المحققين من العرفاء ان الانسان الكامل هو سبب ايجاد العالم وبقائه ازلا و
ابدا دنيا وآخرة وقال صاحب الفصوص الحكمية رضي الله عنه فهو الانسان الحادث الازلي (آخذ صح)
والنشء الدائم الابدي والكلمة الفاصلة الجامعة قال بعض الشارحين لكلامه اما حدوثه
الذاتي فلعدم اقتضائه من حيث هو الوجود واما حدوثه الزماني فلكونه في النشأة العنصرية مسبوقا بالعدم
الزماني واما ازليته فبالوجود العلمي فعينه الثابتة ازلية وبالوجود الروحاني فلانه غير زماني متعال
عن احكامه مطلقا والى الاشارة بقوله النبي صلعم نحن الآخرون السابقون واما دوامه وابديته
فلبقائه ببقاء موجده دنيا وآخرة وايضا كلما هو ازلي فهو ابدي وبالعكس والا لزم تخلف المعلول عن
العلة او التسلسل في العلل لان علته لو كانت ازلية لزم التخلف ولو لم يكن كذلك يجب استناده الى
علة حادثة بالزمان ويلزم التسلسل في الزمان فيها دخل بحسب ان يكون معلولها غير ابدي لكون اجزاء الزمان
متجددة متصرمة بالضرورة والوصف بخلافه ولو لزم ان يكون فيها دخل فالكلام [illegible] كالكلام في الاول
فيلزم

فيها والنسبة في العلة التي لا دخل للزمان فيها بط والالزم نفي الواجب فالابديات
مستندة الى علل ازلية ابدية كما ان الحوادث الزمانية مستندة الى علل متجددة متغيرة والنفوس
الناطقة الانسانية حدوثها بحسب التعلق بالابدان لا بحسب ذواتها والصور الاخروية كما انها
ابدية كذلك ازلية حاصلة في الحضرة العلمية والكتب العقلية والصحف النورية ولكن ظهوراتها بالنسبة
الينا حادثة والماكونة كلمة فاصلة مميزة بين المراتب الموجبة للتكثر والتعدد في الحقائق والمكونة
جامعا فلاحاطة حقيقته بالحقائق الالهية والكونية كلها علما وعينا انتهى **واقول**
غرض الشيخ الماتن قدس سره من قوله فهو الانسان الحادث الازلي والنشأة
الدائم الابدي هو الذي ارادت به الحكماء من قولهم العلة الغائية متقدم بحسب الوجود العقلي
على ما هو علة له ومتاخر عن وجوده بحسب الخارج وقد ثبت عندهم ان العقول الفعالة لها
جهة الفاعلية للاشياء الكائنة ولها جهة الغائية فاذا كان روح النبي صلعم اي الحقيقة المحمدية
متحدا مع العقل الاول فيلزم ان يكون ازليا ابديا من حيث حقيقته حادثا من حيث بشريته
اما ازليته فباعتبار مبدائيته للاشياء بحسب صورتها العلمية الثابتة في علم الله واما ابديته
فلكونها الثمرة القصوى لوجود الخلائق ولا ترى ان جميع الموجودات العنصرية لها توجهات
وحركات نحو الكمال فالعناصر يتحرك نحو الجماد لا بل يتوجه الى النبات والحيوان وهو الى الانسان
واول الانسان ذو العقل الهيولاني وهو متوجه في تحصيل الكمال الى العقل الفعال بعد طي مراتب
العقل بالملكة والعقل بالفعل فيصير نقيا لما نزل منها وذلك العقل الفعال صار ثمرة
شجرة هذا العالم بعدما كان بذر هذه الشجرة كما يكون بذر اصار ثمرة فانظر الى حكمة البارئ
وقدرته كيف نقل البذر في تقاليب الاطوار الى ان يبلغ مرتبة الثمار فيغيبه اوله وهو في بطن
لب من الارض وتخفي عن فضة الاماكن الغريبة عن ذاته ثم يستحيل ويستقل بقوله النامية
حالا الى حال ومن طور الى طور حتى ينتهي اخره الى ما كان اولا ونصل الى درجة اللب الذي
كان عليها سابقا مع عدد كثير من نوع ذاته لا فوائد سفرة من الاوراق الخضرة والاغصان
المثمرة والانوار والازهار وجميع ما يسقط منه ويضمحل ويفسد من الترب بها تارة مكبر محجوبا
عن المراد مقيدا بصحبة الاضداد وتارة بمخالطتها ومرستها مجردا عن الانحلال والفساد
وبمعادتها وصيانتها مصونا عن العفونة للمواد مخرجا من بين فرث كثيف الاوراق والحشائش
ودم العروق والاغصان دهنا خالصا ولبا صافيا وبذرا سالما غانما باذن الله
وثمرة صالحة من نتيجة المقدمات والانتقالات موجودة بما فيه ابريم انفتاح اكثر
درواليها وثورها فاحسن اعمال [illegible] بلاحظ هذا التمثيل وتطبيق قرائنه
وحل الغازه لتظهر لك كيفية كون الحقيقة المحمدية باعثا داعيا لوجود العالم ونتيجة مترتبة
عليه وكيف كان كن كافي واسطة لوجود العالم سابقا ولاحقا دنيا واخرة بجميع فوائده

النبات

وفوائده كثيرة وخيرات جمة من
فروع ذاته ولوازمها وقشور
صفاته وضروريات من ارباح تجارة
صح صح

كنت نبيا وادم بين الماء والطين وقوله تعالى لولاك لما خلقت الافلاك وقوله صلعم نحن الاخرون
السابقون فيكون شفيعا يوم القيامة وسراجا منيرا وهاديا كما انه كان وسيلة وداعيا في
الابتداء فيلزم مما ذكرنا ان يكون روحه صلعم اول شيء تعلقت به القدرة ولكن يسمى باسماء
مختلفة باعتبارات متكثرة كقوله اول ما خلق الله نوري واول ما خلق الله روحي وفي رواية
العقل وفي رواية القلم وفي رواية اللوح وقول بعض الكبراء اول ما خلق الله على الاطلاق ملك
كروبي يسمى العقل وهو صاحب القلم بدليل توجه الخطاب عليه في قوله اقبل فاقبل ثم قال
ادبر فادبر كما جاء في الحديث المنقول في كتاب الكافي وغيره ولما سماه قلما قال له اجر
بما هو كائن الى يوم القيامة فبحسب كل صفة يسمى باسم آخر فقد كثرت الاسماء والمسمى واحد فباعتبار
انه كان درة صدف الموجودات سمي درة وجوهرة كما جاء في الخبر اول ما خلق الله جوهرة
مثل درة فنظر اليها فذابت فخلق منها كذا وكذا وباعتبار نورانيته وظهوره بذاته وظهور
الخلائق به سمي نورا وباعتبار تجرد ذاته عن الاكوان وحضوره عند ذاته سمي عقلا وباعتبار
غلبة الصفات الملكية والاخلاق الحسنة سمي ملكا وباعتبار تصويره الحقائق مفصلة في
الواح النفوس الناطقة سمي قلما واذا امعنت النظر وجدت كلما وصف به العقل وحكي
منه فهو خاصية من خواص روحه صلى الله عليه وآله وهو مثل قوله اول ما خلق الله العقل
فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر وهذا بعينه حال روحه ع اذ قال له تعالى
اقبل الى الدنيا رحمة للعالمين فاقبل ثم قال له ادبر اي ارجع الى ربك فادبر عن الدنيا
ورجع الى ربه ليلة المعراج ثم قال للعقل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احب الي
منك وفي رواية اعظم وهذا حاله صلعم لانه كان حبيب الله واحب الخلق اليه واعظمهم عنده
وقوله تعالى للعقل بك اعرف وبك اعطي وبك اثيب فهذا كله حال النبي عليه وآله عليهم
الصلوة لان من لم يعرف النبي ع بالنبوة والرسالة لم يعرف الله ولو كان له الف دليل على
معرفة الله كما يعلم اهل الحق ان الايمان الكثير الاثر في بعد الايمان لغير الاقتداء الشيء مع
الحدث عند اهل البصيرة لان بهم فبك اعرف اي من عرفك بالنبوة عرفني بالربوبية
اي اخذ طاعة من اخذ منك ما اتيته من الدين والشريعة وبك اعطي اي اعطي الشيء عنك اعلى
درجة اهل الدرجات كما روي عنه الناس يحتاجون الى شفاعتي حتى ابرهيم ع وبك
اعاقب وبك اثيب وذلك لقوله تعالى واذ اخذنا ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم
على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وذلك لان الله
اخذ ميثاق كل نبي بعثه بان نور محمد صلعم ويرضى امته بالايمان به وبنصره
دينه فمن آمن به من الامم الماضية قبل بعثته وبعد بعثته فهو من اهل الثواب ومن لم يؤمن

وبك آخذ صح

من الاولين والاخرين فهو من اهل العقاب فصح فيه قوله بك اعاقب وبك اثيب

ومن ههنا ينكشف قوله لو كان موسى في زمني لما وسعه الا اتباعي فكما ذكر في معرفة الروح الاعظم فهو حال البرعا وما يمكن في الاعتقاد بكونه صلعم مظهر الحقيقة مع العقل الفعال الروح الاعظم من برهان قوله صلعم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وقوله صلعم في حديث غدير خم مخاطبا للامة الست اولى بكم من انفسكم قالوا بلى فقال من كنت مولاه فعلي مولاه وبيان ذلك ان المراد بالمؤمنين هم العارفون الذين صارت نفوسهم عقولا بالفعل والعقل بالفعل هو الوجود الحقيقي والجوهر العقلية الاخروية والنبي صلعم بروحه المقدس سبب لوجوداتهم الحقيقية ومبداءكما لاتهم العرفانية ومنشا الفيض الكمالين الاوسط الاقدس والثانوي المقدس وعلة الشيء من اولى بنفس ذلك الشيء من نفسه اوعلة الشيء القياس الى علة بالوجوب حيث كان بالقياس الى نفسه بالامكان فلو لم يكن روح النبي صلعم علة لوجوداتهم الحقيقية لم يكن اولى بهم من انفسهم فهو الاب الحقيقي لهم ولذلك كان سائر ازواجه امهاتهم من اعانتها لجانب الحقيقة فهو الوسط بينهم وبين الحق ومبداء نظرهم في سلسلة الافتقار النزولي ابو المرجع كما لاتهم في سلسلة الارتقاء الصعودي والاتصال اليهم فيض الحق بدونه لانه الحجاب الاقدس والمتعين الاول فلو لم يكن اولى واحب اليهم من انفسهم لكانوا محجوبين بانفسهم عنه فلم يكونوا ناجين اذ نجاتهم انما هي بالفناء فيه لانه المظهر الاعظم وهذه معان تحتاج الى تفصيل في المقال ليظهر جليه الحال على الذكي المستبصر باساليب الارتقاء الى الكمال بعد تصفية القلب عن شوبات الدنيا وتجلية الذهن والبال وتحصيل الاستعداد للاتصال بالعقل الفعال والله الهادي للطالب الاجابة في الاقوال والافعال وبيده ازمة الامور في الاباد والازال **المشهد الثالث في تعيين المشفوع له** وهو كل من صحت نسبته اليه من فقراء امته

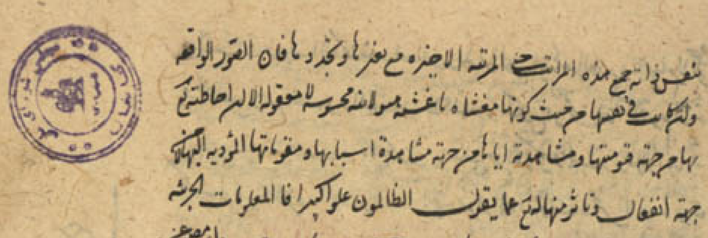
ولفظ الصحة يشمل الامكان الذاتي والاستعدادي جميعا فالمراد من الاول المطيعون من اهل الايمان ومن الثاني العاصون من امته والذين اقترفوا الكباير واللمم لم يصير منشاء عصيانهم جهلا مستحكما ذميما راسخا بحيث يمتنع زوالها فلا تنفعهم شفاعة الشافعين قال القفال نصرة لاهل الاعتزال انه تعالى لا ياذن في الشفاعة لغير المطيعين اذ كان لا يجوز في حكمته التسوية بين اهل المعصية والطاعة وطول في بيان ذلك والعجب ان تعلق من جرح الشفاعة باهل المعاصي ليس مما يقبح عند العقل والمعتزلة قايلون بالتحسين والتقبيح العقليين فكيف ينافي لاحد منهم ان يدعي ان تعلق الشفاعة والرحمة باهل الكباير والعفو عن ذنوبهم قبيح في الحكمة

ادمكرص

واما التسوية الا ان السمع دال على عدم وقوعه واذا كان كذلك كان الاستدلال العقلي المنع من الشفاعة في حق العصاة خطاء الا ما استثناه ذو الراسخون في الاوصاف الذميمة التي هي مبادي الاعمال القبيحة على ما هو مبين في مقامه نعم هذا الاستدلال يستقيم على مذهب الكعبي الا ان الجواب ما ذكرناه فعلم ان هذا القفال قليل الوقوف عن مسلك الاعتزال ناقص النصيب في علم الكلام مع رسوخه كالزمخشري في التعصب لهذا المذهب والمبالغة في عن جود الله في حق اهل الكباير من الاسلام والصفح عنهم رحمة لهم في دار السلام ويمكن الجواب عن الشبهة القفال بوجه اخر على طريقة اهل الكلام وهو ان العقاب حق الله والمستحق ان يسقط حق نفسه بخلاف الثواب فانه حق العبد فلا يمكن لله تع ان يسقط وهذا الجواب ماذكره الامام الرازي وهو من علماء مذهب الاشاعرة فكانه ذكره على قانون الجدل الزاما على المعتزلة والا فالاشاعرة ليسو قائلين بالاستحقاق في العبد للثواب ولا للعقاب واعلم ان الناس بحسب العاقبة ستة اصناف لانهم اما سعداء وهم اصحاب اليمين واما اشقياء وهم اصحاب الشمال واما السابقون المقربون قال الله تع وكنتم ازواجا ثلثة الاية واصحاب الشمال اما المطرودون الذين حق عليهم القول وهم اهل الظلمة والحجاب الكلي المختوم على قلوبهم ازلا كما قال تع ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس الاية وقد روي في الحديث الالهي الرباني خلقت هؤلاء للنار ولا ابالي واما المنافقون الذين كانوا مستعدين بحسب الفطرة قابلين للنور في الاصل والنشاة لكن احتجبت بالرين المستفاد من اكتساب الرذائل وارتكاب المعاصي واصحاب اليمين اما اهل الفضل والثواب ومنهم اهل الرحمة والباقين على سلامة نفوسهم وصفاء قلوبهم المثبوتون درجات الجنة على حسب استعداداتهم من فضل ربهم واما اهل العفو الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وهم قسمان المعفو عنهم راسا لقوة اعتقادهم وعدم رسوخ سيئاتهم والمعذبون حينا بحسب ما رسخ فيهم من المعاصي حتى خلصوا عن درن ما كسبوا ثم ادركهم الرحمة سدادكم ونياتهم بالاخرة فهذه اصناف النفوس الانسانية والجميع محتاجون الى الشفيع السيد صلعم يوم القيام كما انهم محتاجون الى الهداية في الدنيا لكن بعضهم ممتنع القبول للشفاعة في العقبى كما للهداية في الاولى وبعضهم ممكن القبول لهما بالامكان العام الشامل للضرورة والامكان الذاتي والاستعدادي قريبا كان اوبعيدا وتفاصيل هذه الامور وبيانها لرهان ما يطلب في كتب اهل الكشف والعرفان والله ولي الهداية والايقان

المقالة الرابعة في قوله سبحانه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم وفيه مسائل الاولى في العلم العلم يطلق على معان بعضها من باب الكيف وبعضها من باب الاضافة وبعضها من مقولة المعلوم اما الاول فهو حالة بها تتميز الاشياء عند العقل واما الثاني فهو النسبة بين العالم والمعلوم بعبر عنه

في لغة الفرس بدانستن وقيل العالمية عبارة عن اتحاد الشئ مع مفهوم هذا المشتق اي
العالم ومفهوم كساير المشتقات امر بسيط يعبر عنه في الفارسية بدانا والذات
والنسبة خارجتان عن مفهوم المشتق واما الثالث فهو الصورة الموجودة للشئ
المجرد عن المادة تجريدا تاما او ناقصا فالتام في التجريد ما يكون مجردا عن المادة ولواحقها
واضافاتها جميعا اما بحسب الفطرة او بسبب تجريد مجرد يجرده فعلى اي الوجهين
يكون معقولا كليا او تخيليا معقولا لغيره او لنفسه والناقصة في التجريد ما يكون مجردا
عن المادة فقط دون لواحقها اه فيكون محسوسا او عنها وعن بعض لواحقها دون
بعض اخر فيكون متخيلا او عنها وعن لواحقها جميعا دون اضافاتها فيكون موهوما
والمشهور انه من باب الكيف وهو خطاء بل قد يكون جوهرا بحسب المهية والوجود
جميعا كعلم المجرد بذاته او بحسب المهية دون الوجود كعلمه بغيره من الطبايع الكلية الجوهرية
فانها جوهر بحسب المهية المعلومة الذهنية عرض بحسب كونها حالة علمية متخصصة خارجية
بل قد يكون جوهرا بحسب المهية مجرد الوجود الوجود القايم بذاته غير داخلة تحت مقولة
اه وهو علم الواجب لذاته بذاته وبجميع ما عداه علما اجماليا فان ذاته تع لكونه في غاية التجرد
لتجرده عن التعلق بغيره سواء كان مهيته او امرا اجنبيا يكون حاصلا لذاته حصولا واجبا بالذات
اذ لا مغايرة لا ذهنا ولا عينا فيكون عاقلا لذاته ولما كان ذاته بذاته مبدا لجميع الممكنات
فيكون علمه بذاته مبدا العلم بجميع الممكنات اذ العلم التام بالعلة التامة يوجب العلم التام بالمعلول
ولما كان ذاته وعلمه بذاته وهما العلتان شيئا واحدا فيكون ذوات المجعولات ومعلوميتها
له شيئا واحدا فتلك الذوات بانفسها علم ومعلوم له تع ومن حيث كونها شخصا واحدا
له صورة واحدة علمية معلوم له تع بعلم واحد متقدم عليها ومقارن بها ومن حيث كونها امورا
متكثرة متفاصلة يعلمها بعلوم تفصيلية بعضها متقدم وبعضها متاخر وله مراتب اولها مس
ذاته تع فانه علم تفصيلي بذاته وعلم اجمالي بما عداه بمعنى انه منشأ لها نسبته صورة الشئ التي بها
قوامه وتمامه ونسبتها اليه نسبة الحكاية الى المحكي لكونها مظاهر اسمائه وقد مر الاشارة
انفا الى ان الاعيان الثابتة مظاهر اسمائه المتكثرة واسماؤه على كثرتها تفصيل لفظ الله
ومعناه الكلي وهو من كليتها عين ذاته الاحدية المتشخصة بنفسها لكونه بحت الوجود القايم
بذاته وثانيتها مرتبة القلم وهو العالم العقلي المحيط على الجميع احاطة كلية اجمالية وثالثتها
مرتبة اللوح المحفوظ المسمى بام الكتاب المشتمل على الصور الكلية على سبيل التفصيل وعلمها
علم القضاء الالهي الذي جرى عليها القلم الى يوم القيامة ورابعتها مرتبة لوح المحو و
الاثبات وهي مرتبة الصورة المثالية للكائنات باسرها المنطبعة او المتعلقة بالقوى
الجزئية الفلكية المترائية في مرائي اجرامها الصافية معينة مقرونة بمخصصاتها الزمانية
والمكانية على نحو جزئي وخامستها مرتبة الصور الخارجية المادية فالواجب تع علم



نفس او انه جمع هذه المراتب المرتبة الاخيرة من تغيرها وتجددها فان الصور الواقعة
وللكائنات في نفسها من حيث كونها مغشاة بالغشاوة الهيولانية محسوسة لا معقولة الا انها حاضرة
بها من جهة قوتها ومشاهدة اياها من جهة مشاهدة اسبابها ومقوماتها المؤدية اليها لا
جهة انفعال وتاثر منها لتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فالمعلومات الجزئية
المتغيرة من جزئيتها وتغيرها وفسادها معلوم له تع على وجه ثابت دائم مصون عن
التغير والفساد وهذا مما يحتاج دركه الى لطف قريحة ٥ ٥

المسئلة الثانية في مرجع ضمير بجمع العقلاء في السموات والارض

لان فيهم العقلاء فغلبوا ولما دل عليهم من ذلك من الملائكة والانبياء والعالمين والاولياء
والصالحين والشهداء او لما ذو بين منهم في الشفاعة خاصة ويحتمل ان يكون للناس
الحاضرين من امته صا

المسئلة الثالثة في ان القبلية والبعدية المستفادتين من الكلام بأي وجه كانتا

قد ذكر المفسرون فيها وجوها منها انه يعلم
ما بين ايديهم اي ما كان قبلهم من امور الدنيا وما خلفهم اي ما كان بعدهم من امور الاخرة
عن مجاهد وعطاء والسدي ومنها يعلم ما بين ايديهم من السماء الى الارض وما خلفهم
يريد ما في السموات عن ابن عباس رواه عطاء ومنها ما ذكره الرازي في
الكبير يعلم ما بين ايديهم بعد انقضاء اجالهم وما خلفهم اي ما كان من قبل ان يخلقهم

ومنها يعلم ما بين ايديهم بعض الاخرة
لانهم يقدمون عليها وما خلفهم بعض الدنيا
لانهم يخلفونها وراء ظهورهم عن الضحاك والسدي
صح

ومنها ما يعلم من خيره وشره وما يفعلونه بعد ذلك ومنها ما ذكره
النجم الدين الداية في تفسيره المرتجى بحقائق يعلم اي الذي يشفع عنده وهو محمد صلعم
لانه ماذون في الشفاعة اصالة كما تحقق ما بين ايديهم من اوليات الامور ومقدماتهم
من خلق الخلائق وهو عالم الارواح التي خلقها الله قبل الاجساد بالفي الف عام وما خلفهم
من احوال القيمة واهوالها وفزع الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من الانبياء ع وقولهم
نفسي نفسي ورجوعهم اليه بالاضطرار اقول ويحتمل وجها اخر وهو ان
يكون المراد بما بين ايديهم صور المعلومات الجزئية الحسية او البديهيات وما خلفهم
صور المعقولات الكلية او النظريات لتقدم الاولى وتاخر الثانية بالقياس
الى الانسان وعدم حصول الثانية له الا بوسيلة حصول الاولى كما قيل من فقد حسا
فقد علما وحاصله انه تع عالم بجميع الاشياء جزئية كانت او كلية ومن جملتها الشافع و
المشفوع له والجهة التي بها يستحق الشفعاء للشفاعة والمشفوع لهم للاستشفاع دون
غيره حتى ان الشفعاء لا يعلمون من انفسهم ان لهم من الطاعة ما يستحقون بها هذه الدرجة الرفيعة
والمنزلة العظمى عند الله سبحانه ولا يعلمون انه سبحانه هل يصيرهم ماذونين في الشفاعة ام
يستحقون المقت والزجر فان العزة لله جميعا والكمال بحسب ذاته متنزه عن الكدورة والظلم



والمنزاة عن هنة الامكانية وانما المنور لها والمخرج اياها من العدم والابهام الى الوجود والتحصيل من القصور والنقصان الى التمام والتكميل هو الحق تعالى القيوم لذاته الذي يعطي نور الوجود لما يشاء كل بحسبه ويصطفي من الملائكة والبشر رسلا وانبياء ويكسيهم كسوة العزة والبهاء والقدرة والغنى ومنزلة الهداية والشفاعة في الاولى والعقبى

المقالة الثامنة في قوله سبحانه ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وفيه اشارات الاولى

قال الفخر الرازي في الكبير ان المراد من العلم ههنا المعلوم كما الخلق بمعنى المخلوق وفي الادعية اللهم اغفر لنا علمك فينا اي معلومك او لا ترى انه اذا ظهرت ايه عظيمة قيل هذه قدرة الله اي مقدوره والمعنى لا احد لا يحيط بمعلومات الله تعالى اقول لما علم من القرينة السابقة ان جميع الموجودات سواء كانت كلية او جزئية معقولة او محسوسة صورا علمية ومجالي ادراكية او آلات ومشاعر حاضرة عنده تعالى بحيث يكون نفس وجودها في انفسها نفس علميتها ومعلوميتها له تعالى من غير تضاعف الصور الادراكية فجميع الموجودات يكون علوما اي صورا علمية ومعلومات بانفسها لا بصور مستانفة اخرى فاذا كان الامر كذلك يكون العلوم كلها علوما له تعالى والمعلومات كلها معلومات وعلوم له تعالى معا فكل ما يعلم احد منا يكون بعضا من علوم الله تعالى سواء كانت علوما لنا او معلومات فيحتاج الى ارتكاب المجاز لكن لما كان العلم عند هذا القايل مجرد الاضافة احتاج الى ذلك لان الاحاطة لا تتعلق بالاضافة ولا التبعيض يناسبها **الاشارة الثانية** انه لا يعلمون الغيب الامر باطلاعه تعالى بعض ملائكته او انبيائه على بعض الغيب كما قال فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول **الاشارة الثالثة** انه لما ثبت ان لعلمه تعالى مراتب بعضها مقدم على بعض وعلة له وبعضها متاخر عنه ومعلول له والمتاخرات عين ذوات الاشياء فيكون علمه بذوات المجعولات التي هي انزل مراتب علمه تعالى يرجع علما فعليا وهو المشية الالهية ايضا في مرتبة ذاته عين ارادته الذاتية في تلك المرتبة بالذات ويعبر عنها بالمشية الذاتية وكذا كل مرتبة من مراتب علمه عين ارادته في تلك المرتبة اذ مراتب الارادة على حذو مراتب العلم فلا يحيط بشيء من علومه غيره مطلقا الا بمشيته الاصلية فلذا قال ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء اي بمشيته لان الباء سببية وما مصدرية لا انها صلة يحيطون كما يتبادر الى الاذهان اولا ولئن كان له وجه الا انه لما ذكرناه الطف واربط بما سبق والبق بكلام الحق لدلالته على ان مشيته سبب لعلومهم **الاشارة الرابعة** ان المناسبة بين الشيء والمشية مما يحقق مذهب القائلين بالجعل البسيط بمعنى الجاعل هويته وشيئيته علة لهويته المجعول وشيئيته والايه

لان علم الذي هو

وزان

عالم الغيب

لان متعلقها متعلق علومهم

مشيته وذلك لا شعاره بانه من شيئيته التي هي ذاته وعين علمه بذاته فيصدق شيئية علمه الذي هو عين معلومه فيكون ذاته منشئ الاشياء ومنوّت الذوات ومحقق الحقائق كما عليه الراسخون من الحكماء في ذوات الذوات وحقيقة الحقائق كما عليه الحكماء المتالهون الواصلون من العرفاء **الاشارة الخامسة** لما يكون ضمير الجمع في لا يحيطون راجعا الى اهل المحبة والولاية الواصلين الى مقام الاستغراق والشهود فشاهدونه تعالى بالمشاهدة العقلية ويشاهدون الاشياء بنور ذاته فيكون الحق لهم سمعا وبصرا كما وقع في الحديث المشهور فالمعنى لا يحيطون بشيء من علمه الاشتية التي هي ذاته فبذاته يعلمون الاشياء وبه يسمعون وبه يبصرون كما انه به يقدرون على شيء مما كسبوا وذلك لفنائهم عن هوياتهم وقصر نظرهم عنها الى ذاته وتخلقهم بصفاته على ما يعلم الراسخون في العلم والمعرفة من غير لزوم شيء من المحالات كصيرورة صفاته تعالى عين ذاته صفات العبد او حلول ذاته في ذات العبد كما توهم المحجوبون عن سر القيومية التي لا يشابهها شيء من النسب انها ليست بالحالية او المحلية ولا الاقتران او المزاملة ولا الاتحاد او المغايرة ولا المماسة او المباينة ولا الملاصقة او المحاذاة ولا المواصلة او المفاصلة بل هي نسبة مجهولة الكنه يعبر عنها بامثلة جزئية معربة من وجه مبعدة من وجوه لمن يكن من اهل المشاهدة فضلا عن الذين لا يكونون من اهل المشافهة كاهل الوقت حيث لبسوا من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فلسوا الطلع الواصلين العين ولا من السامعين للاثر

المقالة التاسعة في قوله سبحانه وسع كرسيه السموات والارض وفيه لوامع اللمعة الاولى

الوسع بمعنى الطاقة يقال وسع فلان الشيء اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به ولوازمه ولا يسعك هذا اي لا تطيقه ولا تحتمله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي اي لا يحتمل غير ذلك **اللمعة الثانية** الكرسي في اللغة من الكرس بالكسر وهو تراكم الشيء بعضه على بعض وتلبد جزء منه على جزء كل اصل يحتمل عليه وكل شيء تراكب فقد تكارس والكرس ابوال الدواب وابعارها يتلبد بعضها على بعض وقد اكرست الدار اذا كثرت فيها الابوال والابعار وتلبد بعضها على بعض وتكارس الشيء اذا تركب ومنه الكراسة وجمعها الكراريس لتركب اوراقها على بعض ومنه الكرسي الموضوع لهذه الهيئة المعروفة المصنوع لما يجلس عليه لتركب خشباته وقطعه ويقال للعلماء كراسي كما يقال لهم اوتاد الارض لان عليهم الاعتماد وبهم القوام في الدين والدنيا **اللمعة الثالثة** في تفسير لفظ الكرسي وغيره من الالفاظ التشبيهية اعلم ان للناس في هذا اللفظ وفي ساير متشابهات القران مسالك

في لفظ المسالك مختلفة

احدها منهج اهل اللغة واكثر الفقهاء وارباب الحديث والحنابلة والكرامية
وهو ابقاء الالفاظ على مدلولها الظاهرة ومفهومها الاول من غير مراعاة التنزيه
والتقديس في ذات الله تعالى وصفاته وثانيها منهج ارباب العقل والدقة
وهو تأويل الالفاظ على وجه يطابق قوانينهم النظرية ومقدماتهم العقلية حفظا على
تقديسه تعالى وتنزيهه عن صفات الامكان ونقايض الاكوان وثالثها منهج الراسخين
في العلم والايقان وهو ابقاء الالفاظ على مفهوماتها الاصلية من غير تصرف فيها لكن مع
تحقيق تلك المفهومات وتجريد معانيها عن الامور الزائدة وعدم الاحتجاب عن الروح
المعنى بسبب اعتياد النفس بهيئة مخصوصة تمثل في كثير المعنى بها غالبا مثلا لفظ
الميزان موضوع لما يوزن به الشيء مطلقا وهو امر كلي عقلي هو الحقيقة روح معناه
وما كان اكثره من غير ان يشترط فيه التخصيص بهيئة مخصوصة فكلما يقاس به شيء
باي خصوصية كانت حسية او عقلية يصدق انه ميزان فالمسطرة والشاقول و
الكونيا والاسطرلاب والذراع وعلم النحو والعروض والمنطق والعقل كلها
مقاييس وموازين بها تقاس وتوزن الاشياء ولكل منها وزان ما يناسبه
وتجانسه فالمسطرة ميزان الخطوط المستقيمة والشاقول ميزان الاعمدة على وجه الارض
والكونيا ميزان ما يوازي الافق من السطوح والاسطرلاب ميزان الارتفاعات
وغيرها والذراع ميزان كمية المقادير الخطية والنحو ميزان اعراب اللفظ وبنائها
على عادة العرب والعروض ميزان كمية الشعر والمنطق ميزان صحيح الفكر والعقل
ميزان الكل فالكامل العارف اذا سمع لفظ الميزان لا يحتجب عن معناه الحقيقي
بما يكثر احساسه ويتكرر مشاهدته من الامر الذي له كفتان وعمود ولسان بل ينزاح
في كل ما يسمع ويراه فانه ينتقل الى فحواه ويسافر الى روحه ومعناه وباطنه واخراه
ولا يتقيد بظاهره واولاه وصورته ودنياه واما المقيد بعالم الصورة فلجمود طبعه وجمود
ذهنه وسكون قلبه الى اول النشأة واخلاده علقة الى ارض الحواس ليس كل ان والايب
الفهوم ويطبش الى مبادي العقول ولا يسافر من مسقط راسه ومنبت جسمه وله
يهاجر من بلده الى الله ورسوله حذرا من ان يدركه الموت المزيل للصورة الحسية قبل
الوصول الى عالم المعنى وذلك لعدم وثوقه بما وعده الله ورسوله حقا وقله تدبره
في معنى قوله سبحانه فقد وقع اجره على الله والحاصل ان الحق الحقيق بالتصديق عند
اهل الله وارباب الحقيقة والتحقيق هو حمل الآيات والاحاديث على مفهوماتها
الاصلية من غير تاويل كما ذهب اليه محققوا اهل الحديث وعلماء الاصول والفقه
لكن لا على وجه يستلزم التشبيه والنقص والتجسيم في حقه تعالى وصفاته الالهية قال

احتباس من قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت حتى مد ظله العالي

[illegible]

بعض الفضلاء المعتقد اجراء الاخبار على مبانيها من غير تاويل ولا تعطيل
اولى من اراده من التاويل حمل الكلام على غير معناه الموضوع له والتعطيل
هو التوقف في قبول ذلك المعنى واكثرهم على ان لظواهر معاني القرآن والحديث
حق وصدق وان كانت لها مفهومات ومعان اخر غيرها هو الظاهر كما وقع في كلامه صلى
ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا كيف ولو لم تكن الآيات والاخبار محمولة على
ظواهرها ومفهوماتها الاولى من غير تشبيه وتجسيم لما كانت فائدة في نزولها وورودها
على الخلق كافة بل كان نزولها موجبا لتحير الخلق وضلالهم وهو ينافي الرحمة والحكمة

اللمعة الرابعة في نقل وجوه المعاني بحسب كل منهج

فمن المنهج الاول
انه جسم عظيم يسع السموات والارض من جهة الظرفية والاحاطة المقدارية ثم القائلون
بهذا المعنى اختلفوا ففرقة ذهبوا الى انه الكرسي هو نفس العرش وهما جسم واحد وبه قال
الحسن واستدلوا بان الله قد وصف العرش بقوله تعالى وله عرش عظيم وذكر في الملا
قبل ايكم يأتيني بعرشها وقد وصف بانه كرسي وحكى سليمان على كرسيه ويكون كل منهما يصلح
وفرقة منهم ذهبوا الى ان كل منهما غير الاخر ثم اختلفوا فمنهم من قال انه سرير دون العرش
وفوق السماء السابعة وقد روى ذلك عن ابي عبد الله رواه الشيخ الجليل ابو علي الطبرسي
طاب ثراه عنه عليه السلام مرفوعا في مجمع البيان وعزب عنه ما نقل عن عطاء انه قال ما السموات
والارض عند الكرسي الا كحلقة في فلاة وما الكرسي عند العرش الا كحلقة في فلاة وقال
اخرون انه تحت الارض وهو منقول عن السدي ومنهم من قال ان السموات والارض
جميعا على الكرسي والكرسي تحت الارض كالعرش فوق السماء وروى الاصبغ بن نباته
ان عليا عليه السلام قال السموات والارض وما فيهما في مخلوق في جوف الكرسي وله اربعة
املاك يحملونه باذن الله ملك منهم في صورة الادميين وهي اكرم الصور على الله
وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق لبني ادم والملك الثاني في صورة
الثور وهو سيد البهائم وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق للبهائم
والملك الثالث في صورة النسر وهو سيد الطيور وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب
الشفاعة والرزق للطيور والملك الرابع في صورة الاسد وهو سيد السباع وهو يدعو الله
ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع قال ولم يكن في جميع الصور صورة
احسن من الثور ولا اشد انتصابا منه حتى اتخذ الملا من بني اسرائيل العجل وعبدوه خفض
الملك الذي في صورة الثور راسه استحياء من الله ان اعبد من دون الله شيء يشبهه وتخوف
ان ينزل به العذاب واعلم ان هذا المنقول عنه عليه السلام حكمه حكم المتشابه من القرآن
في باب قصور الفهوم عنه وتحير العقول في دركه لانه كلام صدر عن معدن الولاية والتوحيد

كما وقع في الحديث

بحث در وصف او بود
نطق در تشبيه و خاشى

والعرفان لا يعرفه الا الراسخون في علم الاديان ومن اهل السنة من ذهب الى الفلك
الثامن وهو الكرسي والعرش هو مجموع الثمانية متعلق به نفس تحركه بالحركة السريعة
اليومية وبه قال العلامة الطوسي طاب ثراه وقال الفخر الرازي في الكبير اعلم
ان لفظ الكرسي ورد في هذه الاية وجاء في الاخبار الصحيحة انه جسم عظيم تحت العرش
وفوق السماء السابعة ولا امتناع في القول به فوجب القول به واما ما روي عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال موضع القدمين ومن البعيد ان يقول
ابن عباس موضع قدمي الله عز وجل وتقدس عن الجوارح والاعضاء والقواطع البرهانية
الدالة على نفي الجسمية فوجب رد هذه الرواية او حملها على ان الكرسي موضع قدمي الروح
الاعظم او ملك اخر عظيم القدر عند الله هذا الكلام وفيه موضع نظر علمي وهو انه كما يجب تنزيه
ذاته تعالى وصفاته عن وصمة التجسم وقبول الانقسام الموجب للانعدام فكذلك يجب تنزيه
فعله الخاص واهل القرب والمنزلة عنده فان انقسام اهل القرب يستلزم الانقسام
العلة المقتضية المفيضة اياه ولهذا حكموا بان الامر الثابت القار الذات كالطبيعة
لا يكون علة لامر متغير الذات غير قار كالحركة والا دخلة ضرب من التغير لئلا يلزم فقدان
المناسبة بين العلة واهل القرب فهكذا لا بد في صدور المتكثرات والمتغيرات والمنقسمات
من المبدا الاعلى الذي غاية الوحدة والبساطة والتجرد من متوسط روحاني غير جسماني
ليكون واسطة بين البارئ تعالى وعالم الاجرام بل بينه وبين عالم النفوس المتوسطة
وبين الروح الاعظم وعالم الاجرام واذا كان كذلك يكون اثبات الاعضاء مستحيلا عليه
كاستحالته على مبدعه ثم العجب تجويز ذلك عليه مع تسميته روحا اعظم فان الروحانية تنافي التجسم
ولا اقل من ان يكون الشيء ذا اعضاء متمايزة في الاوضاع متخالفة في الصفات على ان تسمية
الاطباء الجسم اللطيف البخاري المتشابه روحا انما على ضرب من التجوز او التشبيه البعيد او بحسب
اشتراك لفظ اللطافة على المعنى الذي يوجد في الجسم وهو رقة القوام او عدم الحجاب وبين
المعنى الذي يوجد في المجردات وهو عدم حجابها عن التعقل او نفوذ تاثيرها فما دونها على ان
اعظمية الروح تنادي بانتفاء كونه روحا حيوانيا ومن المنهج الشاكي امثال
تلك القرب الاول ما اختاره القفال وهو ان المقصود من هذا الكلام تصوير
عظمة الله وكبريائه وتقريره انه تعالى خاطب عباده في تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه
في ملوكهم وعظمائهم فمن ذلك انه جعل الكعبة بيتا له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت
ملوكهم وامر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر في الحجر الاسود
انه يمين الله في ارضه ثم جعل موضعا للتقبيل كما يقبل الناس ايدي ملوكهم وكذلك
ماذكر في محاسبة العباد يوم القيمة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع

الموازين فعلى هذا القياس اثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى ثم
وصف عرشه على الماء ثم قال وترى الملائكة حافين من حول العرش وقال ويحمل عرش
ربك فوقهم يومئذ ثمانية وقال الذين يحملون العرش ومن حوله ثم اثبت لنفسه
كرسيا فقال وسع كرسيه السموات والارض اذا عرفت هذا فنقول
كل ما جاء من الالفاظ الموهمة للتشبيه من العرش والكرسي فقد ورد مثلها بل اقوى منها في
الكعبة والطواف وتقبيل الحجر ولما توافقنا ههنا على ان المقصود تعريف عظمة الله وكبريائه
مع القطع بانه منزه عن ان يكون في الكعبة وكذا الكلام في العرش والكرسي انتهى كلام
القفال وقد استحسنه كثير من العلماء المفسرين وتلقاه بالقبول جم غفير من الفضلاء المعتبرين
منهم الزمخشري والرازي والنيشابوري والبيضاوي اما الزمخشري فحيث قال وما هو
الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثم ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق
قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصوير قبضة وطي
يمين وانما تخييل لعظم شانه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره انتهى
وهذا بعينه خلاصة كلام القفال واما الرازي فحيث قال بعد ما اشار الى ما ذكره وهذا جواب
متين واما النيشابوري فحيث قال المقصود من هذا الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه و
لا كرسي ثم ولا قعود ولا قاعد كما اختاره جمع من المحققين كالقفال والزمخشري و
قرروا انه تعالى خاطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته بكذا وكذا واخذ في ايراد العبارة
المنقولة عن القفال بعينها الى اخرها فعلم من ذلك كونه معتقدا لهذا الكلام حيث نقلها
من غير ان يسنده الى قائله ووصف المختارين له واراد بالمحققين واما القاضي فلقوله هذا
تصوير لعظمته وتمثيل مجرد ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد فقد علم ان هؤلاء الفضلاء المفسرين
البارعين في مذهبي الاشعرية والاعتزال كلهم اقتفوا اثر كلام القفال ورسوله
المبعوث لهداية الخلق ونجاتهم من الضلال من حمل هذه الالفاظ القرانية ونظائرها
المذكورة في الكتاب والسنة على مجرد التخييل والتمثيل من غير حقيقة دينية واصل ايماني بل
هو قرع باب السفسطة والتعطيل وسد باب الاهتداء والتحصيل فان الشرع ان تطرق
تجويز مثل هذه الاحتمالات التخيلات والتمثيلات من غير حقائق دينية ينسد باب الاعتقاد
بالمعاد الجسماني وعذاب القبر والصراط والحساب والميزان والجنان والنيران
والحور والغلمان وساير المواعيد الشرعية اذ يجوز لاحد على التقدير المذكور ان يحمل كلا
من تلك الامور على مجرد التمثيل من غير تحصيل حقيقة مخصوصة فكما جاز ان يحمل تعظيم العرش
والكرسي وحرمة بيت الله وتقبيل الحجر على مجرد التخييل والتخويف والارجاء والانذار
والترغيب والترهيب من غير اصل حقيقي محقق في الواقع فليجز مثل ذلك في الجنة والنار

حسي

وظني ان ما ذكره القفال هو المعروف
واستحسنه من اهل العلم والكمال مرجوح
عند المسترشد المتعالي صح

وما في محاسبة العباد يوم القيمة من
حضور الملائكة والنبيين والشهداء
ووضع الموازين صح

والرضوان والنعيم والزقوم والجحيم وبصله الحجيم بل الحق المعتمد ابقاء صور الظواهر
على هياتها واصلها الا لضرورة دينية او ترك الظواهر يؤدي الى مفاسد عظيمة او كان
الحمل على الظواهر مناقضا لاصول صحيحة دينية وعقايد حقة يقينية فينبغي للانسان ان يتوقف
فيها ويحيل علمه الى الله ورسوله والائمة المعصومين من الخلفاء الراسخين في العلم عليهم السلام
لقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم ثم يترصد الرحمة عند الله ويتعرض
لنفحات كرمه وجوده رجاء ان ياتي الله بالفتح او امر من عنده او يقضي الله امرا كان
مفعولا امتثالا لامره صلعم فيما روي عنه ان لله في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها
ثم ان الذوق الصحيح من الفطرة السليمة شاهد بان متشابهات القران ليس المراد بها
مقصورا على مجرد امور جسمانية يعرف كنهها كل احد من الاعراب والبدويين وعموم الخلق
وان كان قد تخلو من تلك الامور مما لكل احد منهم نصيب منها وليس المراد ايضا
مجرد تصوير وتمثيل يعلمه كل من له قوة التمييز في الانظار ويفهمه كل من يعرف بعلمه في الافكار
بحسب استعمال الصناعة المنطقية في الابحاث من غير مراجعة الى سلوك سبيل الله ومكاشفة
الاسرار ومعاينة الانوار والا لما كان لسعيهم باب المتشابه من القران وما يعلم تاويله
الا الله والراسخون في العلم ولما كان في القاصرين عن علم الدين يستنبطونه منهم ولما دعا رسول الله
صلى الله عليه واله في حق امير المومنين ع بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل ولما كان
علم التاويل امرا حاصلا بمجرد الذكاء الفطري والمكتسب بطريق القواعد العقلية المتداولة
بين العقلاء لما كان امرا خطيرا وخطبا عظيما حتى استدعاه رسول الله صلعم بالدعاء من
الله تعالى لاحب خلقه اليه وهو علي ع وما يدرك على الاسرار التنزيل والانزال احد شانا
مما يعلم بقوة تفكره مثل القفال وغيره من احاد المتكلمين واهل الاعتزال بما رواه
الشيخ الجليل ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني باسناده المتصل الى ابي بصير قال سمعت
ابا عبد الله جعفر ابن محمد عليهما السلام انه قال نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تاويله وفي
رواية اخرى عن عبد الرحمن بن كثير عن ابي عبد الله عليه السلام قال الراسخون في العلم امير المومنين
والائمة من بعده عليه السلام وعن ابي جعفر محمد ع برواية ابي بصير قال سمعت ابا جعفر ع
يقول في هذه الاية بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم فاوما بيده الى
صدره فقد تبين من هذه الامور ان فهم متشابهات القران لا يتيسر لاحد الا بالاقتباس انوار
الحكم من مشكوة النبوة والولاية واستضاءة اضواء المعرفة والهداية من جهة احكام احكام
التابعة المطلقة وتصفية الباطن بالعبودية التامة واقتفاء اثار الائمة الهادين وتتبع
انوار الائمة الى بيوت النبوة والولاية وابواب مدائن العلوم والهداية صلوات الله عليهم اجمعين
لينكشف على السالك شيء من انوار علوم الملائكة والنبيين ويخلص عن ظلمات تشويش اقاويل

المتفكرين والمناظرين وسنتبع انموذجا مما وصلنا اليه بنور المتابعة والاقتداء في هذا الباب
ليكون لك مقياسا يمكنك ان تنظر من تلقاه اضطرارا به الى اشياء من انوار عالم الاسرار
ان المراد من الكرسي العلم فمعنى الاية وسع علمه السموات
والارض عن ابن عباس ومجاهد روي هذا القول صاحب مجمع البيان الشيخ ابو علي
الطبرسي طاب ثراه مرفوعا عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما الصلوة والسلام وذلك لان
موضع العالم هو الكرسي فسمي صفة الشيء باسم مكان ذلك الشيء على سبيل المجاز ولان العلم
هو الامر المعتمد عليه والكرسي هو الشيء الذي يعتمد عليه فجهة الوحدة فى المشابهة بينهما هي الاعتماد
فاطلق الكرسي على العلم تسمية للشيء باسم ما يشابهه ومنه يقال للعلماء الكراسي كما يقال
لهم اوتاد الارض وهو معتقد كثير من علماء التفسير لكن المراد من
الكرسي السلطان والقدرة فيكون المعنى احاطة قدرته السموات والارض والملك تسمية
للشيء باسم محله ومكانه لان كلا من هذه المصادر قد يستعمل مبنيا للمفعول فيكون صفة له
ثم يقال الكرسي الالهية لا يحصل الا بالقدرة والخلق والايجاد والعرب يسمي الملك بالكرسي
لان الملك يجلس على الكرسي فسمي الملك باسم مكان الملك فهذا كله حاصل الاقوال
المنقولة عن العلماء النظار المتفكرين في كتاب الله بقوة الافكار السارين على احد المنهجين
بل نتايج الانظار ثم لا يخفى على من له تفقه في الوجه المقصود من الارسال والانزال لم يسلك
الظاهريين الكلين بلا ابقاء صور الالفاظ واوايل المفهومات اسهم طريقة الماديين
ما لم يحقق وابعد عن التحريف والتصحيف وذلك لان ما هو من اوايل المفهومات هي قوالب
الحقايق التي هي مراد الله ومراد رسوله صلعم واما التحقيق فهو مما يسمى في التفسير
عظم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير بل لعل الانسان لو انفق عمره في استكشاف
اسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لكان قليلا لانقطع عمره قبل استفاده
جميع لواحقه وما من كلمة من القران الا وتحقيقها يحوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للعلماء الراسخين
في العلم من اسراره واغواره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر
وتجردهم للطلب ويكون لكل عالم منهم حظ نقص او كمل ولكل مجتهد ذوق كثر او قل
فلهم درجات في الترقي الى اطواره واغواره واما الاستيفاء والوصول الى الاقصى فلا مطمع
لاحد فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار اقلاما فاسرار كلمات الله تعالى لا نهاية لها
فتنفد الابحر قبل ان تنفد كلمات الله فمن هذا الوجه تتفاوت العقول في الفهم بعد الاشتراك
في معرفة ظاهر التفسير الذي ذكره المفسرون وليس ما يحصل للراسخين في العلم من اسرار
من اسرار القران واغواره مناقضا لظواهر التفسير بل هو استكمال له ووصول
الى لبابه عن ظاهره فهذا ما نريده بفهم المعاني لا ما يناقض الظاهر كما ارتكبه القفال

وبعض غيرهم من المفسرين من اول الكرسي بمجرد تصوير عظمته وتخييل كبريائه وكذا
ما فعله غيره من تأويله الى مجرد القدرة والسلطان او الى العلم لان كلها مجازات
بعيدة لا يصار اليها الا بحسب نقل صريح عن الرسول صلى الله عليه وآله او عن الائمة المعصومين عليهم السلام
ثم لا ضابط الى ان يصار اليها الا بحسب المجازات والظنون والاوهام فلا بد للمفسر ان
لا يقول الا على نقل صريح او على مكاشفة تامة او وارد قلبي لا يمكن رده وتكذيبه
والاستبعاد به الشكوك كما بعث بقوم تراهم او ترى آثارهم الفكرية من هذه القرون
وهم القرون الخالية وشر القرون ما طوي فيه طريق الرياضة والمكاشفة والحجب
الذوق والتصفية وانسد طريق السلوك الى الملكوت الاعلى باقدام المعرفة والتقوى
وشاع الجهل والاصرار والرئاء والاستكبار وطلب الرياسة والشهرة عند الناس
والتقرب بالسلاطين والامراء في هذه الدنيا فان هذه توجب سخط الله وسخط الرسول
واولياء الله وتستلزم الاحتجاب عنه والحرمان عن الوصول اليه والاحتراق بنار
القطيعة والطرد والبعد عنه والعمى عن مشاهدة الانوار التي كاشفها المجردون
عن الاغراض النفسانية الهاربون عن الخلق وعاداتهم ورسومهم الدنية الى
الاقبال بشراشرهم الى الحق المتعرضون لنفحات الله في ايام دهرهم المنتظرون
لنزول رحمته على سرهم فهم في الحقيقة الواقفون على اسرار القرآن دون غيرهم
سواء كان من الظاهريين المتشبهين او من العقلاء المدققين فكلاهما معزولون عن فهم
آيات القرآن الا من الظاهريين او الى العرايس من المأولين لما اشير اليه
محرومون من مقاصده في قوالب المعاني القرآنية فقد ظهر وتبين لك ان لارباب الافكار
النظرية والافهام القرآنية ثلث مقامات فمن مفرط في رفع الظاهر كالقفال
وكثير من المعتزلة انتهى امرهم الى نفي جميع الظواهر في الخطابات التي تجري في الشرع
الحقة من منكر ونكير وميزان وحساب وصراط وفي مناظرات اهل النار و
اهل الجنة في قولهم افيضوا علينا من الماء وزعموا ان ذلك بلسان الحال ومن
غال في حسم باب العقل كالحنابلة اتباع احمد بن حنبل حتى منعوا تأويل قوله كن
فيكون وزعموا ان ذلك خطاب بحرف وصوت يتعلق بها السماع الظاهري يوجد من الله
تعالى في كل لحظة بعدد كل مكون حتى نقل عن بعض اصحابه انه قد حسم باب التأويل الا لثلثة الفاظ
قوله صلى الحجر الاسود يمين الله في الارض وقوله قلب المؤمن ٧ اخذ في الاعتذار عنه ابن عز
في الحج المنع من التأويل رعاية لاصلاح الخلق وحسم الباب للوقوع في الرخص و
الخروج عن الضبط فانه اذا فتح باب التأويل ووقع الخلق في الخرق والعمل بالرأي
خرج الامر عن الضبط وتجاوز الناس عن حد الاقتصاد وقال الغزالي ولا بأس بهذا الزجر

بين اصبعين من اصابع الرحمن وقوله
اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن
عند العلماء ... صح صح

ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون اقروها كما جاءت حتى قال مالك لما سئل عن
الاستواء الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهب
طائفة الى الاقتصاد في باب التأويل لكنهم فتحوا باب التأويل في المبدأ وسدوه في المعاد
فأولوا اكثر ما يتعلق بصفات الله من الرحمة والعلو والعظمة وغيرها وتركوا ما يتعلق بالآخرة
على ظواهرها ومنعوا التأويل فيها وهم الاشعرية اصحاب ابي الحسن الاشعري وزاد المعتزلة عليهم
حتى اولوا من صفاته تعالى ما لم يأوله الاشاعرة فاولوا السمع الى مطلق العلم بالمسموعات والبصر
الى العلم بالمبصرات واولوا المعراج وزعموا انه لم يكن بجسده واولوا عذاب القبر والميزان
والصراط وجملة من احكام الآخرة ولكن اقروا بحشر الاجساد وبالجنة واشتمالها على المأكولات
والمشروبات والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس يحرق
الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقيهم الى هذا الحد زاد المتفلسفون والطبيعيون والاطباء فاولوا
كل ما ورد في الآخرة وردوه الى آلام عقلية روحانية ولذات عقلية روحانية وانكروا حشر
الاجساد وقالوا ببقاء النفوس مفارقة اما معذبة بعذاب اليم واما منعمة
بنعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم المسرفون عن حد الاقتصاد وحد الاقتصاد
بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا
الراسخون في العلم والحكمة والمكاشفون الذين يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع
الحديثي ولا بالفكر البحثي اقول وكما ان اقتصاد الفلك في طرف التضاد
ليس من قبيل اقتصاد الماء الفاتر الواقع في حيز الحرارة والبرودة بل المتنزه منهما
فكذا اقتصاد الراسخين في العلم ليس كاقتصاد الاشعرية لانه ممتزج من التأويل في البعض
والتشبيه في البعض واما اقتصاد هؤلاء فهو ارفع من القسمين واعلى من جنس الطرفين
حيث انكشف لهم بنور المتابعة اسرار الامور على ما هي عليها من جانب الله بنور قذف في قلوبهم
وشرح به صدورهم ولم ينظروا الى هذه الامور من السماع المجرد ونقل الالفاظ من الرواة
ليقع بينهم الاختلاف من هنا واما الذي تحير فيه النفوس فلا يستقر بها قدم ولا ينكشف
الان تكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في الاعتقاد فيه يحتاج الى استيناف سلوك آخر ونمط
قدسي وانقطاع عن الرسوم وتوجه تام الى الحي القيوم **واما الانموذج**
الذي وعدناك ذكره في طريقة العلماء الراسخين الذين يعلمون بعد الله ورسوله متشابهات القرآن
غيرهم فهو ما اذكر مثالا او لمعة منه انشاء الله لاني اراك عاجزا عن دركه قاصرا عن فهم
سره وحقيقته فانه نبأ عظيم وانتم عنه معرضون بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم
تأويله ومع ذلك **فاعلم** ان معظم الدين والديانة لمن لا يأول المسميات
من الاعيان التي نطق بها القرآن والحديث الا بصورها وهيئاتها التي جاءت

بانكشافها بظاهرها الذي جاء الوحي النبي والائمة سلام الله عليهم ومشايخ المجتهدين رضوان الله
عليهم اجمعين اللهم الا لمن يكون ممن قد خصه الله بكشف الحقائق والدقائق والاسرار
واشارات التنزيل وتحقيق التاويل فاذا كوشف بمعنى خاص او اشارة وتحقق تقرر
ذلك المعنى من غير ان تبطل صورة الاعيان لان ذلك من شرايط المكاشفة اذ قد
مر ان الالفاظ القران يجب حملها على المعاني الحقيقة لا على المجازات والاستعارات
البعيدة وكذا ما ورد في الشرع الانور من لفظ الجنة والنار والميزان والصراط والحوض
الحشر والحور والقصور والانهار والاشجار والثمار وغيرها من العرش والكرسي والشمس
والقمر والليل والنهار فيؤولها ويحملها على مجرد المعنى ويبطل صورته كما هو
باب الاعيان المعاداة كثير من العقلاء المحجوبين بعقلهم وفطانتهم البتراء التي هي بالبلاهة
ادنى الخلاص منها بل يثبت تلك الاعيان كما جاء ويفهم منها حقايقها ومعانيها فانه تعالى
ما خلق شيئا في عالم الصورة الا وله نظير في عالم المعنى وما خلق شيئا في عالم المعنى وهو الاخرة
الا وله حقيقة في عالم الحق المحض وهو غيب الغيب اذ العوالم متطابقة الادنى مثال الاعلى
والاعلى حقيقة الادنى وهكذا الى حقيقة الحقائق فجميع ما في هذا العالم امثلة وقوالب لما في
عالم الاخرة وما في الاخرة هي مثل واشباح للحقائق والاعيان الثابتة التي هي مظاهر اسماء
الله تعالى ثم ما خلق في العالمين شيئا الا وله مثال وانموذج في عالم الانسان فلنكشف
بيان حقيقة العرش وحقيقة الكرسي لتنال كل واحد منهما في عالمنا او لتعلم واعلم
ان مثال العرش في ظاهر عالم الانسان قلبه وفي باطنه النفس وفي باطنه هو نفس الناطقة
اذ هو محل استواء الروح الذي هو جوهر قدسي علوي خليفة الله في هذا العالم الصغير
ومثال الكرسي في الظاهر هو صدره وفي الباطن روح الطبيعي الذي هو مستوى النفس
الحيوانية التي وسعت سموات القوى الطبيعية السبعة وهي الغاذية والنامية والمولدة
الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة وارض قالبه الجسد كما وسع الصدر محال الاعضاء
من الاعصاب والرباطات وغيرها ثم العجب كل العجب ان العرش
مع عظمته واضافته الى الرحمن بكونه مستوى له بالنسبة الى وسعة قلب العبد المؤمن
قيل انه كحلقة ملقاة في فلاة بين السماء والارض وقد ورد في الحديث الالهي لا يسعني
ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن وقال ابو يزيد البسطامي
لو ان العرش وما حواه وقع في زاوية من زوايا قلب العارف ابي يزيد لما احس
فاذا علمت هذا المثال وتحققت العرض على هذا المنوال فاجعله دستورا الى تحقيق
الحقايق في هذا الباب يفتح لك جميع الامثلة الواردة على لسان النبوات فاذا
بلغك مثلا عن رسول الله صلعم ان المؤمن في قبره روضة خضراء ويرحب له قبره سبعين

ذراعا وينفسح ويكون كالقمر ليلة البدر وسمعت في الحديث عنه صلعم انه قال في عذاب
الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا لكل تنين اي حية تسعة رؤوس ينهشونه
ويلحسونه وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون فلا تتوقف في الايمان به صريحا من غير تاويل ولا
حمله على المجاز والاستعارة لكن انت احد رجلين اما ان تكون من ينظر الى ما ورد في الكتاب
والحديث من غير تصرف وتاويل او العارف الراسخ في تحقيق الحقائق والمعاني مع مراعاة
جانب الظواهر وصور المباني كما شاهده ارباب البصائر ببصيرة اصح من البصر الظاهر
ولا تكن الثالث بان تنكر ما في الشرع الحق وما ورد فيها رأسا وتقول انها كلها خيالات
سوفسطائية وتوهمات وخدع عامية نعوذ بالله ورسوله من مثل هذه الزندقة الفاحشة
ولا الرابع بان لا تنكرها رأسا ولكن تاولها بفطانتك البتراء وتصرفها بحكم لا الاعيان
على الفلسفة ومفهومات كلها عامية فان هذا في الحقيقة ابطال الشريعة لان بناء الشرائع
على امور يشاهدها الانبياء مشاهدة حقيقية لم يكن لغيرهم الا من يتابعهم ولم يكن
منشأ ذلك غاية القوة الباطنية العقلية فان كنت من قبيل الرجل الاول فقد امسكت
بنوع من النجاة لكن لا قيمة لك في الاخرة الا بقدر همتك في الدنيا والمقدار لك في عالم المعنى
الاعلى مثل علمك بحقائق الجنة واذا لا علم فلا رتبة هناك لان كان ذلك العالم هو عالم
الحيوان وقوامه بالنبات الحقة والعلوم الباقية كالعلم اليقيني بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر من غير العلم الحق جسد بلا روح ولفظ بلا معنى ومع ذلك فالنجاة
فوق الهلاك وذلك انه بشرط سلامة الفطرة عما يغيرها من الاعراض النفسانية
وبشرط ان لا تكون همتك استعداد النجاة من غير درجة العوام والا فيكون من تقصيرك
فيما له سعيه بقدر استعدادك وشكرك عما تطلبه بلسان قابليتك لمرادك من جنابك
محفظ الباري في اخراك ومعادك وباعثا لجزائك بانقطاعك عن مقتضاك ومناك
وعلى اي الحالين فليس لك نصيب من القران الا قشوره كما ليس للبهايم نصيب من البر الا قشره
الذي هو هو التبن والقران غذاء الخلق كلهم على اختلاف اصنافهم ولكن اغتذائهم
به على قدر رتبتهم على قدر درجاتهم وفي كل غذاء مخ ونخالة وتبن وحرص الحمار على التبن اشد
منه على الخبز المتخذ من اللب وانت ونظراءك من شديد الحرص الا لا تفارق درجة
البهايم ولا ترتقي الى الدرجة الانسانية عن الملكية فذلكم والانسان في رياض
القران ففيه متاع لكم ولانعامكم وان كنت من الرجل الثاني فبث رسوخ
قدمك في تحقيق الدين وكشف الحق واليقين وانزعاجك عن درجة الناقصين
وتجاوزك عن مقام الظن والتخمين تشرفك ان تعرف عرفانا كشفيا وعلما ذوقيا
لم التنين الذي اشار اليه الرسول صلى الله عليه واله في الحديث المذكور ليس مجرد

اطوي

فضلا

الا البسطامي

كذلك كثير من الذين من قبلهم يلبسوا الحق بالباطل كبعض كان عليه كثير من العلماء ... من اعلم المفسرين ... ممن لا يعلمون ... ومنهم من ينظر ... لا يعقلون ... العرش ... منه دام ظله العالي

كونه بلا اصل ومحض تخييل لا حقيقة كما يفعله المتفلسفون فان كلام الله وكلام رسوله
اعظم واجل من ان يحمل على مثل هذا المعنى الذي حمل عليه بعض المتفلسفين المتقلسفين
ولتنزه عن المزاح والعبث والخرافات كلها ممنوعة عند ذوى الجد حتى قال الشيخ رحمه الله الوقت
كله جد لا يحتمل المزاح فكيف في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وهو بالهزل نعوذ بالله ان
اكون من الجاهلين بل معنى الحديث النبوي عليه السلام انما هو تفسير وشرح لقوله تعالى انما هي
اعمالكم ترد عليكم وقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من سوء محضرا بل هو قوله سبحانه
كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين اى ان الجحيم باطنكم فاطلبوها بعلم اليقين
بل هو من قوله تعالى يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ولم يقل انها ستحيط
بل قال هي محيطة بالكافرين وقوله تعالى انا اعتدنا للظالمين نارا احاط
بهم سرادقها ولم يقل تحيط بهم وهو معنى قول من قال ان الجنة والنار مخلوقتان وقد
انطلق به لسانه بالحق ولعله لا يطلع على سر ما هو قوله فان لم تفهم معاني القرآن كذلك
فليس لك نصيب من القرآن الا في قشوره كما ليس للبهيمة نصيب من البر الا في قشوره
الذي هو التبن فيكون من قبيل الشخص الاول وهو خرق الفرض فمن فهم فقد فاز
ان هذا التنين موجود في الخلائق الا انه ليس خارجا عن ذات الميت بل كان
معه قبل موته لكنه ليس لم يحس بلدغه لخدر كان فيه لغلبة الشهوات فاحس بلدغه
بعد موته وكشف غطاء حيوته الطبيعية بقدر عدد اخلاقه الذميمة وشهواته لمتاع الدنيا
واصل هذا التنين حب الدنيا ويتشعب عنه رؤس بعدد ما يتشعب كل من المهلكات عن
حب الدنيا من الحسد والحقد والعداوة والبغضاء والكبر والرياء والشره والمكر
والخداع وحب الجاه والمال والنساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث وغير ذلك واصل ذلك التنين معلوم لذوي البصائر
وكذا كثرة رؤسه اما انحصار عدده في تسعة وتسعين انما يقع الاطلاع عليه لهم بنور
النبوة والاتباع فهذا التنين متمكن من صميم فؤاد الكافر المنكر للدين لا بمجرد جهله بالله
وكفره بل بما يدعو اليه اى الكفر والجهل كما قال الله تعالى ذلك بانهم استحبوا
الحيوة الدنيا على الاخرة فكل ما يدعو اليه الجهل بالله وملائكته المقدسين وانبيائه المرسلين
صلوات الله عليهم من محبة الامور الباطلة الزائلة فهو بالحقيقة والمعنى تنين يلسع ويلدغ في
اولاه واخراه سواء كان على صورة مخصوصة كما في عالم القبر بعد الموت او لم يكن كما
في عالم الدنيا قبل الموت وعند عدم تمثل هذا الامر اللادغ اللاسع على صورة ما به
لا يعوزه شيء من حقيقة التنين ومعنى لفظه بالحقيقة اذ اللفظ موضوع للمعنى الحقيقي والخصوصيات
الصور خارجة عن موضع اللفظ وان كان اعتقاد الناس ممن لا يميزه بعض الخصوصيات
اعتقادهم

الرابع

يحملهم على الاقتصار عليه والحكم بان ما سواه مجاز كما في لفظ الميزان على ما نقرر في
مثل هذا التنين للفاسق الخارج عن الدين في عالم البرزخ حتى يشاهده ويكشف عليه صورته
وكسوته لكن لا على وجه يمكن لغيره ممن يحضر في هذا العالم مشاهدة تلك الصورة وسائر
الصور الاخروية وبهذا اندفع انكار المنكر لعذاب القبر اذ يقول اني نظرت في قبر ... فما
رايت شيئا مما ورد من عذاب القبر وذلك لانه في عالم الشهادة ولا بد لمشاهدة عالم
الغيب من الخروج عن غشاوة هذا العالم وغباره نعم الفاسق قد ينام فيتمثل له حالة
في المنام فربما يرى صورة حية تلدغ صميم فؤاده لانه بعد قليلا عن عالم الشهادة فيتمثل
له حقائق الاشياء تمثلا محاكيا للحقيقة متكشفا له من عالم الملكوت والموت ابلغ في
الكشف من النوم لانه اقطع لنوازع الحس والخيال وابلغ في تجريد جوهر الروح عن غشاوة
هذا العالم فلذلك يكون ذلك التمثل تاما محققا دائما لا يزول فانه نوم لا تنبه منه فكان
المستغرق الذي يحسب النائم انه كان لا يشاهد الحية التي تلدغ النائم فذلك غير مانع من وجود
الحية في حقه وحصول الالم به في نفسه فكذلك الحاضر في قبر الميت لا يقاس الا حال
التي يشاهدها في قبره الحقيقي وهذا المسلك التحقيقي في فهم متشابهات القرآن والحديث
وهو مسلك شريف قد ذكره بعض علماء الاسلام كالغزالي في كتبه الا انه بيانه بوجه حكمي برهاني
وتصحيحه باوضاع ومقدمات علمية قطعية تطابق عليها العقل والنقل وتقويه بدفع شبه واغاليط
وهمية ووساوس شيطانية على النظم القياسي المؤلف من مواد حقة صحيحة وصور مستقيمة لازمة الانتاج غير
عقيمة الازدواج موكول الى بعض كتبنا العرفانية المبسوطة المتكفلة لبيان الاصول الحقة
الايمانية على مبلغ القوة والطاقة والله ولي الافاضة والالهام

زيادة كشف وتبيين

بل نقول ما من شيء الا في هذا العالم الا وهو مثال لامر روحاني من عالم الملكوت كانه روحه
ومعناه وليس هو هو في صورته وقالبه والمثال الجسماني مرقاة الى المعنى الروحاني
ولذلك كانت الدنيا منزلا من منازل الطريق الى الله وسبيل الترقي الى عالم الاخرة
الى مثال عالم الدنيا اذ لولا ... الاولى فلولا تذكرون فقد حصل فقد علما والقرآن
والاخبار مشحونة بذكر الامثلة من هذا الجنس الذي مر ذكره فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم قلب
المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فان روح الاصبع القدرة على سرعة التقلب وانما
يكون قلب المؤمن بين لمة الملك ولمة الشيطان هذا يغويه وهذا يهديه والله سبحانه
يقلب قلوب العباد كما تقلب انت الاشياء باصبعك فانظر كيف شارك نسبة الملكين المسخرين الى
الله تعالى اصبعك في روح الاصبعية وخالف في الصورة واستخرج من هذا ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم ان الله خلق
ادم على صورته فهما عرفت معنى الاصبع امكنك الترقي الى القلم واليد واليمين والوجه والصورة
وصورة جميعها حقائق غير جسمانية متمثلة بامثلة جسمانية فتعلم ان روح القلم وحقيقته التي لا بد من ذكره

اصبعك

اذا ذكر حد القلم هو الذي يكتب به فان كان في الوجود شيء يسطر بواسطته نقوش
العلوم في الواح القلوب فاحرى به ان يكون هو القلم فان الله علم بالقلم علم الانسان ما لم
يعلم وهذا هو القلم الروحاني اذ وجد فيه روح القلم وحقيقته ولم يعوزه الا قالبه وصورته وكون صورته من
المادة كاسر غير داخل في حقيقة الشيء ولذلك لا يوجد في حده الحقيقي اذ لكل شيء حد
وحقيقة وهي روحه فاذا اهتديت الى الارواح صرت روحانيا وفتحت لك ابواب
عالم الملكوت واهلت لمرافقة الملأ الاعلى وحسن اولئك رفيقا ولا يستبعد ان يكون
في القرآن اشارات من هذا الجنس فان كنت لا تقوى على احتمال ما يقرع سمعك من هذا النمط
ما لم تسند التفسير الى قتادة او مجاهد او السدي فالتقليد غالب عليك ولكن انظر الى
مع المستبصر ومع ذلك فانظر الى معنى قوله تعالى على ما ذكره المفسرون انزل من السماء ماء فسالت
اودية بقدرها الآية وانه كيف مثل العلم بالماء والقلوب بالاودية والينابيع والضلال
بالزبد ثم نبهك في آخرها فقال كذلك يضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون
كل ما لا يحتمله فهمك فان القرآن يلقيه اليك على الوجه الذي لو كنت في النوم مطالعا بروحك
اللوح المحفوظ لتمثل لك ذلك بمثال مناسب يحتاج الى التعبير ولذلك قيل ان التأويل يجري
مجرى التعبير ومدار نظر المفسر على القشر ونسبة المفسر الى العارف المحقق المستبصر كنسبة
من ترجم معنى الخاتم والفروج والافواه من مثال المؤذن الذي كان يرى في المنام ان في يده خاتما
يختم به فروج النساء وافواه الرجال الى ابن سيرين انه اذن قبل الصبح فان قلت لم ابرزت هذه
الحقائق في هذه الامثلة ولم يكشف صريحا كحالة النائم وصلاح التمثيل
فاعلم ان الناس نيام في هذا العالم والنائم لم ينكشف له غيب من اللوح المحفوظ الا
بالمثال دون الكشف الصريح وذلك مما يعرفه من عرف العلاقة التي بين عالم الملك
والملكوت فاذا عرفت ذلك عرفت انك في هذا العالم نائم وان كنت مستيقظا عارفا فان الناس
نيام فاذا ماتوا انتبهوا فينكشف لهم عند الانتباه بالموت حقائق ما سمعوه بالمثال وارواحها
ويعلمون ان تلك الامثال كانت قشورا واصدافا لتلك الارواح ويتيقنون صدق آيات
القرآن وصدق قول الرسول والائمة الهداة كما تيقن ذلك المؤذن صدق قول ابن سيرين
وصحة تعبيره لرؤياه وكل ذلك ينكشف عند الانتقال بالموت ويعرف كل هذا تأويل رؤياه
كما قيل في الفرس خواب نوشتي بدانش حرش جدا نيست كابن سيرين قضا و
زند در تاويل و حسنه ثوبت الجاحد والغافل بالنفاق اطعنا الله واطعنا الرسولا
ويعمل غير الذي كنا نعمل يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يا ليتني كنت ترابا يا حسرتا على ما فرطت
في جنب الله الى غير ذلك من الآيات المتعلقة بشرح المعاد والآخرة فافهم وتحقق بهذا
انك لما كنت نائما في هذه الحيوة الدنيا وانما تعقبك بعد الموت عند ذلك بصيرا

بالمشاهدة صريح الحق كما قيل لا تكمل الحقائق الا مصورة في قالب الامثال
الخيالية ثم لا تحوم نظرك على الحس نظر انه لا تحضه الا المتخيل وتعقل عن الحقيقة والسر كما عقل عن
روح فلكك والاسرار الا قالبك ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

المقالة العاشرة في قوله سبحانه ولا يؤوده حفظهما وفيه فوايد

وهو العلي العظيم الاولى في اللغة

لا يؤوده اي لا يثقله ولا يشق عليه تعالى آده يؤوده اودا اذا اثقله واجهده و
اودت العود اودا اذا اعتمدت عليه بالثقل حتى انثنى واوده فتأود تعوجه
فانعاج فالاود والاوداء على وزن الاعوج والعوجاء والمعنى واحد والجمع الاود كالعوج
والمعنى لا يثقله ولا يتعبه حفظ السموات والارض **الثانية في النظم**
لما عظم الله تعالى امر السماء وما فيها والارض وما فيها سابقا بالنسب واضاف ما في
كل منهما اليه ملكا وسلطانا ثم عظم امر الكرسي بانه وسع السموات والارض اذ كان هذا
الكرسي بطبيعته الجسمية المحددة للامكنة والازمنة محيطا بما هو داخل تحت المحدد احاطة الظرف
بالمظروف محددا كما ان لكل مكان المحاط عليه ام لا بل لا تتعين للمحاط عليه مكان
او حيز او وضع او ما شئت فتتمة الحسب طبيعته الجسمية بخصوصها فكذلك حقيقته العقلية النفسية
وروحه وقلبه الذي هو مستوى الرحمن مؤثرة في ... من النفوس والطبائع الفلكية
والعنصرية وملكوت العالم السفلي من الجماد والنبات والحيوان ولذلك يقسم الارزاق
والآجال من هناك ومن تقع الدعوات لطلب الحاجات الى ذاكر فاراد ان يشير الى
ان ذلك لا يشق عليه ولا يثقله فقال ولا يؤوده حفظهما اي لا يتعب الكرسي ولا يشق
على ظاهر حقيقته وباطنه عليه حفظ اجسام السموات والارض وحفظ نفوسها وطبايعها و
صورها المدبرة ان الضمير راجعا الى الكرسي ولا يتعبه تعالى حفظهما بالكرسي على الوجه المذكور
ان يكون الضمير راجعا الى الله سبحانه كما لا يؤود الروح الانساني حفظ امر السموات والارض
ومعانيها التي اودعها الله في السر الانساني بقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها وتحقيق هذا المطلب
يحتاج الى مزيد تقرير لتظهر الحق بالبرهان كيفية دوام الحكمة ودوام عليه الفياضة من عرفت
ذلك واوده كلال وهذا هو الذي وعدتك انفا فاسمع **الفائدة الثالثة**
ان الحق تعالى اسماء وصفات ولكل منها تجلي ومظاهر في كل من العوالم من احصاها اي عرفها
وعرف لوازمها وآثارها وبداياتها وغاياتها دخل الجنة وهي الكمال العلمي العرفاني اي العلم بحقائق
الاشياء كما هي عليها الموصل لمشاهدة المثل العقلية والاشباح الخيالية الموجودة ان شاء الله خزائن
العقل ومرقى السبع ... عالم الجبروت من الملائكة والعقلية بجملة عددها الكثيرة وضروبها التي لا يحيط
بها غير الله هو عالم قدرته تعالى ومظهر جبارته وستر الجبار كذلك عالم الكرسي بجملة ما فيه من ملكوت السموات

والارض عالم رحموته ومظهر رحمانيته ومستوى اسم الرحمن اذ رحمته وسعت السموات والارض فالكرسي
صورة رحمانيته اذ به عطف على الخلائق وبها يعطف بعضها بعضا بالترتيب الحكمي والنظم السببي
والمسببي فلكل سبب خاص عطوفة ورحمة على مسببه بايجاده وادامته وحفظه واذ قد تم علم
لمن العلة الفاعلية تحت الشعور على ضربين احدهما الفاعل الذي يحتاج في فاعليته الى حركة وآلة وقابل
كالكاتب والبناء ومثل هذا الفاعل يعالج من عرف الاتعاب المعدد المحرك ومعنى العمل بالعرض
وثانيهما الفاعل الذي لا يحتاج الى حركة وآلة جسمانية وقابل وهو الفاعل من عرفهم واذ تلك
نفس الفاعل بالحقيقة الا ما هو بري بكلية عن جهة الامكان وما هو الا الواحد الحق كما مرت
الاشارة اليه فالفاعل بالمعنى الاول يتعلق بالمادة الجسمانية وحركة عند تحريكه
يلحقه لا محالة كلال واعياء ودثور وفتار لان تلحق الجسمانيات متشابهة الاتصالات الذوات
متشابهة القوى والانفعالات لانها متشابهة الامتدادات والاتصالات فيصحبها الكلال
او لانه الزوال ثانيا وقد صرح بعض الحكماء بان الفاعل الجسماني فانه في الحقيقة فعله بمباشرته
اياه واما القوى الفعالة المقدسة عن شوب الانفعال المادي المرتفعة عن حضيض عالم السفلى
فهي مسلوبة السعي عن حالها ممتنعة التجدد في فعالها [illegible] الذات عن لحوق سعي عارض توجب
كلالها وملالها او مضادة مفسدة بفيض فسادها وردها الها فهي وسائط فيض الحق وروابط
جوده ومكنز جهات رحمته ومعالي شئون فضل جوده فهي في الحقيقة عباد الرحمن المؤتمرون
بامره المنزجرون بنهيه وزجره كما وصفهم الله تعالى بقوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون بخلاف الفاعل بالمعنى الاول فانه لو وقع في عالم الاضداد وتصادم
صور المواد ربما يعوق عن فعله المقصود لمانع ويقطع عن طريقه المقصود اليه بقاطع ولئن
اردت زيادة التوضيح فقد اودع الله تعالى في نفسك هذين الضربين من التاثير اي
الابداع والتحريك وهو انسب بالاحداث ايضا لكن الحدوث يعرض للحركة بالذات ولما
يقترن بالعرض فالابداع ايجاد شيء لا عن شيء ومثاله منك تصورك للاشياء وتوهمك المصورة
ومشوقها بان يدرك في عالمك الخاص على وجه يكون وجودها لك نفس مشاهدتك اياها
والاحداث هو جعل الشيء شيئا ومثاله منك تكلمك وكتابتك بالالات واسباب طبيعية
او غيرها ففي الضرب الاول لا يعرف منك شيء الا مجرد الالتفات والعناية ومن التاثير
منك المادة والآلة والزمان والقوة شيئا فشيئا فيحصل منه المعقول تدريجا ويكمل عند
انقضاء الحركة والزمان وبها مقدار خروج المادة الى الفعل وتوجه القوة والآلة الى الكمال
تقربا الى المبدا الفعال فاذا علمت هذين الضربين من الفاعلية وخصوصية كل منهما واستتاره
عن صاحبه بخواص ولوازم ظهر لك ان التعب والمشقة والاودة لا تعرض الا لفاعل
جسماني لا يفعل الا بان يتحرك من حال الى حال ويكون فاعليته على سبيل المباشرة واما الذي

يكون فاعليته بحيث اذا اراد ان يقول له كن فيكون اي يكفي مجرد ارادة الفعل مقتضيا
لحصوله من غير امر زايد يكون متوسطا بينه وبين فعله كايجاده تعالى عالم الامر او يكون الوسط
حاصلا بامره من غير مدخلية مادة واستعداد وحركة كايجاده لجواهر السموات والارض
بتوسط امره او مع مدخليتها كايجاده الحوادث الفلكية والارضية بايجاده الاسباب وافاضته
الاستعدادات والحركات من غير تعرفه تعالى [illegible] واشار بقوله تعالى ولا يؤده حفظهما اي لا يتعبه
ادامة جواهر ما في السموات وما في الارض هذا اذا كان الضمير المفعول كناية عنه تعالى واما
اذا كان راجعا الى الكرسي فالحكم بعدم عروض التعب والمشقة بالنسبة للكرسي بالحقيقة وذلك
من وسائل جوده تعالى وربانيته لجهات كرمه ورحمانيته التي لا تبيد ولا تنقص بل انما
يلحق له ضعف وتعب واذا لم يحصل له فاستحال حصوله للحق تعالى بالطريق الاولى ويحكم بان كل ما هو
علة للشيء بالحقيقة والذات لا بحسب القسر للاعداد والاستعداد فيكون المعلول من توابع ذاته
ورشحات وجوده بمنزلة الظل للشخص فكما لا شوب لا يشغل وجود الظل عن الشخص واستتباعه
اياه فكذلك الحكم بالعلل [illegible] هو علة بالذات ومنه الاسباب التي يظن الناس انها علل
انما يؤدي وجودها ما نسب اليها لانها ليست عللا بالحقيقة بل بحسب المجاز وما هو علة بالحقيقة
الفتور في ما نشره [illegible] الا الذي يكون بحسب امرا ما قاصرا ضعيف الوجود فاعتبر
بالكتابة الصادرة من الكاتب فان جوهر الانسان كاتب بالعرض لا بالذات ولهذا يلحقه
التعب والملال واما الكاتب بالحقيقة [illegible] وهو امر مركب من جوهر الانسان وامور اخر
بعضها نفسانية وبعضها طبيعية وبعضها خارجية من الالة والحركة والقابل وغيرها فلا
يحصل التعب لمجموع الا من جهة تصادم وقع بين اجزائه وتعارض قد حصل في العضو
الواحد بين مقتضى الطبيعة ومقصود الارادة فان مقتضى الطبيعة التي في العضو الثقل الميل الى
مركز العالم ومقصود الارادة الحركة الى جهات مختلفة فيحصل له الاعياء فيمل الانسان
من الكتابة قبل ان يحصل بها الاكتفاء وعنها الغناء واما الامور التي تجري مجرى المصورات
المحضة والتمثلات تحصل لنا من الانسان لا تشق عليه لانها انما صدرت منه بجهة واحدة
فاعلية ذاتية من غير تعارض الجهتين فيكون هناك [illegible] التصور والارادة الشوقية نفس
الحصول في صقع من النفس فمن هذا السبيل يجب ان تعتقد فاعليته تعالى للاشياء وفاعلية عالم
ملائكة المقربين وملائكة المقربين [illegible] وملائكة المدبرين عن صدور الموجودات
عنه تعالى كلما كانت اوحدية روحانية كانت اوجه [illegible] بفعل اماما كما حقق في موضعه
وكذا فاعليته [illegible] عالم جبروته وصقع ملكوته ثم اعتقد فاعليته تعالى على هذا الوجه
واعلى منه ارفع من التجسم في حق الموجب للعذاب الاليم المقالة الحادي عشر في
قوله سبحانه وهو العلي العظيم وفيه لطائف الاولى في كيفية نظم

وهو انه سبحانه بعد ما اثبت واظهر مخلوقاته من العرش والكرسي علوا في المرتبة والعظم في
الخلقة واظهار الكمال القدرة والحكمة تردّى برداء الكبرياء في العز والعلاء واتزر
بازار العظمة في الرفعة والسناء وهو اولى واحق بالمدح والثناء فقال سبحانه وهو
العلي العظيم اي له العلو في الشان والعظمة والسلطان فمن علا في الاخرة فباعلائه
فقد علا ومن عظم في الدنيا فبتعظيمه فقد عظم واستولى فسبحان ربنا العظيم وسبحان ربنا الاعلى

اللطيفة الثانية اعلم ان علو الحق وعظمته صفتان اضافيتان تابعتان
له تعالى بالقياس الى اعتقاد العبد قصوره واثباته الوجود لغيره تعالى والانس لما سواه وجود
في جنب وجوده حتى يتصف بالعلو القياسي الى غيره تعالى الانسان متصور بقوته الوهمية
لغيره وجودا مستقلا وبواسطة وجوده الموهوم يتوهم ويعتقد للعالم وافراده وجودا مستقلا
يقيس اليها وجود الحق فيصفه بالعلو والعظمة تقديرا فيظهر له قصور وجوده وضعفه و
قصور الوجودات الامكانية وضعفها ويزيد في نظره علو الحق وعظمته ولهذا اختفى
قبل ظهور الانسان بسبب خفاء الحق في هذا العالم بقدر انكساره وافتقاره ودثوره
وفنائه ويظهر له وجود الحق وبقائه وعلوه وكبريائه وعلى هذا ان هذا العالم عالم
الخيال ترى فيها الاشياء على وجه الانعكاس والانتكاس فترى المتبوع بالعلو
التابع متبوعا والمستور ظاهرا والظاهر مستورا بل الموجود معدوما والمعدوم موجودا
فالحق موجود والخلق مفقود وفي الخيال يكون بعكس هذا وكذا الحق ظاهر جلي والخلق
مستور خفي وفي الحس بالعكس فاذا اخذ الانسان في النزول والنقصان والهبوط
في منازل الامكان وعاد قليلا قليلا الى كتب ذاته من الخلل والفقدان استانف
للحق في شهوده علوا وعظمة وجلالا وكبرياء ففي كل فناء يظهر عليه للحق بقاء وفي
كل تواضع ينكشف عليه للرب تعالى كبرياء او لا ترى انك تقول في الخشوع
بالركوع سبحان ربي العظيم وفي هويتك بالسجود سبحان ربي الاعلى وكذا قليلا
قليلا الى ان يضمحل وجوده بالكلية ويبقى الوجود الحقاني للواحد القهار ومن هاهنا
تعلم ان قصارى مجهود العارفين والعابدين في عباداتهم وعلومهم ليس الا تصحيح
الامكان وحفظ مرتبة الفاقة والافتقار والعجز والانكسار لئلا يبقى في شهودهم
وجود للاغيار ولا يكون عندهم في الدار غيره ديار وقوله العلي العظيم بالنظر
الى قوم لهم بقايا الوجود الوهمي وقوله وهو الواحد القهار بالنظر الى قوم لهم الخروج
قبل ظهور الساعة وقوله كل شيء هالك الا وجهه بحسب بعض الامراز لا وابدا
بالقياس الى الخلائق جميعا **اللطيفة الثالثة** اعلم ان العلو علوان علو
مكاني وعلو معنوي وجودي والاول ثابت للمكان ويعرض للجسم ولذا قال سبحانه

في حق ادريس ع ورفعناه مكانا عليا وصف مكانه بالعلو واعلى الامكنة مكان المحدد
للجهات فكل ما قرب منه كان اعلى في المكان ويقابله مكان الارض وهو اسفل الاماكن
والواقع فيه طبعا كالارض يكون تحت الاجسام فكل ما قرب منها كان اسفل واما العلو
فهو ذاتي للحق وهو حقيقة الوجود وعرضي للماهيات الموجودة فاطلاق العلو على الموجود
الماهيات كلها بطريق الحقيقة واطلاقه على الاجسام واطلاقه على الواجب عند العارف كاطلاق
العالي على مكان المحدد واطلاقه على المعلول الاول
بالعرض عندهم او على الواجب عند جمهور المتكلمين كاطلاق العالي على جرم المحدد ويخرج من اطلاق
الموجود بالفعل بهمة الهيولى اذ وجودها عبارة عن الهاوية المظلمة بالنسبة الى الفعل
والقوة والهبوط كما خرج من اطلاق العالي على جسمية الارض في مكانها الذي هو اسفل السافلين
وقد وصف الله تعالى بهذه الامور المرحومة بالعلو المعنوي والمنزلة الوجودية فقال وانتم الاعلون
والله معكم اي في هذا العلو وهو سبحانه مقدس عن العلو المكاني فيكون المراد العلو الوجودي
اذ موجودية الممكن انما تحصل بمعية الواجب تعالى معه اما ابتداء او بتوسط معيته بما قبله
الاخر في العلل المتوسطة بينه وبين المعلول الاخير فان معيته تعالى بكل متقدم في الوجود
اقدم من معيته بالمتاخر لكن المراد هاهنا المعية بما يكون بغير وسط لانه في مقام المدح
ووجهه لكن الانسان الكامل اعلى الموجودات لانه خرق الوجود وسلك
سبيل الله واحاط بالكل وصارت مرتبته جامعة لجميع المراتب فله المعية الذاتية
بالنسبة الى الباري جل اسمه والعلو في المنزلة والمعنى فيكون فوق الكل فقد جمع له العلو
المعنوي والمكاني لان مكانه الجنة وهو اعلى الامكنة وبحسب العلم الموجب للاحاطة بالحقايق
العلو المعنوي والملائكة المقربون لهم العلو بحسب الرتبة لانهم وسائط جود الحق ورحمته
فقال لابليس استكبرت ام كنت من العالين لان جوهر ابليس من الجواهر المتعلقة بعالم
الظلمات فمنزلته دون منزلة الانوار العقلية المرتفعة عن التعلق بغير الحق فلها السلطنة
الكبرى على القوى المتعلقة بالعالم الادنى فظهر ان الحق تعالى علي لذاته لان وجوده
عين ذاته والانسان الكامل علي بعلو الحق تعالى هذا في مقام الفرق والاشتراك في الوجود
والعلو واما في مقام الجمع فهو الواحد القهار لا غير لانه لا يوصف الا بالصفات التنزيهية
فلا علو كما لا سفل وللاشتراك المذكور في اصل العلو في الجملة بين العبد والرب في مقام
الفرق لا بد من اعطاء حق الربوبية والعبودية من العلو بانه ذاتي للرب وعرضي للعبد
ولهذا امر الله تعالى اشرف الممكنات وهو الذي له المنزلة العظمى في المعية الحقيقية لله تعالى
والعلو المعنوي دون غيره الا وسيلة ان يتادب بادب العبودية ويسبح الله عن
النقص الامكاني في قوله مخاطبا اياه سبح اسم ربك الاعلى وطلب منه الاستغفار

اعلى الاجسام جسم مكانه

واطلاقه على سوى المعلول الاول
وهو الحقيقة المجردة ... كاطلاق
العالي على غير المحدد

رسول الله صلعم كما ورد في الحديث هو هذه المعية العالية التي هي منطقة الاشتراك بين
العبد والرب في العلو المعنوي فهي معراج العبد الاعلى والملك المقرب في كل حين الى ذكر
عظمة الله وعلوه والاستغفار عن ذنب وجوده الامكاني لسلا يقع في السكر عن الشكر
وفي الكفران عن الاحسان والنسيان عن الوجدان يجري على لسانه شيء من
السكريات فيحظ في مقام القرب والحب بلا مقام البعد والمزلة نعوذ بالله عن الكور بعد الكور

اللطيفة الرابعة في بيان ادلة نفي العلو المكاني وفيه دلائل كثيرة
اوردنا اثنين منها احدهما ان علوه لو كان مكانيا لكان لا يخ اما ان يكون جسما متمكنا
او نفس المكان والاول باطل لتركب كل جسم اما بحسب الجسمية المشتركة كما هو مذهب
جمهور الحكماء واما بحسب نوعه الخاص ونحو وجوده النوعي او الشخصي كما هو راي المحققين فان
كل نوع من الجسم مركب في الخارج اما من جوهرين او جوهر وعرض على اختلاف القولين في
جوهرية الصورة النوعية وعرضيتها بكون احد الجزئين يجري مجرى الجنس والاخر يجري
مجرى الفصل والتركيب مطلقا ينافي الوجوب الذاتي كما علمت والثاني لا يخ اما ان
يكون متناهيا في جهة فوق او غير متناه فيكون ممتنعا والاول مستحيل لاستلزامه
كون المفروض فوقه اعلى منه فلا يكون هو اعلى من كل ما عداه بل يكون غيره اعلى منه مكانا
هذا خلف ضرورة ويلزم انه لم يحتاج في تعينه الا الى تحدد جهته وان كان غير متناه فيكون ممتنعا
لامتناع اللاتناهي في المقدار بالبراهين العقلية القاطعة الدالة على تناهي الابعاد والمقادير
ولنذكر من تلك البراهين ما هو اخف واجود واوثق وانسب بهذا المقام وهو انه
لو كان بعد غير متناه يمكن لنا ان نفرض ذلك البعد في جهة الفوق ونفرض فيه نقطة
غير متناهية فلا يخ اما ان يحصل في تلك النقط نقطة واحدة لا نفرض فوقها نقطة اخرى
او لم يحصل فان كان الاول كانت هذه النقطة اخر النقاط فيكون طرفا لذلك البعد هذا خلف
وفرضناه غير متناه هذا خلف وان لم توجد فيها نقطة الا وفوقها نقطة اخرى كان كل
واحد من تلك النقط سفلا ولا يكون فيها ما يكون فوقا على الاطلاق فح لا يكون شيء
من النقط المفروضة في ذلك البعد علوا مطلق واذا لم يكن مطلق لم يكن مضافا وذلك
نفي صفة العلوية وقد وصفنا الله سبحانه على نفي العلو المكاني هف **الدليل الثاني**
ان كل وصف يكون ثبوته لاحد الامرين بذاته وللاخر بتبعية الاول كان ذلك الحكم
في الذاتي اتم واكمل وفي العرضي اقل واضعف فلو كان علو الله تعالى بسبب المكان لكان علو المكان
الذي بسببه حصل علوه تعالى هذا العلو له صفة ذاتية له ولو كان حصول العلو لله سبحانه حصولا
تبعيا حصوله في المكان لكان علو المكان اتم واكمل من علو ذات الله تعالى فيكون علو الله تعالى
ناقصا وعلو غيره كاملا وذلك فح فهذان الدليلان القاطعان على ان علو الله تعالى ممتنع لنز

يكون بالجهة وما احسن ما قال ابو مسلم بن بحر الاصفهاني في تفسير قوله تعالى قل لمن ما في السموات و
الارض قل لله قال في هذا يدل على ان المكان والمكانيات باسرها
ملك الله تع وملكوته وتعالى وتقدس عن ان يكون علوه بسبب المكان وتقدم بسبب الزمان
اذ المكان والزمان كلاهما مخلوقات الله الواقعة في المرات تعالى ذاته وصفاته عن ان
يكون مكانيا او زمانيا فعلى هذا يكون علوه بحسب وجوب الوجود والالهية والسرمدية بحسب
القيومية الذاتية وعلى هذا القياس عظمته فانها انما بحسب الالهية والجلالة والقهر
والكبرياء ولا يمتنع ان يكون بسبب المقدار والحجم لانه ان كان غير متناه في كل الجهات او
في بعض الجهات فهو ممتنع ولما ثبت بالقواطع البرهانية تناهي الابعاد في كل الجهات وان كان غير
متناهيا في الجهات كلها كما ان اصغر المحيط بذلك المتناهي اعظم منه فلا يكون شيء منها
عظيما على الاطلاق فالحق سبحانه هو العظيم والاعلى من ان يكون من جنس الجوهر والاجسام
تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

المقالة الحادية عشر في قوله سبحانه لا اكراه في الدين وفيه اطوار الطور الاول في اللفظ

اللام في الدين اما انه لام العهد كما ذهب اليه بعض وانه بدل الاضافة كما رآه اخرون وهو
مثل قوله فان الجنة هي الماوى اي ماويه والمراد في دين الله والدين معناه في الاصل
والشان وداناه اذله واستعبده يقال دينه فدان ثم استعمل في الجزاء ودانه دينا اي
جازاه يقال كما تدين تدان اي كما تجازي تجازى بفعلك وبحسب ما عملت وقوله
انا لمدينون اي مجزيون ومنه الديان في صفة الله وقوم دين اي دائنون والمدينة العبد والمدينة
الامة كانهما اذلهما العمل ودانه ملكه ومنه سمى المصر مدينة ثم استعمل في الطاعة ودان له
اطاع ومنه الدين والجمع الاديان وقد دان بكذا ديانة وتدين به فهو دين ومتدين

الطور الثاني في المعنى والتحقيق فيه ان الدين في الحقيقة هو التسليم والانقياد
الحاصلين بسبب العقائد العلمية التي وقعت بافاضة الله تعالى على القلب المطمئن بالايمان بنفسه
ذاته او كسبه بمزاولة الافكار والانظار في طلب الكشف واليقين وكما ان العلوم الضرورية
يحصل في القلب بمجرد الافاضة من غير اكراه وجبر فكذلك العلوم النظرية والمعارف
الالهية انما يحصل عقيب المبادي والمقدمات البرهانية او التعليمية بمجرد الالقاء في
الروع والتاثير في الباطن والقذف في القلب من غير اختيار في الظاهر واكراه في القالب
وذلك لان الدين امر باطني ولا تسلط لاحد على باطن الانسان وقلبه الا للواحد الحق
من جهة المناسبات الذاتية والقربات المعنوية والمواجيد الذوقية والمكاشفات الشوقية
والتجليات الالهية وقد ورد في الخبر ان الله تع اذا تجلى لشيء خضع له باطنه وظاهره وفي
الحديث النبوي عليه واله افضل الصلوة والتسليم ليس الدين بالتمني ولم التمني

لاوامر الشرع ظاهراً والتسليم لاحكام الحقيقة باطناً من غير حرج في الباطن كقوله ان الدين عند الله الاسلام وقوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم

الطور الثالث فيما يسنح لنا بالبال لاحد **الطور الرابع** قال

ابي والقفال المعتزلي لمن الله لم يبن امر الايمان على الاجبار والقسر وانما بناه على التمكن والاختيار وفيه نظر لان الايمان اصله الاعتقاد الثابت الجازم وهو مما لا يكون للاختيار فيه مدخل لانه نفس العلم كساير الامور العلمية يحصل فاضة الله من غير فاعل متوسط ولا يحصل بالاختيار كما يحكم به الوجدان الصحيح ولا يلزم من كونه بالا اختيار لمن يكون حصوله بالاجبار ليكون منافيا لما يستفاد من قوله لا اكراه في الدين و ذلك لان الروح الانساني من عالم الامر والضروريات الكلية والاعتقادات اليقينية امور امرية موجودة في عالم الامر وكل ما يكون في عالم الامر فهو ارفع واجل من ان يكون حصولها بطريق الجزء الاختيار بل على سبيل الرضا والقبول الحاصل بالرضاء مما يكون وجوده على المشيئة والمحبة والعشق والشوق نعم يمكن الاعتذار من طرف هذا القايل بانه على مذهب من الاعتزال ان يكون الاعمال جزء الايمان وهي كفعل الطاعات من الصلوة والصوم والزكوة والحج والكفارات وغيرها وترك المناهي الشرعية والكل افعال اختيارية لا اجبار فيه لكن يرد عليه ان الاكراه غير الاجبار لكون احدهما طبيعياً والاخر نفسانياً فنفي احدهما لا يستلزم نفي الاخر بل الاعمال الشرعية كالصلوة والزكوة وغيرهما لو لم يعملها المكلف استحق للاكراه والزجر بل القتل فكيف لا يجري فيها الاكراه و لهذا قيل لانه منسوخ والاولى ان يقول لمن الله سبحانه لما بين دلايل التوحيد بياناً شافياً قاطعاً للعذر قال بعد ذلك انه لم يبق بعد ايضاح هذه الدلايل عذر في الاقامة على الكفر الا لمن يقسر على الايمان ويجبر عليه وذلك لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء اذ في القهر والاكراه على الدين بطل معنى الابتلاء والامتحان ونظيره هذا قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وقال في سورة اخرى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقال في سورة الشعراء فلعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومما يؤكد هذا القول انه تع قال بعده هذه الاية قد تبين الرشد من الغي يعني ظهرت الدلايل ووضحت الحجج والبينات ولم يبق بعدها الا طريق القسر والاكراه والالجاء وذلك غير جائز لانه ينافي التكليف في هذه الدنيا

الطور الخامس في ذكر اقوال المفسرين فيه وهي عدة اقوال

الاول انه في اهل الكتاب خاصة الذين يؤخذ منهم الجزية لانهم اذا قبلوا الجزية سقط القتل وحكم المجوس حكمهم لان لهم شبهة كتاب واما الكفار الذين تهودوا او تنصروا فقيل انهم لا يقرون على ذلك ويكرهون على الاسلام وقيل يقرون على ما انتقلوا اليه ولا يكرهون

الثاني انها نزلت في قوم خاص من الانصار فقيل انه رجل منهم كان له غلام اسود يقال له صبيح وكان يكرهه على الاسلام عن مجاهد وقيل انه رجل منهم يسمى ابا الحصين وكان له ابنان فقدم تجار الشام الى المدينة يحملون الزيت فلما ارادوا الرجوع في المدينة اتاهم ابنا ابي الحصين فدعوهما الى النصرانية فتنصرا وخرجا الى الشام فاخبر ابو الحصين رسول الله صم فانزل الله سبحانه لا اكراه في الدين فقال رسول الله صم ابعدهما الله هما اول من كفر ووجد ابو الحصين في نفسه على النبي صم حين لم يبعث في طلبهما فانزل الله سبحانه فلا وربك لا يؤمنون الاية وبطريق اخر روي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صم فقال الانصاري يا رسول الله ادخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلا سبيلهما **القول الثالث** انه في جميع الكفار وكان هذا قبل ان يؤمر بقتال اهل الكتاب ثم نسخ وامر بقتال اهل الكتاب في سورة براءة وهو قول السدي وكذا نقل عن ابن مسعود وابن زيد انها منسوخة بالسيف وقال الباقون انها محكمة

القول الرابع ان معنى قوله تع لا اكراه اي لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب انه دخل مكرهاً لانه اذا رضي بعد الحرب وصح اسلامه فليس بمكره ومعناه لا تنسبوهم الى الاكراه ويكون كقوله ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمناً **القول الخامس** ليس المراد به في الدين اكراه من الله سبحانه ولكن العبد مخير فيه لان ما هو دين في الحقيقة هو من افعال القلوب اذا فعل لوجه وجوبه فاما ما يكره عليه من اظهار الشهادتين فليس بدين حقيقة كما ان من اكره على كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالايمان لم يكن كافراً والمراد الدين المعروف وهو الاسلام ودين الله الذي ارتضاه وهذا الوجه قريب مما ذكرناه سابقا

المقالة الثالثة عشر في قوله سبحانه قد تبين الرشد من الغي ٥ وفيه رشحات الاولى في اللغة ٥

يقال بان الشيء واستبان وتبين اذا ظهر ووضح ومنه المثل قد تبين الصبح لذي عينين وقال بعض العلماء عندي ان الايضاح والتوضيح انما سمي بيانا لانه يوقع الفصل والبينونة بين المقصود وغيره والرشد في اللغة معناه اصابة الخير وفيه لغتان رشد يرشد رشداً والرشاد مصدر ايضاً كالرشد والغي نقيض الرشد يقال غوى يغوي غياً وغواية اذا سلك غير طريق الرشد الرشحة الثانية في انتظام المبنى

لما ذكر الدين وانه لا يحصل بالاكراه شرع في شرح مهيته وقال قد تبين الرشد من الغي اي وضح
وانكشف مما ذكر سابقا من شواهد الموفق لمن الدين الحق الذي هو سلوك سبيل الله وقطع
المنازل والمراحل التي بين العبد ومولاه المسمى بالرشد والهدى من الضلال الذي هو سلوك
سبيل الشيطان والهوى هو المسمى بالغواية والغي ووجه هذا التبين والانكشاف ان طريق
الحق ليس الا واحدا وطرق اهل الضلال لما كانت مختلفة متكثرة لا يمكن احصاؤها لكن اذا
عرف هذا الواحد وانكشف لدى العارف البصير بالبصيرة الباطنة انه طريق الحق تحقق وتبين
انه ما سواه طرق الضلال فجميع طرق الضلال يعرف بمجرد معرفة طريق الحق اذ يصدق على كل منها
انه غير الحق وماذا بعد الحق الا الضلال ولهذا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله ستفترق امتي على ثلث وسبعين
فرقة والناجية منها واحدة وهذا العدد المعين لما سوى طريقة الفرقة الناجية انما هو
بحسب الاجناس الكلية والا فهي بحسب الخصوصيات غير محصورة كما مر ومن هذا ظهر ان طريق
النجاة يعلم منه غيره من طرق الهلاك

الرشحة الثالثة في تحقيق معنى التبين في هذا المقام

اعلم ان المراد بتبين الرشد من الغي تميز الحق من الباطل والايمان من الكفر بحسب الواقع وما يلزم
من الحجج والبينات الدالة والبراهين الواضحة عند من نظر وتدبر في تلك الادلة والبراهين
لا انه كل مكلف تنبه به لان ذلك خلاف ما هو المعلوم من حال الكفرة لانهم اما جهال
او محضة واما مقلد والمقلد كالجاهل في عدم كونه عارفا بصيرا وانما يمتاز عنه في كونه
معتقدا ودرجة المعرفة فوق الاعتقاد لانها مما يحصل معها الانشراح الباطني والمشاهدة
المعنوية دون اعتقاد المقلد اذ لا انشراح ولا اطمينان معه للقلب وانما الفائدة فيه مجرد
الاتباع للقائد العارف في الصورة الاعمال الشرعية والاوضاع الدينية الموجبة لرياضة القوى
البدنية وطرح النفس الامارة لئلا تصول على النفس المطمئنة وبذلك يحصل للنفس الاشتياق الابتعاد
عن ساير النفوس الحيوانية التي لا سعادة لها في الاخرة وعن النفوس الشقية المتمردة عن طاعة الشريعة
الملقية لها العقوبة الاخروية وذلك لان الاقتداء باهل الكمال في صورة الاعمال يخلص النفس
عن رذائل الاوصاف وقبائح الاعمال وسذاجة القلب عن اضدادها فلا تزاحم المبدأ الفعال
مع صدق النية وصفاء الطوية ويحصل به لنيل المعتدى نصيب من السعادة الاخروية
واللذات الالهية التي للعارفين ولمن يتنور ذاته بنور المتابعة لهم والانخراط في سلكهم
والاستسعاد بسعادتهم على نهج التبعية والعرض لا على وجه الاستقلال اذ السعادة الحقيقية
منوطة بالمعرفة الحقيقية بل هي عينها بحيث لا استقلال في المعرفة لا استقلال في السعادة لكن
بحسب تشبه بقوم فهو منهم كان للمتشبه باهل الكمال بقدر تشبهه بهم نصيب من السعادة في
المال والله الهادي الى طريق الصواب وبه الاستعاذة من الضلالة والغواية في سبيل الاخرة والماب

المقالة الرابعة عشر في قوله سبحانه فمن يكفر بالطاغوت

ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها
وفيه تحقيقات الاولى في اللغة

قال النحويون الطاغوت على وزن فعلوت نحو جبروت ورحموت والتاء زائدة فيه
وهو مشتق من طغى وتقديره طغووت الا ان لام الفعل قلبت الى موضع العين كعادة العرب
في القلب نحو الصاعق والصاقع فصار طيغوت ثم قلبت الياء والواو الفا لتحركهما وانفتاح ما قبلهما وصاحب
مجمع البيان رحمه الله جعل اصلها طغيوت لانها من الياء يدل على ذلك قوله تعالى في طغيانهم
ثم قدم اللام وقلب الى موضع العين فصار طيغوت ثم قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها
فصار طاغوت ووزنها الان بعد القلب فلعوت وجمع غوت طواغيت وطواغ طواغي
على حذف الزيادة وطواغ على الوزن مما حذف قال المبرد في الطاغوت الاصوب انه جمع قال
ابو علي الفارسي ليس الامر عندي كذلك بل هو مصدر كالرغبوت والرهبوت والملكوت
وكما ان هذه الاسماء احادية كذلك هذا الاسم مفرد ليس بجمع ومما يدل على ذلك انه مفرد
في موضع الجمع كما يقال هم رضا وعدل ولهذا قال تعالى اولياؤهم الطاغوت قالوا هذا
اللفظ يقع على الواحد وعلى الجمع اما الواحد ففي قوله تعالى والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
وقالوا الاصل فيه التذكير فاما قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها فانما انث
ارادة الالهة يقال استمسك بالشيء اذا امسكه والعروة واحدة العرى نحو عروة الدلو
وعروة الكوز وانما سميت بذلك لان العروة عبارة عن الشيء الذي يتعلق به والوثقى فعلى
اوثق وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول لان من اراد امساك شيء يتعلق بعروته
فكذا ههنا من اراد امساك هذا الدين تعلق بالادلة الدالة عليه على وجه اليقين و
لما كانت دلائل الاسلام اقوى الدلائل واوضحها واشدها لا جرم وصفها سبحانه بانها
العروة الوثقى والفصم هو كسر الشيء من غير ابانة والانفصام مطاوع الفصم يقال فصمته
فانفصم والمقصود منه المبالغة لانه اذا لم يكن له انفصام فلان لا يكون لها انقطاع اولى

التحقيق الثاني في معنى الطاغوت وفيه اقوال احدها

انه الشيطان عن مجاهد وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام وثانيها
انه الكاهن عن سعيد بن جبير وثالثها انه الساحر عن ابي العالية ورابعها
انه مردة الجن والانس وكل ما يطغى وخامسها انه الاصنام وما عبد من دون الله
وعلى الجملة من كفر بما خالف امر الله ويؤمن بالله وصدق بما جاءت به رسله صلوات الله عليهم
والوجه فيه انه لما حصل الطغيان عند الاتصال بهذه الاشياء فكانت اسبابا للطغيان
كما في قوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس وسادسها انه هو النفس وهو اكبر
المبادي المعونة للشيطان اذ ما اضل مضل وما اغوى مغو عن الصراط المستقيم الا بواسطة ميله

يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به والمانى الجمع كالفلك قوله نعم حرج

وهواه لانه يرغب اليه ويعبده بل يعبد الانسان معبودا غير الله الا بتبعية عبادة هواه
هواه كما في قوله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه وحكاه وروى عن النبي صلعم ثلث مهلكات شح مطاع
وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه اشارة الى ما ذكرت حيث وصف الاوثان بالمطاع واصرح من ذلك ما ورد
عنه ما عبد معبود في الارض مثل الهوى **وسابعها** انه عالم الهوى ونشاة الدنيا الدنية
التي هي دار الشهوات المهلكة ودار الغرور بالخيالات المغوية والاماني التي لا حاصل لها الا
خسران الاخرة كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء الآية **وثامنها** انه جهة الامكان
والنقصان في الممكنات التي هي حال الماهيات بحسب ذواتها كما ان جهة الوجوب والوجود
التي هي حالتها الفائضة عليها من المبدا الاعلى تعالى فالاوصاف الذميمة والافعال القبيحة
كلها انما نشات من الممكن بواسطة الجهة التي له بالقياس الى نفسه والاخلاق الحسنة
والطاعات كلها انما نشات منه بتوسط الجهة التي له بالقياس الى ربه فيجب عليه
احد الحسنيين كان تغلب الصفات والافعال التي بتوسطها والمطلوب ما يقابلها فمن
يكفر بالطاغوت اي بالالتفات الى جهة نفسه والاهتمام بجلب ملايمها ودفع ما يكرهها فقد استمسك
بالعروة الوثقى التي هي الاقبال الى جنبة الحق والاعراض عن جنبة الباطل لان ذلك يوجب
وجدان روح الوصال ونعيم الاتصال والخلاص عن الم الافتراق وجهنم القطيعة والانفصال
وبهذا الوجه يرتبط ما حرر السابق كيف والهوى انما منشاها الامكان لانها انما صدرت
من الوسايط العقلية بتوسط جهة الامكان فهذا على ما ذكر في ترتيب الوجود والفرق
بين الامكان والهوى بعد اشتراكهما في كونهما منبع النقايص والافات ان منشا الامكان
الذاتي مبدا النقايص الفطرية التي بحسب اصل الماهية مع قطع النظر عن خصوصيات
الاشخاص وان النقصان الذي منشاه مجرد الامكان او بحسب تضاعفه الذي هو لوازم الماهية
التي لا يمكن زوالها وانجبارها ولهذا لا يعد ويسمى كونه ملكا لكن الماهية غير عرضية لها وليس
كالافة والمرض اللاحق واما الهوى او الجهة التي تجري مجراه عند قوم فهي مبدا النقايص الشخصية
كالتشوهات في الخلقة او ذمايم الصفات في النفس كالجهل والبخل والقساوة وغيرها
او قبايح الافعال كالزنا واللواطة والسرقة وامثالها فان منشا الكل هو التعلق بهذا
البدن المادي ولكن يمكن ازالتها بتهذيب النفس وفعل الخيرات ومحو السيئات بالحسنات
بقبول المواعظ والحكم واستماع الايات والاحاديث على وجه التدبر فيها عند
الاصغاء واجابة دعوة الانبياء فيما جاؤوا به والاقتداء بالائمة الهادين المهديين المعصومين من
الخطاء سلام الله عليهم من الكمال الاعلى وتلك الامور جميعا كلها هو قطع التعلق عن الدنيا ورفض
عالم الهوى لتتزين الروح بالمعارف الحقة الالهية اليقينية الدينية التي هي السعادة العظمى فقوله
فمن يكفر بالطاغوت اشارة الى ذلك القطع والرفض ويؤمن بالله اشارة الى تزيين النفس

فالاول
بمعرفة الحق الاول بالعرفان بنعوت جلاله وجماله وكيفية صدور افعاله واثاره في البدو والاعادة
تخليه والثاني تحليه فبهذين الوصلتين اي التخلية والتحلية استمسك الانسان بالعروة الوثقى التي لا انفصام
لها وهو مجاورة الحق الاول والانخراط في سلك مقربيه اهل الجبروت والملكوت **وتاسعها**
القوة الوهمية التي هي اعظم جنود الشيطان اذ بوسيلتها يتصرف الشياطين للاغواء والاضلال
في نفوس الانسان وسياتيك لهذا المعنى وجه اخر ان شاء الله **التحقيق الثالث في معنى
الايمان بالله** اعلم ان المراد به الايمان بحقيقة الله تعالى وحقيقة ملائكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر كقوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله واما الاعتقاد بحقيقة الله فهو الايمان بوجوده وصفاته وافعاله واحكامه اما
الايمان بوجوده فهو ان يعلم ان وراء المتحيزات بل الممكنات موجودا قديما قادرا اي
واجبا بالذات صانعا للعالم وذلك بالنظر الى حقيقة الوجود المعلوم بوجه ما ولزم فردا
موجودا بذاته والا لزم تقدم الشيء على نفسه او وجود الممكن من غير سبب اذ جميع الممكنات في حكم ممكن
واحد في خلو ذاته عما يوجب الاتصاف بالوجود فملاحظة خلو ذات الممكن وعريه عن طبيعة الوجود
ذاتا ووجودا ايجابا واقتضاء واستلزاما ولزوما وملاحظة استحالة كون المحال قابلا للوجود يحكم
العقل الصافي عن الكدورات والاعراض النفسانية بوجود القيوم المستغني عما سواه كما قال الله
شهد الله انه لا اله الا هو وكقوله او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد او بالنظر الى العالم في طبايع
الحركات والمتحركات ودقايق الصنع العجيب الغريب في الممكنات كما ارشد الله في القرآن وبين
الله ورسوله بيان ذلك كما قال الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا الى قوله وجنات الفافا
وقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الى قوله لقوم يعقلون وقوله الم تروا كيف
خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا الى قوله افواجا وليس يخفى على من له ادنى مسكة
اذا امعن بادنى فكرة مضمون الايات وادار نظره على خلق السموات والارض وعجايب
فطرة الحيوان والنبات فضلا عن خلقة الادمي الكامل بالكمال العلمي والعملي ان هذه الامر العجيب والترتيب
المحكم لا يستغني عن صانع مدبره وفاعل حكيم بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخير
ومصروفة بمقتضى تدبير ولذلك قال افي الله شك فاطر السموات والارض فمن غفل عن هذا كان
راكبا على متن الجهل وراكنا عن نهج العقل **واما الاعتقاد بصفاته** والصفات اما
سلبية واما ثبوتية فاما السلبية فهو ان تعلم انه مجرد مقدس عن جميع ضروب التركيب اي تركيب
كان لان التركيب يستلزم الامكان وينافي الوجوب والواحد تعالى كما انه واجب الوجود بالذات
الواقع فكذلك هو واجب الوجود من جميع الشئون والجهات والاوجه والنشات الذهنية والخارجية
فيقدس عن الكثرة والتركيب في نوع الاجزاء المحمولة ويلازم الوحدة ولو في العقل فيجب انه
يتعالى عن ان يدخل في وهم او عقل يتصرف فيه الذهن بالتحليل والتقسيم والكلام

الاجزاء العقلية الجنسية والفصلية كون الشي ذا ماهية كلية يعرضها الوجود والواجب بحت
الوجود كما مر فليس مندرجا تحت نوع او جنس لكونه محض التعين الممتنع اشتراكه بين امرين فهو ليس [هامش: تحته]
كليا ولا جزئيا اضافيا وههنا ينكشف انه تعالى ليس بجوهر سواء كان متحيزا او مجردا ولا بعرض
سواء كان كما او كيفا او اضافة فلا يكون حالا في شي ولا مكانا عرضا او صورة جوهرية
ولا يكون محلا ولا مكانا لمادة معوزة في تحصيل النوع بما يحل فيها او موضوعا مفتقرا في تشخيصه
او في كمال تشخصه بما يحل فيه ولا متغيرا ولا مكانا جسمانيا متحيزا زمانيا او حالا فيه كالروح
او مباشرا له في التدبير والتحريك مستكملا به كالنفس والتوالي باسرها باطلة فكذا المقدم
والانفعالات والتغيرات التي يسندون الى ذاته تعالى كلها اطلاقات مجازية يسند اليه
تعالى باعتبار الغاية كالرحمة والغضب والعفو والانتقام والابتلاء والامتحان وغير
ذلك فلو كان جائزا الاتصاف بالغضب مثلا لكان ازلا وابدا غضبان بل يكون عين
الغضب وعلى هذا يمتنع عليه الرحمة المقابلة له مطلقا فان قلت هذا الاعتقاد ينفي
الايمان بعالم الملكوت فمن لا يفهم ذلك كالعوام او يجحده كاهل الكلام فما طريقه قلت
اما الجاحد فلا علاج له الا ان يقال انكارك لعالم الملكوت كانكارك لعالم الجبروت
كالذين حصروا العلوم فيما يدرك بالحواس الخمس فانكروا القدرة والارادة والعلم لانها
لا يدرك بالحواس الخمس ولازموا حضيض عالم الشهادة فان قال وانا منهم فاني لا اهتدي الا
الى عالم الشهادة ولا اعلم شيئا سواه فيقال له انكارك لما شاهدنا وما وراء المحسوسات
كانكار السوفسطائية للحواس الخمس ومحسوساتها فانهم قالوا ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه
في المنام فان قال وانا من جملتهم فاني شاك ايضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه
وامتنع علاجه فيترك فما كل مرض تقدر على علاجه الاطباء ولا لكل داء له دواء بل رب
داء اعيت الاطباء في تحصيل الدواء واما الذي لا يجحد فان كانت عينه التي بها يشاهد عالم
الملكوت صحيحة في الاصل نزل فيها ما اسود لاعتياده ملاحظة عالم الظلمات فيمكن الاشتغال [هامش: اشتغال الكحال]
بتنقيتها اشتغال الكحال بالعيون الظاهرة وان كان عاجزا عن قبول العلاج لكونه مجبولا على قلبه
لم يمكن ان يسلك به سبيل التوحيد العقلي بل يكلم بكلام التوحيد ويكلف بالنطق بشهادة
التوحيد ردا الى ذروة التوحيد لحضيض فهمه كهذا هو التوحيد اللائق بحال القاطنين
في عالم الشهادة فان للتوحيد مراتب بحسب كل عالم مرتبة وتوحيد عالم الشهادة ان يعلم
الجاهل ان لهذا المنزل تفسيدا بصاحبين والبلد يهلك باميرين فيقال له على حد عقله
الذي هو بمنزلة حضيض العلم لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فيكون
ذلك هو اللائق بقدر عقله وقد كلف الانبياء ان يكلموا الناس على قدر عقولهم واما
الصفات الثبوتية فان من يعلم ان الموجود الواجب بسيط الجميع

الممكنات نسبة واحدة لا يعجز عن بعض دون بعض بل كلما كان اعظم وجودا واعلى رتبة صدر منه
اقدم مما يكون اضعف وانقص على ترتيب انيق ونظام بديع فعلم بانه قادر على جميع
الممكنات وعلى اي نظام وترتيب كان ثم من راى ان هذا النظام ابدع النظامات
واحكمها يعلم بانه مريد وان ارادته على وجه الحكمة والجزم لا على نهج الجزاف والتردد
ويعلم ان ارادته اجل من الاختيار والجبر جميعا فقد علمته على سبيل العناية الازلية
المسماة بالعلم التام المقدم على الايجاد الذي هو ابيض مراتب علمه المسماة بالرضا
والكلام في الكلام يحتاج الى بسط لا موضع اوسع من هذا المقام واما
الاعتقاد بافعاله فهو ان تؤمن بان الله على كل شيء قدير وما سواه ممكن
محدث والممكن بما هو ممكن محض القوة والفاقة فلا يجوز ان يكون سببا لاخراج الشي من
القوة الى الفعل والامكان للعدم شركة في افادة الوجود وهو فطري العقاد عند
ذوي البصيرة والسداد فيكون قدرة الله تعالى عامة شاملة لجميع الذرات لان منشاء
الافتقار عام فلا تاثير للوسايط لان كلها مسخرات ومعدات لا موجبات فهذا هو
التوحيد في الافعال الا انه وقع في البين حجاب يمنع ان يرى هذا التوحيد بعين البصيرة و
هو ان الحوادث التي هي من الافعال الاختيارية للحيوانات خصوصا الانسان الحكم مطرد فيها
لانها ممكنة وكل ممكن لابد من استناده الى واجب الوجود كيف وكل حادث سواء كان
فعلا اختياريا ام لا اذا نظرنا الى حدوثه وامكانه انا انا النظر اطرارا
الى الوجود الواجب بالذات ومع ذلك نجد من انفسنا انا نتحرك ان نشاء ونسكن ان نشاء
فكيف يكون مسخرا والحال ان حركتنا وسكوننا بالنسبة لا لغيرنا فيقال لو [هامش: مسخرين]
انكشف عنه ان حركاتك وسكناتك بمشيتك الا انك مشيتك ليست بمشيتك بل
بقضاء الله وقدره اذ لو كانت كذلك لافتقرت تلك المشية الى مشية اخرى وهكذا
الى غير نهاية فاذا لم يكن تلك المشية بمشيتك فهي لازمة لك بعد اسباب ضرورية مودية اليها
فاذا لم يكن المشية اليك فمهما وجدت المشية التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت
ولا سبيل لها الى المخالفة واذا انصرفت لزمت الحركة ضرورة بالقدرة والقدرة تحركه
ضرورة عند انجزام المشية والمشية تحدث في القلب بالاسباب الخارجة المتعاقبة وهي
تحدث بالاسباب الغائبة عنا فهي ضروريات مترتبة بعضها على بعض
وليس للعبد ان يدفع وجود المشية ولا انصراف القدرة الى المقدور ولا ايجاد
بعد المشية للقدرة فهو مضطر في الجميع ولا تتوهم احد ان … الحق هو
الذي ذهب اليه الاشاعرة القائلين بالجبر المحض من غير اختيار فان قلت
ما ذكرت ايضا جبر والجبر ينافي الاختيار فكيف يكون انسان واحد مضطرا [هامش: والجبر]
ومختارا قلنا لو انكشف لك الغطاء عن عين البصيرة بنور الاهتداء

لو عرفت انك مجبور في عين الاختيار وبحقيقة نفسك لتحقق معنى الاختيار كا طلبه
من كتب او في الابصار ليظهر لك ما يظهر لهم انه لا متقدم متقدم ولا متاخر متاخر
الا بالحق واللزوم فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم و
لا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء
الله وقدره وارادته ومشيته لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء و
يهدي من يشاء كيف ولو لم يكن هكذا لكانت المعاصي والجرائم الصادرة عن الاشقياء
ان كان الله يكرهها ولا يريدها فانما هي جارية على وفق مراد ابليس لعنه الله مع انه
عدو الله فالقبايح اكثر من الحسنات والمعاصي اكثر من الطاعات فيكون الجاري على
وفق ارادة العدو اكثر من الجاري على وفق ارادته تعالى وهذا مما لا يليق برئيس
قرية فكيف يليق بالملك الجبار ذي الجلال والاكرام فقد علم ان الارادة الازلية
تعلقت بنظام العالم على هذا الوجه واما الاوامر والنواهي الشرعية فهي امور
مقربة للطاعات مبعدة عن المعاصي واسباب مهيجة للخيرات دافعة للشرور والآفات
حسب ما يمكن ويليق بكل احد فان قلت اذا كان الواقع من المعاصي والشرور
بقضاء الله فلما ذا يعاقب من ساقه القدر الى اقتراف خطيئة قلنا العقوبة من
اللوازم والتبعات المتصلة من غير حاجة الى معاقب منفصل ومنتقم خارج
ويدل عليه كثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى سيجزيهم وصفهم وان جهنم لمحيطة
بالكافرين واما مرتبة الايمان بالاحكام فبان يعتقد انها غير معللة بدواعي واغراض
زايدة على ذاته راجعة اليه لان كل ما كان احكامه معللة بعلة غير ذاته كانت
ذاته ناقصة في نفسها مستكملة بغيرها وذلك مستحيل على الواجب بالذات لكن يجب
ان يعلم ان الغاية يطلق على معنيين احدهما ما يرجح فاعلية الفاعل على تركها وهو
الله تعالى علمه بالوجه الاصلح وذلك العلم عين ذاته غير زايدة عليه تعالى لنفي الزايد مطلقا عند
اهل الحق وثانيهما ما يترتب على الفعل سواء كان الفعل متوجها اليه وكان
لاجله او لا بل يكون من ضروريات الفعل من غير ان يكون الطبع متوجها اليه
فالاول كوجود المنافع والمصالح التي روعيت في وجود العالم على الوجه الاتم
الابلغ في النظام والثاني كوجود الاتفاقيات اللازمة ويكون لا محالة اقلية
والحرارات التي تقابلها الاكثرية او دائمية فقد ثبت ان احكام الله ولذا لم يعلل بعلة
غائية غير ذاته تعالى الا ان لها غايات وفوائد وثمرات عائدة الى الممكنات
والشرور المانعة عن وصول بعض افراد الممكن الى كماله اللايق به امر شاذ و
هذا في غير الانسان من الحيوانات امر واضح لاختصاص وجودها بهذه النشأة
الفانية فاذا قيض بعضها او قتل وجعل فداء وغذاء للانسان الذي هو غاية

عالم الاضداد وثمرة المواليد لم يكن ذلك في حقها الا عين الاحسان مخصصا بها الوجود
الدائم فايثارها غذاء وفداء للنوع الاشرف وانتفاعه بها على نحو ما لها تحققت انواعها
ليس ظلما وجورا في حقها بل عدلا وقسطا وكرما للمامول المحقوق به واما الشرور
الانسانية بحسب قواها العلمية والعملية الشهوية والغضبية كالجهل والفسق والجور
فليعلم انه ليس كل جهل موجبا للعذاب الابدي ولا كل رذيلة سببا للحرمان عن
البقاء الاخروي بل الجهل المضاد لليقين مع العناد والاصرار والرذيلة الراسخة
الباطلة لعصمة النجاة واما باقي الشرور من الجهالات فهو لا يوجب الحرمان
عن رحمة الله بالغفران فاعتقادنا في صاحب الكبيرة انه اذا مات بلا توبة الله يعذبه و
انه مما يمكن ان يعذب ان ينال رحمة ربه على مرتبة الاشارة اليه والله سبحانه يغفر
لمن يشاء بفضله ويعذب من يشاء بعدله واما الايمان بالملائكة فمراتبه اربعة
اولها الايمان بوجودها وهذا مما لا خلاف لاحد من المسلمين بل المليين كلهم واما
البحث عن نحو وجودها وحقيقتها انها روحانية محضة او جسمانية او مركبة من القسمين و
بتقدير كونها روحانية اما عقول صريحة او نفوس مدبرة للاجرام او مركبة من القسمين و
بتقدير كونها جسمانية فهل اجسام لطيفة او كثيفة فان كانت لطيفة فهي اجسام نورانية
او هوائية وان كان كذلك فكيف يمكن ان يكون مع لطافة اجسامها بالغة في القوة الى
الغاية القصوى فكذلك مقام العلماء الراسخين في علوم الحكمة القرآنية والبرهانية كوجه
الثالث ان يعتقد بانهم معصومون مطهرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون
ولا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون فان لذتهم بذكر الله وانسهم بعبادته وغذاءهم
التسبيح والتقديس وكما ان حيوتنا الدنياوية بالنفس والاستنشاق فحيوتهم بذكر الله و
المعرفة والطاعة له ومنهم الملائكة السماويون واعلامنهم الكروبيون ومنهم العاكفون في
حظيرة القدس ولهم حظ الهيمان بل حالتهم الفناء عن انفسهم وعدم الالتفات الى ذوات
ملا هذا العالم والادميين لقصر نظرهم عن غير الله واستغراقهم بجمال الحضرة الالهية وجلال
ذاته الاحدية ولا يستبعد ان يكون في عباد الله من يشغله جلال الله عن الالتفات الى آدم وذريته
فقد روي عن رسول الله صلعم ان لله ارضا بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلثون يوما هي مثل
ايام الدنيا ثلثون مرة مشحونة خلقا لا يعلمون ان الله يعصى في الارض ولا يعلمون ان الله خلق
آدم وابليس رواه ابن عباس رضه فاستمع حكمة الله ولا تغتر بكلام المتشبهين بالعلم
الجاهلين بالحكمة خلق الله وانشر فيها المقصرين بهممهم الدنية على عالم الحس والخيال وانها
النشأة الاخيرة من مقامات علم الملكوت وبما القشر الاقصى عن اللب الاصفى وحشرهم
عن هذه الدرجة فكانه لم يشاهد من الانسان الا قشره ومن عجائب الانسان الا اثره و

ادنى منهم الملائكة العنصريون من ارباب الطبايع العنصرية من خزان المطر وزواجر السحاب و
صواعق البروق ومشيي الثلج والبرد والهابطين مع قطر المطر اذا نزل والقوام على خزاين
الرياح والموكلين بالجبال والملك المتقلبين بمثاقيل المياه والارض ودونهم رسل الله
المتوسطون من الملائكة السماوية الى اهل الارض بمكروه ما نزل من البلاء ومحبوب الرخاء ومنهم
السفرة الكرام البررة والحفظة الكرام الكاتبين ومنهم ملك الموت واعوانه من الملائكة
النازعين للصور من المواد الغير المستعدة ومنهم منكر ونكير للاشقياء ومبشر وبشير للسعداء
ومنهم الطائفون بالبيت المعمور ومنهم مالك وسدنة النيران ورضوان وخزنة الجنان
ومنهم الزبانية الذين اذا قيل لهم خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ابتدروه سراعا
ولم ينظروه وادون من الجميع سكان الهواء والارض والماء وبالجملة من موجود
الا ومعه ملكان احدهما على يمينه والاخر على شماله وجاءت كل نفس معها سائق و
شهيد والسائق ملك يباشر التحريك الى الدار الآخرة والشهيد ملك يدرك به النفع
والضر والخير والشر واكثر ما ذكرناه مقتبس من الصحيفة الملكوتية لمولانا وسيدنا زين الساجدين
والموحدين وسيد العابدين والعارفين سلام الله عليه وعلى جده واجداده وعمه وابيه
واطهار بنيه قدس الله ارواحهم اجمعين **والوجه الثالث** ان نعلم بانهم
كلهم وسائط بين الله وبين الخلق لكل قسم منهم موكل على قسم من اقسام هذا العالم بل
ما من نوع من الانواع الطبيعية الا وله ملك موكل هو واسطة رحمة الحق وجوده
عليه ذو عناية باختصاص ذلك النوع واصلاحه وهم المسمون عند قدماء الحكماء
المقتبسين انوار الحكمة من مشكوة نبوة الانبياء سلام الله عليهم بالتعبير بارباب الاصنام و
عند افلاطون بالمثل النورية واليهم الاشارة في قوله تعالى والصافات صفا فالزاجرات
زجرا وقال والذاريات ذروا فالحاملات وقرا وقال والمرسلات
عرفا فالعاصفات عصفا وقال والنازعات غرقا والناشطات نشطا وفي هذه
هذه الآيات التي اقسم الله فيها لطايف من الملائكة اسرار شريفة عزيزة يدق عن افهام
اكثر العلماء فضلا عن غيرهم لا نكشف المقال عن وجوهها قناع الاجمال لشرفها وعزتها
والوجه الرابع ان نعلم ونؤمن بان كتب الله المنزلة انما وصلت الى الانبياء عليهم السلام بتوسط
جبرئيل من الملائكة كما قال الله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع
ثم امين فهذه الوجوه لابد منها في حصول الايمان بالملائكة فكلما كان عرفان العقل بهذه المراتب
اشد كان ايمانه بالملائكة اتم واكثر الخلق معرضون عنهم مع دعواهم الايمان الكامل
واما الايمان بالكتب فلابد فيه من امور اربعة اولها ان نعلم ان هذه
الكتب وحي من الله تعالى الى رسوله وانها ليست من باب الكهانة والقاء الشياطين والارواح

الخبيثة ولا من باب السحر والفرق بين هذه الامور خاف على الجمهور **وثانيها** ان نعلم
ان الوحي وان كان بوساطة الملائكة المقدسين فان الله لم يمكن احدا من الشياطين
القاء شيء منه لئلا يتهم في اثناء هذا الوحي الظاهر وعند ذلك نعلم ان من قال ان الشيطان
القى في قوله تلك الغرانيق العلى في اثناء الوحي فقد قال قولا عظيما وطرق العقل و
التهم الى القران **وثالثها** ان نعلم ان هذا القران لم يتغير ولم يحرف ولم يحل
فيه فساد قوله ومن قال ان ترتيب هذا القران على هذا الوجه شيء فعله عثمان
فان من قال به اخرج القران عن متانته **واما الايمان بالرسل**
فلابد فيه من ان نعلم انهم معصومون من الذنوب كلها كبيرها وصغيرها وسهوها وان
نعلم ان النبي صلى الله عليه وآله افضل من الملائكة السماوية والارضية واما الكروبيون ففي تفضيل
النبي عليهم خلاف بين العلماء ولارباب المكاشفات في ذلك مباحث غامضة شريفة
اوردناها في بعض كتبنا الموضوعة وان نعلم ان بعض الانبياء افضل من بعض كقوله تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومن الناس من انكر ذلك متمسكا بقوله لا نفرق
بين احد من رسله وقد ذكر المفسرون وجوها من الجواب لا تطمئن بها القلوب وقد حضر عندنا
وجه وجيه لا نبوح بها حذرا عن سوء فهم الناظرين وان نعلم ان الله تعالى بعث النبي الاكرم
العربي **محمدا** صلى الله عليه وآله برسالته الى كافة الورى من العجم والعرب والجن
والانس فنسخ بشريعته الشرائع وجعله سيد البشر والزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه
في الدنيا والآخرة والزمهم اتباعه والاقتداء به فقال ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا فلم يدع شيئا يقربهم من الله تعالى الا امرهم به ودلهم سبيله ولا شيئا يبعدهم
الى الله ويبعدهم عن الله الا نهاهم عنه وعرفهم طريقه ونعلم ان تلك امور لا يرشد اليها
مجرد العقل والذكاء بل اسرار يكاشف بها من حظيرة القدس قلوب الانبياء ونعلم انه يجب
عليهم ان ينصبوا بعدهم خليفة وينصوا عليه نصا لا يبقى لاحد مجال الشك فيه والعلم به وذلك
لعدم بقائه وجوده العنصري دائما والمادة التي تقبل صورة النبي تقع في قليل من الاعصار
على الشذوذ فلابد من الاستخلاف بالنص الجلي لوجود امام تقتدي به الامة بعده ويشترط ان
يكون الامام معصوما من الذنوب موثقا عند الله باوصاف كمالية يندر اجتماعها بل احادها
في شخص واحد فيكون بها يستحق خلافة الله في العالم الارضي ثم السماوي لكونه انسانا الهيا متصلا
بالملأ الاعلى لكون عبادته عبادة الله وذلك لهجوم المناقب الربانية في قلبه وكثرة ظهور
الافعال الالهية من قلبه ولسانه ويده ولسانه وسمعه ونسائه كالعلم التام والقدرة الكاملة والشجاعة
والكرم والزهد والمروة والفصاحة البالغة حد الاعجاز وغيره وتقدسه عن النقائص و
العيوب النفسانية المضادة للخلافة والرذائل الخلقية المنافية للامامة كالكفر والجهل والسفاهة والفضيحة

والغلظ والكبر والنفاق وغير العاهات والامراض الخلقية المنفرة للطباع الانام كالعمى والعرج والحكة والابنة وعن الخصائص كالظلم والفسق وجمع المال للادخار ويجب ان نعتقد ان اجتماع تلك الفضائل والكمالات فيه والتنزه عن تلك النقائص والرذائل جميعا لم يتفق لاحد بعد الرسول صلى الله عليه وآله الا لاخيه وابن عمه علي بن ابي طالب عليه الصلوة والسلام فيكون هو الامام والخليفة بعد الرسول دون غيره لقوله لا ينال عهدي الظالمين ولما في الآية انما وليكم الله ورسوله والذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون وقد نزلت هذه الآية باتفاق المفسرين في حقه ع ولما نص عليه النبي عليهما السلام بولايته الامة في حجة الوداع وفي اواخر عهده بالحديث المشهور والاحاديث الغير كثيرة متواترة الجملة احادية الافراد ولكن الامامة اللازمة لذاته المستغنية عن البيعة والاجماع وكذا يكون وقوع المناصب لانه من قبل الله كما ان الغني ولو لم ينفق عليه انه كذا الامام امام وان لم يتابعه والحكيم حكيم وان لم يعرف قدره الجهال والعالم عالم سواء سئل عنه المسائل ام لا ولا يخفى هذا الامر الجلي على العقلاء الذين جعلوا منشأ الخلافة والولاية هو امر باطني مسلم الطبايع واتفاق الجماعة على شخص مع ان طبايعهم مجبولة على اتباع الشهوات ما غيبة عن ما يحصل القرب ويستحق المثوبات ويجب ان يعتقد ان المستحقان لهذا الامر بعد علي ع اولاده المعصومين الموصوفين بالامامة للامة في الطهارة والعصمة صلوات الله عليهم اجمعين وذلك لتحقق الشرائط المذكورة التي منها العلم بالامور الباطنية والاسرار الخفية والاجتناب عن زخارف هذه الدار الدنية ولينص كل سابق على لاحق وهم حجج الله صاحب هذا العصر والزمان وهو المهدي القائم بالقسط والعدل على بواطن اهل العلم والايمان ثم على ظواهر الخلائق من الانس والجان في اخر الزمان اذ به يملأ الله الارض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا فيكون وجوده ثمرة هذا العالم وكماله واذا عدم عنه زال كل شيء بزواله لما ثبت ان وجود الانسان الكامل علة غائية لوجود هذا العالم لكونه العرض الاصلي حتى للطبايع والاركان ومن فضالته خلقت حقائق الاكوان وذوات العلويات والعقول وهذه المقاصد الشريفة انما انكشف لنا بطريق الاعتبار والاستبصار وتتبع الاثار والاخبار لا بطريق الابحاث الكلامية والاستدلالات والمقال عند مخاصم الرجال ومعارضة العقلاء بالقال والله الهادي الى سبيل السداد وبه الاستعاذة من الزيغ في الاعتقاد

واما الايمان باليوم الاخر فهو لان نعلم انه يفرق بالموت بين الارواح والاجساد ثم يعيدها اليها عند الحشر والنشور فيبعث من في القبور ويحصل ما في الصدور ويرى كل مكلف ما عمله من خير او شر محضا او مصادفا دقيق ذلك وجليله مستطرا في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ويوقف كل احد مقدار عمله بمعيار صادق يعبر عنه بالميزان وان لم يكن وميزان الاعمال ميزان الاجسام الثقال كالاتياد وميزان العلوم سائر الموازين كالعروض والاسطرلاب والشاقول والشاخص وغيرها من الكل

على اقوالهم وافعالهم وضمايرهم ونياتهم وعقائدهم ما ابدوه او اخفوه وهم متفاوتون فيه الى مناقش معه في الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب ثم يؤمرون الى الصراط وهو جسر ممدود بين منازل الاشقياء والسعداء احد من السيف وادق من الشعر يخف عليه من استوى في الدنيا على الصراط المستقيم الذي لوازمه الخفاء والرقة ويعثر به من عدل عن سواء السبيل الذي يخفى عنه بحكم الكريم وانهم عند ذلك يسألون عن اديانهم وافعالهم فيسأل الصادقين عن صدقهم والمنافقين عن نفاقهم ثم يساق السعداء الى الجنة وفدا والمجرمون الى جهنم وردا ثم يحكم باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ويخرج بعضهم قبل تمام العقوبة والانتقام لشفاعة الانبياء والعلماء والشهداء ومن له رتبة الشفاعة ثم يستقر اهل السعادة في الجنة متنعمين ابد الابدين ممتعين بالنظر الى وجه الله الكريم ويستقر اهل الشقاوة الابدية في النار مردودين تحت انواع العذاب مطرودين مبعدين عن جمال الله ذي الجلال والاكرام وهذه العقائد مما انكشف الاعلى العلماء الراسخين وليس لغيرهم منها شيء الا الايمان او التقليد المجرد كما لعوام اهل الاسلام او العناد والاستكبار كالمحجوبين بالانكار عن متابعة ذوي البصاير والانوار ولا شك في ان الانقياد والتسليم لما اتى به الانبياء والاولياء والتعويل على اقوالهم ذوي العيون العمياء ادنى الى النجاة من الفطانة البتراء للعقول المحتجبة بالبصيرة الحولاء ولا يبعد ان يكون قوله فمن يكفر بالطاغوت اشارة الى ترك التعويل والاعتماد على فطانة العقل المنبعث عن غلبة القوة الوهمية المشوشة بالهوى فيكون هذا الى الوهم احد معاني الطاغوت ويكون الاستمساك بالعروة الوثقى اشارة الى هذا الانقياد والتسليم والمتابعة للانبياء والاولياء عليهم السلام والتعويل عليهم في امر الدين وخصوصا فيما افادوه من مبدأ الله في امر المعاد حيث لا سبيل للعقل بقوته الفكرية الى شيء منه وقال بعض ارباب العقول ان العروة الوثقى لكل طائفة من المؤمنين شيء اخر فللعوام الرفيق للطاعة وللخواص مزيد العناية بالمحبة كما في قوله يحبهم ويحبونه وللخاص الخاص جذبات الالوهية التي تعبر عن الظلمات الوجودية وتنعه بنور الربوبية كما شرح الله حقيقة الآية سالها والمراد ان السالك يتبع عقيب الرياضات والارتعاشات التي لا معارج مقامات الفناء والبقاء ان لا يمكنه الرجوع منه فلا يجري عليه احكام تلوينات الرد والقبول ولا انقسام بعثرات الفراق والوصال بل يكون مستهلكا عن الناسوتية متمكنا في اللاهوتية فالعروة الوثقى التي لا انفصام لها على الحقيقة والتمام هي هذه الجذبة الالهية التي اشار اليها الحديث النبوي جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين اذ الثقلان واعمالها جسمانية فانه من عالم الحدوث وجذبة الحق روحانية باقية من عالم القدم فلا يطرأ عليها الانفصام والانقطاع والسعادة الحقيقية لا يتخلص منها ابد [illegible]

الخصوص

العلوم

المقالة الرابعة في قوله سبحانه والله سميع عليم وفيه فوائد

الاول انه يسمع قول من يتكلم بالشهادتين وقول من يتكلم بالكفر ويعلم ما في قلب المؤمن من
المعارف الايمانية والعلوم الربانية وما في قلب الكافر من العقائد الخبيثة والظنون الباطلة
القول الثاني روى عطاء عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب اسلام اهل
الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة وكان يسأل الله تعالى ذلك سرا وعلانية لسانا
وقلبا فمعنى قوله والله سميع عليم انه سميع لدعائك يا محمد عليم بحرصك واجتهادك
ويؤيد هذا ما روي انه صلى الله عليه وآله لما رأى عدم الاهتداء منهم بوزره وقبولهم الدعوة
استشعر انه من جهته لا من جهتهم فزاد في الرياضة والمجاهدة والفناء المجاهدة فاوحى
الله اليه بان هذه الصفات اي الطهارة من لوث البقية المانع من التأثير في النفوس
وسلامة الاستعداد عن النقص في الاصل والكمال الشامل لجميع المراتب بالعلم الصفات
الكامنة في ذاتك الثابتة في جوهر ذاتك المقدس المتصف بجميع الصفات الملكوتية والاسماء
اللاهوتية المقتضية للعبودية التام والدعوات المستجابات وكلها معلومة مسموعة لي مشكورة
عندي سواء كانت موجبة لاهتدائهم وذلك عند وجود الصلاح والقبول بحسب الفطرة الاصلية
والسعادة الازلية او لم تكن وذلك لعدم استعدادهم بحسب الفطرة راسا او لاحتجاب قلوبهم عن نور
السعادة من اكتساب الرذائل الراسخة والهيئات الفاسقة والملكات المظلمة المتراكمة على
اصلهم فلا تهلك نفسك على عدم ايمانهم بشدة الرياضة فانه من جهتهم اما لعدم استعدادهم
لقبول الرشاد واما لوجود المانع فيهم لشدة الاحتجاب وكثافة الحجاب فكفيك ان
الله سميع لدعائك عليم بطهارة ذاتك وصفاتك

المقالة الخامسة عشر

في قوله سبحانه الله ولي الذين امنوا وفيه لوامع اللامعة

الاولى في اللغة الولي فعيل بمعنى فاعل من الولي الذي هو القرب من غير فصل و
هو الذي يكون اولى بالغير واحق بتدبيره ومنه يقال للمحب المعاون ولي لانه يقرب
منك بالمحبة والنصرة ولا يفارقك ومن ثم قالوا ان خلاف الولاية العداوة من عدا
الشيء اذا جاوزه فلاجل هذا كانت الولاية خلاف العداوة ومنه الوالي لانه يلي
القوم بالتدبير وبالامر والنهي ومنه المولى لانه يلي امر العبد بسد الخلة وما به اليه الحاجة
ومنه المولى لابن العم لانه يلي امره بالنصرة لتلك القرابة ومنه ولي اليتيم لانه يلي امره
بالحفظ له والقيام عليه والولي في الدين وغيره لانه يلي امره بالنصرة والمعونة لما
وجبه الحكم فجميع هذه المواضع معنى الاولى والاحق ملحوظ فيها وولى عن الشيء اذا ادبر
عنه لانه زال عن ان يليه بوجهه واستولى على الشيء اذا احتوى عليه لانه وليه بالقهر
والله سبحانه ولي المؤمنين على ثلثة اوجه احدها انه يتولاهم بالمعونة على
اقامة الحجة والبرهان لهم في هدايتهم وثانيها انه وليهم في نصرهم على عدوهم واظهار
دينهم على اديان مخالفيهم وثالثها انه وليهم يتولاهم بالمثوبة على الطاعة والمجازاة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك سبحانك من مبدع افاد بالالهية وجود الجواهر القادسات وانجا
بحكمته صور حقايق الماهيات فكتم في حجب الجبروت ومكامن الملكوت ما كتم وستر
ثم كشف عن مكتوبات علمه وقدرته واظهر جمل الاشياء في قضائه السابق اولا ثم
فصل وقدر وانشا مفردات الوجود ومبسوطاتها ومركباتها ومحسوساتها في
دفاتر استعداداتها وسجلات دوراتها وازمنتها واوقاتها والواح ارقام بشكلاتها
وهياتها على وفق ما كتب بيمينه وصورها في الرقم الاول والقضاء المجمل من كتابه
المبين ولوحه المحفوظ عن مس الشياطين المكنون عن الحواس والعيون التي
لا يمسه الا المطهرون عن ادناس الوساوس والاوهام والافكار المتعلقة بعوارض
هذه الاجسام وهيات عالم الظلام فكتب حروف الكائنات على صفحات القابلية
بمداد الهيولى التي هي كالبحر المسجور وانشاء منها معاني كلمات الله الروحانية التي
ما نفدت ولو نفد البحر قبل ان تنفد كلماته الباقية في يوم النشور وخلق لها صور المركبات
العلية عند ما اعتدل مزاج المفردات واستكمل وسقط بالتصفية عن لبابها القشور
وخرج بالتنقية عن صافيها العكر ثم خصص من بينها اشرف الانواع وثمرة الصنع
والابداع بكرامة خلافة الله وتعليم الاسماء كلها وجعله مسجودا للملائكة الله تشريفا
وتعظيما وسخر له بجنوده الحسية ما في الارض جميعا ليجمع له اسباب السلطنة
الصغرى ثم ايد بجنود لم تروها وسخر له بهذه الجنود العقلية جميع ما في عالم
الملك والملكوت لقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض ليتم له اسباب
السلطنة الكبرى وانما يسر الله هذه الخلافة على الحقيقة لمن اصطفاه وارتضاه
من انبياء الله واوليائه خصوصا سيد الكل في الكل ومقتدى الانبياء والرسل
محمدا واله اهالي بيوت الوحي والتنزيل وائمة علم القران والتاويل وبعد فاعلموا
اقربائي الروحانيين وذوي ارحامي الروحيين هداكم الله طريق الحق و
اليقين وسهل عليكم الوصول الى فهم كتابه المبين ان الله تعالى لما شرع في الابداع
وخلق حقايق الانواع كان عنده علوم جمة غفيرة من غير مقال وكلام كثير من
غير آلة من لسان ومقال وكتب عديدة صحايف واوراق فتكلم اولا
بنفسه وخاطب بخطاب كن في مرتبة ذاته لمن لم يكن احد
حروفا وارقاما عقلية وافاد كلمات ابداعية قائمة بذواتها من غير مادة وموضوع
ليست كعلوم في الصدور او كارقام على اوراق منشورة بل ذوات تلك الكلمات
العقلية على الواح الاجرام والابعاد وتصوير الجواهر والاعراض وهيات

الافلاك والعناصر والمركبات بمداد بحور المواد وقلم العقل الجواد ولما تمت له
كتابة الجميع على التحقيق وحصلت منه تذكرة حساب الجمع والتفريق امرنا
بمطالعة هذه الحكمة العتيقة الالهية وقراءة هذه الايات البينات الربانية
بقوله اقرا وما تيسر من القران وبقوله اقرا باسم ربك الذي خلق وبقوله
اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وحيث كنا في ابتداء الامر ضعفاء
الابصار والاحداق كما قال وخلق الانسان ضعيفا فلم يصل قوة ابصارنا الى
اطراف هذه الارقام واكناف هذه الكلمات العظام لتباعدها بتمامها وتعاظم
حروفها وكلماتها فتضرعنا تضرعا جليا اليه والزمنا انفسنا بين يديه
داعيا له لديه بلسان استعدادنا الهنا وهادينا وغاية غاياتنا ومبدا
مبادينا ارحم على قصورنا واجبر قاقتنا وكسورنا ولا تؤيسنا عن روحك
ورحماتك واهدنا سبيلا الى مطالعة كتبك وكلماتك فتلطف بنا بمقتضى حكمته
الكاملة وقدرته البالغة فاعطى لنا نسخة منتخبة من اثار رحمته الالهية والرد
كتبه وكلماته الربانية ثم قال وفي انفسكم افلا تبصرون وجعل بصر بصيرتنا
حديدا بنور الهامه وايدنا بقوة اكرامه فبعث منا نفوسا مقدسة هي
نفوس الانبياء والاولياء صلوات الله عليهم من الملأ الاعلى كل منهما كتاب
مبين مشتمل بحسب ما اودعه الله فيه على حقايق العالمين واسرار
النشاتين وخلاصة ما في الملك والملكوت ونقاوة عالم الجبروت واصطفى
من بين الادميين كلمة جامعة الهية اوتيت جوامع الكلم ونودي بانا فيه
جامع الحكم وبعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين كان ذاته
يس وخلقه القران الحكيم وهو من المرسلين على صراط مستقيم معه
تنزيل العزيز الرحيم فتم له الملك والملكوت وكمل له الخلق والامر فسبحان
الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون فجعل نسخة وجوده وسيلة نجاة الخلق
من عالم الجهل والظلمات والقران النازل عليه براءة العبد من عذاب السيئات
والاقتداء بنوره صراط الله العزيز الحميد والاهتداء بهدايته سبيل الوصول الى جناب
المجيد فافتح بصيرتك يا انسان بنور معارف القران واقتد اية المبلغ الرحمن بالحجة
رسول الانس والجان واعلم ان الباري وحداني الذات في ازل الازلين وخليفة الله وحداني
الذات في اخر الاخرين كما بدأكم تعودون فانه تعم رب الارض والسماء وهذا الخليفة
مرآة يرى بها وفيها جميع الاشياء من عرف نفسه فقد عرف ربه والنبي اولى بنا

كما قال ربنا

من انفسنا لقوله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم ولقوله صلى الله عليه
واله الست اولى بكم من انفسكم لانه الاصل في الوجود والمومنون تابعون له في المقام
المحمود فالمومن من صحت له نسبة التابعية بمثابة مراة محاذية لمراة في مقابلة الشمس
والمومن من صفى عن مراة وجهه بصفاة التوحيد والعرفان رين التعلقات
ونفى عن صفحة ذاته بصقالة لا اله الا الله نقوش الكائنات ليتجلى له حقيقة الحق عند نفي
الشرك والظلام ويبقى له وجه ربك ذو الجلال والاكرام وانما هذه التصفية هي
ذهاب العبد الى الرب طلبا للهداية اني ذاهب الى ربي سيهدين وهذه
التبعية مواجهة العبد مع الرب اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
وهذه التبعية توحيد الذات عن ما سوى الله ان ابراهيم كان امة قانتا
لله فاذا بلغ الانسان هذا المبلغ من البراءة عن غير الله مات عن نفسه
وصارت نفسه مراة مجلوة يحاذى بها شطر الحق فانعكس فيها سر
الملكوت وفاض عليها قدس اللاهوت ومات عن غير الله وعن نفسه وهو
وحشر الى ربه باقيا ببقائه متسرمدا بسرمديته ونفذ حكمه واستجاب دعاه
على حسب التابعية ومقام الرضا وتكرم بكرامة التكوين والايجاد ولكم
فيها ما تشتهي انفسكم وانتم فيها خالدون وكتب اليه البارى سبحانه كتابا
الهيا عنوانه كما ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه واله قوله تعالى
من الحي القيوم الذي لا يموت الى الحي القيوم الذي لا يموت اما بعد فاني اقول
للشئ كن فيكون وقد جعلتك تقول للشئ كن فيكون قال ص فلا تقول احد
من اهل الجنة كن الا ويكون ثم لما كان الوصول الى هذه المنزلة مستحيلا الا
بتحصيل العلوم الحقيقية ومكاشفة الاسرار الالهية ولا شك ان اجل العلوم
رتبة واعلاها درجة ومنقبة واعظمها ثمرة وغاية هي معرفة الحق الاول وما
يليه من عقوله وملائكته وكتبه وصحائف ملكوته ورسله واوليائه
ومعرفة اليوم الاخر واحوال القيمة وطبقات الناس فيها من السعادة
والشقاوة وهذه المعارف هي هي المسماة بالايمان عند اولياء
الشريعة وبالحكمة الالهية عند طايفة من ائمة الفلسفة ولان الله اول
ما دعا المكلفين من خلقه انما دعاهم الى النظر والاعتبار للوصول الى
توحيد ذاته ومعرفة صفاته واياته بالدلالات الواضحة والبراهين الدالة
على وحدانيته وتنزيهه ذاتا وصفة وفعلا عن مشابهة خلقه
وقطع عذرهم وازاح عللهم حيث امر بالنظر والاعتبار في كتابه المنزل

من الس

من السماء باكثر من اربعمائة اية تصريحا وتلويحا ومدح الناظرين والمتاملين
الذين عرفوه ودعوا الخلق الى معرفته باياته فقال عز من قائل شهد الله انه لا اله
الا هو والملائكة واولوا العلم وظهر من هذه الاية ان الموحدين بعد الله وملائكته
هم اولوا العلم ومما يدل على ان القائل بنبوة رسوله ص هم العلماء دون غيرهم
قوله ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق اذ كل عارف
لشئ لا يعرفه الا بما في نفسه من معناه فمن لم يكن معرفته له حظ من العلم
ونصيب من المعرفة لا يعرف العالم وعلمه فضلا عما به يمكن معرفته وكذلك
حكى ايضا عن خيار رسل الله وامنائه على خلقه استعمالهم طريق المباحثة
والجدل مع من ليس له رتبة البرهان والمكاشفة لانه غوى عن المحجة وضل
وعدل عن الطريق الامثل وافضل وهي احدى الصناعات الخمسة المشهورة
في فن الميزان الذي هو قسطاس مستقيم يوزن به مثاقيل الالفاظ
وموازين الافكار فقال في قصة نوح يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا
وقال في قصة ابراهيم اب الانبياء وشيخ المجد بعد نبينا واله
وعليه الصلوة والتسليم الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان اتاه
الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيى ويميت قال انا احيي واميت
قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
فبهت الذي كفر والله لا يهدى القوم الظالمين وقال سبحانه رفعا
عن نظره واعتباره فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي
فلما افل قال لا احب الافلين الى فلما راى الشمس بازغة الاية فسلك
عم طريق الحكمة في اثبات الربوبية فاخرج هذه الاجرام عن الربوبية
بعلة اشتراكها في الافول والزوال والانتقال من حال الى حال وسمى
استدلاله حجة واضافه الى نفسه فقال عز وجل وتلك حجتنا
اتيناها ابراهيم نرفع درجات من نشاء فانه تعم بالعلم رفع
درجة ابراهيم عم ثم امر بذلك رسوله المصطفى ص بقوله ان اتبع ملة
ابراهيم حنيفا فيقتضي امره تع ان يحتج كما احتج ويستدل كما استدل
فقال عز من قائل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي احسن فهذه ثلث صناعات من الصناعات
الخمس المذكورة اذ الصناعتان الاخريان اعني الشعر والمغالطة
غير لائقتان بشان النبي وما ينبغي له الشعر لدناءة رتبته وهنه ولا

حبي بد

قوله صح

لان التغليظ ينافي منصب النبوة والاهداء وجلاله النبي ارفع من ان
يوقع عليه الغلط وقال لكافة المومنين ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي
هي احسن فامره سبحانه وامته بايضاح طريق الحق بالجدل وكشف الحق عن
الباطل ونهى عن التقليد وذم اهله وامرهم بالمصير الى النظر والمعرفة وخوفهم
بالزجر عن اتباع الرجال السابقين وتقليد الاسلاف والمشايخ الماضين
والقول في دينهم بغير دليل فقال سبحانه واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا
بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير
وقال ايضا في اخباره عن عدم امتثال هولاء وردهم ما اتى به النبيون فقال
انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون فتامل كيف عيرهم الله
به وجعل من اعظم ذنوبهم تقليد الغير من غير استبصار وتركهم النظر والعبا
فان الادلة النافعة والحجج المقنعة انفع شئ للسالك في طريق المعرفة اذ بممارسته
تاوى الى البراهين الصحيحة والمشاهدات الصريحة لا بآيات تعد
فثبت بذلك ان المعارف اليقينية والعلوم الحكمية اساس الدين وراسه
ما اهل اليقين الذي سجد طريقه ويومن سالكه ويكفر تاركه ولا يعذر
من اخطا في اجتهاده وعدل عنه ولهذا قال ستفترق امتي على ثلث
وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وبرواية كلها في النار الا واحدة
وفي رواية قيل يا رسول الله وما تلك الواحدة قال ما انا عليه اليوم
واصحابي وهذا بخلاف فروع الدين فانها علوم متعلقة بكسب
الاعمال وهي في معرض الزوال فلهذا قال المجتهد وانما تيسير للخلق
لو روى ايضا من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اجتهد واخطا
فله اجر واحد ففرق صلوات الله عليه واله بين اصل الدين وفرعه
لما في اصل الدين من الخطر العظيم والثواب الجسيم ومن طلب
الجسيم خاطر لا محالة تعظيم ولا يكون في هذا العلم كل مجتهد مصيبا
ولا المخطي في اجتهاده معذورا ماجورا بل باتفاق العلماء يكون
مازورا معكوسا مطرودا عن باب الله فاذا ثبت هذا فمن شان العاقل
ان يبدا بالاهم فالاهم ويحتاط لنفسه ويطلب ما فيه النجاة والفوز
في القيامة بالدرجات فان امور الدنيا زايلة وعذاب الله شديد
واعظم الاحتجاب عنه يوم القيمة وهو العذاب المقيم كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ولا شبهة في ان القرآن العظيم

انما نزل لتعليم الخلق وسلوكهم الصراط المستقيم اذ تلاوته علم النبيين و
غاية معارف الاولين والاخرين وثمرة انظار الحكماء السابقين والاصفين
اذ كل سورة من سورة باب حكمة الله التي لم ير مثلها عيون اعيان الادميين وكل
آية من اياته نور نستضاء به سبيل الحضرة رب العالمين ومن بينهما سورة يس
لها مزيد اختصاص في كشف علوم الدين وايضاح طرق اليقين فلما يوجد
في غيرها وقد وردت الاخبار في فضلها وشرفها وجزيل الاجر والثواب
لقاريها وجميل الرحمة وحسن المآب لمتأمليها وتاليها وكفى بذلك شاهدا
مبينا من قول كل شئ قلب وقلب القران يس فان مزية القلب على سائر
الاعضاء ورياسته لها وتقدمه في مابه الانسان انسانا لما فيه من
اللطيفة الملكوتية غير مخفية على اولي النهى وذوي الحجى فهكذا سورة يس لما
فيها من عظايم الاسرار الالهية والعلوم الربانية ولطايف معرفة المبدا والمعاد
ودقايق كيفية الوحي والرسالة ونشو الاخرة لنفوس العباد واحوال الخلايق في
السعادة والشقاوة يوم القيمة وفناء الكل ورجوعها الى الواحد القهار
فان هذه المعارف هي غاية القصوى لاستكمال الانسان ولاجل الاهتداء
اليها خلق الله الخلق وكلفهم بالايمان ولاجلها بعث الرسول وانزل القران
اذ الغرض الاصلي من هذا البعث والانزال سياقة الناس الى الجنة والرضوان
والحشر الى الله في زمرة مقربيه ومجاوريه من ملايكته وانبيائه يوم يحشر
المتقين الى الرحمن وفدا وخلاص اهل السعادة من دركة الخذلان وعذاب
الطرد والنيران وقد جمع لنا بتاييد الله وحسن توفيقه نكات ودقايق
عديدة قرانية وتحقيقات لمطالب شريفة قرانية وبراهين لمقاصد
لطيفة ايمانية ومسايل الحقايق عويصة عرفانية متعلقة بهذه السورة
مختصة باشاراتها الربانية ورموزها النبوية وكنا قد رفعنا الحجب عن
سور عديدة من القران وكشفنا قناع الغموض عن وجوهها بتوفيق الله
لهذا العبد المستهان فرايت ان انظم هذه الرموز والنكات في سلكها
واضيف هذه الفرايد في تلوها ذخرا ليوم المعاد وتقربا الى الحق الجواد
وقد رجوت منه واستدعيته من جوده وتشفعت بشفعاء يوم الدين
وتوسلت باعترة طريقة الحق واليقين محمد واهل بيته المقدسين صلوات الله
عليهم اجمعين ان يوفقني هذا التفسير الكبير وييسر لي اكمال هذا الامر الخطير
اذ بيده تيسير كل عسير وبحسن عنايته تنجبر كل كسير ويعفو عن كل زلل

وتقصير فها انا اشرع في المقصود مستمدا بواهب العقل والجود لانه الاكرم
العميم ولا أومل الا بفيضه الجسيم • بسم الله الرحمن الرحيم يس
اى يا انسان اعني محمدا صلى الله عليه وآله وذلك لانه الانسان تحقيقا المعنوي
الذي اجتمعت فيه صور الاسماء كلها مفصلة كما في العقل الاول مجملة لما
روى عن ابن عباس ان معناه يا انسان في لغة طي وقيل في توجيهه لفظا
ان صح النقل ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على الستهم حتى اقتصروا
على شطره كما قالوا في القسم من الله في ايمن الله وقد مرت الاشارة في سورة
السجدة الى قاعدة كلية في الحروف المقطعة بها يمكن ان يستنبط معنى الا ان
الكامل من كلمة سين فقط ان كان يا حرف النداء ومن مجموع يا وسين
بوجه اخر ان لم يكن كذلك فليرجع اليها وقرئ ياسين بالفتح كيف واين
او بالنصب على اتل ياسين وبالكسر على الاصل وبالرفع على هذه ياسين
واتفق اكثر المفسرين على ان المراد منه النبي ص وان اختلفت العبارات
وتعددت الاشارات فقيل معناه يا انسان وهو قول ابن عباس وقيل
يا رجل عن الحسن وابي العالية وقيل معناه يا محمد عن سعيد بن جبير و
محمد بن الحنفية وقيل معناه يا سيد وقيل هو اسم النبي صلى الله عليه
وآله عن علي عليه السلام وابي جعفر الباقر ع ولهذا آله عليهم السلام
آل يس والقرآن الحكيم المحكم من الباطل او التحريف او ذي الحكمة
لما فيه من الآيات الدالات على العلوم الربوبيات وفيه سر آخر وهو ان
يكون المراد به عقل الرسول الذي فيه صور معلومات الاشياء وحقايقها
كما في اللوح المحفوظ وهو ذكر الحكيم وقد وقع الاصطلاح من اقوام على تسمية
العقل الذي فيه مبدا تفاصيل المعقولات عقلا قرآنيا وعلى تسمية النفس
التي استمدت من حضور تلك التفاصيل عقلا فرقانيا فعلى هذا يكون
هذا القسم من قبيل لعمرك ومما يؤكد هذا المطلب ان كلما ظهر من الآثار
الصادرة من الله في مظهر خاص بحسب ما يوجد من ملكة قائمة او صفة
راسخة او اتصال قوي بالمبدا الفعال فهو انما كان من حقيقة ذلك المظهر
فالقرآن بحسب الذات والمهية كان خلق الرسول وهذا مما اتفق عليه
اذواق اهل الله انك لمن المرسلين من الحق الى الخلق في السفر
الثالث الذي هو بعد السفرين الاولين احدهما المعراجي والآخر
الاسمائي فان الرسالة من قبل ملكه مسبوقة بالوصول اليه والمعارفة

لنفس بدل

معه على صراط مستقيم وهو الطريق الذي يفضي سالكه الى الحق الاول
وهو الذي كان مسلوك جميع الانبياء ثم الاولياء ثم الحكماء ثم الامثل فالامثل من
دين التوحيد الالهي وهو تهذيب النفس اولا بالاعمال والآداب الشرعية عن وساوس
الاوهام وعقل الشهوية والغضبية الذي هو بمنزلة اماطة الاذى عن الطريق ثم تثبيتها
عن اغواء وساوس النفس الوهم واضلال الشياطين الجن والانس بالعلوم الجزئية
والتعليمية وهو بمنزلة مدافعة قطاع الطريق ثم تكميل افضل اجزاء النفس وهو
القوة النظرية بالعلوم الحقيقية والمعارف الالهية وعند ذلك يكون اوان
الوصول الى المقصد الاول الذي اليه ينتهي سير العقول الا الى الله تصير الامور
والمتكفل لجميع هذه المعاني على اشرف وجه واكده هو القرآن المجيد الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد كما قال تنزيل العزيز
الرحيم وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وبالنصب على تقدير اعني
وبالجر على البدلية من القرآن او من الصراط لان القرآن المبين حبل الله المتين
وبه يسلك سبيل رب العالمين ويفتح الى سماء الحق واليقين والتنكير في صراط
مستقيم دال على انه من بين الصراط المستقيمة بحيث لا يكتنه وصفه ولا يحاط بحده
ثم بين الغاية في ارسال الرسول وتنزيل الكتاب بقوله لتنذر قوما بهذا القرآن
وتعلم بهذا الكتاب والحكمة قوما ما انذر اباؤهم الاقدمون واشباههم
الماضون بهذه المعارف القاضية الالهية والمقاصد الشريفة الالهية خصوصا علم
المعاد وبعض احوال المبداء فانه لا يستقل به العقول ولا يدركه احد الا بمتابعة اهل
بيت الرسول ع فهم غافلون عما وراء طور العقل كما نعقل ساير عوام
الناس واصحاب الحواس عما يدركه الاكياس بدقة عقولهم من غير استيناس
بالقرآن والاقتباس وقوله قوما ما انذر اباؤهم صفة وموصوف من باب
وصف الشيء بحال متعلقه اى قوما غير منذر اباؤهم على نحو قوله لتنذر قوما
ما اتاهم من نذير من قبلك والمعنى والله اعلم ان الاديان والعلوم لكل لم يكن
في الازمنة الماضية والامم السابقة بهذه المثابة من التمامية والكمال والتقدس عن
النقص والشر والوبال كما في قوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم
ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون وعن قتادة لانهم كانوا في
زمان الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وعن الحسن لم يأتهم نذير من انفسهم
وقومهم وان جاءهم من غيرهم وقيل معناه لم تأتهم من انذرهم بالكتاب حيث ما اتت
وهذا على قول من قال كان في العرب قبل نبينا ص من هو نبي كخالد بن سنان وقس بن

ساعدة وهذا الوجه قريب مما ذكرناه اولا فافهم ومنهم من جعل ما مصدرية
او موصولة منصوبة على المفعولية الثانوية فيكون الكلام على هذين الوجهين لاثبات
الانذار السابق لا لنفيه اي لتنذر قوما ما انذر اباؤهم او لتنذر قوما ما انذره اباؤهم
من العذاب وغيره فقوله فهم متعلق على الاول بالنفي يعني عدم الانذار منشاء
غفلتهم وذهولهم وعلى الثاني متعلق بالانذار من باب تعلق السبب المستدعي
لشئ به كما تقول اوعظ فلانا فانه غافل او فهو غافل لقد حق القول على
اكثرهم فهم لا يؤمنون لان الايمان عبارة عن صيرورة النفس بحيث يعرف الله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ويعمل بمقتضاه ويسلك بموادة وينهى النفس
عما يهواه ويعبد الله كانه يراه وهذا مما لا يتيسر الا بنفس زكية وقلب لطيف
قابل للتصوير الحقائق واكثر الناس غلبت عليهم الجسمية والكثافة او الشقاق والشيطنة
وكلاهما حجاب الا ان الاول بحسب النقص الواقع بسبب التجسم في اول
الفطرة والثاني من باب المرض المزمن الطارئ فاذا تقرر ذلك فاعلم ان في
القول قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهو عبارة عن حكم القضا
وتقديره الازلي بان نظام هذا العالم وعمارته ووجود العلماء والمهتدين
وعبوديتهم لا ينتظم ولا ينصلح الا بان يكون في العالم نفوس غلاظ وقلوب قاسية
وشياطين انسية مكارة بحسب ما غلبت عليهم من طاعة الشهوة والغضب
وخدمة الهوى والتردي الى اسفل درك جحيم الدنيا ولذلك خلقهم
وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فيتوجهون بتلك الدواعي
والاغراض الخسيسة الى عمارة الدنيا والسعي في طلبها والاخلاص اليها والعمل
لاجلها من الزراعة والعمارة واخراج القنوات وتحصيل المزروعات
وصنعة المكاسب الدنية والصنايع الكثيفة كالحجامة والكنس والحياكة
وغير ذلك وسبيل عمارة الدنيا غير سبيل عمارة الآخرة من تلطيف السر
بالتقوى وتنوير الروح بالعلم والهدى الا ترى الى قوله تع في الحديث
القدسي اني جعلت معصية آدم سببا لعمارة العالم وفي الحديث ان الله
يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وقد اوردنا هذه المعاني والدلائل في تفسير
سورة السجدة عند قوله تعم ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق
القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ومن تامل في وضع واسبابها
علم ان التعيش لا يتصور الا بان يكون اكثر الناس غليظ الطبايع دنية
الهم بعيدا عن تذكر الدار الاخرة وعالم الملكوت كما دلت عليه آيات كثيرة

في هذا الباب كقوله وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقوله وما
يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وكقوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن و
الانس لهم قلوب لا يفقهون بها الآية وكقوله واكثرهم الكافرون وقوله
واكثرهم للحق كارهون وقوله ولكن اكثرهم لا يشكرون وكل من توجه قلبه
الى الدنيا سهل الله عليه طريقها ومن توجه سره الى الاخرة وعالم الملكوت سهل
الله له سبيلها وكل ميسر لما خلق له ومآل طالب الدنيا الى الجحيم ومآل طالب الاخرة
الى النعيم من كان لله كان الله له ومن كان للدنيا كانت الدنيا سبيله ومتبعا
ومولاه ومن يولي غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم ثم مثل
تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى تعليمهم وارشادهم بقوله انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان الضمير للاغلال لان طوق الغل في عنق
يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها راس العمود خارجا منها الى الذقن
فلا يخليه يطاطئ راسه ويوطئ قذاله فهم مقمحون رافعون رؤسهم وغاضون
ابصارهم من قمح البعير اذا روى ورفع راسه وقيل للكانونين شهرا قماح
لان الابل اذا وردت الماء ترفع راسها لشدة برده ومنهم من جعل
الضمير للايدي على سبيل الكناية وان لم يكن مذكورة لدلالة الاغلال والاعناق
عليها وذلك لان الغل يجمع اليد الى الذقن والعنق ولا يجمع الغل الى الذقن واكد
ذلك بما يروى عن ابن عباس وابن مسعود انهما قرا انا جعلنا في ايمانهم
اغلالا وبقراءة في ايديهم ورجح الاول بقوله فهم مقمحون حيث جعل الاقماح
نتيجة ما ذكر ولو لم يكن للسببية وجه وبان الاضمار ضرب من التعسف و
عدول عن الظاهر وعلى الوجهين لا يتفاوت المعنى لان الغل لا يكون في العنق
دون اليد ولا في اليد دون العنق والمقصد تمثيل حال الجهلة الناقصين الكافرين
او المعاندين المنافقين المعرضين عن العلم واليقين والحكمة والدين في اصمامهم
عن استماع كلام اهل الحق برجل غلت يداه الى عنقه لا يمكنه ان يبسطها الى
خير وهو اشارة الى قصور القوة النظرية التي هي بمنزلة اليد اليمنى للنفس
عن درك الحقايق وقصور القوة العملية التي هي بمنزلة اليد اليسرى لها
عن فعل الخيرات وترك اللذات وبرجل طامح براسه لا يبصر موطئ قدمه
وهو اشارة الى استنكاف النفس المعروفة المجودة العنودة المحجوبة بفطانة
البلهاء المفترة ببصيرة العشاء عن قبول التعلم والاستكبار عن الحق والاعتراء

يطاطئ
بزير اندازد

بعقله الجزئي وذلك لان المستكبر عند استكباره يكون رافعا راسه لاويا عنقه
شامخا بانفه لا ينظر الى الارض وانما اضاف الجعل الى نفسه اما لان عند تلاوة
النبي القران عليهم ودعوته اياهم صاروا بهذه الصفة فهو مثل قوله انسوكم
ذكري واما لان الموجد لهذه النفس الشقية الجاهلة التي كفرت بانعم الله
انما خلقها لتعمير هذه الدنيا الفانية واستخدامها لامور حيوانية تتوقف
على اخلاق ذميمة وهيآت رديئة ينشاء منها هذه الحالات عند سماع الايات
لانها ما خلقت لاجله وخلقت لاشياء اخر لو لم يكن هي لوقع الضرر في اشياء
شريفة روعي جانبها ولعلها افهم وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن
خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون هذا تمثيل لحالهم بحسب ما يوجبه الاسباب
والعلل الخارجية كما ان الاول تمثيل لحالهم بحسب ما يودي اليه المبادي والاسباب
الداخلية اي من هذه صفتهم في اعراضهم وقبول الايمان والهداية وسلوك الصراط
المستقيم فقد حل فيهم غضب الله عليهم وخذلانه اياهم فكانه قال تركناهم مخذولين
وطردناهم ملعونين باسباب يدعوهم الى طريق الشر والخذلان والطرد اذ
سد عليهم جوانبهم عن الوصول الى دار النعيم وضيق عليهم الطريق الا الى الجحيم
لانهم اشقياء مردودون الى اسفل السافلين مقهورون بالقهر الالهي لا ينجع
فيهم الانذار ولا سبيل الى خلاصهم من النار كذلك حقت كلمة ربك على الذين
كفروا انهم اصحاب النار سدت عليهم الطرق واغلقت عليهم الابواب
اذ القلب هو المشعر الالهي الذي هو محل الايمان حجبوا عنه بختمه وطبعه ورينه
والسمع والبصر هما المشعران لادراك الانسان الكامل خليفة الله في
ارضه وهما بابان للفهم والاعتبار حرموا عن جدواهما لطمس عيونهم وصمم
اذانهم فلا يمكنهم الانتفاع بهما والاستعمال فيما خلقا لاجله لامتناع نفوذ المعنى
فيهما الى قلبهم فلا سبيل لهم في الباطن الى العلوم الكشفية الالهامية ولا في
الظاهر الى العلوم التعليمية الكسبية الادبية فسدت عليهم الطريقتان فالسد
الاول الواقع من بين ايديهم يوجب انسدادهم من الوصول الى عالم الاخرة
وعالم الغيب والباطن الذي يتوجه اليه النفوس بحسب الفطرة بالموت
الطبيعي والسد الثاني الواقع من خلفهم يوجب انسدادهم عن الانتفاع
بعالم الاجسام وصرف نعم الله من الالات والحواس الجسمانية فيما خلقت لاجله
فحبسوا في سجون الظلمات ودفعوا الى سجون اودية الهوى والدركات
مغشيون باغشية الهيئات الرديات مغطون باغطية الشواغل الماديات ولذا
قال فاغشيناهم فهم لا يبصرون اي اغطيناهم هنا وجعلنا عليها غشاوة عن ان

يطمح الى مرئى لان شروط الروية مفقودة لانهم في حجب ثلثة وظلمات ثلث
عمى القلب اولا وعمى الشواغل والتعلقات ثانيا وعمى الجحود والعناد ثالثا فما اعظم
عذابهم وما اشد حجابهم حيث قال الله تع فيهم اعراضا عنهم وتسريحا
اياهم في مرتع الدواب حلمي القدار وتسوية بينهم وبين الانعام السائمة
بلا قيد وعقال سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون لان الايمان
مرتبة من العلم بالمبداء والمعاد والتقوى موجبة والزهد في الدنيا والتجرد
عن دار الاكدار والرضاء بقضاء الله والتوكل عليه في كل المواد وهي تقتضي
الى روية صافية وقادة وقلب خاشع خاضع لذكر الله تشوق الى عبودية متواصل
الفكر في طلب الحق والوصول الى دار القرار ومنزل المصطفين الاخيار فكيف يتصور
هذه الامور من قلوب هي كالحجارة او اشد قسوة فلا ينجع فيهم الانذار ولا ينفع
لهم التعليم والتكرار بل الانذار والتعليم انما ينفع للقلوب الرقيقة اللطيفة الخاشعة
لله او طالبة للحق ويذكر الايات والمعارف كما قال انما تنذر من اتبع الذكر وخشي
الرحمن بالغيب لكونه ذا فطرة صحيحة وقلب خاضع خاشع لذكر الله خاشي
من الرحمن في عالم الغيب وانما اطلق هذا الاسم للاشارة الى ان خشية اهل العرفان
حاصلة من ادراك العظمة لله وشدة النورية الالهية واشعة الرحمة اللامتناهية وليست
الخشية منهم خشية العقاب والا لناسب ان يذكر بدل اسم الرحمن اسم المنتقم او القهار
او العدل واعلم ان نفي الانذار ههنا عن النبي ص بالقياس الى الاشقياء المردودين
كما يستفاد من كلمة انما الكائنة للحصر ليس ينافي لثبوته سابقا مع انتفاء الايمان وذلك
لان النفي ههنا باعتبار نفي ترتب الغاية والبغية لان ثمرة الانذار ترتب الايمان فاذا
انتفت الثمرة فكانه انتفى الانذار واما الاثبات هناك فهو باعتبار تحققه في نفسه
مع قطع النظر عن التاثير ووجود الاثر فلا تنافي بينهما وهذا كالشمس المضيئة التي
شانها اضاءة وجه الارض فاذا حجب عنها حجاب وحدث فوق الارض سحاب
فلم يستضاء بها وجه الارض يصدق على الشمس انها مضيئة ويصدق
ايضا انها غير مضيئة كل منهما باعتبار اخر فبشره بمغفرة من الله عن ذنوبه
المتقدمة والمتاخرة لكونه رده في جحيم الدنيا ومصاحبة موذياتها وبقوله
الصفات الهيولية مدة بشوم الاقتران مع الاقران السوء ورويتهم واجر
كريم ونعيم جسيم من جنة الافعال والصفات والذات على حسب الدرجات
كان قبول دعوة الحق بالانذار والاهتداء بفهم الايات والانوار وطلب اليقين
بحقايق الدين يوجب ان يحيي القلوب بالحيوة الاخروية ويتنور بروح المعارف

اليقينية وتخلص من موت الجهالة وتنجو من عذاب الاخلاق الردية
وكل ما يخرج من القوة الى الفعل يحتاج الى سبب مخرج اياه والمخرج للنفوس
الميتة بموت الجهل وعذاب النقص والافة الى روح العقل المستفاد المضيء في
دار المعاد وفسحة المعارف والانوار الواقعة في دار القرار ومشاهدة الصور الحسان
الموجودة في طبقات الجنان انما يكون مبدءا دراكا فعالا للمعقولات خلاقا للعلوم
المفارقة عن هذه الماديات وهو الباري سبحانه او ضرب الملائكة المقربين اذ لو
لم يكن حصول المعارف عنده او عند مقربيه بتاييده على سبيل الفعالية لكان مفتقرا
في دراكه للمعارف والعلوم وخروجه من القوة الى الفعل مفتقرا الى مبدا اخر اجل
منه رتبة وفضيلة فيلزم ان يكون اله العالم ناقصا في رتبته مفتقرا الى غيره
في كمال وجوده وهو ممتنع عليه تعالى عما يقوله الظالمون علوا كبيرا فعقب ذلك
بقوله انا نحن اي هو تعالى او ضرب من الملائكة المقربين المهيمين الذين فعلهم
مطوي في فعل الحق لفناء ذواتهم عن ذواتهم بغلبة سلطان النور الطامس
الازلي على انوارهم واختفاء اشعة انانياتهم العقلية تحت شعاع الضوء الاتم القيومي
نحيي الموتى من النفوس الهالكة في عالم الظلمات ومقبرة الدنيا وقبور الهيئات
البدنية النائمة نوم الغفلة وقصور الوجود بروح المعارف والعلوم ويقظة
الكشف والشهود ويؤيد هذا ما ذكر عن الحسن احياؤهم ان يخرجهم من
الشرك الى الايمان وقيل نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم ونكتب ما قدموا واثارهم
قيل اي ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من اثار حسنة كعلم
علموه او كتاب صنفوه او بناء بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك
او سيئة كوظيفة وظفها بعض الظلمة على الناس او سكة احدثها فيها
تخريبهم او لهو فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاه كالنرد والشطرنج وكذلك
كل سنة حسنة او سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم
واخر اي قدم من عمل واخر من اثاره
الاشارة في تحقيق هذه الاية ان كل من فعل فعلا او تكلم كلاما او عمل عملا صالحا
او اقترف معصية يحصل من ذلك اثر في نفسه وحدث فيها حال وكيفية نفسانية
هي ضرب من الصورة والنقش واذا تكررت الافاعيل وتكررت الاقاويل
استحكمت الاثار في النفس فصارت ملكات بعد ما كانت احوالا والمقام
في لغة اهل التصوف هو هذه الملكة فيصدر بسببها الافعال المناسبة لها
بسهولة من غير روية ومن ههنا يتاتى تعلم الصنايع وتهيا المكاسب العلمية
والعملية ولو لم يكن هذا التاثير للنفس والاشتداد مائة فيها يوما فيوما لم يكن

[illegible]

للانسان يعلم الحرف والصنايع بل يحتاج في كل تراخ وتعطل الى تجشم كسب جديد
ولم ينجع التاديب والتهذيب في الانسان ولم يكن ايضا في تاديب الاطفال و
تمرينهم الاعمال فايدة فالاثار الحاصلة من الافعال والاقوال في القلوب بمنزلة
النقوش الكتابية في الالواح اولئك كتب في قلوبهم الايمان وهذه الالواح النفسية
يقال لها صحايف الاعمال وتلك الصور والنقوش الكتابية يحتاج في حصولها
في تلك الالواح الى مصور او متصور وكاتب غير تلك الموضوعات لما علمت من
استحالة كون شيء واحد مصورا ومتصورا ونقاشا ومنتقشا ومعلما ومتعلما
وبعلة فاعلا وقابلا واستحالة كون المعطي للكمال قاصرا عنه فالمصورون والكتاب
يجب ان يكونوا اجل رتبة واشد تجردا واعظم كرامة من النفوس القابلة لهم الكرام
الكاتبون وهم ضرب من ملائكة الله المتعلقة باعمال العباد واقوالهم لقوله تعالى ما
يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وهم على كثرة اصنافهم حسب اصناف العباد ضربان
ملائكة اليمين وهم يكتبون اعمال اصحاب اليمين وملائكة الشمال وهم يكتبون اعمال
اصحاب الشمال واليه الاشارة في قوله تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال
قعيد وفي الخبر كل من عمل حسنة يخلق الله منها ملكا يثاب به ومن اقترف سيئة
يخلق الله منها شيطانا يعذب به فالاول اشير اليه بقوله تعالى ان الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا
بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة والثاني
اليه الاشارة بقوله تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم
وقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وفي كلام بعض اعاظم
وهو من اساطين الحكماء المقتبسين انوار معارفهم من مشكوة علوم الانبياء عليهم السلام
اعلم انك ستعارض باقوالك وافعالك وافكارك وسيظهر لك من كل حركة فكرية او قولية
او عملية صور روحانية وجسمانية فان كانت الحركة غضبية شهوية صارت مادة
لشيطان يوذيك في حيوتك ويحجبك عن ملاقاة النور بعد وفاتك وان كانت
الحركة عقلية صارت ملكا تلتذ بمنادمته في دنياك وتهتدي بنوره في اخراك الى
جوار الله وكرامته انتهى وهذا النور هو ما يشار اليه بقوله تعالى يوم يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم وامثال هذا في كلام الله كثيرة كما ستطلع لك تفصيله ان شاء الله
ثم اذا تقرر هذا فقوله ما قدموا اشارة الى تلك الاحوال النفسانية والارتسامات
المتتالية مرة بعد اخرى قبل رسوخ تلك الصفات وصيرورتها ملكة يعسر زوالها
وقوله واثارهم اشارة الى الملكات الراسخة التي هي اثر حاصل بعد انقضاء الاعمال وانقطاع
الاعمال المستدعية لها ثم لما كان هذا العالم دار التغير والزوال والواح النفوس المتعلقة بها

قابلة للمحو والاثبات يمكن فيها تبديل الصفات والهيات وازالة السيات بالحسنات
والتوبة عن المعاصي قبل حصول الاخلاق والملكات وسد ابواب المغفرة عند
استحكام الرين والظلمات واما عند ظهور الاخرة فيستحكم الاخلاق بحيث يصير
كل خلق رؤي صورة خلق آخر من الحيوان فيحشر الناس على حسب هيآتهم كما ورد
في الحديث وهذا معنى قوله يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن
يعمل مثقال ذرة الاية رسوخ الهيات وتأكد الاوصاف الحاصلة من
اعمال الحسنات والسيات هو المسمى عند الحكماء بالملكة وفي لسان اهل النبوة
والمشاهدة بالملك والشيطان والمعنى واحد وان اختلفت الاشارات
ولو لم يكن لتلك الملكات النفسانية من الثبات ما يبقى ابد الاباد لم يكن
خلود اهل الطاعة والمعصية في الثواب والعقاب وجزاء فان منشاء الدوام
لو كان نفس العمل او الحالة الزائلة عن النفس فيلزم بقاء المعلول في زوال
العلة وايضا الفعل الجسماني الواقع في زمان متناه ومكان خاص كيف يكون
منشاء للجزاء الثابت في الزمان الغير المتناهي ومثل هذه المجازاة لا يليق
بالحكيم وقد قال وما انا بظلام للعبيد وقال ذلك بما كسبت قلوبهم ولكن
انما يخلد اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار بالثبات ومن مهمات نظيرات
نكتة اخرى في قوله ونكتب ما قدموا واثارهم وهي بيان السبب الموجب للعقاب
من غير ظلم وجور واعتساف وميل في الميزان والحساب فكل من عمل مثقال
ذرة من الخير والشر يرى اثره مكتوبا في صحيفة ذاته او صحيفة ارفع من
ذاته في كتاب لا يجليها لوقتها الا هو واذا حان وقت ان يقع بصره الى وجه ذاته
عند كشف الغطاء وفراغه عن شواغل هذا الادنى وما يورده الحواس و
ملتفت الى صحيفة باطنه وقلبه وهو المعبر عنه بقوله واذا الصحف نشرت فمن كان
في غفلة عن ذاته وحضور قلبه يقول عند ذلك كما حكى الله عنه بقوله ما لهذا
الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا
يظلم ربك احدا واشير الى نشر الصحف ايضا بقوله يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وفي الخبر ايضا ان من قال سبحان
الله غرست له شجرة في الجنة ومن قال كذا وكذا خلق الله حورا العين وقصورا
او بيوتا وانهارا تمتع بها ابدا مخلدا وكذا الحكم في جانب المعصية فيخلق الله من
سيات المجرمين والمنافقين ما يكون سبب الامهم دائما مخلدا وقال تعالى في
قصة نوح عليه السلام انه عمل غير صالح وفي الخبر خلق الكافر من ذنب المؤمن ونظاير هذه
كثيرة في الايات والاخبار ومنشاء ذلك ان الدار الاخرة دار الحيوة لقوله

الدار الاخرة دار الحيوة ولقوله ان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومواد اشخاص
الاخرة ليست من جنس الدار الدنيا لان هذه دار الشهادة وهي دار الغيب والانسان
اذا انقطع عن الدنيا وتجرد عن مشاعر هذا الادنى وكشف عنه الغطا كان الغيب
بالنسبة اليه شهادة وحضورا والعلم عينا والخبر عيانا والسر علانية فكل احد
يكون بعد كشف الغطاء ورفع الحجاب حديد البصر لقوله فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد فيكون بصيرا بنتايج اعماله مشاهدا الاثار افعاله قاريا الصحف كتابه
مطلعا على حساب حسناته وسياته لقوله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج
له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فمن كان
من اصحاب اليمين واهل المعرفة واليقين اوتي كتابه من الجهة التي يناسبه وهي
جهة عليين ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم يشهده
المقربون ومن كان اصحاب الشمال والمنكوسين الفجار وصاحب الانظار الجزئية
والافكار المتعلقة بالاعمال والاثار فقد اوتي كتابه بشماله لقوله واما من اوتي كتابه
بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه او من وراء ظهره كقوله واما من اوتي كتابه
وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا ويصلى سعيرا ويكون ايضا كتابه في سجين لقوله
ان كتاب الفجار لفي سجين لانه من جملة المجرمين المنكوسين لقوله ولو ترى اذ
المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ثم اعلم ان جميع هذه الكتب والصحايف انما
يتنتج من اصل مقدس عظيم هي فروع له وابواب ماخوذة منه وجداول منشعبة
من بحره وهو ام النسخ وامام الكتب وهو كتاب عقلي مبين فيه صور جميع الممكنات
على وجه اعلى وارفع لا يمسه الا الملائكة المطهرون والعقول المقدسة عن ارجاس عالم الحس
وادناس الوهم والوسواس ولذلك قال بعد الاشارة الى صحايف الاعمال وكتب الافعال
لاصحاب الشمال وكل شيء احصيناه في امام مبين اي عددنا كل شيء من الحوادث في
كتاب ذلك الكتاب لان حقايق الاشياء مسطورة اولا فيه ثم يتفرع منه العلوم المفصلة
وتتشعب من بحره انهار الحقايق وجداول المعارف وهو اللوح المحفوظ ولوح القضاء
الالهي النافذ حكمه في المدارك النفسانية والالواح القدرية وعنده مفاتح الغيب
الغيوب التي لا يعلمها الا الله والراسخون في العلم وعنده مخازن العلوم والمعارف
المتعلقة بالحوادث الكائنة والاتية لقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقوله
وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وتلك المفاتيح لخزاين العلوم
والمعلومات هي قلوب الملائكة المقربين المحفوظين بحفظ الله وتبعيته وحراسته

ظ النفس

ايام عن الخلل والنقصان والذهول وعالمهم عالم القضاء السابق على عالم القدر
واللوح النفسي وعالم اللوح الخارجي اي المادة بما فيها من الصور العينية قيل الوجه
في احصاء كل شئ في الكتاب الالهي اعتبار الملائكة به اذا قابلوا به ما يحدث من الامور
فان صدور الانواع الكثيرة يحتاج الى جهات كثيرة في عالم الالهية يوجب تكثر الفيض من
الواحد الحقيقي الذي ما امره الا واحدة كلمح بالبصر ففي هذا دلالة على حصول صور
الاشياء كلها على وجه مفصل مرتب مجتمع ويرتقي الى اثر واحد وقد بسطنا القول
فيه بوجه تحقيقي في مقام اخر ذكره يودي الى التطويل ويخرج عن طور الكلام في التاويل
واضرب يا محمد لهم مثلا اي مثل لهم مثلا من قولهم هولاء اضراب اي امثال وهذه
الاشياء على ضرب واحد اي على مثال واحد وقيل اذكر لهم مثلا اي قصة عجيبة قصة
اصحاب القرية وهي انطاكية على راي المفسرين واصحابها كانوا عبدة اوثان
انجاءها المرسلون وهم رسل عيسى عم الى اهلها ارسلهم داعين الى الحق اذ ارسلنا
اليهم اثنين اي رسولين من رسلنا وانما اضيف الارسال ههنا الى الله
تعالى وان كان عيسى عم هو الذي ارسلهما لان ارساله كان بامر الله كما قيل او لان الذي
قرب عيسى عم من الله وتجرده عن اغراض النفس واستهلاك نوره في نور الحق
كان في مقام العبدية فكان فعله فعل الحق من قبيل قوله تعالى وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى ومثل قول النبي ص من اطاعني فقد اطاع الله وقوله من راني فقد
راى الحق وكما في الحديث المشهور لا يزال العبد يتقرب الي حتى احببته ... وبمعنى اخر
وهو ان الانسان اذا بلغت منزلته في البراءة عن الهوى والنفس الى ان مات عن نفسه
واتصل بعالم القدس بحيث يفيض عليه نور الحق بلا توسط ملك مقرب او نبي
مرسل فاذا كان مامورا باصلاح النوع كان لغاية استعداده وقربه من الحق يقبل
منصب الرسالة او الخلافة بلا واسطة وان كان حصول هذا المقام له بنور المتابعة
لمن استخلفه وهذا كما لامير المومنين عم حيث كان اماما للمومنين وخليفة الرسول
رب العالمين بنص من الله لاجل كرامته في نفسه وقربه من الله بحسب التابعية كما
يدل عليه احاديث كثيرة مثل قوله ص انا وعلي من نور واحد وقوله لا تسبوا عليا
فانه ممسوس بذات الله ونظاير ذلك وبالجملة بعض المناصب لشرفها لا بد ان
يكون من قبل الله بلا مشاركة احد لقرب الاستعداد وان كانت الامور كلها من
الله الا ان بعضها مترتب على بعض وبعضها فايض من الله بلا وساطة الخلق
وذلك كالنبوة والرسالة والولاية فان الولي ولاية بكرامة باطنية من العبد وكذا
الحكيم والعارف فان كلاهما فيض ورحمة من الله لا يمكن انتقاله من شخص الى اخر

الاوقات

باختيار العباد وليست كذلك السلطنة والحكومة والقضاء والامارة وتولية
وما يجري مجراها ولهذا حكى في قصة رسول عيسى عم كما نقل انهما قالا لحين
سال عنهما ملك القرية من ارسلكما قالا ارسلنا الله الذي خلق كل شئ ومن عمهما
علم ان امثال هذه المناصب موهبة وان كان للكسب فيه مدخل ما على وجه
الاعداد والتقدمة بتوفيق من الله وتيسير فكذبوهما اصحاب القرية قال ابن
عباس ضربوهما وسجنوهما وشرح قصتهما كما نقل انهما قربا من المدينة
راءيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب ياسين فسالهما عن
حالهما فاخبراه فقال امعكما اية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان
له ولد مريض سنتين فمسحاه فقام فامن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما
خلق ورقي حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى الهتنا قالا نعم
من اوجدك والهتك فقال قوما حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وضربوهما
وقيل حبسا ثم بعث اليهم عيسى رسولا اخر لقوله فعززنا بثالث اي فقويناهما
وشددناظهورهما برسول ثالث يقال المطر يعزز الارض اذا لبدها وتعزز
ظهرها وقري بالتخفيف ماخوذا من العزة والمنعة من عزه يعزه اذا غلبه وقهره
اي فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون وترك ذكر المفعول به واضماره للاشعار
بان الغرض ذكر المعزز به وما لطف فيه من حسن التدبير حتى قهر الباطل واذن
المنكر واذا انصب الكلام في محط الغرض من مساقه طاح فيه طرح ما سواه
ورفضه كقولك حكم الامير اليوم بالحق من غير ذكر المحكوم له وعليه وحكي انه لما ارسل
شمعون الى اهل القرية دخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استانسوا به ورفعوا
خبره الى الملك فانس به فقال ذات يوم بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما
يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا
الله الذي خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد قال وما ايتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله
حتى انشق له بصره واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال
شمعون ارايت لو سالت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس
لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم
على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء
ميت امنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية
من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا وقال فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسن

الوجه يشفع لهولاء الثلثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك
فلما راى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يومن صاح
عليهم جبرئيل فهلكوا فقالوا انا اليكم مرسلون قال شعبة كان اسم الرسولين
الاولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولس وقال ابن عباس وكعب الاولان
شمعون صادق وصدوق والثالث سلوم قالوا لهم يا اهل القرية قد ارسلنا
الله اليكم قالوا اى قال اهل القرية ما انتم الا بشر مثلنا فلا تصلحون للرسالة كما لا يصلح نحن
لان افراد البشر افراد نوع واحد والطبيعة الواحدة النوعية افرادها متماثلة في استحقاقية
شيء واحد بحسب ذواتها فكل ما جاز لاحد جاز للجميع لكنا نجد بعيان ما رايناه من الامثال
غير مستحقين لرسالة الله لغاية انكبابهم الى الدنيا وظلمة نفوسهم وقساوة قلوبهم فالجميع هكذا
ولذلك قالوا كما حكى الله عنهم بقوله وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون هذه غاية
شبهة الجاحدين للحق والمنكرين للبعثة والرسالة والولاية ولا يبعد ان يكون احدى الفوايد
المسوق اليها هذه القصة هي حكاية هذه الشبهة وارتكازها في اوهام ضعفاء العقول المنتسبة
الى الفلسفة المتشبهة بهم من الطبايعية والدهرية والصابئة وبراهمة الهند المنسوبة الى برهمان
الهندي حيث انهم بعد علمهم باحوال المبداء والمعاد وتيقنهم بوجوده وتنزهه وتقدسه
تحيروا في احوال الاخرة والمعاد واضطربت افكارهم في حقيقتها وحقيقة الرسالة وحقيقة
الرسول المنفرد بوقوعها وسعادتها وشقاوتها ونيرانها وجنانها وسلسبيلها و
زقومها ومالكها ورضوانها بل صرحوا بنفي المعاد بعد الممات حيث زعموا ان الانسان المتكون
من مزاج حاصل من اضداد عند امتزاج مهما فسد لا يرجى له ولغيره فايدة فحكموا بانه
اذا مات مات ومعاده قد فات كما حكى الله عليهم بقوله ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى
وما يهلكنا الا الدهر والانسان عندهم كالعشب والمرعى ينبت وينمو من الارض فيصير
غثاء احوى وعلى هذه الطريقة جرت خصوم الخليل عم من الصابئة على ما حكى الله عنهم
في مواضع جمة من كتابه مثل قوله ابشر يهدوننا ان هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم
ياكل مما تاكلون ويشرب مما تشربون ومدار انكارهم واستكبارهم على هذه الشبهة التي
اشير اليها في مواضع من الكتاب كما قال الله تعم وما منع الناس ان يؤمنوا الا ان قالوا
ابعث الله بشرا رسولا فحط الله مدار طردهم وجحودهم على ان البشر لا يصلح للرسالة
لان افراده مشتركة في الماهية فمن المحال ان يختص واحد منها بخاصية دون بعض
اخر هذه حجتهم الداحضة وغاية الفاسدة الا انها مسندة بوجهين متشعبين قرانيين
كل منهما في غاية الاستنارة والاستحكام الاول ما وقعت الاشارة اليه ههنا حكاية
عن الله برسل عيسى عم جوابا عن انكار اهل القرية رسالتهم حسبما اغترها
بغطانتهم البتراء من الشبهة التي شرحناها وهو قوله تعم ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون لا على
الوجه الذي فهم الزمخشري ومن تبعه معنى الاية وهو ان قوله ربنا يعلم جار مجرى
القسم في التوكيد كقوله شهد الله وعلم الله لان دفع الشبهة العلمية الفضلية باستيناف

الدعوى مقرونة بالقسم غير منتج والبيان القسمي غير نافع في المقامات العلمية التي لا يوصل اليها
الا بالطمانية اليقينية على ان احتمال التورية في القسم قايم ثم اعتذر بان هذا القسم لما كان مشفوعا
بالبينة الشاهدة والايات الواضحة مستحسن كما ترى وانما حمله على هذا التوجيه في الاية امران
احدهما وجود اللام للتاكيد في مرسلون الثاني دون الاول وثانيهما المماثلة المعنوية بين قوله
ربنا يعلم وقول الناس شهد الله وعلم الله الواقعين احيانا في مقام القسم وكلا الوجهين ضعيف
كما لا يخفى ولا ايضا على الوجه الذي فهم اتباع الاشاعرة من قولهم ان للفاعل المختار ان يرجح بعلمه
وارادته بعض الامور المتماثلة من غير مرجح لان الالهية انما يتحقق بان يفعل ما يشاء ويختار
ما يريد اى من غير مخصص قالوا كما ان شان الارادة تخصيص احد الطرفين المتساويين كما
في قدحي عطشان وطريقي هارب فكذا شانها تخصيص احد المتساويات في الماهية ولوازمها من
غير افتقار الى مرجح وداع وذلك لان اثبات الفاعل المختار على هذا الوجه مفسوخ الاصل بين
الفساد كما حقق في مظانه بل بان يكون المراد منه ان الله تعم بحسب عنايته الازلية المتعلقة بنظام
هذا النوع الانساني وعلمه الازلي بمصلحة الكاينات يهدي من يشاء من عباده ويصطفى من
الناس من يصلح للرسالة لا بمجرد اتفاق او جزاف تعالى عن ذلك علوا كبيرا بل بحسب اختلاف
الافراد في سبق الاستعدادات وصلوح القوابل والمواد وتفاوتهم في اللطافة والكثافة وصفاء
القلب ونورية الفواد وقلة الحجب وكثرتها عن المبدء الجواد فان الارواح الانسية بحسب الفطرة
الاولى والثانية مختلفة في الصفاء والكدورة والقوة والضعف مترتبة في درجات القرب من الى
الله وكذا المواد السفلية بانها متفاوتة تفاوتا صنفيا او شخصيا وان لم يكن نوعيا وقد قدر
بازاء كل مادة ما يناسبها من الروح فحصل من مجموعها استعدادات متناسبة لبعض العلوم
والاخلاق والصفات والكمالات واعظم السعادات للجود الاستعدادات واكمل الكمالات لاشرف
الارواح وهي ارواح الانبياء والاولياء عليهم السلم في كل زمان بحسب اوضاع كل وقت واشرف
ارواح الانبياء روح خاتمهم وسيدهم سيد الكل في الكل صلى الله عليه واله وبعده طبقة
الاولياء اهل بيته الطاهرين عم المستمر سلسلتهم الى زمان ظهور المهدي في اخر الزمان
صلوات الله عليه وابائه اجمعين وانما وجب بلوغ الكمال في النوع بحسب ملكة العلم والحال الى
مرتبة النبوة بامرين عناية من الله وحاجة من الخلق في بقايهم الدنيوي وخلاصهم الاخروي
لما ثبت ان الانسان مدني بالطبع اما الاول فمن لم يهمل الخصل القدمين دون التقعير مع قلة
نفعه بل تكميلا للزينة المستغني عنها ومن لم يضع تقويس الحاجبين الا موثرا بوتيرا هداب
العيون وتسويد اشفارها مع حقارة فوايدها فبان لا يسوغ الضنة بافاضة النبوة على
روح من الارواح البشرية مع كونه رحمة للعالمين كان اولى واما الثاني فمن نظر في العالم الصغير
الذي هو الهيكل الانسي لم يكن رئيس مطاع لقواه واعضاه يسوى كل واحد منها على مكانه و
يرتب لكل منها غذاء يناسبه وقسطا من الحرارة الغريزية والروح البخاري يلايمه وعين
ذلك من كميات مراتب الهضم والدفع والنمو والتوليد لظهر شرها حيث اصبح كل منها مطا

مطيعا بل لابد للكل من امير واحد ورئيس واحد يدبرها ويسوسها ولو كان المدبر فوق واحد
البدن كما قيل فانه يدبر كذا بالانواع بحيث بما اذ فاذا كان امر العالم الصغير لا يتم ولا ينتظم دون
قاهر امير فما ظنك بعالم العناصر الذي الساري لاثار النفس الكلي لانواع المحسن بل لابد للخلق
من الهداية الى كيفية المصالح وجلب المساعي والمناجح ووجودها في الخلق مؤيد من عند الله
يأتمرون بأمره وينزجرون بزجره ما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا فحاصل هذا
الجواب عن شبهتهم ان افراد البشر وان كانوا متماثلين بحسب معنى الانسانية النوعية الا ان بعضهم
اختص بكرامة الهية وعناية ربانية لاجل استحقاق خفي وعصمة باطنية لا يعلمها الا الله فلابد في
العناية الازلية من بعث رسل وهو مفاد قولهم ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون مثل قوله تعالى الله
اعلم حيث يجعل رسالاته وقوله الله يصطفي من الملائكة رسلا وقوله الله يصطفي من رسله من
يشاء الوجه الثاني ان افراد الانسان وان كانت متماثلة في البشرية الا انها متخالفة الحقيقة
بحسب البواطن والارواح ونشو الاخرة من نفوسها وقد مر تحقيق ذلك في تفسير سورة الم
السجدة والايات الدالة على ان ارواح الانسان محشورة يوم القيمة على صور متخالفة في
الحقيقة كثيرة وهذا مما يحتاج دركه بعد قيام البرهان العقلي والنقلي عليه الى صفاء في القلب
وذوق شديد وخوض عظيم في معرفة النفس وكيفية اتحادها بالمعقولات وتقلبها في
الاطوار والنشات لينكشف ان افراد الانسان وان كانت متفقة في معنى نوعي هو معنى الحيوان
المدرك للكليات بالقوة لكنها بعد صيرورة عقولها الهيولانية متجاوزة بما يخرج به من القوة
الى الفعل من الهيات والملكات يصير متخالفة الحقايق والنفس وان كانت اول صورها
في عالم الحس والشهادة مقوما للنوع الخاص البشري الذي اجتمعت فيه انواع الصور
الحسية الطبيعية والنباتية والحيوانية الا انها في اول الفطرة هي القوة والمادة بالنسبة
الى عالم الغيب والنشاة الاخرة نسبتها الى الصورة الغيبية التي فيها نسبة الهيولى الاولى
الى الصور الحسية وكما ان الهيولى واحدة نوعية متماثلة في جميع الطبايع بحسب جوهرها الاول
متخالفة الجواهر بانضمام الصور المقومة اياها جوهرية ثانية فكذلك النفوس الانسانية بحسب
فطرتها الاولى متماثلة متحدة النوع وبحسب ما يخرج بها من القوة الى الفعل من الملكات
والاخلاق الحاصلة لها من تكرار الاعمال والافعال متكثرة الانواع يناسب كل نوع منها النوع
من تلك الملكات والاخلاق والحيوان غلب عليه ذلك الخلق فيحشر على صورته لكن باعتبار صفته
فعدد الحيوانات الحاصلة من الانسان في النشاة الثانية بحسب النوعية اكثر من عدد
انواع الحيوانات في هذا العالم لانه ستظهر منها في القيمة اقسام من الحيوانات لم يعهد مثلها
في هذه الدار لحصولها بالمسخ الحاصل لبعض النفوس من امتزاج اوصاف حيوانات متعددة
اجتمعت في باطنها ورسخت بكثرة الاعمال المؤدية اليها بطول الزمان او لشدة التعلق من
تلك النفوس بفنون دواعي تلك الحيوانات واغراضها ومقاصدها فحشرت هي في القيمة على
صورة يحسن عندها القردة والخنازير كما ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والتناسخ

المعنى ثابت عند ايمة الكشف والشهود مصرح به في مواضع من الكتاب والحديث على
هذا المعنى يحمل كلام اساطين الحكماء المتقدمين القائلين بالنقل لا على تعلق النفس من
بدن عنصري الى بدن آخر لنهوض البرهان القطعي من العرشيات التي الهمني الله
بها بفضله وكرمه على استحالته وقد اوردناه في كتاب المبدأ والمعاد واولئك الا
قدمون اجل شانا من ان يغفلوا عن مفسدة القول بالتناسخ بل مقصودهم يوافق
شريعتنا المصطفوية على الصادع بها وآله اجزل الصلوة والتحية والحاصل ان الانسان
بحسب الاعمال والافعال والافكار والنيات المستنتجة لحصول الاخلاق والملكات يصير من
جملة الملائكة او الشياطين او الحيوانات المنتكسة الرؤوس الجهة السفل ولكل من هذه
الثلاثة انواع كثيرة يمكن ان يصير اليها افراد الانسان بحكم المناسبة ويحشر في زمرتها
بمقتضى الميل والمحبة ولهذا المعنى قيل للانسان انه باب الابواب كما نقل عن حكماء فرس
فاذا تقرر هذا فنقول ارواح الانبياء والاولياء سلام الله عليهم وتقديسا بمنزلة الملائكة
المقربين اي الكروبيين الواقفين في الصف الاول من صفوف الملائكة ومن بينهم نبينا صلى الله
عليه وآله بمنزلة العقل الاول وقد ذكرنا في تفسير آية الكرسي كون المراد من الحديث المتفق
عليه اول ما خلق الله العقل هو النبي صلى الله عليه وسلم وتمام ما ذكر فيه من الاقبال والادبار وبك آخذ
وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب شرح لاحواله منطبق عليه صادق في حقه ثم كل طبقة
من طبقات العرفاء والعلماء والصلحاء بمنزلة طبقة من طبقات الملائكة وصف من
صفوفهم الواقعة بعد الصف الاول محشورة معها وعوام اهل الايمان بمنزلة عوام الملائكة
ونفوس المنافقين من اهل المكر والوسوسة والحيلة والجربزة يحشر في القيمة
مع الشياطين لقوله تعالى لنحشرنهم والشياطين ونفوس اهل الدنيا الغالب عليها حب
الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وحب
الرياسة من الخيل المسومة والانعام والحرث يحشر مع الانعام والدواب فاذا
كان التخالف بين افراد الانسان بهذه المثابة من التخالف الجنسي فضلا عن النوعي
فكيف يدعي احد ان نفس النبي صلى الله عليه وسلم كنفوس عوام الناس وقد قال صلى الله عليه وسلم لست كاحدكم
ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني والله سبحانه قد كفر من ذهب الى مماثلة النبي
مع ساير الناس وقال بشرية لقوله تعالى وقالوا ابشر يهدوننا فكفروا واما قوله
قل انما انا بشر مثلكم فهو بحسب مماثلة النشاة الحسية والاشتراك في الجسمية المشتركة
فالمماثلة التي ادعتها المنكرون للنبوة المستمسكون بهذه الشبهة ان ادعوها بحسب المادة
البدنية المشتركة فالجواب بعد تسليم هذه المقدمة ان اختصاص النبوة ببعض الافراد
انما يكون بكرامة الحق وفضيلة فايضة من الله على حسب صفاء القابل ولطافة المحل
فلم يلزم تخصيص بلا اختصاص كما مر في الوجه الاول وان ادعوها بحسب الارواح والبواطن
فالمماثلة ممنوعة بل المثبت المحقق خلافه كما مر في الوجه الاخر فالشبهة عن اصلها منقلعة
منحسمة وللمتامل ان يفهم من الآية اشعارا لطيفا بالوجه الثاني من وجهي الجواب عن

المنكرين لرسالة الرسل الثلثة على نبينا وعليهم السلام بان يكون المراد ان جهة المخالفة النوعية
الحاصلة بيننا وبينكم ليست مما يمكن ان يصل الى دراكه افهامكم وافهام امثالكم لانه خفي لا
يعلمه الا الله ولا يمكن الوصول الى دركه الا بالهام الله وتعليمه من اختاره من عباده للهداية
لان صفة النبوة والولاية امر باطني ونور عقلي يحصل من الله تع ويقذف منه في قلوب من
يشاء من عباده واوليائه والقلب نفسه عقلا مستفادا وتارة نورا لمعا في المعارف وفي
القرآن آيات كثيرة واشارات بليغة وتلميحات لطيفة دالة على ان ارواح المؤمنين مخالفة
في الحقيقة لنفوس الكفرة والمنافقين وعلى ان ارواح الانبياء جواهر عالية مخالفة لارواح غيرهم
وان روح خاتم الانبياء عليه وآله الصلوة والسلام من الملك الاعلى فوق الجميع ولا يتوهمن
ان قوله تع قل انما انا بشر مثلكم ينافي ما ادعيناه من مخالفة حقيقة الرسول لسائر الناس
لما دريت ان الاشتراك والمماثلة بحسب البشرية التي هي متفقة المعنى بين الناس والمخالفة في
بحسب الباطن ومقام العندية وعلى هذين المقامين يتوزع كل ما ورد في الاتفاق والاختلاف
لرفع غاية العباد فكل ما كان من قبيل قوله تع قل انما انا بشر مثلكم كان المراد به الاشارة الى مقام
البشرية والنزول في هذه الدار وكذلك قوله تع قل لا اقول لكم اني ملك ولا اعلم الغيب ولو كنت
اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير وقوله قل سبحان ربي
هل كنت الا بشرا رسولا وقوله هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وقوله لقد جاءكم رسول
من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم الآية وقوله ص اني ابن امرأة تأكل القديد وكل ما
كان من قبيل قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله وقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقوله نور وكتاب مبين كان المراد به
باطنه بحسب مقام المحمود الموعود له في قوله قد جاءكم من الله نور عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا اللهم اجعلنا من التابعين له الواردين معه ومع اهل بيته المقدسين في الحوض
المحشورين معهم الواقفين لوائهم وقوله سبحانه وما علينا الا البلاغ المبين تحذير
شديد آباهم فالزام بالمنع لهم وجواب عن نمط اخر عن كلامهم يناسب طبايع جمهور
الناس ووجه الاحتجاج بهذا القول عليهم بعد القول الاول المناسب للخواص ان وجوب
النظام عقلي كل عاقل يعلم من نفسه بحسب الغريزة العقلية التي اعطاه الله والفطرة الاصلية
التي فطر الناس عليها ويكون حجة الله على خلقه والقاضي بينه وبينهم ان شكر المنعم واجب
لان في اهماله خطر سوء العاقبة وفي فعله الامن والسلامة والعاقل لا يختار الخطر على الامن ولا
احتمال الضرر على تيقن السلامة نعم ربما يغفل عن مقايسة الجانبين ويذهل عن تصور
الطرفين لشدة توغله في الشواغل فيحتاج الى منبه والله سبحانه لغاية رحمته على عباده بعث
الرسل اليهم من خارج بعد ان اعطاهم عقلا من داخل لينبه تلك الرسل عقولهم عن نوم
الغفلة ورقدة الجهالة وسنة التقليد ولذا قيل العقل شرع من داخل والشرع عقل
من خارج فلو لم يكن الله قد افاض في الداخل العقول لما كانت مهتدية ولا لهم تأييد
من بعثة الرسول فالمعنى وليس يلزمنا الا اداء الرسالة وتبليغ الاحكام وقيل معناه

وليس علينا ان نحملكم على الايمان فانا لا نقدر عليه لان الايمان عطائي حاصل بافاضة الله
تع على القلب ولا يمكن حصوله بالاكراه والجبر كقوله تع لا اكراه في الدين ثم لما كان من عادة
الجهال والاراذل لغاية محبتهم بالدنيا والنفس والمال ان خافوا من زوال شيء مما تلذذوا به غاية
الخوف فيتمنوا بكل ما اشتهوه وارادوه وقبلته طباعهم وتشاءموا بكل ما نفرت عنه وكرهوه
وحيث كانت الدنيا مبلغ همتهم وغاية قيمتهم راوا اهل الدين والورع في وضع الدنائة
والتقشف لتطليقهم الدنيا وايثارهم الآخرة عليها تشوقا الى لقاء المولى وراوا المعرضين عن
الحكمة والمعرفة بخلاف ذلك فتطيروا باهل الدين وتشاءموا من مصاحبة ارباب العلم واليقين
وتيمنوا بخدمة الظلمة والشياطين وافتخروا بصحبة الحكام والسلاطين فلو صاحبوا احدا من
الصلحاء فكل ما اصابهم من قبيل الآفة والنقص فتطيروا به كما حكى الله عن اهل القبط
وتشاءمهم باهل البسيط بقوله وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي اهل
مكة وتشاءمهم من النبي ص بقوله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك فكذلك حال
اصحاب القرية كما حكى سبحانه عنهم بقوله قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم
منا عذاب اليم لما عجزوا عن الزام الرسل وسكتوا عن اقامة العذر عن قبول دعوتهم ولم يبق
لهم مهرب عن ذلك تشبثوا بذيل النفس والدنيا واقروا بالعجز عن ترك هذا الادنى وتعللوا
اعذارهم في عدم الايمان بالرسل وقبول دعوة التكليف بان صحبة الهداة وبالمذكرين شوم
لهم ثم لم يكتفوا بذلك حتى قابلوا اهل الله بالمجاهدة بالنزاع والمخاصمة والرجم والايلام الشديد
وذلك لفساد العقل ومحبة الباطل وطاعة الهوى وقبول دعوة الشيطان يعدهم الفقر ويامرهم
بالفحشاء وسوء الظن بالله وترك التوكل وتكذيب الرسل والاعراض عن الحق والاقبال على
الخلق وانقطاع الرجاء من الله ومتابعة الشهوات ومواصلة السيئات وايثار الحظوظ وترك
العفة والقناعة والتمسك بالملوك والظلمة وتعلق القلب بحب الدنيا وهو راس كل خطيئة
وبذر كل بلية فهذه كلها واضعافها من فروع وسوسة الشيطان وترويجه الباطل في معرض
الحق فمن فتح على قلبه باب وسوسته ولم يقمع مادة وسوسته عن قلبه بالعقل الكامل والبرهان
النير القدسي الدال على خسة الدنيا وحقارة طالبيها او بالسماع من اهل الله واصحاب
القلوب المنكرين بخساسة الدنيا وزوالها ووخامة عاقبة شهوة النفس ووبالها فسوف
يبتلى بهذه الآفات ويقع في عرصة هذه البليات التي من جملتها التشاؤم بصحبة الفقراء
واهل الدين الذين هم ملوك الآخرة وسلاطينها وخدمتهم مفتاح ابواب الرحمة والسعادة و
مقصود الاولياء ومحمودهم في الدعاء كما في الصحيفة الملكوتية لمولانا وسيدنا زين العابدين
وسيد الساجدين علي بن الحسين بن علي عليهم السلام من قوله اللهم حبب الي صحبة الفقراء
واعني على صحبتهم بحسن الصبر وقد امر الله سبحانه حبيبه صلى الله عليه وآله بصحبتهم
وحسن معاشرتهم والصبر والاطالة معهم في مجالستهم بقوله واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم الآية لان في صحبتهم خير الدارين وفي صحبة الجهال واهل الترفه والتنعم شر الدارين

وصف العرفي هوي النفس وطاعة الشيطان وفساد الاخرة ووبالها بشوم اقتران عبد
الهوى والاوثان ولذا قال تعالى حكاية عن جواب رسله لاعدائه قالوا طائركم معكم اين
ذكرتم بل انتم قوم مسرفون وقرئ طيركم معكم اي سبب شومكم معكم وهو الكفر واسباب
شومكم معكم وهو الكفر والمعاصي فان راس الشقاوة الابدية الكفر مع الجحود للازمهما
لليقين وبعده المعاصي والاعمال القبيحة كما ان رئيس السعادات الابدية الايمان الحقيقي
لانه ضرب من العلم اليقيني بالامور الالهية واحوال المبدا والمعاد لان معنى السعادة
ادراك الخير والملايم وخير الخيرات هو الله سبحانه وملائكته ورسله واوليائه وعباده الصالحين
فادراكه وادراك مقربيه ومعتكفيه الذ الخيرات واشرف السعادات وبعد هذه السعادة
الذاتية السعادة الحاصلة من فعل الحسنات لانها توجب الفوز بدرجات الجنان والنجاة
من عذاب يوم القيمة والنيران فاذا تقرر ان السعادة والشقاوة بحسب العلم والجهل ذاتيتان
ازلا وابدا مخلدتان دايما سرمدا وبحسب الاعمال والافعال يترتب عليها المكافاة والمجازاة
ويتقدر بحسبهما المثوبات والعقوبات كقوله جزاء بما كانوا يكسبون فلا شوم كشوم الكفر
المعاصي وللخير كخير الايمان ثم الحسنات الا ان هذه المسئلة مع وضوحها وانارتها قد خفيت
على اكثر الاذهان لاشتغالهم بما يلهيهم عن الذكر وينسيهم عن طلب السعادة وترك الشقاوة
ولذا قال ان ذكرتم معناه ان تدبرتم ثم عرفتم صحة ما قلناه لكم وقيل معناه ان ذكرتم تطيرتم بما
معكم وقرئ ان ذكرتم بهمزة الاستفهام وان الشرط وقرئ آان ذكرتم بالف بينهما بمعنى اتطيرون
ان وعظتم وقرئ آان ذكرتم بان الناصبة بعد الهمزة الاستفهامية بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وقرئ
ان الناصبة بغير استفهام فيكون اخبارا اي تطيرتم بانفسكم لئن ذكرتم وقرئ اين ذكرتم على
التخفيف اي شومكم لازم معكم بحيث يسري في كل مكان ذكرتم وذلك يتصور بوجهين اما بان
كانوا اذا ذكرتم اساميهم لعنوا وشتموا بهم لقبح افعالهم وسوء اعمالهم وابدائهم الظلم
والبدعة كامراء الجور واما بان كان ذكرهم يودي الى الوحشة او الغيبة والعداوة والبغضاء
بين الناس والا فصيرورة المكان مشوما بمجرد ذكر طائفة كما فسره صاحب الكشاف حيث قال
او اشئم المكان بذكركم كانوا يجعلونهم فيه اشام فلا وجه له ظاهرا لان المكان لو شئم بذكر الكفار
والظلمة فاي مكان ومجمع كالمساجد والمساكن الشريفة الا وقد يذكر فيها احيانا الكفار والاشرار
خصوصا اذا كانوا ملوكا وامراء في الدنيا فيذكر اساميهم في مجمع بغفون عن الذكر مدحا وذما
فيلزم ان يكون اكثر المجامع مشوما ثم ذكر سبب شومهم معهم ومبدا شرهم وهو افسادهم
عقلهم بقوله بل انتم قوم مسرفون لان الاسراف في اللغة الافساد ومجاوزة الحد والمرفوع الفساد
معناه ليس فينا ما يوجب التشام بنا ولكنكم متجاوزون عن الحد في التكذيب والمعصية
الشوم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم وقيل بل انتم مسرفون فضلالكم فيما نحن فيه منكم حيث
تتشامون بمن يجب التبرك بهم واستعاضة الخير من صحبتهم من رسل الله واوليائه
المذكرين الله وسبيل العاقبة والدار الاخرة فغاية منشأ الشوم التشام بما يجب التبرك بها

الذاكر

ان غاية الجهل عبادة اهل العلم والمعلمين وغاية الضلال معاداة اهل الهداية والهادين
وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين هذا الرجل هو حبيب بن اسرائيل
النجار وكان في سابق الزمان ينحت الاصنام وهو كناية عن اشتغاله سابقا بالاعتقادات الجزئية
والصور الخيالية والوهمية التي وجودها يتصور في الخيال بتصرف القوة المتفكرة وهي التي
من شانها تصوير الحقايق في كسوة الحكاية الخيالية وافكار العقايد الحقة الالهية الا في صور المحسوسات
فصاحب العقيدة الوهمية يعبد لقصور علمه ما يعتقده الها وليس الها ومعبوده على حسب
اعتقاده الا ما يوجده بوهمه ويصوره بقوته المتصرفة فهو الذي ينحت صنما ويعتقده الها
ويتخذه معبودا كما في قوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه واكثر الناس الا من ايده الله بالتقدس
التام والتنزيه الاكمل عابدوا اصنام العقايد الجزئية ومعتقدوا الصور الوهمية حتى ان عبدة
الاصنام الخارجية الحجرية والخشبية والمعدنية انما عبدوها لاعتقادهم معنى الالهية في
تلك الاجساد من الجماد وغيره فهم ايضا بالحقيقة قد عبدوا معتقداتهم وما حصل في اوهامهم
فالهوى معبودهم جميعا اولا وبالذات والصنم الخارجي معبود لهم بالعرض فعلى هذا غير الموحد العارف
لهم جميعا اشتراك في الاشراك واتفاق في طلب الهوى وعبادة غير الحق وما سوى وما من رجل الا وقد
عبد بهذه الاعتقادات الجزئية ووجود الصور الوهمية والاصنام الخيالية لا على وجه الاذعان
بل على مسلك التفتيش وتصوير الاحتمالات البعيدة ليقام على نفيها البرهان كما وقع للخليل
على نبينا واله وعليه السلام من العبور على الهة عبدة الكواكب والاجسام لزيادة الكشف
واليقين في تنزيه الحق الاول عن مماثلتها ولاقامة البرهان على فساد توهم المحجوبين واخراج
تلك الصورة التي هي الهة سائر المعتقدين من المشركين والمعطلين من اعتقاد الالوهية
فيها فانه يوجب عذاب الجحيم ويستدعي عقوبة الاحتجاب من الله والتردي الى اسفل سافلين
فقد ظهر ان اهل البصيرة الالهية يعبرون عنها عن اسرع زمان من غير ان يتضرروا بها
كما ان الجنان وهي خامدة واليه الاشارة في قوله سبحانه وان منكم الا واردها كان على ربك
حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكان حبيب النجار من جملة
اهل البصيرة الذين نور الله بواطنهم بكشف الحقايق والارتقاء من عالم الوهم والخيال الى عالم
التقديس بنور المعرفة والحال وهو احد السباق الثلثة المذكورة في قوله صلى الله عليه
واله سباق الامم ثلثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي ابن ابي طالب عليه السلام وصاحب يس
ومومن ال فرعون وفي تفسير الثعلبي بزيادة قوله ص وعلي افضلهم وهو ممن امن برسول
الله صلى الله عليه واله بينهما ستماية سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل
وغيرهما وهذا احد خصايص النبي ص اذ لم يؤمن احد بنبي غيره الا بعد ظهوره وهو من
سر قوله ص كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وهنا سر آخر وهو انه ورد في الحديث
عنه ص ان لكل شي قلبا وقلب القرآن يس فلعل ذلك لما قد ذكر الله فيها حبيبا الشهيد
بصاحب يس ووصفه بما يدل على قربه ومنزلته عند الله من التوحيد والكرامة والتعظيم

لقومه وهو ممن آمن بنبينا قبل بعثته بستماية ففي ذلك آية عظيمة لنبوته ص وكونه حبيب الله
الذي آمن بحبيب قبل ظهوره هذا وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه
اباهم وقاول الكفرة المجدين فقالوا وانت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطئوه بارجلهم
حتى خرج قصبه وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية فلما قتل
غضب الله عليهم واهلكوا بصيحة جبرئيل ولهم ايهم من قوله تعالى وجاء رجل من اقصى المدينة
انه ممن كان مستوحشا عن الخلق موثرا العزلة والخلوة وقيل كان منزله عند اقصى باب
من ابواب المدينة وكان قد آمن بالرسل عند ورود اثنين منهم القرية كما نقلنا من
قصتهما وسبب ايمانه برسالتهما فلما بلغه ان قومه قد كذبوا الرسل وهموا بقتلهم جاء يعدو
ويشتد قال يا قوم اتبعوا المرسلين الذين ارسلهم الله اليكم واقروا برسالتهم وعن ابن
عباس انه كان به زمانة وجذام فابراوه فامن بهم وقيل انما علم نبوتهم لانهم لما دعوه
قالوا انا لا نأخذ على ذلك اجرا قالوا الا ويؤيده قوله تعالى اتبعوا من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون
وهذه الآية كلام تام في الترغيب الى الايمان بما يقول الرسول ونصيحة جامعة في اعلام المحجوبين
عن الوصول الى معرفة حال الانبياء عليهم السلام وحثهم على الاهتداء بهديهم والاقتداء بقولهم
اي لا تأخذون من دنياكم شيئا حتى يقع لكم الخسارة باتباعهم ويوصلون اليكم الخير الكثير والهداية
الى طريق النجاة من العقاب الاليم يوم القيمة فلكم في اتباعهم انتظام خير الدنيا والآخرة وهذا اقرب
معالجة في دفع مرض الشك في صدق الانبياء ع عن الناقصين في المعرفة واليقين ويقرب
منها ما قال امير المؤمنين عليه والسلام لبعض من قصر عقله عن فهم حقيقة الدين وكان شاكا
في صدق خبر المرسلين ان صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا والا فقد تخلصنا وهلكت اي العاقل
هو الذي يختار طريق الامن في جميع الاحوال فطريق ترغيب المنكرين للشريعة والدين كما يستفاد
من كلام امير المؤمنين عليه الصلوة والسلام لبعض من قصر عقله عن درك حقيقة الدين وكان شاكا
في صدق وهلكت اي العاقل هو الذي يختار طريق الامن في جميع الاحوال بحسب ما شرحه
بعض اعلام علماء المسلمين ان يقال لهم ما قال الانبياء والرسل المؤيدون هل هو ممكن الصدق
او ممتنع الصدق فان قال قايل منهم اني اعلم ان ما يقولون امر مستحيل كاجتماع النقيضين وكون حلول
عرض واحد في محلين وكون شخص واحد في ان واحد في مكانين فهو فاسد العقل محروق
لا يوجد مثله في العقلاء بل خارج عن حد التكليف كالصبيان والمجانين وان قال اني شاك
في ما يقولونه فيقال له لو اخبرك شخص مجهول عند تركك طعاما في بيتك لتاكله ساعة
لغرى الرقد ولغت فيه حية والقت سمها فيه ووجدت صدقه فهل تاكل منه ام تتركه وان كان
الذ الاطعمة عندك فيقول اتركه لا محالة ان قبلت قوله وان كان كاذبا فلا يفوتني الا هذا الطعام
والصبر عنه وان كان شديدا فهو قريب وان لم اقبل وكان صادقا فيفوتني الحيوة والم الموت
بالاضافة الى الم الصبر عظيم فيقال له سبحان الله كيف تأخر صدق الرسل والانبياء والعلماء
كلهم فيما ظهر منهم ولهم من المعجزات عن صدق رجل واحد مجهول الحال لعل له غرضا فيما يقوله فكيف

معا

يرجح

يرجح قوله في التصديق على قول اولئك الاخيار بل جميع العقلاء وذوي الالباب قايلون باليوم
الآخر وان اختلفوا في كيفيته كونه روحانيا او جسمانيا او مجموعا فان صدق الرسل والعلماء
وانت معرض عن قبول ما يقولونه فقد اشرفت على عذاب يبقى ابد الآباد وان كذبوا فلا يفوتك
لو فاتك الا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية الكدرة فلا يبقى له توقف ان كان عاقلا مع هذا
الفكر اليسير ان يقبل دعوتهم اذ لا نسبة لمدة العمر الى ابد الآباد فانا لو قدرنا الدنيا مملوة بالذرة
وقدرنا طايرا يختطف كل سنة واحدة منها ما فنيت ولم ينقص من ابد الآباد شيء فكيف
يفتر رأي العاقل في الصبر عن شهوة الدنيا لاجل سعادة تبقى ابد الآباد ومالي لا اعبد الذي
فطرني واليه ترجعون هذا نمط آخر له في نصيحة الجاهلين من اهل قريته وايقاظ النائمين
من قومه وهو التلطف لهم والمواساة معهم والسوية بين نفسه وبينهم في ما اختار لنفسه
فابرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه قصد المناصحتهم وطلبا لصلاح حالهم لغاية الشفقة
عليهم والمساهمة معهم حيث لم يرد لهم الا ما اراد لروحه ولهذه الرعاية في اثبات المشاركة
والمساهمة وقع قوله ما لي لا اعبد الذي فطرني بدل قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم الا
ترى الى انه كيف عاد عن ما ساق اليه الكلام لهذه الرعاية الى ما يستدعيه سوق الكلام
لاصل المقصد من الخطاب لهم للنصيحة والارشاد والاهداء لهم سبيل السداد فقال واليه ترجعون
بعد قوله الذي فطرني اذ المقابلة بين المبدء والمرجع مما يقتضي ان يكون احدهما مقيسا الى ما
يقاس اليه بعينه الآخر ويقاس الى احدهما ما يقاس بعينه الى الآخر ولما لم يلتفت الى هذه
المحافظة على ما يستدعيه المقابلة نسب الى المبدء بالخلق والايجاد غير ما نسب الى المعاد بالرجوع
والاعادة فعلم ان تغير الاسلوب كان تنصيصا على المساهمة وتأكيدا للمناصحة وقيل انه لما كان قال
لهم اتبعوا من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون اخذوه فرفعوا الى الملك فقال له الملك افانت تتبعهم فقال
وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون اي تردون عند البعث فيجزيكم بكفركم ثم انكر اتخاذ
الاصنام وعبادتها فقال ءاتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم
شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين اي كيف ساغ لي اتخاذ الاصنام آلهة لي ان اراد الله
اهلاكي او الاضرار بي لا تدفع عني شفاعتهم شيئا بمعنى ان لا شفاعة لهم ولا ينقذوني اي لا يمكن لهم
ان يخلصوني من ذلك الهلاك والضر والمكروه اني ان فعلت ذلك لفي عدول واضح عن ما فطر
عليه العقول والوجدان في دعوهم على نمط الاحتجاج ان العبادة لا يستحقها الا المنعم باصول
النعم والمعطي للعبد ما به القوام وما به يدفع عند الهلاك والالام وليس هو الا القيوم الواحد
الاحد والغرض من مخاطبة النفس مجرد تصوير الدليل وتحقيق المقدمات لا اظهار النكتة على
ما سبق لما توهم اي كيف يجوز للعاقل ان يستحسن عنده ان يتخذ آلهة دون الله ويختار على عبادته
عبادة اصنام لا يقدرون على دفع ضر وآفة عنه ولو اراد الرحمن بضر لم يمكنها على شفاعته
ولو شفعوا له لم تنفع شفاعتهم اياه ولا ايضا يقدرون على انقاذه عن شر الطبع والهوى بالشفاعة
وغيرها كالملائكة والنبيين انه في هذا الاختيار مرتكب متن الضلالة الظاهرة وساكن سفينة
الانحراف البين عن جادة العقل والدين ومنهج الحق اليقين ولا يبعد ان يكون هذه الآية على اساس

الآية لقد ضمّ الى يتخذون من دون الله اضاما الهة ان اراد كم الرحمن بضر لا تغن عنكم شفاعتهم شيئا فاني اذن لفي غواية جاهلية وضلالة بينة وفي الكشف وقد ساق الكلام ذلك المساق الى ان قال اني امنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي واطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه ان العبادة لا تصح الا لمن منه مبتداكم واليه مرجعكم وضر بعد على ارجاء ان يكون هذا الكلام منه مع الرسل لاظهار العقيدة تلويحا واعلاما بكلمة التوحيد واشهاد الهم على صحة ايمانه اي اسمعوا ذلك مني حتى تشهدوا لي به عند الله ويعضد هذا ما نقل انه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم اني امنت بربكم فاسمعون وعن ابن مسعود قال ثم ان قومه لما سمعوا ذلك القول منه وطؤه بارجلهم حتى مات فادخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق انه لا يموت الا بعد فنائه تم بل احياء عند ربهم يرزقون والى ذلك اشار قوله تع قيل ادخل الجنة استيناف كانه وقع جوابا عن السوال عن حاله بعد الشهادة لان المقام مظنة المسالة عن حاله عند لقاء ربه كيف صار بعد هذه المجاهدة في الدين ونصرة رسل الله وعن قتاده رجوه حتى قتلوه وعن الحسن ومجاهد ان قومه لما ارادوا ان يقتلوه رفعه الله اليه فهو في الجنة لا يموت الا بفناء الدنيا وهلاك الجنة وقالا ان الجنة التي دخلها يجوز هلاكها وقيل انهم قتلوه الا ان الله سبحانه احياه وادخله فلما دخلها قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي اي ستر بنور رحمته وكساني بكسوة الكرامة والعلم ورباني ورقاني من حد النقصان النفساني الى حد الكمال العقلاني والربية تكميل الشي تدريجا والله سبحانه يرب النفوس الانسانية بالفضيلة والكمال من حد النقص الى حد الكمال وذلك لانها في اول خلقتها في غاية الضعف لقوله خلق الانسان ضعيفا لانها انثات من الانثى كما قال لم يكن شيئا مذكورا والا اضعف من الانثى وتكونت من وسخ الطبيعة وظلمة الهيولى كما اشار اليه بقوله يخرجونهم من الظلمات الى ... ثم انما استكملت بالتدريج من حال الى حال وبلغت من مرتبة العقل الهيولي اي عالم العقل الفعال بتتالي الهامات من الله تع وترادف كمالات عقيب رياضات من المبدأ الاعلى زالت عنها العيوب والقشور وتخلصت منها كالذهب الخالص من الاوساخ والاكدار الباعثة للام الذوبان في الكورة اللغشية والظلمات الموجبة للشرور والهلاكات والاغلال الموثقة المعقبة لعذاب القبور والجهالات الحاجبة عن البلوغ الى عالم النور وهذا معنى التربية للنفس المقتضي لها الشرف والكرامة ولذا عقبه بقوله وجعلني من المكرمين وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بكماله سببا لهم في استحصال مثل ذلك لانفسهم والرغبة منهم في سلوك طريقه واكتسابهم العلم والايمان وتوبتهم عن الكفر والعصيان تكثيرا لاهل الخير والاحسان وسوقا لعباد الله الى الجنة والرضوان وفي الحديث نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيهات عظيمة على اسرار لطيفة من وجوب كظم الغيظ والصبر على كيد الكافرين والعطوفة على الجاهلين وطلب الهداية لمن ادفع نفسه من الهلاك واستحصال الخلاص لمن تورط في الموبقات واقتحم في نار الشهوات كالفراش المبثوث والنصيحة لاهل البغي والعناد والتشمر في تخليص اعاديه والتلطف في نجاة خصمائه والتناسي عن ظلم الاعادي وطلب انتقامهم وعوض ايلامهم والصفح عن زلاتهم وخصوماتهم والذهول عن الشماتة بهم والدعاء عليهم بتمني الخير لقاتله وهم كفرة لئام وطلب الرحمة لمهلكيه وهم عبدة اصنام ونظير ذلك ما حكى انه لما فعل بابن مسعود ما فعل سمع منه همهمة فلما اصغى اليه فهو يقول في مناجاته الهي انبت ناسوتيتي في لاهوتيتك الا ان ترحم على من سعى في قتلي وقيل يجوز ان تمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطا فاحش في امره وانه كان على اصوب

حتى وكان الحق معه رتبا له ربكلا نفسه بالعلم والحال ورافيا روحه الى عالم الكرامة والجلال وان عداوتهم لم تورثه الا زيادة في شرفه وفضله ولم يعقبه الا فوزا نصيبه الاعلى من سعادتهم لان في ذلك تخليص لذهبه عن الكدورات واصعاد له الى معالي الدرجات مع زيادة لذة وسرور وتضاعف عيش وحضور وقرئ المكرمين بالتشديد وما في قوله بما غفر لي اما مصدرية فعلية والمعنى بمغفرة الله لي وستر ذنوبي النفسانية وعيوبي الجسمانية واما موصولة اسمية اي بالذي غفر لي به كالايمان بالله ورسله واليوم الاخر واما استفهامية حرفية اي باي شي غفر لي كما يقال علمت بما صنعت وبم صنعت باثبات الالف وحذفها وان كان الحذف في مثل هذا اكثر واثبتم يراد به ما وقع منه مع قومه من المصابرة الشديدة وتجرع كاسات المحن الاليمة وتوطين النفس على تحمل الضرب والطعن والقتل اعزازا لدين الله واعظاما للاولياء ورسله حتى فارقت نفسه وارتحلت من دار الفتنة والمحن الى دار المغفرة والكرامة متحيطا روحه في سلك الملائكة محشورا مع ارواح الانبياء الكبار والاولياء الحقاوي الابصار مجذوبا باسرها الى نور الانوار انجذاب ابرة ضعيفة الى مغناطيس غير متناه في القوة والاثار متلذذا باشعة الاضواء العقلية المتعاكسة اليه من طبقات العقول والارواح المستفيضة كل منها انوارا بالاستقامة والانعكاس من النور الاول وعلة العلل بمنزلة مرائي متقابلة الوجوه متعاكسة الاضواء والانوار المقابل وجوهها جميعا لوجه الشمس ثم حكى سبحانه ما انزل بقومه من العذاب والاستيصال لما جرى من سنة الله من اهلاك قوم هلكوا متحد زمانهم ودول الله في دورانهم فقال وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء يعني وما انزلنا لاهلاك قومه من بعد قتله او رفعه جندا من السماء اي وما احتجنا في اهلاكهم بعد تجبرهم وتعنتهم عن امر ربهم الى انزال جند من قبلنا كالحاج الملوك في الغلبة على خصومهم باسباب ومعاونات خارجية اشخاص وجنود والات وازواد الحرب بل انما امرنا بشي اذا اردنا ان نقول له كن فيكون لان القدرة الالهية الطف وابين من ان تكون بواسطة اسباب محسوسة ولنا مشهودة الا اذا اقتضت الحكمة انزال العذاب على طايفة بهيئة خاصة وصورة معينة فيها عبرة للناظرين ومصلحة للعابرين فربما اوجبت المصلحة هلاك قوم على صورة ودون اخرى وهلاك قوم غيرهم على وجه اخر ولا ترى الى قوله فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا ولا يبعد ان يكون شدة الناس وعظم هيئة الغضب على طائفة شقية بنسبة شقاوتهم وكفرهم او نسبة عظم المبعوث عليهم المنذر لهم من نبي او خليفة له ولهذا انزل الله جنودا من السماء يوم بدر والخندق قال فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بالف من الملائكة مردفين بثلثة الاف من الملائكة منزلين بخمسة الاف من الملائكة مسومين مع انه كان يكفي في اهلاكهم ملك واحد بل ريشة واحدة من جناح او صيحة واحدة من صياحه او ارادة واحدة منه باذن ربه فقد اهلكت مداين لوط بريشة من جناح جبرئيل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة ولكن لما كان نبينا محمد صلى الله عليه واله جامع شيون الانبياء كلهم ظاهرا وباطنا وحاوي شتات كمالاتهم وحالاتهم غيبا وشهادة فضله الله بكل شي على كبار الانبياء واولي العزم من الرسل واولاه من اسباب الكرامات والكمالات ما لم يعط احدا فاهلك خصمه وجاحديه بضروب من الهلاك

الجسماني والروحاني في كل بحسبه فمن ذلك انزال جنودا من السماء ومن ذلك ما اشار بقوله وما
رميت اذ رميت ولكن الله رمى ومنه قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم
فهم لا يبصرون ومن ذلك قوله غلت ايديهم على العموم وتفصيل وجوه العقوبات على حسب مراتب
الخصومات لحبيب الله ورسوله الجامع لجميع الفضائل والخيرات مما يطول شرحه خارج عن حد
القبول فليكتف بمجمل هذا المقام وهو ان لله تعالى نعم جلية وخفية كما ان له نعم ظاهرة وباطنة وقيل معنى هذه الآية
وما انزلنا على قومه بعده رسالة من السماء قطع الله عنهم الرسالة حين قتلوا رسلهم وهو مروي عن
مجاهد والحسن والمراد ان الجند هم ملائكة الوحي الذين ينزلون على الانبياء عليهم السلام وهو اشارة
الى انقطاع الوحي عنهم لسوء استعدادهم وغلبة جحودهم وعنادهم بحاملية وهذا اشد مراتب العقوبة
حيث يوجب الهلاك الابدي والشقاء السرمدي الحاصل من فساد الاعتقاد وبطلان الروح بانقطاع
الاغذية الروحانية عنها التي هي الايمان بالله والطاعة والعلم والعبادة وتوارد السموم المهلكة
من الكفر والمعصية والجهل والغواية وفي قوله تعالى وما كنا منزلين اشعار لطيف بثبوت ضابطة
كلية دائرة في اهلاك كل طائفة من الكفرة والفجرة لسبب مخصوص يعني ان انزال الجنود من السماء
والوحي من الملائكة لانتصار خاتم الانبياء مما لا يفعل غيره والعقوبة بها لا يناسب الا اعداءه الذين هم
اعند الناس للحق واجحدهم للحكمة والمصلحة وذلك لان نزول العذاب والقهر على الامم المكذبة من آثار
غضب نبيهم وتأثير قوة قهره بحسب اتصافه بصفات الله والنبي الخاتم هو صاحب المقام الجمع والمتصف بجميع
صفات الله المتخلق باخلاقه كلها ظهر جميع اسمائه والملائكة نفوسها وسعتها مظاهر اسمائه فلما كان
تأثيراته الكاملة بجميع الاسماء كانت الملائكة تابعة بحسب تلك الاسماء وتأثيراتها فيعينونه وعلى ديته
واما سائر الانبياء فلما كان اتصافهم ببعض الاسماء فكان لا ينزل من قهرهم الا بعض الملائكة بحسب حالهم وحكم
تأثيرهم وههنا دقيقة ينبغي ان لا تغفل عنها وهو ان التأثير بجميع الاسماء حتى اسماء اللطف والرحمة
لا ينافي الغضب بها ونزول العذاب بحسبها وبايدي مظاهرها التي هي ملائكة الرحمة وذلك لان النفوس
الشقية الضالة مما يتأذى ويتعذب بالرحمة والهداية اكثر كما يتضرر بالغضب والنقمة كمثل الجعل
ورائحة المسك فافهم واغتنم فمعنى الآية انا انزال الجنود والملائكة من الاحكام الفلكية من الخصائص العظيمة
التي لم نفعل وما كنا نفعل لغيرك فضلا لحبيب النجار غضبا على قومه ثم بين سبحانه ان باي شيء هلاكهم
ليعلم المتكلم المتدبر من كيفية هلاكهم مرتبتهم في النقصان فقال ان كانت الا صيحة واحدة اي ما كانت
الاخذة والعقوبة لاهل القرية الا صيحة واحدة اهلكوا بها دفعة واحدة كفعاق ونحوها بنوع واحد
من الهلاك بحسب ما يستند عن حالهم واعمالهم وقرأ ابو جعفر المدني بالرفع اي ما وقعت الا صيحة
واحدة فيكون كان على هذا الوجه تامة لكن القياس والاستعمال يقتضيان تذكير لفظ الفعل التام لان في
معناه ما وقع شيء الا صيحة وقد اعتذر عنه صاحب الكشاف بانه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة
حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع
الجراشع والا مر فيه هين وقراءة ابن مسعود الا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقى اذا
صاح وفي المثل اثقل من الزواقي والجملة كان هلاكهم عن آخرهم بايسر من صيحة عليهم باجمعهم صيحة
واحدة حتى هلكوا جميعا فاذا هم خامدون كما تخمد النار فيعود رمادا قيل انهم لما قتلوا حبيب النجار
غضب الله عليهم فبعث جبرئيل حتى اخذ بعضا دتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن

آخرهم لا يسمع لهم حس كالنار اذا طفيت وفي قوله تعالى خامدون استعارة لطيفة حيث شبه الروح
الانساني القائم بالطبيعة البشرية بنار اشتعلت من فتيله ثم اثبت له الخمود الحاصل للفتيلة في بعض الاوقات
من النفخ الحاصل من الفم الانساني في نحو الانبوبة وغيرها وربما يكون معرضة ولاجل ذلك عبر عن اهلاك
النفوس بالنفخ كما في قوله ونفخ في الصور وكما عن احياءها الآن بالنفخ كما يجد النار كذلك قد تشتعل
اختلاف انحاء النفخ وهذا من سوانح وقت كتابتي هذه ولم ار في كلام احد يا حسرة على العباد
اي انهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويندم عن فعالهم النادمون او هم متحسر عليهم من جهة
الملائكة واهل الايمان من الانس والجان او تحسر الله اما على سبيل الاستعارة في فظاعة ما
لم تفعلوه وتعظيم ما جنوه على انفسهم او باعتبار وقوع الحسرة من بعض عباده المخلصين من قبيل
ما روي من حديث يا موسى مرضت فلم تعدني وكان المريض بعض الصالحين من عباده تعالى عن
النقص والشين علوا كبيرا ويؤيد هذا الوجه قراءة من قرأ يا حسرتا لان المعنى يا حسرتي عليهم ثم الوجه
في مثل هذا النداء انه عبارة عن احضار صورة في الخيال احضارا قويا حتى كانها موجودة في العين
ثم الخطاب معها بالطلب والدعاء لان الحال مما يستدعي حضورها فمعنى هذا النداء ان يا حسرة
احضري فان هذه الحال من الاحوال التي يجب حضورك فيها فحقك ان تحضري فيها وهي حال استهزاء
العباد واهل العناد بالرسل وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة اليهم المفيدة للاختصاص بهم من حيث توجهها
اليهم وقرئ يا حسرة على العباد بالهاء اجراء للوصل مجرى الوقف ثم بين سبب الحسرة ومنشأ الندامة
بقوله ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون وسبب استهزاء الناقصين من الناس هم اهل الشقاء
والكفرة والمنافقين بالرسل والاولياء وكل من سلك سبيلهم في الاستهزاء بذكر الله والشوق
الى معرفته ومعرفة ما ينتهي اليه من ملائكته وكتبه ورسله واوليائه وعباده المكرمين والاعراض عما
اكب اليه الناس من طلب الجاه والمال ومعاشرة الخلق والمداراة والخوض في امورهم والمشاركة في
ذلك لان الرسل عليهم السلام ومن تابعهم هم رجال الله البالغون في العقل والبصيرة لا يؤثرون على لذة
النظر الى وجه ربهم لذة ولا يريدون غير الوصول الى جنته وطاعته تعالى وسعودا ولا يكدرون
شرابهم بغصص الحق الاول بحجاب نعيم او خوف جحيم وباقي الناس بمنزلة الاطفال الناقصين في درجاتهم
ومراتب نقصاناتهم على حسبها لانهم فان مثال الخلائق في ملكاتهم ما نذكره وهو ان الصبي في اول
نشوه وحركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللهو واللعب فيكون ذلك عنده الذ الاشياء
لقصور نظره وهمته عما وراء ذلك ما عداه والتشوق اليه ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب
الدواب فيستحقر معها اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في
الوصول اليها ثم يظهر بعد هذه الامور لذة الرياسة والعلو والتفاخر والتكاثر وهي اخر درجات
لذات هذه الدنيا واعلاها واقويها واخر ما يخرج عن رؤوس السالكين الى الله وللاشارة الى هذه
المراتب في اللذات قال تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر الآية ثم بعد هذه يظهر
غريزة اخرى يدرك بها معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها
فكل متاخر فهو اقوى وهذا هو الاقوى خيارا اذ يظهر حب اللعب في سن الصبي وحب النساء والزينة
في سن البلوغ الحيواني وحب الرياسة والعلو والتكاثر في سن العشرين وحب العلوم الحقيقية
بقرب الاربعين وهي الغاية العليا ومرتبة رجال الله هذه المرتبة والناس كلهم بالقياس الى هؤلاء
في منزل واحد هي الدنيا ومحبة ما فيها وكما ان الصبيان يضحكون على من ترك اللعب ويشتغل

بملاعبة النساء وطلب الرياسة ويستهزءون بهم فكذلك الرؤساء والمتصدرون في المجالس المتقلبون بالدنيا
يستهزءون بمن ترك الدنيا وزينتها ورفعتها واشتغل بمعرفة الله واستهتر بذكر الله والعارفون بالله
يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون ولهذا ذكر بعض اصحاب القلوب ان الانسان اذا
بلغ مرتبة في العلم بالله ومحبته بذكر صفاته وافعاله الغاية العليا رماه الناس بالحجارة اي يخرج كلامه
عن حد عقولهم فيرون ما يقول جنونا فقصد العارفين كلهم لذة معرفة الله تع ووصله ولقائه فقط فهي
قرة اعينهم التي لا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهي التي لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر واذا حصلت بهم لذة معرفة الله ومطالعة جمال الحضرة الربوبية والنظر الى اسرار الامور
الالهية يضمحل منهم الرسوم وينقطع عنهم الهموم الى غير طلب حبيبهم فليت لهم عند ذلك التشوق الى
شيء سوى الحق سواء كانت من باب الدرهم والدينار ام من باب الاراضي والعقار ام من باب الترفع
والافتخار الذي هو اجل لذات هذه الدار والناس اذا شاهدوا منهم ما يخالف اطوارهم واطلب همهم
الخمول والانزواء والاستتار وترك التبسط والتزيين والاشتهار بعدونه امامن السخر والمكر
من السفه والعبث ثم يعاندونه او يستهزءون به والله يستهزء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون لان
نظام هذا العالم وتعميره لا يتصور الا من المكبين على الحسيات الهالكين كالفراش في نيران الشهوات
المرضي كالخفافيش عن انوار الحكم والعقليات الجاحدين كالكمه الاضاليل لالوان المعارف واليقينيات
المنكرين كالعمى للذات النفوس العاليات وكراماتهم والقبول للعارسات في مناجاتهم الم يروا
كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون الرؤية ههنا بمعنى العلم اي الم يعلموا كثرة اهلاكنا
القرون وسمي اهل كل عصر قرنا لاقترانهم في الوجود كذا في مجمع البيان والظ انه من باب حذف المضاف
مثل واسئل القرية ونظايره والاسم بحاله في الاستعمال لقطعة من الزمان من غير وضع ثان وكم لفظة
كم استفهامية كانت او خبرية انه لم يعمل فيها عامل اما في الاستفهامية فظ واما في الخبرية فلان اصلها
الاستفهام فحكمها واحد الا ان معنى العامل سار في معنى الجملة بنفسها سادا مسدها فكانك قلت الم يروا ان
ذلك منطلق وان لم يعمل في لفظه وهذا القدر كاف في تعلق جملة كم اهلكنا بعامل الم يروا واتصالها
به وكم منتصب باهلكنا وقوله انهم اليهم بدل من كم اهلكنا بحسب معناه من حيث هو لا بحسب اللفظ
والمعنى الم يعلم هؤلاء الكفار كثرة اهلاكنا القرون الماضية لجحودهم وانكارهم لاهل الحق انهم
اليهم لا يرجعون اي كونهم غير راجعين اليهم اي لا يعودون الى الدنيا افلا يعتبرون بهم وجه التذكير
بكثرة المهلكين اي الكم يتصيرون الى مثل حالهم فانظروا لانفسكم واحذروا ان ياتيكم الهلاك وانتم
في غفلة عظيمة وعزة شديدة وعن الحس انهم بالكسر فيكون استينافا لا بد بحث مع حاجته في القول
بالرجعة وفي قراءة ابن مسعود الم يروا من اهلكنا فيكون البدل بدل اشتمال وفي الكشاف هذا مما
يرد قول اهل الرجعة وفيه نظر لا يخفى على المنصف فان عدم رجعة قرون من الكفرة الناقصين
الهالكين هلاك الابد لا يدل على عدم رجعة غيرهم من النفوس الكاملة الحية بحياة العلم والعرفان
فلا استحالة لترقي انتزال الارواح العالية باذن الله وقدرته في هذا العالم لخلاص الاسارى والمحبوسين
بقيود التعلقات في هذا السجن واما ما نقل تاييدا المذهب من منع الرجعة من قول ويحكى عن
ابن عباس انه قيل له ان قوما تزعمون ان عليا سيبعث قبل يوم القيمة فقال بئس القوم نحن اذن
نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه فدفوع بانه جرح وحكاية غير معلومة الصحة وعلى تقدير صحة الرواية
عنه فالمروي ممنوع فان المتبع في الاعتقاديات اما البرهان واما النقل الصحيح القطعي عن اهل العصمة

والولاية وقد صح عندنا بالروايات المتظافرة عن ائمتنا وساداتنا من اهل بيت النبوة والعلم حقيقة مذهب
الرجعة ووقوعها عند ظهور قائم ال محمد عليه وعليهم الصلوة والتسليم والعقل ايض لا يمنعه لوقوع مثله
كثيرا من احياء الموتى باذن الله بيد انبيائه كعيسى وشمعون وغيرهما على نبينا وعليهم السلام ثم يحتمل ان
يرجع ضمير انهم الى الكفرة وضمير اليهم الى القرون ويكون معناه ان هؤلاء لا يرجعون بحسب القوة
والقدرة او الشوكة والجاه او العدة والكثرة اليهم فكيف لا يعتبرون بمن سبقهم ولا يبعد ان يكون
المراد اهلاكهم بحسب موت الجهل والكفر والعناد هلاكا سرمديا فحينئذ معنى انهم اليهم لا يرجعون
اي في شدة الجحود والنفاق والاستكبار والاغترار بالظنون الفاسدة والعقايد الباطلة كما هو شيمة
اصحاب الجدال واهل المكر والاحتيال الذين هم اعدى اعداء الله ورسوله كما ذكر وصفهم
في القرآن كثيرا ويؤيد هذا الحمل كون هذه الاية عقيب قوله ما ياتيهم من رسول الا كانوا به
يستهزءون فالمعنى ان هؤلاء لا يصلون في الاستهزاء بالرسول الى من اهلكنا قبلهم من المستهزئين
بالرسل الذين كانوا اشد منهم في الجحود والاستهزاء على وزان قوله وقد اهلكنا قبلهم من القرون
من هو اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وان كل لما جميع لدينا محضرون
من شدد الميم في لما كعاصم وحمزة وابن عامر كانت عنده بمعنى الا كما في نشدتك بالله
لما فعلت وان نافية والتقدير ما كل الا جميع لدينا محضرون ومن خففها كالباقين كانت ما صلة للتاكيد
وان مخففة من المثقلة وهي متلقاة باللام لا محالة والتقدير وانه كل لجميع لدينا محضرون والتنوين
في كل عوض من المضاف اليه والمعنى وان كلهم من السابقين واللاحقين محشورون
مجموعون لدينا محضرون اي مبعوثون يوم القيمة للحساب والجزاء كما عليه جمهور المفسرين
او دائما لان علمه بجميع الجزئيات والشخصيات حضوري فجميع الموجودات حاضرة عنده مجموعا
من غير تعاقب وتجدد وغيبة لبعضها عن بعض بالقياس الى شمول علمه ونظره واحاطة سمعه
وبصره فلا حاجز لهم في حضور الخلايق عنده الى قيام الساعة وتبدل الدنيا بالاخرة انما ذلك بالقياس
الى المحجوبين بالزمان والمكان المحبوسين في سجن الافلاك والاركان تحت تحكم عليهم تبدل الانوار
والاقران وتسلط عليهم انفعالات المواد والابدان وكل من لا تعلق له بعالم الزوال والانفعال
له في حضور الاشياء ومثولها بين يدي خالق الارض والسماء فالدنيا والاخرة سيان له وعنده
علم الساعة واليه تحشرون وقيل معنى محضرون معذبون ثم لما كانت مسئلة المعاد وحشر الاجساد
وحضور العباد بابدانهم الاخروية عند المبدا الجواد من عظائم اركان الاعتقاد ولطايف مسايل
الاجتهاد وفي ادراكها غموض شديد لا يمكن الوصول اليه الا بجهد جهيد كرر الله ذكرها في القرآن
ومهد لاثباتها وجوها كثيرة من الامثلة الموضحة لها عند البيان منها ما ذكرها في هذه السورة التي
هي مشتملة على جملة ما في الكتب الالهية من وجوه عديدة اوضحها بيانا واجلاها كشفا وبرهانا
ما ذكره بقوله واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون ومن الايات
الواضحة والحجج القاطعة لمنكري البعث والحشر كالاطباء الطبيعيين والدهريين والمتفلسفين ومن تبعهم
من العوام المقلدين لهؤلاء المتشبثين باذيال المتشبهين بالعلماء والحكماء ظنا منهم ان الحكمة في
ابطال الشريعة المبينة على ثبوت قدرة الله على حشر الاجساد واحياء الموتى من العباد والارض
الميتة لغلبة جمود البرودة وضعف قوة الحرارة لفرط انحطاط الشمس عن سمت رؤس

فلاينبت شيئا ولايتحرك اجزاوها الكامنة فيها الحجمية العلو طلبا للكمال وارتفاعا الى العالم العالي
كالميت المنقطع عنه الروح بجارحتها الغريزية المستعدية للنمو والحس والحركة لطلب الكمال الايجابي
احييناها اي الارض المنقطع عنها اثر الحيوة من الحرارة المنسية للنبات بنفخ الحرارة السارية بارتفاع
دايرة الشمس بشعاعها المخروطي الشبيه بهيئة الصور الاسرافيلي النافخ باذن الله في الزبانات
الكامنة في عمق الارض واحياتها بالقوة واخرجنا منها ما كمن فيها من انواع الاعشاب والحبوب
التي يتقوتون مثل الحنطة والشعير والارز وغيرها فمنه ياكلون فهذا ضرب من الاستدلال على ثبوت
قدرة الله على اعادة الامثال وتوضيح ان منكري المعاد انما انكروا احياء الموتى لما توهموا انها
يوجب اعادة المعدوم بعينه وهو مما ثبت استحالته والجواب ان المعاد في المعاد هو الروح بعينه
وهو باق غير فان مع بدن نحشوه مثل هذا البدن لا نفسه حتى يلزم اعادة المعدوم فالتمثيل
بانبات الربيع واخراج الحبوب من الارض بعد يبسها كما في هذه الاية وغيرها للاشعار
بان المعاد مثل البدن الاول كما دل عليه قوله ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا
عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير وهذا القدر
في معنى المعاد مما اكتفى به جم غفير من الحكماء وعلماء الاسلام منهم الغزالي واستدل شارح
المقاصد عليه بان النصوص دالة على اعادة المثل لا الشخص بعينه من البدن كقوله في اهل
الجحيم وكون ضرس الكافر مثل جبل احد وبان قوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها وبمثل قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وانى
لا ارتضيه كما بينته في مواضع من كتبنا وتفاسيرنا بل المعاد عندنا هو هذا الشخص بعينه وهذا
الوجه بعينه وهذه اليد بعينها وهذه الاعضاء بتشخصاتها وتحقيق هذا المعنى يحتاج الى بسط
عظيم خارج عن طور التفسير وان لم يمكن فهم بعض الايات التي في بيان الحشر بدونه وقد بسطنا
القول فيه في كتبنا وسنذكر لمعا من اسرار المعاد في اواخر هذه السورة فليراجع اليه من اراد
ذلك فالاولى ان يحمل الاية على انه لدفع شبهة اخرى لهم في نفي المعاد هي ان استيناف الحيوة في البدن
يحتاج الى استعداد سابق وقبول مادة مستعدة حاصلة بالتوالد والازدواج الحاصل
من الابوين ثم حركة في الانفعال وتدرج في كمال بعد كمال حتى يحصل الولد ويجيء المني المنتهي
وهذه الاسباب مفقودة بعد هلاك الكل فكيف يوجد الخلايق الكثيرة العظيمة ويجيء هذا
البالية الرميمة دفعة من غير تعاقب وتوالد وتدرج في الاستكمال وحصول اسباب وانفعالات
وسبق استعدادات لكمال بعد كمال فالله سبحانه ازاح هذه الشبهة واماط هذه الريبة
بان انشاء الموجودات في النشأة الثانية انما يكون بمجرد جهات فاعلية واسباب علوية الهية
لا بحركات وانفعالات قابلية واسباب هيولانية كما ان انشاء الخلايق ابتداء لم يكن الا بمجرد
جود الله وابداع الاسباب الفاعلية حتى تنزلت بتاثيراتها وانتهت الى اواخر الموجودات
النازلة السفلية من غير سبق وسيلة وتقدم استحقاق لقوله كما بداكم تعودون وقوله ولقد علمتم
النشأة الاولى فلولا تذكرون فمثل الله له هذا المعنى بمثال انشاء النباتات والاشجار واحياء الارض
بها كل سنة بعد يبسها وموتها بالاسباب العالية والاوضاع السماوية والقوى الفعالة من قوة
حرارة الشمس وارتفاعها واستيناف تاثيرها بجرمها وشعاعها لا بالاسباب الارضية بقواها
المنفعلة في صورة الفاعل وجري المياه على الارض وسقيها واختلافها فان شيا من هذه

الامور لايجدي نفعا في حيوتها لكن اذا حان وقت ارادة الله احياءها فكذلك الحال في
وقت النشور واحياء الله تعالى حيوة اخروية كل من القبور كما بين الله تعالى واوضح هذا المعنى
في عدة مواضع من القرآن كقوله وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت
وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان
الساعة اتية لاريب فيها وان الله يبعث من في القبور وكقوله ومن اياته انك ترى الارض
خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى وكقوله والله
انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون ولما مثل الله تعالى في
احياء الاموات عند النشور وبعثه من في القبور باحياء الارض بعد موتها ويبسها اراد ان يشير
الى ان حشر الناس يوم القيمة ووقوع الواقعة على اقسام من الصور والهيات المختلفة بحسب
الاعمال والنيات فمثل انشاء الخلق اذا نفخ في الصور بانشاء الازهار والثمار الملونة الفنون
من النباتات والاشجار المختلفة بحسب ما كمن لها من البذور والاصول التي هي بمنزلة الاخلاق
والاعتقادات الكامنة في الانسان التي سيبرز ويظهر منه يوم حشر ما في القبور وحصل ما في
الصدور وفيه اشارة ايضا الى انموذج من نعم الله الحاصلة من الارض لانتفاع عباده منها
واغتذائهم بها ليتقووا منها ويتمتعوا والشكر لها ومنشئها لا نجيعا مما لا يحيط بالعد
فقال وجعلنا فيها جنات اي بساتين وحدايق يوجد فيها انواع الاشجار المخضرة والنباتات
المثمرة فنونا من الثمار من نخيل واعناب وانما خص القسمين لكثرة انواعهما ووفور منافعهما
وفجرنا فيها من العيون اي وجعلنا في ملك الارض الملية عيونا من الماء ليسقي الكرم والنخيل
كانفجار عيون الملكات العلمية الكامنة في ارض النفوس الانسانية التي بها يتحقق يوم كشف
الغطاء نخيل المشاهدات واعناب المكاشفات واصل مياه العلوم الكامنة فيها هو مياه
امطار جود الله وافاضته وتوفيقه الهداية والتحصيل فاذا جمع الماء ان يوم الاخرة ماء
افاضة الله وامطاره علوم المشاهدة والمكاشفة من سحاب لطفه ورحمته على القلوب وماء
ينبوع العلوم الكامنة في العقل وملكة حصول المعارف فيه وهو العلم الاجمالي الذي نسبته الى العلوم
النفسانية التفصيلية كنسبة الكيميا الى الدنانير الغير المحصورة ظهر انواع الصور الاخروية وطيب
استجلاء المشاهدات وعذب شراب التجليات فالتقى الماء على امر قد قدر ليأكلوا من ثمره اي
ثمر النخيل اكتفاء به لانه علم ان الاعناب في حكم حكم النخيل او ثمر احد المذكورين والجنات بالتاويل
المذكور والنكتة في اثبات هذه الغاية فيما نحن فيه بصدده من تطبيق الاية على احوال الارواح
الانسية بحسب المعاد هي انه كما ان الغرض الاصلي من غرس الاشجار وتحصيل الثمار هو التقوت
بها والترقي الى غاية النشو الصوري والاشتداد الظاهري كذلك الغرض من تحصيل المعاد
والصور العلمية الحاصلة بالافاضة الفاعلية وعين الاستفاضة القابلية هو تكميل النشأة
الثانية الانسانية وبلوغها الى الغاية فعليتها الروحية واشتداد حقيقتها المعنوية وقرئ ثمره
بفتحتين وضمتين وضم وسكون وفي الكشاف الضمير لله والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من
الثمر ومما عملته ايديهم من الغرس والسقي والابار وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ

الارض
ترى

الثمر منتهاه وآيات الله يعني ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه اثار من كد بني آدم وفيه ايضا اصله من ثمرنا
كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات وما عملته ايديهم وقرئ وما عملت
من غير هاء وكذا في مصاحف الكوفيين وعند قراء الحرمين والبصرة والشام مع الضمير وما فيها موصولة
عطف على ثمره اي والذي عملته ايديهم من انواع الاشياء المتخذة من النخيل والعنب الكثيرة مناصها
وقيل يعني الغروس والزروع التي عملتها ايديهم وقاموا على اصلاحها وذلك ان يجعل ما فيها نافية يعني
الثمار مع صورها ومنافعها وخصائصها ليست ما عملته ايدي الناس بل هي فائضة من عالم قدرة الله
بوساطة ملائكة المسخرين لانشاء الصور النوعية يقال لها ارباب الاصنام في لسان الاشراقيين وتسمى
عندهم باسامي كخرداد وارديبهشت وامثال هذه ولهم في لسان الشريعة اسامي كملك المياه
وملك الجبال وملك الرياح ونظايرها وفيه ايضا اشارة الى مسئلة المعاد ورد شبهة اهل الجحود
حيث ان وجود الصور الاخروية انما كان بانشاء الله بيد سدنة الجنان وملائكة الرحمة والرضوان كما
ان اعمال ايدي الانسان في غرس الاشجار وبث البذر للثمار مما لا مدخل لها في ايجاد الصور النامية بل
انما كان نوع من الحركة والرياضة مما له مدخلية في استجلاب رحمة الله التي يكفي فيها اذ فيه مرجح بها
من محض الامكان للشيء المتساوي طرفا وجوده وعدمه وكذلك التفكرات الانسانية والنيات والعقايد
الحاصلة من القوة المفكرة التي هي بمنزلة بيد معنوية للنفس الذاكرة مما لا دخل لها في توليد النتايج والصور
الكلية والتحصيل هي بعمل ايدي القوة الناطقة انما تفيضها الصور من واهبها باذن الله والافكار وتعاليها
معدات للنتايج للتحصلات وهذه الصور العلمية والعقايد الحقة او الباطلة ستصير عند البعث والنشور
صورا واشخاصا عينية على اشكال وهيآت حسنة نورانية جنانية يتنعم بها السعداء او قبيحة مولمة
موذية جحيمية يتعذب بها الاشقياء وهي ايضا مما خلقها الله تع وانشاها وابدعها بجهات فاعلية من ملائكة
الرحمة والعذاب بيد سدنة الجنان او النيران من غير تعمل بشري وتصرف حيواني فانظر كيف تدعى الكتاب
العزيز هذه المناسبات بين عالمي الغيب والشهادة والدنيا والآخرة ثم كرر النظر واعمل التفكر ايها العارف
المستبصر في فوايد هذه الآية ولطايف نكاتها ودقايق اسرارها ليظهر لك حكمة بعد حكمة ونور بعد نور
فتامل كيف شبه النفس الهيولانية الساذجة من العلوم المية بموت الجهل البسيط المستعدة للحيوة العقلية الباقية
في تلك الدار القابلة لانوار العلوم وثمار الاسرار التي هي بمنزلة صدر الجنان وحيات حسان لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان ولا يمسهن الا المطهرون من ادناس عالم المواد والاركان بالارض اليابسة الميتة
لغلبة الجمود والبرد واليبس التي هي كالنفوس الجامدة الباردة الفظة الغليظة الساكنة من الفكر وشبه
احيارها بافاضة مياه العلوم باحياء الارض بنزول الامطار لان من الماء كل شيء حي فالماء مطلقا يوجب
الحيوة مطلقا وكل نوع منه يوجب نوعا مناسبا له من الحيوة فالماء الجسماني يوجب الحياة الجسمانية
والماء الروحاني اي العلم يوجب الحيوة العلمية الاخروية واعلم ان الماء مادة الحيوة واما صورتها
فهو النار على مراتبها والنور من جملة مراتبها ففي الحيوة الارضية النباتية كما لا بد من ماء سماوي كالمطر
وماء ارضي كالعيون والانهار كذا لا بد فيها من نار سماوية كشعاع الشمس وغيرها ونار
ارضية هي احد العناصر الاربعة المجتمعة بالازدواج لحصول المزاج وهكذا في الحيوة الاخروية على طبقاتها
ودرجاتها كما لا بد من مياه العلوم الفائضة من العالم الاعلى ومياه العلوم الكامنة في النفس المنبعثة
فيها بالمذاكرة والمراجعة والكد والتعب فكذلك لا بد من نار علوية عقلية هي شعاع العقل الفعال
ونار سفلية نفسية هي اشتعال النفس الذكية وقوة حدسها المتقا وتبرء في انوار الحسنات لنا

البالغة في بعضهم الى غاية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار العقل الفعال الذي هو نور اذا اتصل به
العقل المستفاد كان نورا على نور ثم تامل كيف اشار سبحانه الى المخارج الجزئية والمعارف الجمهورية التي تنفتح بها
جمهور الناس ويحيي بها اوساطهم من القلوب بالكد والتعب والتكرار باخراج العيون من بطون الجبال
والاحجار اليابسة وبنبوع الماء الزلال من التراب الكدرة فعلم بذلك ان من القلوب لحجارة ينفجر منه الانهار
اي انهار العلوم والمعارف كما اشار اليه بقوله وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وعلم ايضا ان منها لحجارة
او ارض يشقق منه الماء وهو قلب يظهر عليه في بعض الاوقات عند انخراق حجب البشرية فيظهر منه بعض
لطايف المعاني وانوار العلوم ويعلم ايضا بالمقايسة ان منها ما هي كالحجارة القاسية التي لا يتفجر منه انهار
العلوم ولا تؤثر فيه شيء من الآيات والاخبار ولا يتأثر بالتليين بكثرة من الحكم والمواعظ وهو كقلوب اهل
الدنيا وغاية منها ما هي اشد قسوة واصلب وهي القلوب التي في الكدورة والصلابة كالحديد
البارد لا يؤثر فيه شيء من النصيحة والتعليم للتليين ولا الزجر والضرب للانقياد والطاعة الا
القتل والاعذاب بنار الجحيم وهكذا الحديد يتعصى من قبول الطرق وطاعة الحداد فيستحق بذلك
لدخول النار وتليينها باذن الله فعند ذلك يقبل كل طارق يطرق منه وههنا اسرار اخر لا يمكن التصريح
بها ثم تامل وتدبر كيف ضرب الله مثلا لروح الانسان وقلبه بجنات جعل فيهما من كل الثمرات من نخيل العلوم
واعناب المعارف لكونه مخلوقا في احسن تقويم مستعدا لجميع الكمالات والكرامات قابلا لجميع الفضايل وجلها
الشمايل والحسنات مكرما بعلم جميع الاسماء والصفات منورا بانوار التجليات الحاصلة له في مظاهرها
العقلية والخيالية والحسية من عالم الصورة والمعنى والشهادة والغيب كما في قوله تع ايود احدكم
ان يكون له جنة من نخيل واعناب وفي القرآن آيات كثيرة دالة على تمثيل ما يصل اليه الانسان
من ثمرات عقايد الايمان ونتايج اكتساب العلم والعرفان في الآخرة عند رفع الحجاب بالجنات والانهار
والثمار والاشجار والحور العين والصور الحسان وغيرها من الامثال التي لا يعلمها الحق
الا الراسخون في العلم كما قال وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقوله افلا
يشكرون اشارة الى الحث والترغيب الى معرفة هذه الامثال والنعماء الالهية ووجه ذلك ان الشكر
من جملة مقامات الدين واجزاء الايمان واليقين فان الايمان ليس كما ظن بابا واحدا بل هو بضع
وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق كما ان الانسان
ليس موجودا واحدا بل هو بضع وسبعون موجودا اعلاها القلب والروح وادناها اماطة
الاذى عن البشرة لكون الانسان مقصوص الشارب مقلوم الاظفار نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز
عن البهايم المرسلة المتلوثة بارواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها واظلافها وهذا مثال مطابق
للايمان ذكره بعض العرفاء لان الايمان الحقيقي يحصل حقيقة الانسان بل هو عند الكاملين في الحكمة
والراسخين في المعرفة عين الانسان الحقيقي فعلى التطبيق يقال الايمان كالانسان الحسي وفقد شهادة
التوحيد منه يوجب بطلانه بالكلية كما يوجب فقد الروح بطلان الانسان العقلي بالكلية والذي ليس له الا شهادة
التوحيد وشهادة الرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقوء العينين مفقود الحواس ليس له الا اصل
الروح فيه الا اصل الارواح بالقوة وكما ان من هذا حاله قريب من ان يموت فيزايله الروح الضعيف
كذلك حال من اكتفى باصل الايمان من غير تحصيل الاعمال المورثة للاخلاق والملكات من الصبر والشكر والتوكل
والرضاء بالقضاء وغيرها من المقامات فهو قريب من ان ينقلع شجرة ايمانه بقواصف الرياح
عند زلزلة الساعة اي القيمة الصغرى التي تحصل في مقدمة قدوم ملك الموت ومشاهدة اهوالها

تحضر

وحالاتها وعند القبر والبعث في القيمة الكبرى التي تعم فكل ايمان لم تثبت في اليقين القطعي
اصله ولم ينتشر في الاعمال فروعه لم تثبت عند تصادم الاهوال وتنزل الاحوال ودوامه
وعند ظهور ناصية ملك الموت وطلوع صباح القيمة من مغربها قيامه فخيف عليه سوء
الخاتمة نعوذ بالله الا ما سقي بماء الطاعات والتاملات القدسية على توالي الايام والساعات
والتعرض واغتنام نفحات الطاف الله حتى رسخ وثبت اصلها في ارض القلب وفرعها في سماء
الاحوال والمقامات والدرجات كما اشار اليه بقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة
طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء وقوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة
الدنيا وفي الآخرة اذا تقرر هذا فالشكر كسائر المقامات ينتظم من ثلثة امور علم وحال وعمل
وهكذا جميع المقامات لانها منتظمة من علوم واحوال واعمال وهذه الثلثة اذا قيست بعضها
الى بعض لاح للظاهريين من الناظرين ان العلوم يراد لاجل الاحوال والاحوال تراد للاعمال فالعمل
هو الافضل عندهم وهو الغاية لديهم واما عند ارباب البصائر فالامر بالعكس من ذلك فالاعمال
تراد للاحوال والاحوال للعلوم فالافضل هي العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان الاعمال غايتها الى
وهي يرجع الى تصفية القلب عن العوائق وتصقيل وجهه عن الكدورات والحجب ثم نفس التصفية
والتصقيل ليس كمالا وغاية مطلوبة لانها امر عدمي بل يراد للجلاء ان يتمثل فيها صورة الحق وهي
العلوم الحقيقية واما احاد هذه الثلثة فالاعمال قد يتساوي وقد يتفاوت اذا اضيف بعضها
الى بعض وكذا احاد الاحوال وكذا احاد المعارف وافضل المعارف علوم المكاشفة اي علوم التوحيد
من احوال المبدا والمعاد واحوال الملائكة والرسل والكتب واهل الانتماء الى الوحي صلوات الله
عليهم اجمعين واذا ثبت ان الشكر كما في مقامات السالكين ينتظم من علم وحال وعمل وان العلم
هو الاصل المقصد من الاعمال والاحوال فلاجله يكون الحال ولاجل الحال يكون الاعمال وكما انه
المقصد الاصلي والغاية القصوى فكذا هو المورث المنتج لما سواه فهو الاول والآخر والمبدا
والغاية فهو يورث الحال والحال يورث العمل فقوله تعالى لعلكم تشكرون معناه الاصلي عند
العارف العالم باسلوب الدين والفاهم للشان القرآن المبين لعلكم تعلمون علما ناشيا منه
حال ناشي منه عمل مشروط بعلم مقدم اذ لا بد اولا في الشكر من معرفة النعمة وانها من المنعم ثم
الحال ثانيا وهو الفرح الحاصل بانعامه ثم العمل ثالثا وهو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه
ويتعلق ذلك العمل بالقلب والجوارح وباللسان ولا بد للاحاطة بحقيقة الشكر من بيان هذه
الامور الثلثة على الوجه الاجمال لان التفصيل فيها غير لائق بهذا المقام اما بيان العلم الذي هو
الاصل فهو انه علم متعلق بثلثة امور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود
صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر منه على من سواه فانه لا بد من نعم ومنعم عليه تصل
اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لا بد من معرفتها في حق غير الله واما في حق الله
فلا يتم الا بان يعرف ان النعم كلها منه وهو المنعم والوسايط مسخرون من جهته فيحتاج في تكميل
الشكر الى العلم بتوحيد الافعال بعد معرفتها على التفصيل والترتيب من المبدا وترتيبها والنفوس
الكلية واغراضها ومراتبها والاجرام الفلكية واشواقها وحركاتها ثم الوسايط العنصرية
بسايطها ومركباتها وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد اذ دخل التوحيد والتقديس

فيها لان الرتبة الاولى في معارف الايمان التقديس ثم اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف
انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم ان كل ما عداه في العالم فهو
موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فيقع هذه المرتبة في الرتبة الثالثة اذ ينطوي
فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة المقتضي انه لا مؤثر في الوجود الا الله فتمام المعرفة
في الشكر بنفي الشرك في الافعال مثاله ان من انعم عليه ملك من الملوك بشيء فان راى المنعم
عليه لوزيره او ساعيه دخلا في ايصاله اليه فهو اشراك به في النعمة فلا يرى النعمة منه
مطلقا بل بوجه منه وبوجه اخر من غيره فيتوزع شكره وفرحه وحاله عليهما فلا يكون موحدا
في حق الملك شاكرا له حق شكره نعم لا ينقص عن توحيده في حقه وكمال شكره نعمته انها وصلت
بتوقيعه بالقلم على الكاغد ولا الشكر لهما لعلمه بانهما مسخران تحت قدرته وكذا لو علم ان
الوزير والساعي الموصل والخازن ايضا مضطرون من جهة الملك في الايصال الا اذا عرف
ذلك كان نظره اليهم كنظره الى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شركا في توحيده في اضافة
النعمة اليه فكذلك من عرف الله وعرف افعاله علم ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره
وكذا العقل والنفس اللذان هما فوق هذه الامور مسخران بيد قدرته كالقلم والقرطاس
في يد الكاتب وكذا الحيوانات لها اختيارات في نفس اختيارها مسخرات له فاذا عرفت الامور
فقد عرفت الله وعرفت فعله ونعمته عليك وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه
المعرفة بمجردها شاكرا لله ومما يدل على ان اصل العلم بهذا الوجه شكر تام ما ذكر انه قال موسى
في مناجاته الهي خلقت آدم بيدك وفعلت كذا وفعلت كذا وكذا فكيف شكرك فقال عز وجل علم
ان ذلك مني فكانت معرفته شكرا فاذن لا تشكر الا بان يعرف ان الكل منه فان خالجك ريب
في هذا لم تكن عارفا الا بالنعمة لا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل بغيره فينقص نقصان معرفتك
ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل واما بيان الامر
الثاني فهو الحال المستمد من اصل المعرفة وهو الفرح بالنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهذا
ايضا في نفسه ضرب من الشكر لانه فعل ينبئ عن تعظيم المنعم ولكن انما يكون شكرا اذا كان جامعا
شروطه وشرطه ان يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام وهو ايضا امر عظيم وامارته ان لا
يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الآخرة وتعين على طاعة الله وطلب التقرب اليه ويحزن
بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده عن سبيله ولذلك قال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة
وقال الخواص شكر العامة على المطعم والمشرب وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا
يدركها كل من انحصرت اللذة عنده في لذة البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والطعوم
والروايح وخلا عن لذة القلب لان القلب لا يلتذ في حال الصحة والسلامة الا بذكر الله ومعرفته
ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كمن يلتذ باكل الطين لانحراف مزاجه عن نهج الاستقامة
وكمن يستبشع الحلاوات ويستحلي المرارات لمرض عرض له فهذا بيان الامر الثاني واما الامر الثالث
فهو العمل بموجب العلم والحال على وجه يودي الى الكمال من العلم فالعلم هو الاول وهو الآخر فان
هذه الامور الثلثة متعاكسة في الوجود الحدوثي والبقائي اي الابتدائي والرجوعي وذلك لان العلم

بالنعمة او الانعام وكونها من المنعم لو لم يكن اصلا لم يترتب عليه الفرح بالنعمة من حيث كونها من المنعم واذا
لم يحصل الانتعاش والفرح بها لم ينبعث منه العمل فاذا علمت هذا في الابتداء فاعلم عكسه في الرجوع
فان فايدة العمل اصلاح القلب وصفاوه عن المشوشات واستقامته عن الانحراف عن جادة
الحق والصراط المستقيم والتوسط بين الاطراف الموجبة لهويها في اسفل دركة الجحيم وفايدة اصلاح
القلب ان ينكشف له جلال الله في ذاته وصفاته وافعاله فعلم من ذلك ان ضربا من العلوم بمنزلة
عبيد وخدم يراد لاجل الاعمال والاحوال وهي العلوم العملية المتعلقة بكيفية الاعمال البدنية
والقلبية وضربا منه بمنزلة الملوك والسلاطين وهي المستخدمة لغيرها فارفع العلوم علوم المكاشفة
وهي معرفة الله سبحانه والايمان به وبصفاته وافعاله وهي الغاية القصوى التي يطلب لذاتها
وينال بها السعادة العظمى بل هو عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بانها عين
السعادة وانما يشعر بها في الاخرة فهي المعرفة الحرة التي لا قيد لها ولا تتقيد بغيرها وهي مخدومة
الجميع وغيرها عبيد وخدم لها فانها انما تراد لاجلها وكان تفاوتها بحسب نفعها بالاضافة
الى معرفة الله فان بعض المسايل والمعارف يفضي الى بعض اما بواسطة او وسايط حتى
ينتهي العلم الالهي فكلما كانت الوسايط بينه وبين معرفة الله اقل كان افضل واما الاحوال
فنعني بها احوال القلب من تصفيته وتطهيره عن شوايب الدنيا وشواغل الخلق حتى انطهر
وصفا اتضح لحقيقة الحق فاذا فضايل الاحوال بقدر تاثيرها في اصلاح القلب وتصفيته
لوجه لان تحصل له المعارف الالهية وهكذا ترتب الاعمال في تاكيد صفاء القلب وجلب الاحوال
ودفع الحجب والظلمات المانعة عن المكاشفات عنه فكما ان الحالة القريبة والمقربة من صفاء
القلب افضل من ما دونها للمحبة فكذا الاعمال بحسب مراتبها في التاثير في صفاء القلب والرفع
لما يجذبه الى زخارف الدنيا والطاعة والمعصية عند المحققين بالعقايد الشرعية والقواعد
الدينية اسمان موضوعان لباعث صفاء القلب وباعث كدورته وظلمته على درجاتها
اذ المعاصي من حيث التاثير في ظلمة القلب وقساوته يكون كبيرة وصغيرة متفاوتة
وكذا الطاعات في تنويل القلب وتصفيته وترقيقه فدرجاتها بحسب تاثيرها وذلك
يختلف باختلاف الاحوال فان قلت فقد حث الشرع على الاعمال وبالغ في ذكر فضلها قلنا
ان الطبيب اذا اثنى على الدواء لم يلزم منه ان الدواء مراد لعينه على انه افضل من الصحة
والشفاء الحاصلين به ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلب مما لا يشعر به غالبا
فالحث على الاعمال يوجب اقدام العباد عليها ولكل عمل خاصية في القلب فيترتب على فعل الحسنات
وترك المحظورات ما هو مقصود الشريعة من تصفية الباطن المحبة لسياقة الخلق الى جوار
الله ومعرفته وقربه فهذه خلاصة ما ذكره بعض علماء الاخرة وحجة الاسلام نقلناها
لتحقيق معنى الشكر ليتضح عند المتدبر ان العمدة في باب الشكر هي معرفة نعم الله تعالى وكيفية
صدورها فعاله سبحانه على وجه يتقدس ويتعالى عن التكثر والتجسم في البداية وعن التعطيل
والتشبيك في الفيض والنهاية ويندرج فيه تقديس الذات عن شوايب الامكان وتوحيده
عن مثالب التركيب والنقصان ولهذا اشار سبحانه بعد الحث على الشكر الى ما يتوقف عليه
بل يتحقق به من العلم بان اسباب النعم كلها منه وبكيفية صدور الافعال عنه على وجه لا يوجب كثرة
وامكانا ولا يقدح في وحدانيته ولا يقدس صفاته بقوله سبحان الذي خلق الازواج كلها

بما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون قد نزه الله سبحانه نفسه وعظمها اولا عن التغير
في الذات والشين في الصفات والفتور والتقصير في الافعال واوضح دليله ثانيا بانه هو الذي
يستحق منتهى الحمد وغاية الشكر فيكون الكلام كدعوى الشي ببينة اي تنزيها وتعظيما وبراءة
عن الافة والنقص والسوء للذي خلق الانواع والاشباه والاشكال والامثال من كل نوع اي كلية
طبيعة متكثرة الافراد كانواع الكائنات من اصول ثلثة هي الموضوعات والقوابل لان الانواع المتكثرة
الافراد الحاصلة بالقوة والاستعداد والعاشية في سلسلة العايدات الى البارى تعم المعاكسة
في الوجود لسلسلة البايدات منه لا بد لوجودها من مادة يقبل تكثر نوعيتها وتعدد افرادها
وذلك لان التكثر فيما له حد نوعي وحد طبيعي يحتمل بحسب الفرض ان يكون اما بالماهية او لازمها
او عارضها والقسمان الاولان يوجبان انحصار النوع في شخص واحد وهو خلاف المفروض
فتعين القسم الثالث فلا بد من مادة قابلة تنفعل عن الفاعل البري عن التغير لا واعراضا
حادثة يحتاج في حدوثها وتجددها الى قوة انفعالية وحركات استعدادية سفلية تابعة لحركات
ومحصلات فلكية لاغراض علوية بالحق فتكك الحركات الى فاعل غير متناهي القدرة في التاثير وقابل
غير متناهي القوة في الانفعال فينفتح ابواب نزول الرحمة والخيرات واسباب ورود النعم والبركات
لقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقوله لو كان البحر مدادا لكلمات الله الاية وهي على كثرة
افرادها وانواعها منحصرة في ثلثة اجناس اولها ما لا شعور لها ولا نفس حساسة فيها في حد حقيقتها
وهي مما ينبت من الارض والمراد منها ما يندرج فيه المعادن والنباتات انجميعا مما يخرج من الارض
ونبتا منها وثانيها ما له نفس شاعرة مريدة للحركات اقداما واحجاما جلبا ودفعا طلبا وهربا
شهوة وغضبا والنوع منه حيوان اذ ادنى مراتب الحيوانية فيما له قوة اللمس وهذه القوة
موجودة لكل حيوان حتى الدود والخراطين التي تتكون في الطين فانها اذا غرزت فيها ابرة انقبضت
للهرب لا كالنبات فانه يقطع فلا ينقبض لعدم احساسه بالقطع ومادة تكون الحيوان واصل خلقته
انما هي مواد فضلية منوية موجودة في ابدان الحيوانات حاصلة من فضلة الهضم الرابع باستخدام
النفوس الحيوانية للقوى النفسانية والطبيعية كالجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة المحركة للغذاء
في عمق البدن دافعة المخرجة للفضلة الى اطراف البدن ومخارجها مستقرة في قرار مكين بوسيلة
حركات وانفعالات جاعلية واقعة من نفوس الاباء والامهات على اغراض حيوانية طلبا للشهوة واللذة
التي هي الغاية القصوى لفاعليها فاشار الى ذلك بقوله ومن انفسهم وثالثها ما له ادراكات
كلية وهي عقول مجردة وموجودات مستقلة في الوجود البقائي والكمال الضروري حاصلة من
الافكار والتاملات القدسية الواردة على القبول الهيولانية واليها اشار بقوله ومما لا يعلمون
ان الجوهر الناطق الذي به يكون هوية الانسان روحا لتبين حاله بها يكون نفسا وحالة بها يكون عقلا
فهو بحسب الحالة الاولى داخل في النفوس الحيوانية مبداها المزاج ومنتهاها الموت بالانحلال
والحالة الثانية داخلة في قسم الملائكة المقربين والعقول المقدسين فمبدا تكونها من عالم الامر ومرجعها
الى الله فقوله ومما لا يعلمون اشارة الى مادة تكون الارواح الانسية الكاملة في العلم والعمل انها ليست
من عالم الشهادة ومدركات الحواس ولا مما يعلم جميع الناس واما المخرجة اياها من القوة الى الفعل
فهي مما يطول شرحه وليس لكل انسان نصيب في فهمه بل المغترون بظواهر العلوم يجحدون وجود
عالم الامر وبلوغ الانسان اليه بوسيلة العلوم والتفكرات جهلا بان هذا البلوغ هو الغرض الاعلى

والغاية القصوى في ارسال الانبياء وانزال الكتب من السماء وتخصيص القول ان الله تعالى كما
يصور الجنس بصورة الحيوانية على نطفة سقطت من الاب في الرحم بتدبير الاربعين كذلك
اذا سقطت من صلب نبوة الانبياء وولاية الاولياء نطف العقايد الايمانية في ارحام نفوس اهل
الايمان تربيه تصرفات المعلمين والمشايخ فالله يحولها من حال الى حال ويكملها بكمال بعد كمال
وينقلها من مقام الى مقام حتى ينتهي الى كمال التسوية والاستواء خلق بقدرته وهدايته في رحم
النفس صورة وليد القدس وطفل خلفاء الله في ارضه على الوجه الذي يليق لتحمل الامانة حسب
ارادة الله ومشيته لقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء فيستعد الآن ان ينفخ فيه الروح
المختص بالانبياء والاولياء وهو الروح القدسي الذي هو بقبول القابل وصورته كتابة كقوله يلقي الروح من
امره على من يشاء من عباده وكقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وبهذه
الفائدة العظيمة والنعمة الجسيمة اهبط الارواح من اعلى عليين القرب الى اسفل سافلين البعد كما قال
اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فاذا نفخ فيه الروح القدسي يكون ادم وقته فيسجد له
بالخلافة الالهية الملائكة كلهم اجمعين فهم ابناء الله وتنبيه والمحجوب عن غير هذا العالم كالطاهرين
فيها لا يعلمون بارواح من الحيوانات العفينة والجمادات المعدنية التي لم يجعل الله للبشر طريقا
الى العلم بها لانه لا حاجة في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم وفيه ما لا يخفى من التعسف او سوق الاية
يدل على كون ما لا تعلمون خلقا عظيما وصنعا بديعا اشرف مما وجد في هذا العالم الارضي ونفي
العلم به والجهل بحقيقته انما هو بالنسبة الى جمهور الناس وعامتهم لا الخلص الكاملين من عباده
وكثيرا ما يستعمل نفي العلم للاجلال والتعظيم لشيء والترغيب عليه والمنافسة فيه كما في قوله تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الحديث القدسي اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويحتمل ان يكون كلمة من في المواضع الثلاثة بيانية فيكون
اشارة الى اعيان اجناس المخلوقات الثلاثة بذواتها لا الى موادها وقوابلها وموضوعاتها العلل
بكثرة ما خلق وانواعها واصنافها واعدادها الخارجة عن ما يحيط به علم البشر وعن ضبطه واحصائه
دلالة على عظيم قدرة باريها واتساع مملكة خالقها ومنشيها جل ذكره وما ذكرناه اولى لكون الحكمة
فيه اكثر والفايدة فيه اشمل ومعرفة الشيء باسبابه واصوله اوثق قوله سبحانه وآية لهم الليل
نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون سلخ الشيء اخراجه من لباسه ومنه اخراج الحيوان من جلده يقال
سلخ جلد الشاة اذا كشطه عنها وازاله ومنه سلخ الحية لخروجها من جلدها ومنه قوله تعالى فانسلخ
منها اي تخرج منها خروج الشيء مما لابسه فوقع ههنا مستعارا لازالة نور الشمس وكشفه عن كثافتها
عن سطوح الاجسام الارضية الكثيفة او اعماق الاجرام البخارية اللطيفة بوجه او المائية المتصعدة لانها
كلها مظلمة الذوات قابلة للانوار الكوكبية والعنصرية التي اصلها استمداد من ضوء الشمس فاذا غربت
عنها الشمس رجعت الى ظلمتها الاصلية والظلمة ليست صفة وجودية كما توهم الناس ولا ايضا
عدم ملكة او عدم النور عما من شانه قبول النور كما زعم المشائون حتى يحتاج الى كون بعض الاجسام
خاليا عن النور والظلمة جميعا بل هي مطلق عدم النور من غير شرط وقيل لانا اذا غمضنا بصرنا
او فتحناه في هواء مظلم لم نجد فرقا بين الحالين ولم نجد الا زوال الانكشاف وعدم الظهور ولذا
قال فاذا هم مظلمون اي داخلون في الظلام عند انسلاخ النهار عن ليل الاجسام وزوال ضوء الشمس
عن ابصارنا لا انا نام واعلم ان الغرض المسوق اليه هذه الآية هو الدلالة على وجود الصانع البديع المبدع

للانسان ومعاده حيث يظهر من تحقق الليل والنهار على وجه التكافي وولوج احدهما في
الاخر وحصول الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص كيفية وضع الارض التي هي مقر
الخلايق من النبات والحيوان في وسط الافلاك ويستعلم منها ومن وضع مدار الشمس التي
نورها سبب وجود الكائنات على هذا الوجه عناية الباري سبحانه في تربية الموجودات على
الوجه الاكمل الاوفق اولا يرى انه لو لم يكن الارض كثيفة قابلة للنور والظلمة لم يتحقق عندها
ضوء النهار ولو لم يكن ايضا في الوسط لم يكن نظام الكائنات على هذا المنوال بل لا تزيد فيها التي
اما بالافراط او بالتفريط لقربها المفرط من الشمس او بعدها المفرط عنها وايضا لو لم يكن الشمس
مداره حول الارض لكانت دائمة التبريد او التسخين فلم يفعل ما فعلته من التعديل والنضج
وايضا لو لم يكن النير الاعظم في وسط الافلاك السبعة كانت اما بعيدة عن وجه الارض بعدا مفرطا
او قريبة منها قربا مفرطا ففسدت المركبات سيما الحيوانات المعتدلة الامزجة اما من غاية
الحرارة والتحليل او من فرط البرودة والتجميد وايضا لو لم يكن حركتها الوضعية الشرقية على هذا الحد
من السرعة والسير الحثيث لما فضلت اليوم والليلة بهذه المدة اليسيرة ولما اختلف الملوان علينا
في قدر اربع وعشرين ساعة بل كانت مدة اليوم بليلته مقدار سنة ففاتت المنافع والاغراض
الضرورية المترتبة على تحقق الايام والليالي وتبادلهما على التوالي ولو لم يكن مدار حركتها السنوية
مائلا عن مدار حركتها البطيئة لبطلت الفصول الاربعة ولكانت البقاع الواقعة تحت مدارها اشد
الحر ولم يصل اثر نورها الى ما بعدت عن مدارها ففي وجود الليل والنهار على هذا الوجه
المشاهد من المدار الاعظم على وجود الواهب البديع وفيضان الخير الدائم منه على كل شريف
ووضيع وفيها ايضا الاشارة الى افتقار الماهيات المظلمة الذوات المرآة في انفسها عن نور الوجود
المنبث على هياكلها الى نور الانوار وشمس عالم الوجود ومنبع الخير والجود لان ذاته سبحانه
عين حقيقة النور الظاهر بذاته المظهر لغيره والماهيات الامكانية خفية في ذواتها مكتومة
في انفسها والله تعالى مظهرها من مكمن الخفاء وموجدها ومخرجها من ستر العدم الى فضاء الشهود
وسعة الوجود فبذاته النيرة ينور غسق الماهيات المظلمة الذوات وينشر رحمته ونوره في
اهوية الهويات ويطلع شمس حقيقته من افاق حقايق الممكنات ويطرد العدم والظلمة
عن اقاليم المعاني والمعقولات فلو سلخ من ليل ماهية الممكنات نهار وجوده الفايض منه عليها لخط
لرجع الخلايق كلهم الى عدمهم الاصلي وفنائهم الفطري فاذا هم مظلمون كما هو المشاهد من انسلاخ
ضوء الشمس الحسي عن وجه الاجسام ودخولها في الظلام الان المستنيرات الحسية اذا زال عنها
النور الحسي عميت عن الحس واما الممكنات المستنيرة بنور الوجود فانها اذا زال عنها فيض نور
الحق تعدمت في انفسها وهلكت بحسب حقيقتها وزالت عن العقل والخارج جميعا فوجود الليل
والنهار وتبدل الضوء بالظلمة اعظم دال على وجود الحق المقيم للعالم المديم للممكنات على الوجه
الاتم الادوم والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم المستقر هو الحد الموقت
المقدر الذي ينتهي اليه حركة الشمس في فلكها الى اخر الدورة كاول الحامل في كل سنة عند من
جعله اول الدور او غيره عند اخرين ويحتمل ان يراد به نقطة الاوج التي فيها غاية بطوء
الحركة وبعد الشمس عن الابصار وصغر جرمها عند الناظر او مقابلها نقطة الحضيض

او يراد به نقطة المغرب التي يتوجه اليها مده حركتها فوق الافق حتى تبلغ اليها في مسيرها كل يوم ثم يرجع
عنها في رأي عيوننا او نقطة مقابلها من المغرب فان حركتها في احد النصفين من مدارها اليومي يحاذي حركتها
في النصف الاخر بالقياس الى موضع الناظرين ولابد فيما بين الحركتين المختلفتين من حد معين ومستقر خاص
ينتهي اليه ويبتدئ منه كمنزل المسافر المعهود لاستقراره ويحتمل ان يراد به الحد الذي هو غاية ارتفاعها في
منتصف النهار عند قطع نصف مدارها الصاعد وهو حد طلوعها دائرة نصف النهار فوق الافق او في
مقابله من نقطة تقاطع مدارها مع دائرة نصف الليل تحت الافق ويحتمل ان يكون مستقرها اجلها الذي
اقره الله عليه مقدار جريها وكيفية سيرها فاستقرت عليه من غير تغير عما قطرها الله عليه وهو مقدار
السنة ويحتمل ايضا ان يراد منه تشابه حركتها المختصة من غير رجوع وانعطاف ولا اختلاف في السرعة
والبطوء فكانها على مستقر واحد او يراد ثبات وضعها من غير انحراف ولا التواء ولا سكون ولا هوى
الى الجانب السفلي ولا ارتفاع الى الجانب العلوي لمد ثبات وضعها وتشابه حركتها على تدبير حافظ مدبر
وتقدير عزيز عليم وقيل المستقر الوقت الذي يستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيمة وفي قراءة
ابن مسعود لا مستقر لها اي لا تزال تجري لا تستقر لان دائم حركتها ليس غرضا حيوانيا شهوانيا او غضبيا
ولا التفاتا بالسافل وانتفاع الكائنات بها بل تشوقا الى باريها وتقربا الى الله زلفى وطلبا لما عنده
من الخيرات الدائمة والانوار الغير المتناهية وقرئ ايضا لا مستقر لها على ان يكون لا بمعنى ليس ذلك
اي تلك الجري والسير الحثيث في مبدأ الاول على ذلك التقدير والوجه الذي يكل في حسابه الدقيق
دقايق الاوهام ويتحير استنباطه العقول والاوهام يترتب عليه مع نفع الكائنات السافلات ونشو
الحيوان والنبات على هذا النظام غاية الاصلية التي هي التشبه بالخير الاعظم والتقرب الى القيوم المنور
بنور الوجود والكرم لحقايق العالم المخرج لها عن ظلمة العدم ما هو الا تقدير العزيز العليم القاهر فوق
عباده والغالب على كل مقدور والمحيط علما بوجوه الخير والنظام في كل معلوم ولما كانت قدرته
كاملة وعلمه شاملا فيجب ان يكون رحمته دائمة ونعمه باسطة ويكون وجود الموجودات منه على غاية الخير
في النظام ونهاية الفضيلة والتمام والاستمرار والدوام والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون
القديم والقمر قرئ مرفوعا اما على الابتداء او عطفا على الليل اي ومن اياته القمر وقرئ منصوبا بفعل
يفسره قدرناه ولا بد من ارتكاب حذف مضاف اي قدرنا مسيره منازل اذ لا معنى لتقدير نفس
القمر منازل والقمر جسم كروي غير مشف مركوز في ثخن فلكه يستضيء اكثر من جرمه من نور الشمس
لكثافته وصقالة سطحه الواقع دائما في محاذاة الشمس من غير حجاب الا عند مقاطرته الحقيقية
او ما يقرب منها مع الشمس فيحجبه الارض عند ذلك عن مواجهة الشمس ووقوع ضوءها عليه
فيرى مظلما منخسفا كله او بعضه وانما حكم الناس بالحكم باستنارته من الشمس مشاهدة التشكلات
النورية والاختلافات الهلالية والبدرية مع مشاهدة الخسوف له عند المقاطرة فيعلم بضرب من
الحدس ان نوره مستفاد من الشمس والمنازل ثمانية وعشرون منزلا وهي التي يقطعها القمر
في كل شهر بحركته الخاصة لفلكه فيرى كل ليلة نازلا بحذاء واحد منها وهذه المنازل هي مواقع النجوم
التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة لان النوء سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر
وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل ليلة الى ثلثة عشر يوما وكل نجم منها هكذا
الى انقضاء السنة ما خلا الجبهة فان لها اربعة عشر يوما وكانت العرب تضيف الامطار والرياح
والحر والبرد الى الساقط منها فتقول مطرنا بنوء كذا والجمع انواء وهي الشرطان البطين الثريا
الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانا
الاكليل القلب الشولة النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو

المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهذه الاسامي مشهورة فيما بين العرب متداولة في محاوراتهم
وعشقياتهم مذكورة في قصصهم واشعارهم وبها يتعرفون اوقات الليل واقسام الفصول
فان سنتهم لما كانت مختلفة الاوايل لكونها باعتبار الاهلة حيث وقع اهلها تارة في وسط
الصيف مثلا وتارة في وسط الشتاء احتاجوا الى ضبط السنة الشمسية ليشتغلوا في استقبال
كل فصل بما يهمهم في ذلك الفصل فوجدوا القمر يعود الى وضعه الاول من الشمس في قريب من
ثلثين يوما فيسير في المنازل الثمانية والعشرين من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يختفي
في اواخر الشهر ليلتين او ما يقاربها ان نقص الشهر فاسقطوا يومين من زمان الشهر بقي ثمانية
وعشرون وهو زمان ما بين اول ظهوره بالعشيات في اوايل الشهر واخر رؤيته بالغدوات
في اواخره كما دل عليه بقوله حتى عاد كالعرجون القديم فقسموا ادوار الفلك على ذلك فكان كل
قسم من الاقسام الثمانية والعشرين اثني عشر درجة واحدى وخمسين دقيقة حاصلا من قسمة درجات
تمام الدور اعني ثلاثمائة وستين درجة على عدد الاقسام المذكور فسموا كل قسم منزلا وجعلوا لها
علامات من الكواكب التي تقرب منطقة البروج لانطباق مدار فلك القمر عليها ولهذا اصاب كل برج
من البروج الاثني عشرية منزلان وثلث منزل ثم توصلوا الى ضبط السنة الشمسية بكيفية قطع
الشمس لهذه المنازل فوجدوها يقطع كل منزل في ثلثة عشر يوما تقريبا وذلك لانهم وجدوها تستر دائما
ثلثة منها ما هي فيه بشعاعها وما قبلها بضياء الفجر وما بعدها بضياء الشفق فجعلوا الزمان بين
ظهوري كل منزل اعني ثلثة عشر يوما بالتقريب فايام المنازل ثلثمائة واربعة وستون لكن الشمس
يعود الى كل منزل بعد قطع جميعها في ثلثمائة وخمسة وستين وهي زايدة على ايام المنازل بيوم فزادوا
يوما في منزل الغفر وانضبطت لهم السنة الشمسية بهذا الوجه ويسر لهم الوصول الى ازمان الفصول
وغيرها من الاوضاع والاصول واعلم ان القمر اذا اسرع في سيره فقد يتخطى منزلا في الوسط وان
ابطأ فقد يبقى ليلتين في منزل واحد وقد يرى في بعض الليالي بين منزلين فما وقع في عبارة
الكشاف وتبعه البيضاوي من انه ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه ليس
وجه وانما شبه الله تعالى القمر عندما كان في اخر منازله بالعرجون وهو عود العذق ما بين شماريخه
الى منبته من النخلة لدقته واستقواصه ووصفه بالقديم زيادة في تحقيق ذلك فانه اذا قدم ازداد
دقة وانحناء واصفرارا فشبه القمر به من وجوه ثلثة وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما
لغتان فيه كالبزيون والبزيون في السندس وفي الكشاف قيل ان اقل مدة الموصوف بالقدم
الحول فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر وكتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له حول
واكثر انتهى وفيه ان هذا المنقول غير معلوم الثبوت بحسب اللغة لان امثال امور نسبية قرب قدمه
بالقياس الى اخر كان جديدا بالقياس الى غيره ثم على تقدير صحته انما كان فيما اذا لم يكن هناك قرينة
دالة على تعيين المدة تحقيقا او تخمينا كما في الاقارير والوصايا ولهذا اختلف الفقهاء في
تعيين المدة لما يطلق عليه اسم القديم واحتاجوا الى [illegible] فلو كان امرا ثابتا في اللغة لما وقع
بينهم الاختلاف والظاهر ان فيما نحن فيه ليس من هذا القبيل [illegible] ما نقله صاحب مجمع البيان ابو علي
الطبرسي رحمه الله وهو قوله قيل ان العذق يصير كذلك في [illegible] اشهر ومن الشواهد المنقولة
عن بعض سادتنا وموالينا صلوات الله عليهم اجمعين ما رواه علي بن ابراهيم باسناده قال دخل
ابو سعيد المكاري وكان واقفيا على ابي الحسن الرضا عم فقال له ابلغ من قدرك انك تدعي ما
ادعاه ابوك فقال له ابو الحسن عليه السلام ما لك اطفأ الله نورك وادخل الفقر بيتك اما علمت

ان الله عز وجل اوحى الى عمران انی واهب لك ذكرا يبرئ الاكمه والابرص فوهب
لمريم ووهب لمريم عيسى فعيسى من مريم ومريم من عيسى وعيسى ومريم شيء واحد وانا
من ابي وابي مني وانا وابي شيء واحد فقال له ابو سعيد فاسئلك عن مسئلة قال سل ولا اخالك
تقبل مني ولست من غنمي ولكن هلمها قال ما تقول في رجل قال عند موته كل مملوك لي قديم فهو
حر لوجه الله فقال ابو الحسن ما ملكه لستة اشهر فهو قديم وهو حر قال وكيف صار كذلك
قال لان الله تعالى يقول والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم سماه قديما ويعود
كذلك بستة اشهر قال فخرج ابو سعيد من عنده وذهب يصرخ وكان يبال على الابواب
حتى مات لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ودبر الله سبحانه
امر العالم الجسماني بهاتين الاثنين اية الليل واية النهار كما دبر امر العالم الروحاني با
ثنتين اية النفس واية العقل وعظم الله امرهما ليعرف الانسان كيفية تدبيره لباطن
احباره وعباده الصالحين بتوسط مثالي النبوة والولاية في العالم الانساني فان موجودات
هذا العالم ومظاهره مرائي يدرك بها احوال العوالم المتعالية فجعل لكل من هاتين الاثنين
قانونا مضبوطا واجلا معلوما ومدة معينة فالشمس لا يقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع
فلكه في شهر فكانت الشمس حرية بان توصف بالادراك لبطء سيرها عن سير القمر وجدير
بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وقيل لما باين الله بين فلكيهما ومجريهما فلا يمكن ان يدرك
احدهما الاخر ما داما على هذه الصفة ولا يجتمع ليلتان ليس بينهما يوم كما لا يجتمع نهاران
ليس بينهما ليل وذلك لتدبير حركات الشمس بلا رجوع واحاطة الفلك الذي يحاذي جانب
الارض فوق الافق وتحته والا لجاز ان يكون الطالع في كل يوم شمس اخلها نهارا اخر وليلا اخر
فيجتمع ليل احدهما مع نهار الاخر في وقت واحد او لسبق عليه روى
العياشي في تفسيره بالاسناد عن الاشعث بن حاتم قال كنت بخراسان حيث اجتمع الرضا
والفضل بن سهل والمامون في الايوان بمرو فوضعت المائدة فقال الرضا
عم ان رجلا من بني اسرائيل سألني بالمدينة فقال النهار خلق قبل ام الليل فما عندكم قال
فاداروا الكلام فلم يكن عندهم في ذلك شيء فقال الفضل للرضا عليه السلام اخبرنا بها
اصلحك الله قال نعم من القرآن ام من الحساب قال له الفضل من جهة الحساب قال قد علمت
يا فضل ان طالع الدنيا السرطان والكواكب في مواضع شرفها فزحل في الميزان والمشتري
في السرطان والشمس في الحمل والقمر في الثور فذلك يدل على كينونة الشمس في الحمل في العاشر
من الطالع في وسط السماء فالنهار خلق قبل الليل وفي قول الله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان
تدرك القمر ولا الليل سابق النهار اي قد سبقه النهار ثم في هذه الاية اسرار شريفة
لا ينبغي كتمانها منها ان الشمس لما كانت مثالا للعقل وعلمه اجمالي بسيط فعال للتفاصيل وفيا
للعلوم النفسانية المتكثرة والقمر مثال للنفس لكونه قابلا للنور الحسي الوارد عليه من النير الاعظم
كما ان النفس في ذاتها خالية عن انوار العلوم وانما يفيض عليها من المبدأ العقلي الفعال باذن
الله الحقائق والصور والكمالات وعلومها تفصيلية متكثرة منتقلة من معقول الى معقول فناسب
الحركة البطيئة لها الحاصلة دورة واحدة في سنة واحدة تامة جامعة لجميع احوال الفصول
الاربعة المشتملة على حدوث اشخاص كل نوع من الانواع الطبيعية كالاناس والحيوانات

للقمر الحركة السريعة المشتملة على دورات كثيرة في كل سنة وليست في دورة واحدة منها ما
يجمع سائر الاحوال والفصول ولا تفي مدتها بان ينبع فيها نشو ما له قدر وخطر من المواليد
حتى الخضروات والبقول فانظر كيف جعل الله الشمس والقمر خليفتين عظيمتين في تدبير الكائنات
وانشاء الحيوان والنبات في عالم الاشباح كما جعلها ايتين عظيمتين للعقل الكلي والنفس
الكلية اللذين كل منهما خليفة الله في عالم الارواح وانظر كيف جعل انورهما واعظمهما اية النهار و
اصغرهما اية الليل كما جعل العقل الاعظم اية نهار عالم الجبروت والقدرة والثاني وهي اول
الوجود الفائض بحسب الابداع من الحق المعبود فجعل النفس الكلية اية مساء عالم الملكوت والثانية
والقبول وهي ثواني الوجود التالية عن العقول في قبول الرحمة والجود فقوله لا الشمس ينبغي لها
ان تدرك القمر اي لا يدرك اية النهار اية الليل في وصف الحركة والانتقال والتجدد من حال
الى حال لكون القمر اقرب الى عالم القوة والانفعال وضعف الاحوال ومنبع الدثور والزوال
وهي الهيولى الاولى الواقعة في هوى جحيم النكال واسفل دركة الخسة والوبال بخلاف الشمس
فانها اقرب الى عالم الثبات والدوام والاتصال وموطن الشرف والبقاء والكمال والمجد
بمجاورة القيوم والمتعال الغالب على امره القاهر على كل شيء بالقدرة والجلال وقوله ولا
الليل سابق النهار اي لا يسبق اية الليل اية النهار في وصف النورية والشرف وقوة الوجود
والظهور فان الشمس نيرة لذاتها قاهرة للغسق بحسب فطرتها وجوهرها مطرد الوحشة
والظلمة عن هذا العالم كما ان الباري تعم العدم والامكان عن العالم الاعلى والقمر يستفيد النور
من الشمس ويكتسب ويستوهب الضياء والشروق عنها وبسببها وكيف يسبق المستفيد الكاسب
المستفيض المستوهب لصفة كمالية على المبدأ الفياض الواهب المعطي اياها وفي هاتين الايتين
اسرار عظيمة لمن تامل وتدبر في ابداعهما وتفكر في خلقهما وخلق عجائبهما وعجائب غيرهما من انوار
الكواكب والافلاك وملكوت عالم السموات والارض اذ في كل منها اثار عجيبة وانظار دقيقة لمن تفطن
فيها وفي دورانها وطلوعها وغروبها واختلاف مراكزها ومناطقها واقطابها ومجاورتها ومشارتها
ومغاربها ودورها في الحركة على الدوام من غير فتور وتعب وقصور في الانتظام ولا ملال وكلال
في الطلب والشوق الى معبوديه الله على الاتصال وعجائب السموات مما لا مطمع في احصاء عشر
عشير جزء من اجزائها وما من كوكب الا ولله فيه حكم كثيرة في خلقه وابداعه ثم مقداره وشكله ثم
في سمكه وارتفاعه ثم في نوره ولونه ثم في وضعه من السماء وقربه وبعده من منطقة الفلك له
وارتباطه بغيره من الكواكب ثم في حركته على الدوام وتشبهه بمبداه العقلي الكامل على التمام ثم ما اشتمل
في عبوديته وطاعته لمبدأ الكل وتاله لجميع ذي الجلال والاكرام الذي يضمحل في جنب نوره كل
عقل ونفس وطبع وحس وتتحير في ادراك عظمته عقول الملائكة والخلائق والانام ومن اسرار
الاسرار التي تدركها الانسان بملاحظة النيرين وسائر الكواكب انه كما ان نور القمر انما هو عين نور
الشمس قد انعكس عن صفحة جسمه الى عين الناظرين لصقالته وكثافته فيتوهم الانسان ان له
نورا غير نور الشمس سواء كان مستقلا كما توهم العوام او مستفادا منها كما ادركه الخواص بفقه
علومهم البحثية وكلاهما زيغ وغلط من الحس او العقل بل الحق الحقيق بالتصديق بما انكشف
لدى الاحصين المتخلصين عن ظلمات عالم الحواس والمتنزهين عن القوى البشرية الوهمية المتعلقة
بالانجاس المقدسين عن اغواء شياطين الوهم بالوسواس ان النور الحسي كالنور العقلي
حقيقة واحدة لها مراتب متفاوتة في القوة والضعف والقرب والبعد من ينبوعها وامكنها

ومرآئي وقوابل متعددة مختلفة في اللطافة والكثافة والصفا والكدورة والجلاء والخفاء والانقطاع
والانطباع وهذا النور ذاتي للشمس بوجه موجود له بالذات وعرضي لما سواه موجود بها
بالعرض لتبع بمعنى انها مظاهر لشهوده ومجال لوجوده بواسطة العلاقة الوضعية التي لها مع
الشمس كالمقابلة او ما حكم المقابلة لان حقيقة النور ما له نفسها او صفة قائمة بها وهكذا يكون
حكم نور الوجود لانها حقيقة واحدة هي عين القيوم تعالى ولها مظاهر مختلفة ومجالي متعددة
يدركه بحسبها ومن وراء حجبها حقيقة الوجود على ما تقتضيه طبيعة تلك المظاهر والحجب من الماهيات
والاعيان كل بحسبه لا على ما عليه الحقيقة في نفسها لامتناع الاكتناه لها والاحاطة بها وانا لا يحيطون
به علما وعنت الوجوه للحي القيوم سر آخر وهو ان لكل من الموجودات مرتبة في ظهور الوجود
بحسب الواقع وله مرتبة بحسب مدارك الناظرين فقوة الوجود والظهور وضعفهما كما يكونان
للشيء بحسب الواقع كذا يكونان له في ملاحظة الناظرين لان فرط الظهور قد يؤدي الى
الخفاء والقصور بالقياس الى المدارك الضعيفة لقلة الاحتمال وعرض الكلال ولهذا
يكون عند اكثر الناس الاجسام والمحسوسات اقوى وجودا واظهر انكشافا من العقول
وكليات الحقائق لقصورهم عن دركها والحق اخفى عندهم من كل شيء مع انه تعالى
اظهر الاشياء واجليها وهذا لكونهم متوطنين في عالم الظلمات تعمى فيهم العقلية وبصائرهم
الباطنة في ادراك العقليات والالهيات كعيون الخفافيش وابصار العمشان بل العميان
في ادراك انوار الحسيات لقوة الاشراق منه وضعف الاجلاء منهم فاذا علمت هذا فالمثال
في تعدي البين على ذلك المنوال من كون احدهما قوي الوجود والنورية بحسب نفسه وفي
الواقع ولكن لا يحتمل قوة الابصار فيعرض له الاستتار والآخر ضعيف الوجود والنورية
في الواقع ولكن يقوى ظهوره عند الظلام ويتجلى نوره في الليالي على اعين الانام وهذان
بعينهما مثالان للعقل والنفس فان احدهما قوي الوجود والنورية العقلية في الخارج
ولكنه يختفي وجوده وظهوره عن الخلق والآخر بعكس ما ذكر بل هما مثالان للحق والخلق
بالنسبة الى النشأتين نشأة الدنيا ونشأة الاخرى فان الحق مستور والخلق مشهود
في هذا العالم بالقياس الى مدارك الضعفاء العقول المتوطنين في الظلمات كالخفافيش
لعيونها الضعيفة الناقصة واما وجوده في الحقيقة وبحسب النشأة الاخرى وبالقياس
الى العقول النيرة المقدسة فمشهود جلي ووجود الخلق مستور خفي على عكس ما هو
عند اهل الحجاب فالشمس والقمر آيتان دالتان على رحى الدنيا وجحيم الاخرة فاية النهار مثال
لوجود الحق في العقبى وآية الليل مثال لوجوده في الاولى وبوجه آخر هما مثالان لوجود
الحق والخلق فان احدهما فياض النور على ذات الاخر ولهذا يختفي عند سطوع نوره
الاتم وجلاله الاظهر ويظهر عند غيبته عن الحواس وانبساط ظلمة الليل على اعين الناس
فقوله ولا الليل سابق النهار من قبيل قوله ان يسبقونا ساء ما يحكمون سر
آخر كلما بعد القمر عن جرم الشمس امتلا نوره وشرقا وزاد جلاء وظهورا وكلما قرب
منها دق وضعف واستقوس ظهره وانحنى قامته حتى انه صار في غاية القرب عند
المقارنة الحقيقية انمحق نوره بالكلية وزال ظهوره راسا فهو مثال السالك الواصل الفاني
في مقام العندية والقرب وهو ايضا مثال المحجوب الباقي مع النفس في مقام الغيبة
والبعد فالليل مثال هوية العبد وانانيته الموصوف بظلمة الامكان وسواد الحدثان

والنهار مثال الوجود الفايض عليها من شمس الحقيقة وقيوم الوجود فالمحجوب المطرود
عن باب الله يتوهم ان لهويته وجودا مستقلا سابقا في شهوده وادراكه على وجود الحق
فللاشارة الى نفي هذا الاحتمال عن بصائر اولي الابصار وقع قوله تعالى ولا الليل سابق
النهار سر آخر اعلم ايدك الله ان القمر عاشق صادق لملك الكواكب واميرها رايت
وقاهر الظلمات بالنور وحافظ للازمنة والدهور باسط الخيرات على الكائنات ودافع
الشياطين ومردة الجن والغيلان بالانوار الراجمات الزاجرات منبع انوار الحواس ودافع
وحشة الظلمة والوسواس واهب البهجة والسرور محيي اموات النائمات من النفوس
في مراقدها كالقبور بنفخ صور الحرارة الغريزية في صباح النشور ومخرج حيوة المواليد من القوة
الى الفعل بامر الله اعظم في هذا العالم لمظهر رايات العبودية ومظهر آيات المعبود ترى من
دأب العاشق المسكين التوجه الى جناب معشوقه والتوصل الى صحبة محبوبه فلهذا صار
القمر بريد السبيل لا يمكث في منزل الا يوما واحدا غالبا وربما تخطى يوما واحدا من منازله لشدة
شوقه وسرعة سلوكه الى جناب معشوقه فيسير سيرا حثيثا حتى يرتقي من حضيض البعد
والانفصال الى اوج القرب والاتصال فاذا فني عن ذاته عند الامحاق وتنور بنور
محبوبه في شدة القرب والاتصال الى الاشراق قال بلسان حاله هذا المقال وكان ما كان
مما لست اذكره فظن خيرا ولا تسئل عن الخبر ثم اذا رجع الى ذاته وعاد الى الصحو بعد المحو
من الجمع الى التفرقة والفصل واخذ منصب الخلافة في ارشاد السالكين للسبيل وبعث
لهداية المتوطنين في الظلمات وتعليم النازلين ومراقد الجهلات قارب المقابلة الوضعية
الحسية فانعكست الى ذاته الاشعة الشمسية واضاءت ذاته بانوارها بعد ما كان مظلما
وانار جوهره باشعتها غب كان معتما قائلا اذا تغيبت بدا وان بدا غيبني فلما نظر
الى ذاته فرأى شيئا خاليا من انوار الشمس وعطاياها فقال عند ذلك من رأى فقد رأى
الشمس وربما نطق في غاية شكره انا الشمس لولا ان ثبته الله بالقول الثابت مثل ما قال ابو
يزيد والحلاج وغيرهما من اصحاب التجريد وسكارى شراب المحبة والتوحيد حيث كانوا اقمارا
سماء التفريد ومرائي شمس الحقيقة والتمجيد فلما اضاءت اراضي قلوبهم وصفحات وجوههم
بنور ربهم باحوالهم الخفي اما لغاية السكر والوجد فكلام المجانين يطوى ولا يروى واما لاشتباه
بين المرآة والمرئي اولا يرى ان المرائي المتعددة المختلفة في الصقالة والكدورة والاستقامة
والانحناء اذا تجلت فيها صورة واحدة في حالة واحدة ظهرت فيها بحسبها ولو كان عليها
في المرائي حلولا او قياما لما امكن حلول شيء واحد في محال متعددة مختلفة فاعلم وتثبت
ايها العارف السالك ان التجلي غير الحلول والاتحاد والاتصال لئلا تقع في الضلال
والكفر والاحتجاب والانفصال فتدعي بوقاحتك الاتصاف بالكمال وتسبق بتعديك الوهم
ووجودك المتهم المبهم الميشوم نور المهيمن المتعال ووجود المبدأ الفعال فلا تتوهمن ان لك
وجودا ومخلوقا من الغير قبال القهار ولا تكونن ممن تمسك بالموهوم مع محق الظهور نور الانوار
كما سقط لنوره كالقمر نور الشمس عن الابصار وكل في فلك يسبحون التنوين في كل عوض
من المضاف اليه والفلك جسم كري مجرى الكواكب سمي به تشبيها بفلكة المغزل في الاستدارة
والحركة الدورية وذكر الشيخ ابو ريحان البيروني في القانون المسعودي ان العرب

والفرس سلكوا في تسمية السماء مسلكا واحدا فان العرب يسمي السماء فلكا تشبيها بفلك
الدولاب والفرس سموها بلغتهم آسمان تشبيها لها بالرحى فان آس هو الرحى بلسانهم وما
لفظ دال على التشبيه انتهى والمعنى وكل واحد منهم اي من الكواكب بدليل ذكر بعضها وهو الشمس
والقمر في فلك من الافلاك يسبحون ويتحركون من موضع الى موضع ومن وضع الى وضع بالعقل
والتدبير والارادة والاختيار طلبا لعبادة الله وطاعته كما يدل صيغة الجمع لذوي العقول وليس
في العقل انقباض عن كون الافلاك وما فيها احياء ناطقين بل في الانظار العقلية والقواعد
الحكمية ما يدل على كونهم عشاقا الهيين وعبادا راكعين ساجدين طائفين على باب حضرة رب
العالمين رقاصين متواجدين في ادراك عظمة اول الاولين هو الذي اراد مجراها وباسم الله
مجريها ومرسيها وقد اطبق الطبيعيون بعلومهم الطبيعية والالهيون بفنون حكمتهم الالهية
على ان الافلاك باجرامها حية ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها وخالقها ومنشيها ومجريها الا ان
الطبيعيين تفطنوا به من جهة استدارة الحركات حيث يحتاج دوامها الى قوة روحانية
عقلية غير جسمانية متناهية الافعال والانفعالات واما الالهيون فعلموا بذلك من جهة
كثرة العقول وتعدد المبادي والغايات ووجود الاشواق الكلية للعشاق الالهية وحكموا
بان غرضها من حركاتها نيل التشبه بمحبوبها ومقربيه والتقرب الى سكان حضرته ومجاوريه
والاشراقيون منهم على ان حركاتها لورود الشوارق القدسية وسنوح البوارق الالهية
عليها آنا فآنا فكل اشراق يقتضي شوقا وحركة وكل حركة تستدعي اشراقا واما ضبط تفصيل
الحركات بحسب توارد الاشراقات كما يقع لاهل المواجيد من اصحاب البدايات في السلوك دون التو
واما الكمل فلهم مقام التمكين كالعقول المهيمين وذهب جمع من الحكماء الى ان لكل كوكب بل لكل كرة
له نفس على حدة تحركه بحركة مستديرة على نفسه وحكمه في الشعور والارادة والشوق الى
مفارق عقلي والتشبه به عشقوه حكم الفلك الكلي فحكموا بان لا ميت في عالم الاثير وبعضهم
ذهب الى ان النفس الفلكي يتعلق اولا بالكواكب لانه بمنزلة القلب للحيوان الكبير وبتوسطه
يتعلق بالتداوير والافلاك الخارجية والمتممات التي هي بمنزلة الاعضاء والابعاض فيه
والشيخ ابو علي بن سينا مال الى هذا القول ورجحه وحكم به في النمط السادس من اشاراته
حكما بتيا حيث قال ولينبهك على اصولك ان تعلم ان لكل جسم منها كان فلكا محيطا بالارض
موافق المركز او خارج المركز او فلكا غير محيط بالارض مثل التدويرات او كوكبا شيئا هو
مبدا حركته المستديرة على نفسه لا يتميز الفلك في ذلك عن الكواكب فان الكواكب ينتقل حول
الارض بسبب الافلاك التي هي مركوزة فيها لا بان ينخرق لها اجرام الافلاك ويريك
في ذلك بصيرة انك اذا تاملت حال القمر في حركته للضاعف وجبر وحال عطارد في
اوجيه وانه لو كان هناك انخراق يوجبه جريان الكوكب او جريان فلك تدويره لبعض
ذلك كذلك انتهى وليس الغرض من هذا النقل الركون الى اصل الذي قد بني عليه اثبات
هذا العلم من امتناع الخرق على الفلكيات والالتيام اذ لا اسمعنا له عندنا بل حسب اصولنا
اليقينية الايمانية في بوار الافلاك وفناء السموات بحسب قدرة الله وارادته متى شاء
في اي وقت من الاوقات اراد وان كان الواقع ثبات اجرامها منذ خلقت وعدم انخراقها
والتيامها كما يدل عليه قوله تعالى وبنينا فوقهم سبعا شدادا وقوله وجعلنا السماء
سقفا

محفوظا بل الغرض من ذلك ان الآن ترجيح القول بان الكواكب بل الافلاك كلها احياء ناطقون
مطيعون لله تعالى كما دلت عليه هذه الاية وقوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين وكريمة سورة
المصرين من المتفلسفين على انكاره وتسكين صولة المشنعين من الفقهاء الظاهريين على
من قال به وكفى في اثبات هذه الدعوى على المنكرين ما وقع في بعض خطب امام الاولياء وسيد
الاوصياء امير المؤمنين سلام الله عليه والرحمن الرب الاعلى من قوله فملأهن اطوارا من ملائكته
فمنهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون ومسبحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون و
لا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ثم ان الباعث لجحود اهل الحجاب الا ما شاهدوا من هذه الجثث
العنصرية اللحمية المانوسة لهم من الكلاب والذئاب انها ليست الا ذوات ترس واذناب بل
بل لم يتوهموا نفوسهم الا هياكل محسوسة متكثرة الادوات مركبة من القوى والالات ولم يعلموا
انها غير داخلة في مفهوم الحي الدراك فمنعوا من اطلاق الحيوة على ما في الافلاك ولو تاملوا
قليلا ليعلموا ان نفوسهم التي بها انانيتهم ومنشأ جحودهم لهذه الحقايق قايمة بغير ذات راس
وذنب وشهوة وغضب فتعجبا لجاحدي الحيوة والادراك لمثل البعوضة والنملة فانهما
ولم يسوغوا للاجرام الشريفة الالهية والبدايع اللطيفة النورانية وقد عظم الله امرها في كتابه
الكريم فكم من سورة يشتمل على القسم بها وبمواقعها كقوله والسماء ذات البروج والسماء والطارق
وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب والشمس وضحيها والقمر اذا تليها فلا اقسم بالخنس الجوار
الكنس والنجم اذا هوى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم ومن الشواهد على كرامة
ذواتها وشرف جواهرها وقوام صورها المعراة عن الاضداد والانداد ودوام نفوسها ومحبتها
بالمبدأ المتعال جعلها واسطة لارزاق العباد حيث قال وفي السماء رزقكم وما توعدون ومعراجها
مرتقى الكلمات الطيبات والدعوات المستجابات لقوله مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها
في السماء ومن الشواهد مدحه وثنائه تعالى على المتفكرين والناظرين في بدايع فطرة السماويات
فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال رسوله ويل لمن
قرا هذه الاية ثم مسح بها سبلته اي تجاوزها من غير فكر وروية وتوبيخه المعرضين عنه فقال
وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون فاي نسبة لهذه المتغيرات من الارض
والنار الى السماويات التي هي صلاب شداد محفوظات عن التغير الى ان تبلغ الكتاب اجله
ولذلك سماه الله محفوظا كما مر وقال ايضا أانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسويها
فانظر الى هذه القدرة والملكوت لترى بعد ذلك عجايب العزة والجبروت ولا تظنن ايها
المغرور بملك المشهور المكشوف عند الجمهور الباعث لجاهك الحقير في عالم الزور ان معنى
النظر الى ملكوت السماء بان تمد البصر اليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها
فان البهايم والدواب مشاركك في هذا النظر بل انظر اليها نظرا عقليا تتفطن بها الى
ملكوتها وتعبر من عالمها الى عالم آخر فيه خلايق روحانيون مجبورون على مشاهدة
تقديس الله حايرون في شهود جلاله وملاحظة جماله لا يلتفتون الى ملكوتها ويعبرون عالمها
الى عالم آخر فيه الى ذواتهم المقدسة المنورة بنور الحق فضلا عن التفاتهم الى اجرامها

فنقول ايها السالك تقلبك اولا في مبادئها واقطارها واطل فكرك في كيفية حركاتها
وتفنجاتها ودوراتها ثم الجواهر محركاتها ونفوسها وعقولها ومعشوقاتها الى
ان تقوم بين يدي عرش الرحمن الذي هو معبود الكل والمعشوق الاول فعند ذلك
يرجى ان يفيض عليك من رحمته الخاصة لعباده الصالحين ويهديك الى صراط المستقيم
المنعم به عليهم لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولا يتيسر لك ذلك الا بمجاوزة الحد الادنى حتى
تصل الحد الاعلى الترتيب وادنى شئ اليك نفسك وبدنك ثم الارض التي هي مقرك ثم
الهواء اللطيف المكتنف لك ثم النبات والحيوان وما على وجه الارض وملكوتها ثم عجائب
الجو من ملائكة السحاب وزواجر الرعد والمطر ومنتهى الثلج التي بيدها مثاقيل المياه
ومكاييل الامطار فتحتاج الى العلوم المتعلقة بها من علم النبات والحيوان وعلم كائنات الجو
ثم السماوات السبع بكواكبها واشكالها واوضاعها وحركاتها واقطارها فتحتاج الى علم
الهيئة والنجوم وعلم السماء والعالم ثم الكرسي والعرش الحافظان للزمان والمكان المحددان
للجهات والابعاد والاحيان فتحتاج الى كليات علم الطبيعي وسمع الكيان ثم الملائكة
الذين حملة العرش وخزان السماوات فتحتاج الى علم الشريعة الحقة ومعرفة عالم الملكوت
والجبروت وهو علم المبادي والغايات وعلم المفارقات ثم متى تجاوزت النظر الى رب
العرش والكرسي والسماوات والارض ورب الملائكة والروح وهو السبوح القدوس فتحتاج
الى علم التوحيد الذي سلكه جميع الانبياء من لدن آدم الى الخاتم عليه وعليهم السلام واليه
المنتهى في بعثة نبينا صلى الله عليه وآله هذه سبيله وسبيل من اتبعه الى يوم القيام لقوله
تعالى قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني فتعلك ايها العاقل وبين ما
خلقت لاجله هذه المفاوز العظيمة والاودية الا لشاهقة والعقبات الشاهقة
وانت لم تفرغ من ادنى العقبات وهي معرفة نفسك ثم تدعي بوقاحتك معرفة الرب
وتقول عرفته وعرفت قدرته وخلقه ففيما ذا تفكر والى ماذا تطلع وهذا غاية القصور
ونهاية الغرور فارفع قبل ان يستحكم فيك هذا الجهل المركب وترسخ هذا الغرور المعجب
راسك الى السماء وانظر فيها نظر في دورانها العلم والدراية والحكمة لا نظر البهائم
الى الدولاب والرحى وانظر في كواكبها وفي دورانها على الدوام ودورها على الاستمرار بطاعة
الله الملك العلام من غير فتور في حركاتها ومن غير تقصير في سعيها وسيرها ولا تغيير في
نسقها وسننها بل يجري جميعا في منازل مرتبة بحساب تقدير لا يزيد ولا ينقص الى
ان يطويها الله طي السجل للكتاب ثم انظر كيف اشكالها فبعضها على صورة الحمل
والثور وبعضها على صورة الاسد والعقرب وبعضها على صورة الليث من الرامي والتوامين وما من صورة في الارض الا ولها مثال في السماء ثم انظر الى عظم مقدارها وقوى
قواها وشدة انوارها وكثرة آثارها وقد اتفق الناظرون في علم الهيئة على ان الشمس مائة
ونيف وستين امثال الارض وفي الاخبار ما يدل على عظمة الكواكب التي ترى اصغرها هي
مثل الارض ثمان مرات واكبرها ينتهي الى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الارض وفي الاخبار

ان ما بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام وانظر كيف عجيب ثقل من سرعة حركة الكواكب
اذ قال النبي صلى الله عليه هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حين
قلت لا الى ان قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر الى عظم شخصها ثم خفة سيرها
وسرعة طاعتها ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم كيف صور مع اتساع اكنافها في حدقة
احدى حدقتيك مع صغرها حتى تجلس في الارض وتفتح عينك بل احديها نحو السماء
ترى جميعا بل انظر الى باريها ومنشيها كيف ابدعها ثم امسكها من غير عمد ترونها ومن
غير علاقة تتدلى بها بل استحفظها بعينه التي لا تنام وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه
فالعجب منك انك تطيل النظر الى بيت فيه تصاوير ونخرفات ثم لا تلتفت بقلبك
الى هذا البيت العظيم والى ارضه وسقفه وعجائب امتعته وغرائب حيوانات وبدائع
نقوشها وتصاويرها فما هذا البيت دون البيت الذي شغفت به ومع هذا لا تنظر
اليك نظر الشوق والمحبة ليس لذلك سبب الا انه بيت ربك وهو الذي انفرد ببنائه
وترتيبه وانت معرض عن الهك ناس له كره لانك نسيت نفسك فنساك اعدى عدوك
لان معرفة النفس تستلزم معرفة الرب ونسيانها نسيانه وهذه الملازمة الواقعة بين
المعرفتين والنسيانين قال الله تعالى نسوا الله فانساهم انفسهم وقال عليه السلام من عرف
نفسه فقد عرف ربه فاشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم الا شهوتك او حشمتك فانت
غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم عمار بيته المعمور وسكان سماواته فلا تعرف السماء
الا ما تعرفه النمل من سقف بيتك وما صنع الصانع ولا تعرف من ملائكة السموات الا ما تعرفه
النمل منك ومن سكان بيتك والفرق بينكما بان ليس للنمل طريق الى هذه المعارف وليست
باداء شكر هذه النعم الجليلة ولما انت فلك استعداد واقتدار على ان تجول في عالم الملكوت
فتعرف عجائبها شاكرا لنعم الله التي اعطاكها عارفا لله حامدا له حق معرفته وحمده
بحسب ما امكنك ويتيسر منك لا على ما هو حقه بحسبه لان ذلك شئ عجز عنه الواصفون واعترف
بالقصور الملائكة والانبياء المرسلون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وآية
لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون الذرية كما اطلق على الاولاد اطلق على الآباء لانها
ماخوذة من ذرا الله الخلق اي خلقها فيسمى الاولاد ذرية لانهم خلقوا من الآباء ويسمى الآباء
ذرية لان الاولاد خلقوا منهم والمراد ههنا الآباء ان كان الفلك يعني به سفينة نوح عم لا
المطلق وانما سميت به لانها تدور في الماء كما تدور الفلك في الملك ويعبد الفلك بالنجم
اي من جملة الآيات العظيمة للناس الدالة على قدرة الله وحكمته وعنايته لهم انا حملنا آباءهم
واجدادهم الذين هؤلاء من نسلهم في الفلك المشحون يعني سفينة نوح المملوة من الناس
والدواب والوحش والطير وسائر ما يحتاج اليه منها فسلموا من الغرق فانتشر منهم
نسل كثير قيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا
عنها فانطلق بهم حتى انتهوا الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فقال هذا كعب بن حام فقال فضرب الكثيب

هود

بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى
اهكذا هلكت قال لا ومتّ وانا شاب ولكن ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة
نوح قال كان طولها الف ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب
والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا وقيل الذرية
بمعنى النسل كما هو الاصل ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وهم في
اصلابهم هم ذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل
في التعجب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيمة في سفينة نوح وقيل اسم الذرية
يقع على النساء والصبيان والفلك هي السفن الجارية في البحار وخص الذرية بالحمل
في الفلك لضعفهم وعدم قدرتهم كالرجال على المشي في السفر وسماهم الله هم السفن المحمول في البحر
والابل للركوب في البر فعلى هذا يكون معنى قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وخلقنا
لهم من مثل الفلك مطلقا ما يركبون من الابل التي هي سفاين البر على الوجه الاول
معناه وخلقنا لهم من مثل ذلك الفلك المشحون وصورته من السفن والزوارق
التي عملت بعد سفينة نوح ع ما يركبون فيها كما ركب ثم انظر كيف روعيت المناسبة
اللفظية والمعنوية اولا بين لفظي الفلك والفلك في الايتين القرينتين اما المناسبة اللفظية
فهي ظاهرة واما المناسبة المعنوية فمنها ما نقلناه اولا في تفسير الفلك بفتحتين ومنها
ما ذكرنا ثانيا في تفسير الفلك بالضم ومنها انه لابد لحركة كل منهما بل لحركة كل من الثلثة
من محرك نفسا في ذي ادراك ونطق اما في الاخرين فظاهر مشهود للعامة واما في الفلك
بمعنى السماء فهو ايضا مبين مكشوف للخاصة ومنها انه لابد لحركة كل منهما الى محرك
ملاصق هي طبيعة او صورة فيحتاج كل منهما الى المحركين المباشرين للتحريك احدهما المحرك
المدبر المفارق من نفس فلكي او انساني وثانيهما المحرك المباشر من طبيعة لها نعم
مجبورة او كارهة مقسورة ومنها انهما يحتاج فوق المحركين المذكورين الى محرك اخر
مباين مفارق هو من رياح رحمة الله وبوارق الطلعة الخاصة والعامة الفعلية والحسية
فان النفوس الفلكية كما بين في الحكمة لا تحرك الافلاك حركة دايمة الا بامداد العقول
القادسة التي هي بوارق لطف الله وحجبه تتجدد وبرحمته تتجدد اشراقاتها وبوارد
رياح نفحاتها كما في قوله هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال
وكذا النفوس الانسانية التي هي عمال السفاين لا ينفع سعيها بتحريكها وتدابيرها
فيجري السفن من دون هبوب الرياح من رحمة الله الملائكة عمالها تحركاتها
كما قال هو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وكذا الحال في فلك المعاني
انظر كيف تحقق المناسبة ثانيا بين الفلك المشحون وما يركبون اي مراكب البحار
ومراكب البدن في الشكل والهيئة ثم الخلقة والطبيعة ثم القوايم والاعمدة ثم المجرى
والحركة ثم الالات من الطناب والحبال والاعصاب وغيرها وذلك مما يحتاج بيانه الى التفصيل
ويودي ذكره الى التطويل فانظر العجب مما الله مثبتا عليه في خلقه نعم هذه
المخلوقات العجيبة العظيمة المنافع ثم في احباره نعم عنها وعن منافعها باوجز عبارة
واوجز اشارة   واعلم اصلحك الله ان مثلك في هذه الدار ومحل
الهيولى المواجهة بما فيها من الصور والاثار ومثل السفينة في البحر المحكمة الالة المتعينة

الاداة خلقها الله بحكمته وسخرها لك بعنايته وجعل جريها برياح عنايته فانه لا تتهيا لها الا
بهبوب الرياح المحركة اياها الى الجهات فاذا سكنت الريح وقفت السفينة عن ذلك الجري ولا
ينقص شي من الاتها الا ذهاب الريح كذلك جسد الانسان اذا فارقته النفس وانقطعت عنه
الافاضة لا تتهيا له تلك الحركة ولم يعدم من آلته ولا ذهب من اعضائه شي الا ذهاب الروح
وانقطاع الفيض عنه فقط ومعلوم بالبرهان ان الريح ليس من جوهر السفينة ولا السفينة
حاملها بل هي محركة لها ولا يقدر السفينة ومن عليها على استرجاع الريح بعد ذهابه بحيلة
يعملونها او صنعة يصنعونها كذلك الروح الذي من امر ربه ليس من جوهر الجسم ولا الجسم حامل
للروح ولا يقدر احد من العالم على استرجاع النفس اذا فارقت فاذا تحقق ذلك وثبت به
ان جسمك كسفينة معدة لهبوب الرياح بها ودورها عليها علم ان هلاك السفينة اذا هلكت من
احد حالين اما بفساد جرمها وانحلال تركيبها فيدخلها الماء ويكون ذلك سببا لغرقها وهلاك
من فيها ان غفلوا عنها ولم يتداركوا بالاصلاح لها والتفقد لحالها كهلاك البدن من غلبة
احد العناصر ودخول الرطوبة المغرقة من بحر الهيولى من تهاون صاحبه به وغفلته عنه
فلا تبقى الروح معه اذا فسد مزاجه وتعطل نظامه وتوحش نشيمه وضعفت الته كما لا يبقى
الريح للسفينة والريح موجودة في هبوبها غير معدومة كما ان الروح باقية ببقاء علتها
في افقها ومعادها واما القسم الثاني وهو ان يكون هلاك السفينة بقوة الريح العاصفة
الهائجة الواردة منها على السفينة ما ليس في وسع الاتها حمله ولا القدرة عليه فيضعف
الالة وتنكسر السفينة فان كان فيها عارفون بعلم السباحة الماهرون نجوا بنفوسهم ورضوا
بقضاء الله فيهم ووعظ بعضهم بعضا فنجوا عند ذلك من الهلاك في البحر كذلك حال
الحكماء العارفين باحوال المبدا والمعاد الكاملين في العلم والعمل الناجين من غرق بحر الهيولى
العالمين بعلم السباحة بل الطيران في جو عالم القدس بجناحي المعرفة والتقوى فاذا علمت
هذا فنقول لك الذرية محمولة نعم وآية لهم انا حملنا ذريتهم اشارة الى الروح الانسانية
والفلك المشحون اشارة الى البدن المخلوق كالسفينة لاجل استكمال النفس وخلاصها من هذه
الدار وحمل الاشارة لكونها في اول الفطرة اما ضعيفا شبيها بالعدم وعقلا هيولانيا
يكون كالات بالقوة فيحتاج كالطفل الى ما يكون له بمنزلة المهد وكونه مشحونا اشارة
الى كون البدن مملوا بالقوى المدركة والمحركة التي هي بمنزلة سكان السفينة وعمالها ولكل
منهم عمل خاص وتخصص بجريان السفينة وقوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اشارة
الى البدن المثالي البرزخي الذي يتعلق بها النفس الشخص وتركب عليه ما دامت يكون في عالم
البرزخ عند القبر قبل البعث كما ذهب اليه الاقدمون من الحكماء ومال اليه كثير من الاسلاميين
ودل عليه الكتاب والسنة وايده الامارات والشواهد كما تدل عليه كلمات النبوية والرويا الصالحة
في حكايات الموتى وغيرها مما يودي بيانه الى التطويل وموعد ذكره مقام اليق من هذا
في التنزيل   هذه الدنيا الفانية المهلكة الدائرة الملهية من بعضها طريق الى الله
فحق من عرفها وعرف درجات البعد والقرب الى الله سبحانه اذ يعرف بنور البصيرة

سباب

انما مثل من سافر الى الله وهي كجزيرة في البحر عد فيها العلف والزاد وا
الغالي المقصر فمن تزود منها لآخرته واقتصر منها على قدر الضرورة فقد ربحت تجارته
وفاز بنعيم الآخرة ومن عرج عليها واشتغل بلذاتها هلك وخسر خسرانا مبينا ومثال
ذلك الخلق فيها كمثل قوم ركبوا في سفينة فانتهت السفينة بهم الى جزيرة فامرهم الملاح
بالخروج لقضاء الحوائج وخوفهم المقام واستعجال السفينة فتفرقوا فيها فبادر بعضهم
وقضى حاجته ورجع الى السفينة فوجد مكانا خاليا واسعا ووقف بعضهم ينظر في ازهار
الجزيرة وانوارها وطرائف اشجارها وعجائب غياضها ونغمات طيورها فرجع الى
السفينة فلم يجد الا مكانا ضيقا حرجا واكب بعضهم على تلك الاصداف والاحجار واعجبه
حسنها فلم يسمح نفسه الا بان يستصحب شيئا منها فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا
وزادته الاحجار مثلا على ثقل وضيقا على ضيق فلم يقدر على رميها فلم يجد لها مكانا
فحملها على عنقه وهو يتندم تحت اعبائه وتوغل بعضهم الغياض ونسي المركب واشتغل
بالتفرج في تلك الازهار والتناول من تلك الثمار وهو في تفرجه غير خال من خوف
السباع والحذر من السقطات والانكبات فلما رجع الى السفينة لم يصادفها فبقي
على الساحل فافترسته السباع وفرقته الهوام فهذه صورة اهل الدنيا بالاضافة
الى الدنيا واضافهم بالنسبة الى حال العقبى فتأملها واستخرج وجه الموازنة ان كنت ذا
بصيرة والمطابقة مع هذه الاية والاية الآتية من قوله وان نشأ نغرقهم فلا صريخ
لهم ولاهم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين ان نشأ نهلكهم في البحار اذا
حملناهم في السفن ونغرقهم بتهييج الرياح القهرية والامواج والاضطرابات من
آثار الغضب الالهي للفجار والاشرار الذين لا صلاح لوجودهم في هذه الدار فلا صريخ
لهم اي فلا مغيث لهم او لا اغاثة لهم كما يقال اتاهم الصريخ ولاهم ينقذون اي لا ينجون
من الموت والهلاك الا رحمة منا بان نخلصهم في الحال من الاهوال الى الوقوع الموت
الى وقت الاجل الموعد للانفصال والاتصال ونمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب النار
ان كانوا اهل الفسق والفجار لما في وجودهم مدة في الدنيا مصلحة لغيرهم فيما بعد
هذه الدار ونمتعهم متاعا حسنا الى حين الاجل استكمالهم مدة في العلم والعمل وحمل
نعم الله فيهم في العبادة والطاعة برهة من الزمان شكرا لله عز وجل لا في هوى النفس
وشهواتها مع الحرص وطول الامل وقلة الحس نفعهم حكمة قرآنية تجلي عما غاب عنا
اعلم ان الحكماء والمتكلمين اختلفوا في حكمة تعلق النفس بهذا البدن المركب من العناصر
المختلفة وركوبها في هذه السفينة الجارية في بحر الطبيعة باجل الله مدة من الزمان
بمقتضى المشيئة وتشعبوا القول فيها وما بلغ الينا من اكابر العلماء والحكماء لعله
مذهب القدماء من الحكماء والهمنا الله بحسب متابعتنا لطريقة الانبياء والاولياء هو ان
لكل نفس من النفوس مرتبة من الفعلية والكمال في الوجود وفضيلته اللائقة بما له
من خزائن الرحمة والجود لا يمكن الزيادة عليه بحسب ما جبل عليه وخط بحسب هويته
الشخصية منحة لها طهر الوجود وهو لسان عبادته وتسبيح الحق المعبود وسبب
تعلقها بالبدن استخراج ما في نفسها من ذخائره ونحن هو ثبتها من القوة الى الفعل

والتحصيل واستكمال جوهرها بالكمال اللائق بحالها من تكرر الافاعيل وهذه المرتبة
من الكمال الاضافي الوجودي المختص بواحد واحد من افراد النفوس غير ما يمكن حصوله
لطبيعة هذا النوع الانساني الذي هو الغاية القصوى في الكمال ولطبيعة خاصة من افراد الكمل
افراده المقربين من الحق المتعال واما في الفعل فكان شقاوة اكثر الناس من الكفار و
واصحاب الشمال البعداء عنهم وطردهم وبعدهم عن رحمة الله المختصة بحال الكاملين في العلم
والعمل المقربين والسعداء والمرتفعين عن مهابط الارذال ولما سبق فنقول هذه
الاية القرآنية اشارة الى الارواح الانسانية والفلك المشحون الى البدن المملو من القوى
والمشاعر الحسية وقوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اشارة الى البدن الاخروي
البرزخي المثالي فنقول ان النفوس المتعلقة بهذه الابدان العنصرية الراكبة على
السفن الجارية في بحر عالم الطبيعة بما لديهم من موذيات منقسمة الى اقسام ثلثة
منهم المغرقون في بحر اللذات المحترقون بنار الشهوات فلا صريخ لهم من ابناء عالم
القدس وسكان الجبروت ولاهم ينقذون من قيود العالم الادنى ومن حبال الابالسة
والشياطين المردودين الى اسفل السافلين بخطيئتهم فيا نجيهم الآخرة التي قيل لها هل
امتلأت فتقول هل من مزيد ويعذبهم العذاب الاكبر بما لديهم من موذيات الاخلاق
الردية وسلطات الملكات المبدئية ومنهم المحرومون بسلامة فطرتهم وقصور معاصيهم
وضعف علائقهم الجسمانية فهم من اهل الرحمة والشفاعة سواء ضعفت نفوسهم
عن الاخلاق الردية والامراض النفسانية او كانوا ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وذلك يخرجون
لضعف عوائقهم وقلة علائقهم فينجوا عن العذاب المهين بشفاعة الشافعين ومنهم المقربون
من اهل الكمال العلمي فلهم الحظ الاوفى والمنزلة العظمى سواء توقفوا في الحساب مدة وتعوقوا
في بعض المنازل بسبب تقصيرهم في بعض الاعمال او بشوم اقترانهم بجليس سوء من
القوى المتابية عن طاعة الروح المتعصية في الافعال فقوله ان نشأ نغرقهم اشارة الى
القسم الاول يدل عليه مطابقة وهم مثل الهالكين في البحر من التجار والخاسرين في سعيهم
وتجاراتهم فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وهو ايضا اشارة الى القسم الثاني دالة
عليه التزاما لان رفع المكروب من الشيئين قد يكون برفع احدهما فيحق عند هذا قسم
آخر وهو الذي لا صريخ له من معلم او مرشد يتعلم منه طريق الهداية ويسلك به سبيل
النجاة الا انه ينقذ وينجو من الهلاك بمجرد سلامة فطرته عن الوهن والوبال لقلة الاحمال
والاثقال وهو بازاء من ينجو من الغرق عند انكسار سفينته في البحر بعد ضياع من
راس المال والربح فيحتاج الى الصدقة عليه وشفاعة من يشفع له من اهل الارباح
ويسعى الجبر بما يفوت به باطنه ويلبس به ظاهره وقوله الا رحمة منا ومتاعا الى حين اشارة
الى القسم الثالث من المقربين حيث امهلهم الله في الدنيا مدة الاجل استكمالهم بالعلم
والعمل وسلوكهم سبيل الحق وعالم القدس في سفينة البدن حتى فازوا بنعيم الآخرة ووصلوا
الى رضوان الله سبحانه ومشاهدة صفاته وآياته قبل انقضاء الاجل وهم بازاء التجار الناجين
بتجاراتهم في سفر البحر الواصلين منها الى ما لهم المعهود مع الاهل والولد

واجدين غاية سفههم وسعيهم من المال الذي بذلوا فيه غاية المجهود واذا قيل

لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون واذا قيل للمشركين و

الفجار المنافقين المغترين بعقولهم القاصرة وفطانتهم المبتدعة اتقوا ما بين ايديكم من امر

الاخرة فاعملوا لها واحذروا عقوبتها وما خلفكم من امر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا

بها هذه فتنتها ورتقها وشدتها خذ ذلك كما فصله قتم انهم يردوا الى ما بين ايديهم

وما خلفهم من السماء والارض لعلكم ترحمون اى ليكونوا على رجاء رحمة من الله لان من خاصية

الاتقاء استجلاب الرحمة الالهية وعن مجاهد ما مضى من الذنوب وما ياتي من الذنوب اذ د

به اتقوا عذاب الله بالتوبة الماضي والاجتناب المستقبل وعن قتاده اتقوا العذاب المنزل

على الامم الماضية وما خلفكم من عذاب الاخرة وروى الحلبي عن ابي عبد الله عليه السلام قال

معناه اتقوا ما بين ايديكم من الذنوب وما خلفكم من العقوبة وسياتي كلك لهذا الوجه

زيادة تحقيق وتطبيق واما جواب اذا فهو محذوف دل عليه قوله الا كانوا عنها معرضين

تقديره الكلام اذا قيل اتقوا اعرضوا عن التامل والبينات وعن التفكر في امور الاخرة

من ماخذ العلوم اليقينية دون ظواهر النقول والحكايات اعلم ان المعلوم المكشوف

عند اهل الله ان تكرر الافاعيل والاعمال يوجب حدوث الاخلاق والملكات وهي فاستنطه

في النشاة الاخرة بصورة يناسبها فما هو سبب ايلام الاشقياء في المعقى من الحيات

والعقارب والنيران والجحيم والزقوم فهو بعينه موجود في سر قلبه ومكنون باطنه

وان لم يشاهده بهذه العين وهذه الحواس لانها يختص ادراكها على لاحظة الظواهر فصورها

الدنياوية واما ادراكها بحقايقها وصورها الباطنية فانما يختص بذلك مشاعر باطنية

ومدارك اخروية فما ورد الامر باتقائه في قوله ما بين ايديكم وما خلفكم يرجع الى امر

واحد تارة يكون في الدنيا يظهر بما يستظهر به في هذه النشاة من صورة شهية

ملذة يتلذذ به الحواس ويشتاق له الوهم الحيواني والتخيل البهيمي وتارة يكون في

الاخرة يظهر بما يستظهر له فيها من صورة مولمة موحشة موذية يتالم بها

نفوس الاشقياء ويتوحش منها كل من المشتغلين بها هيهنا قايلا عند كشف الغطا

ورفع الحجاب وحلول العذاب يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين فبالحقيقة

ما يكون في الاخرة سبب ايلام المعذبين ومنشا عقوبة الفاسقين هو معهم هيهنا

وفي اهابهم من العقايد الباطلة والنيات الفاسدة والاعراض النفسانية والدواعي الهوائية

من حب المال والجاه والكبر والفخر والحسد والرعونة والمكر والحيلة والرياء وطلب

الشهرة وميل الرياسة وغير ذلك من الامور التي يندرج الجميع تحت حب الدنيا الذي

هو راس كل خطيئة وهو التنين الذي يتولد منه لمحب الدنيا المعرض عن طلب الاخرة

تسع وتسعون حية لكل حية تسعة رؤس تنهسونه وتلحسونه وينفخون في جسمه

الى يوم القيامة كما ورد في الحديث في باب عذاب الكافر فهذا التنين متمكن في صميم فؤاد

الكفار والمنافقين تنهشهم وتلحسهم ولكن لا يدركون ايلام لخدر وسكر واعياش هيئة

وشكلهم لسكر نفوسهم عسكرات الدنيا ونوم غفلتهم بمرقات الهوى واستعمالهم

خرفات هذا الادنى واهل الاخرة لصحة معرفتهم وقوة بصيرتهم يشاهدون ايلام هذه

المشتهيات ويتقون سمية هذه الحيات المكنونة تحت نقوشها المزخرفات المستورة

عن ادراك المكبين الى طلب اللذات وتحصيل المالوفات الحسيات المعرضين عما اعد الله لعباده

الصالحين من ادراك الحقايق المعقولات والمعارف الالهيات مما لا عين رات ولا اذن سمعت

هل تعلم ما النكتة في التعبير عن الواقع في الدنيا التي هي دار المتغيرات

والمتجددات ودار الزراعة والحراثة بما خلفكم وفي التعبير عن امور الاخرة التي دار الباقيات

الثابتات ودار الثمرة والجزاء بما بين ايديكم النكتة فيه ان نفس الانسان من جملة المكونات

لها توجه طبيعي الى عالم الاخرة وعالم البقاء فهي منذ خلقت مجبولة بحسب الفطرة على ان تسافر

من منزل الى منزل وتتخطى من مرتبة الى مرتبة ومن حالة الى حالة ومن طور الى طور حتى

تنتهي الى اخر منزل من منازل الدنيا واول منزل من منازل الاخرة ولكل انسان سواء

كان من السعداء او من الاشقياء درجة معينة في الاخرة ومقام معلوم من الجنة او النار

يقف عنده هو اخر سيره ومنتهى سفره اذ السلوك منقطع هناك فالمنازل والدرجات

هنالك بحسب مراتب السير هيهنا كمالا ونقصانا فاذا تقرر هذا فنقول ما من منزل

من المنازل الطبيعية التي الكونية ونشاة من النشآت الصورية الا وتتجاوزه النفس

وتتخطاه وتجعله خلف ظهرها وما من منزل من منازل الاخرة الا وتستقبله نفس من

النفوس وتجعله نصب عينها وتكون حاضرا بين يديها فكل نفس من النفوس البشرية

لها جادة معلومة عند الله تسير فيها بحسب ما شاء الله لها فان كانت بحسب ما تقرر

في القضاء السابق انها من جملة الاشقياء فهي ابدا تتقوى في تجوهرها وتشتد في صورة

طينتها وتتطور في اطوار شقاوتها ودرجات بعدها من رحمة ربها الى ان تبلغ غاية

اشدها الباطني وان كانت بحسب التقدير من السعداء فلا تزال تتقوى في جهاتها الا

الروحانية العلمية والاشرفية العلية فيترقى من طور الى طور في سعادتها وسلوك

سبيل سيرها ودرجات قربها من الرحمن الى ان تبلغ اشدها العقلي ورشدها الحقيقي

فاذا دفع الحجاب وكشف الغطاء كانت كل واحدة منها في مرتبتها التي بلغت اليها طاقة عين

واما الغرض الاصلي من ارسال الرسل وانزال الكتب والاعلام والتاكيد لاهل الهداية وزيادة

التشويق والترغيب والانذار والترهيب لهم وابلاغ الحجة على اهل الشقاوة والجحود

الابعاد والطرد والحجاب فيهم فان التعليم والارشاد لا يوجب لاهل النقمة الا غيا وضلالا

كما ان الماء الصافي لا يزيد في الجيفة الا تعفينا وانتنا كقوله تم يضل به كثيرا ويهدي

به كثيرا وما يضل به الا الفاسقون وكقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي

عن بينة فقوله اتقوا خطاب للمشركين او لجميع المكلفين الا ان السامع لهذا الكلام والمطيع

له من عرفها بحال الواغلين في الشهوات وخاتمة عاقبة المستلذين بها استهزاء

المتخرفات واما الجهال والمنافقون فشانهم الاعراض عن سماع هذه الايات والا

عن اتى بالحجج والبينات كما دلت عليه هذه الاية وما يتلوها كناية وتصريحا وقوله

ما بين ايديكم اشارة الى الصورة المولمة التي يشاهدها الاشقياء في القبر والقيمة وعند

البعث والحشر وعند الصراط والسياق الى الجحيم وقوله وما خلفكم اشارة الى الاعمال

والافعال القبيحة المؤدية الى الملكات والاخلاق الردية في عالم القلب الانساني
المنكوس الى السفل المنتجة في عالم الاخرة الى الصورة المولمة الموحشة المعذبة من
النيران والجحيم وسلاسلها واغلالها وحميمها وزقومها وعقاربها وحياتها وغيرها
قوله جل شانه وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين اي ليست
تاتيهم اية اي اية كانت من الايات الا ذهبوا عنها واعرضوا عن النظر فيها يعني انه
كلما ورد عليهم او القي اليهم ما يدل على احوال المبدا والمعاد من برهان علمي او موعظة
خطابية اعرضوا عنها وانكروا لها فمن الاولى للاستغراق لكونه وقعت في النفي
ومن الثانية للتبعيض وذلك سبيل من ضل عن الهدى اما بكثرة حمقه واشتغاله
عينا على هذا الادنى واما باغتراره بفطانة البتراء وجموده سوى ما ادركه
ببصيرته العمشاء او تلقفه من غيره تقليدا وتعصبا   اعلم ان سبب اعراض
الخلق عن استماع ايات الله وعن التفكر في احوال الاخرة امور ثلثة احدها شواغل الطبيعة
ومن تياتها وثانيها وساوس العادة وملهياتها وثالثها نواميس الامثلة وتخيلاتها
اما الاول فكدواعي الطبيعة وشهواتها كشهوة البطن والفرج والاهل والمال والولد
وذلك قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من
الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا واما الثاني
فكدواعي النفس الحيوانية وهي اتم من اللذات الشهوية واجل رتبة عن اعراضها وصدرها [illegible]
ولذة الجاه والعلو في عالم الارض والرياسة على ساير الاقران فرب انسان سهل عليه
ترك لذة الاكل والمباشرة وجمع المال والعقار الا انه لا يمكنه ترك العلو والافتخار
وهو اخر درجات الدنيا الذي لا يمكن الوصول الى نعيم الاخرة الا بالتجاوز عنه كما قال
سبحانه تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة
للمتقين واما الثالثة فكتسويلات النفس الامارة بالسوء وتزيينها الاعمال الغير الصالحة
وترويجها الكواسد وتحسينها القبايح وابرازها الباطل في صورة الحق بتخيلات
فاسدة وتوهمات باطلة يوجب اعجاب المرء بنفسه ومنشاؤها خباثة الباطن ودناوة
الهمة وشيطنة الوهم كما في قوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في
الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وخصوصا ما يكون منشاؤها هذه العلوم
الرسمية والفنون المشهورة وهي اغلظها حجابا واعمها فسادا واكثرها
فسادا واقواها اعجابا بالمرء بنفسه واغترارا بالكمال فهي ما يقع لاكثر المتشبهين باهل
الحقيقة من اغترارهم بظنونهم الفاسدة وافكارهم الكاسدة وما سمعوا من ظواهر
احكام الشريعة او تلقفوها من غير بصيرة ولا دراية وضموا اليها دعاوي باطلة ومقالات
شيطانية وتقليدهم المشعوفين بما عندهم من سماع الحكايات والامثال الواردة واجابة
دعوة المضلين البطالين القادعين لهم عن مقاصد الدين ومتابعتهم اسوة الشياطين
من الجن والانس لتخيلاتهم وتلبيساتهم المضلة المهلكة وهم الذين حكى الله عنهم عن
تحسرهم وندامتهم في القيامة بقوله ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت
اقدامنا ليكونا من الاسفلين فهذه الامور الثلثة هي مجامع الاسباب الغواية وابواب

مهالك الخلق الباعثة لهم على الاعراض عن تدبر الايات لقوله وكاين من اية في السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون وهي المشار اليها في الحديث النبوي ص ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع
واعجاب المرء بنفسه الا ان اعظم هذه الافات الحاجبة عن مكاشفة اسرار الدين ومشاهدة انوار
الحق واليقين الموجبة لاعراض الناس عن سماع الايات الحكيم واستماعها سيما [illegible] بالدنيا
ونسيانهم احوال المعاد هو حسبانهم اهل الظاهر وعلماء الدنيا الراسخين في طلب
اللذات العاجلة سادات الخلق ورؤسا المذهب واهل الاجتهاد في طلب الاخرة
والمعاد وهو اعظم فتنة في الدين واشد حجاب في سبيل المومنين لان هولاء قطاع طريق
الحقيقة واليقين وهل هذا الا مثل ان يظن بالجاهل المريض طبيبا حاذقا ويجعل السارق
المفلس امينا يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون فلم يزدك
متابعتهم والاقتداء بهم الا الغواية والضلال والتردي في مساقط مزايل الجهال وان
تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون
اي يكذبون
ثم ان نتيجة الاعراض عن سماع الايات ونسيانها وانكار المعارف
الموضحات هي الظلمة في القلب والضيق في الصدر والوحشة في الطبع والضنك
في معيشة الاخرة والعمى والحرمان في الحشر وذلك لان قوام النشاة الاخرة للانسان
وبقاء حقيقته وروحه بالاغذية العلمية العرفانية والادوية الايمانية اليقينية فمن
لا معرفة له لا حيوة له في الاخرة اذ الاخرة دار الحيوة العلمية لقوله ان الدار الاخرة لهي الحيوان
لو كانوا يعلمون فبقدر نور المعرفة واليقين يزداد قوة حيوة الانسان في الاخرة لقوله
يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم فمن لا نور له لا
عيش له في الاخرة لقوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ومن لم يتذكر
ايات الله اصلا ولم يتدبر في اسرار الاخرة يكون يوم القيمة الاخرة اعمى لقوله ومن كان
في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا ولقوله ونحشره يوم القيمة اعمى قال
رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها فكذلك اليوم
تنسى واي شقاوة اشد على الانسان من ان يكون منسيا عند الله والنسيان من قبله
يوجب العدم والهلاك لان صدور كل شيء منه انما يكون بعلمه به بل الصدور منه عين
المعلومية له والمذكورية عنده كما اوضحه الحكماء في انظارهم العلمية فافهم قوله جل شانه
واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو
يشاء الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين اذا قيل للمشتغلين بالجمع والادخار الناسين
للاخرة والرجوع الى الواحد القهار لانهماكهم في طلب اللذات واقتنا بالشهوات واستغراقهم
في البحث عن الماديات وركودهم في حدائق الجهالات انفقوا شيئا مما رزقكم الله
في طاعته واخرجوا ما اوجب عليكم اخراجه من اموالكم احتج الذين كفروا وستروا انوار
الحق بظلمات صفاتهم الردية وافعالهم القبيحة للذين امنوا وشهدوا ايات الله
معرفة الله بنور بصيرتهم في منع صدق الله وانكار فرايضه وابطال احكامه بان قالوا
كيف نطعم من الله يقدر الله على اعطائه اطعامه ولو شاء اطعامه اطعمه فاذا لم يطعمه

على انه لم يشاء وهذه شبهة واهية ومغلطة راخصة احتج بها طايفة من اهل الاباحة والضلال وانجبل مثل هذا الجبال كثير في العوام والجهال وهو اوهن من بيت العنكبوت ونظير هذا المقال قول من قال ان الله غني عن عبادتنا وعن ان يستقرض منا فاي معنى لقوله تعم من هذا الذي تقرض الله قرضا حسنا وغني عن المعاملة معنا فاي وجه لقوله ان الله اشتري من المومنين اموالهم وانفسهم بان لهم الجنة ولو شاء اطعام المساكين لاطعمهم فلا حاجة لنا الى صرف اموالنا اليهم فانظر كيف كانوا صادقين في دعوتهم وكيف هلكوا بصدقهم كاكثر المتكلمين في مجالس العوام والحكام المماربين مع اهل الحق والحزم بتمهيد بعض المقدمات المقبولة من النقليات طلبا للشبهات ولعلها تهج نسيان من اذا شاء اهلك بالصدق واذا شاء اسعد بالجهل يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا واما قسا وحجتهم وحسم مادة شبهتهم فبان يجب ان يعلم كل احد ان الصفات والاخلاق هو اريب الافعال والمعاملات وان الاعمال علاج لمرض القلوب وبطانة في الصدور والامراض الباطنية حاجبة عن وصول العبد الى سعادة الابد وهي ما لا شعور بها لاكثر الخلق الا من الهمه الله من الانبياء والاولياء عم ولكل مرض من امراض القلوب دواء مخصوص ولكنه معلوم عند الله والطبيب اذا اثنى على الدواء يدل ذلك على ان الدواء مراد بعينه وعلى ان له فضيلة في نفسه بل المطلوب الاصلي هو الشفاء اللازم من تناول الدواء فهولاء الجهلة الناقصون لما ظنوا انهم استعبدوا لاجل المساكين او لاجل الله ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا وفي اموالنا وسعينا وجهادنا مع الاعداء انفقنا او امسكنا بارزنا ام قعدنا فقد هلكوا بهذه البضاعة اليسيرة من العقل والتميز تمردوا عن طاعة الشارع بهذه المرتبة الضعيفة من الفطانة فضلوا عن السبيل وانخرطوا في سلك الحمقى الاضاليل ولم يعلموا ان المسكين الاخذ لما من المال وهو المهلك لك في المال يزيل منك بواسطته مرض البخل المهلك ويستخرج من قلبك حب الدنيا الذي راس كل خطيئة وحب الدينار الذي اس كل فاحشة كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلك من باطنك فالحجام خادم لك جالب نفع اليك لا انك تخدمه وتجلب نفعا اليه ولا يخرج الحجام عن كونه خادما بان يكون له غرض في ان يصنع شيا بالدم مامهكذا الصدقات وانفاق المساكين بالمال والطعام مطهرة للبواطن وتزكية للقلوب عن خبايث الملكات وامراض الصفات المهلكات ولهذه الدقيقة امتنع رسول الله صلى الله عليه وآله من اخذها ونهى عن تناولها كما نهى عن كسب الحجام وسمي الصدقة وسخ اموال الناس وشرف اهل بيته عم بالصيانة عنها فاذا ثبت عندك ان الاعمال موثرات في القلب والقلب بحسب تاثيرها يستعد لقبول الهداية ويستنير بنور المعرفة واذا انكشف لديك هذا القول الكلي والقانون الاصلي الساري حكمه في جميع الاوامر والنواهي الشرعية وساير التكاليف الدينية فاعلم ان الجواب عن قول الكفار لو شاء الله اطعام المساكين لاطعمهم ان المشيه

سواء

من الله شي غير التكليف وتكليف الله عباده بشيء من الطاعات نصا هي اعلام ثم الطبيب للمريض دواء خاصا يجب استفراغا لمواده الفاسدة كالحجامة وغيرها مع استغنا عن ذلك فكذلك الباري تكلف عباده مع كونه غنيا عن العالمين ثم ان نقص التكليف بتناول الدواء من الطبيب لا ينافي علمه بعدم تناول المريض له فكذلك تكليفه تعم لا ينافي تحقق علمه الازلي وقضائه السابق بعدم قبول بعض العباد تكليفه لما في ذلك من المصلحة الكلية والفايدة فان رجعوا وقالوا فما الفايدة في حق من لا يقبل ذلك من الكفار والفساق حيث لم يتعلق المشية الان ليس بقبولهم بل تعلقت بعدم قبولهم قلنا فايدته يرجع الى من سواهم من المومنين المطيعين الذين يوثر فيهم الدعوة والتكليف والانذار والتخويف انما انت منذر من يخشيها كما ان فايدة نور الشمس يعود الى اصحاب العيون الصحيحة واما فايدة ذلك بالنسبة الى من ختم الله على قلوبهم وعلى ابصارهم غشاوة كفايدة نور الشمس بالنسبة الى الاكمه والاعمش واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون غاية ذلك الزام الحجة واقامة البينة عليهم ظاهرا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا لولا ارسلت الينا رسولا وهو بالحقيقة التي عليهم بانهم في اصل الخلقة ناقصون اشقياء وهذا المعنى ربما لا ينفهم ايضا لغاية نقصانهم كما ان الاكمه ربما لا يصدق اولي الابصار ولا يعرف ان القصور منه وان ساير البسايط من محاذاة المحجوب المبصر موجود وانما يعرف نقصانهم ارباب الابصار فكذلك يعرف قصور الناقصين عن البلوغ الى قبول احكام الدين وادراك معالم الحق واليقين ذوو البصاير السليمة عن غشاوة الاهواء وآفة القصور اختلف اهل التفسير في هولاء الذين قالوا ذلك فعن الحسن ان هولاء هم اليهود حين امروا باطعام الفقراء وعن مقاتل انهم مشركوا قريش قال لهم فقراء اصحاب رسول الله ص اطعمونا من اموالكم ما زعمتم انه لله يعنون به قوله تعم وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم فحرموهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم وقيل هم الزنادقة كانوا في عهد رسول الله ص يسمعون المومنين يعلقون افعال الله بمشيته وارادته فيقولون لو شاء الله اغنى فلانا ولو شاء لاعز فلانا ولو شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب الاستهزاء بالمومنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشية الله معناه انطعم المقول فيه هذا القول منكم وذلك لانهم دافعين ان يكون الغنى والفقر من الله لانهم كانوا معطلة غير قايلين بالصانع وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون ان الله تعم لما كان قادرا على اطعامه ولا يشاء اطعامه فنحن احق بذلك وقيل كانوا يقولون ان كان هو الرزاق فلا فايدة في التماس الرزق منا وقد منعنا وحرمكم فلم تامرون باعطاء من حرمه الله وقوله ان انتم الا في ضلال مبين يحتمل ان يكون قول الله للكفار ويحتمل ان يكون حكاية قول المومنين لهم ويحتمل ان يكون من تتمة جوابهم للمومنين قوله سبحانه ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين كلمة متى هنا للاستعلام

عن وقت قيام الساعة وهي في عرف اهل الحكمة سوال عن نسبة الشئ الى زمانه المعين
او حدٍّ منه كما ان اين سوال عن نسبة الشئ الى مكانه المعين او حد منه والزمان والمكان
من موجودات هذا العالم لانه كلما ثبت في مقامه مقدار لحركة سريعة يومية تحدد
سائر الابعاد والامكنة والمكانيات والقيمة خارجة عن هذا العالم لانها واقعة في فلك محدب
السموات فلا زمانها ومكانها نوعان آخران لا يمكن السوال عنهما بمتى واين كما لا يمكن السوال
بما هو عما لا مهية له كالواحد الحقيقي المقدس القيومي بل امور القيمة كلها اسرار على العلم
بحسب ظهور هذه النشأة الدنياوية فلا يتصور ان يحيط بها احد ما دام في الدنيا لم
يتخلص عن قيد اوهام حواس الطبيعة وزمانه الهوى والموطن ونشأة نوع خاص
من الشعور والادراك كما ان لكل محسوس من المحسوسات حاسة مخصوصة فعلم المبصرات
عند البصر وعلم المسموعات عند السمع فكذا علم الساعة مردود الى علم من كان عنده
وحشره حضرته وليس للكفار قوة ادراك الساعة كما ليس للاكمه قوة ادراك المبصرات
فقولهم متى هذا الوعد سوال عما يستحيل الجواب عنه على موجبه كما ان سوال
فرعون وما رب العالمين سوال عما يستحيل الجواب عنه على موجبه فان امر الساعة
اذا كان كلمح البصر او هو اقرب وكان متى سوالا عن الزمان استحال جواب السائل عنه
وهو كقول الاكمه اذا وصف له المبصرات المتلونة فقال كيف نشم هذه المبصرات او كيف نذوق
هذه الملونات والجواب الحق معه ان علم المبصرات يوجد عند البصر لا يمكن طلبها بالذوق
او اللمس فالجواب الحق مع الكفار اذا قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ان
يقال لهم العلم بذلك كما وقع في القرآن من قوله تعالى وعنده علم الساعة من رجع
الى الله عز وجل وحشر اليه وكان عنده وطالب وان يعرف حقيقة الساعة بالضرورة
لانه عند الله وعنده علم الساعة فاذن بالضرورة لا تقوم الساعة على وجه الارض
من يقول الله الله كما روي في الحديث عنه صلى الله عليه وآله تثبت وتحقق تحقيقا
لا شك فيه ان علم الساعة مردود الى الله تعالى كما قال سبحانه اليه يرد علم الساعة
وسوال الكفرة والجهال عن ذلك نوع من الضلال والاضلال ولكن لك ايها المؤمن
بالله واليوم الآخر ان تعلم من اسرار القيمة واغوارها ما يثبت في هذه النشأة البشرية
الا ايمانك بالغيب وتصديقك بما جاء في الشريعة الحقة تصديق الاكمه بوجود الالوان
من جهة الخبر والايمان بالغيب لا من جهة الادراك واليقين فاياك وان تستنبط في
الاطلاع عليها من غير جهة الخبر كالايمان بالغيب بان تريد ان تعلمها بعقلك الناقص
وذلك انك تكون كالاكمه الذي يريد ان يعلم الالوان بذوق او شم او سمع
او لمس وهذا عين الجحود والانكار لوجود الالوان فكذلك الطمع في ادراك احوال الآخرة
بعلم الاستدلال وصنعة الكلام عين الجحود والانكار لها فمن اراد ان يعرف القيمة بنظر
المعروف وعقله المشهور فقد جحدها وهو لا يشعر فتامل اولا في حال الاكمه كيف
ينبغي ان يومن بالالوان من طريق الغيب بان يقطع نظره عن الحواس الاربع ويعزلها
عن احكامها حتى يمكن ويتصور له ان يومن بالغيب من غير تشبيه و

تعطيل ثم طالب بعد ذلك نفسك بمثل هذا الايمان حتى يكون مؤمنا بالغيب فتستعد
لان تصير موقنا بالآخرة كما قال سبحانه يومنون بالغيب ويقيمون الصلوة الى ان قال
وبالآخرة هم يوقنون فكانوا اولا مومنين بالآخرة ايمانا بالغيب وهذه المرتبة في الايمان
بالله واليوم الآخر تنادي بالمؤمن الى العمل بالاركان من الصلوة والزكوة وغيرها من الاعمال
الصالحة بصدق النية وصفاء الطوية تنجر الى مرتبة الايقان لقوله تعالى واعبد ربك
حتى ياتيك اليقين ونسبة قيام الساعة الى ازمنة الدنيا ليست كنسبة طرف الزمان
الى الزمان والكثير شطر لاحق منه الى سابقه كالجمعة مثلا الى الخميس وما قبلها فان الدار
الآخرة ليست منسلكة مع هذه الدار في سلك واحد وكذا ليست نسبة حيز الآخرة الى
احياز الدنيا كنسبة فوق هذا العالم الى ما هو دونه لان كلا منهما عالم آخر والآخرة
عالم تام براسه لا يوازنه شئ من اشياء هذا العالم ولا يتصل بغيره ولا هو واقع في
جهة من جهات هذا العالم بحسب الزمان او المكان بل نسبتها الى هذه الدنيا
اشبه بنسبة محيط الدائرة الى مركزها من نسبة بعض الخط الى بعض آخر او حد منه
الى نحو وكذلك الحال في قياس ابنها الى ابوين هذا العالم لان القيامة لو كانت واقعة
آخر شطر من اجزاء هذا الزمان الدنياوي او في ابعد شطر من ابعاض هذا المكان الحسي
كما زعمه اهل الظن والتخمين لكان بعيدا غاية البعد من النفوس الانسانية وهو باطل لان الله
تعالى وصفها بالقرب منا بحسب الزمان والمكان جميعا اما الاول فلقوله اقتربت الساعة
واما الثاني فلقوله واخذوا من مكان قريب يوم يرونه بعيدا ونراه قريبا فكان نبينا
صلى الله عليه وآله يشاهد خزان الجنة ويتناول بيده من ثمارها وفواكهها وكذلك
علماء امته وهم المؤمنون حقا باحوال الآخرة كانوا مشاهدين للقيمة وهي كانت قائمة
نحوهم لانهم كانوا محشورين في دنياهم الى الحق راجعين الى الله ولم يكن رسول الله
مؤمنا يكون حارثة مؤمنا ما لم يكن مشاهدا ليوم الآخرة ناظرا الى احوالها حيث قال اصبحت
حقا قال ص لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال رايت اهل الجنة يتزاورون ورايت
اهل النار يتعاوون ورايت عرش ربي بارزا فقال ص اصبت فالزم وهذا الحديث
متفق عليه بين الفريقين وان اختلف في صورة الالفاظ فثبت ان قيام الساعة قريب
عندنا اهل الحق واما اهل الظن والتخمين فادراك المجازفة في الكلام من غير خوض في
المعارف وتثبت في الايقان فهم الذين يزعمون يوم القيامة بعيدا عن الانسان بحسب الزمان
واما اظن الساعة قائمة وبحسب المكان ويقذفون بالغيب من مكان بعيد قوله سبحانه
ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون قرا ابن كثير وورش ومحمد بن
حبيب عن الاعشى وروح وزيد عن يعقوب يخصمون بادغام التاء في الصاد مع
فتح الخاء وقرا ابو عمرو بفتح الخاء ايضا الا انه يشمه الفتح ولا يشبعه وقرا اهل المدينة غير ورش
يخصمون مشددة الصاد وقرا حمزة يخصمون ساكنة الخاء خفيفة الصاد من خصمه وقرى

يخصّمون مكسورة الخاء مشدّدة الصاد ويختصمون باتباع الياء الخاء في الكسر

قد اشرنا في الآية السابقة ان سرّ القيمة من الاسرار العظيمة التي لم يمكن كشفها
للمحبوسين فحبس هذا الزمان والمكان والمسجونين بسجن هذا العالم مع هذه الآفات
ولم يجز للانبياء عم كشفها للناس ما داموا في قيد هذه الحواس يسئلونك عن الساعة
ايّان مرسيها فيم انت من ذكريها الى ربك منتهيها انما انت منذر من يخشيها يعني لا رخصة لهم
في كشف حقيقتها بل لهم ان ينذروا باهوالها وشدائدها وبعض اماراتها واشراطها ومقدماتها
ولهذا ذكر الله تع ههنا شيئا من اشراطها ومقدماتها ونبه على انهم اي المحجوبين بقيود
هذه النشاة الفانية ما يمكنهم ان ينظروا من حالاتها الا صيحة واحدة اي نفخة واحدة
وهي النفخة الاولى التي تاتيهم بغتة وتعمهم كلهم وهم يخصّمون اي يشتغلون بخصوماتهم في
شهواتهم ومجادلاتهم في معاملاتهم ومتاجرهم يتبايعون في الاسواق ويتناقضون في الاحوال
والاقوال ويتفاخرون بالانساب والالقاب وسائر ما يتشاجرون فيه ويتخاصمون
به ويجادلون فتاخذهم وهم في امنهم وغفلتهم كما ورد في الحديث يقوم الساعة والرجلان
قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما تطويانه حتى يقوم والرجل يرفع الاكلة الى فيه فما تصل
فيه حتى يقوم والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى يقوم وقيل
وهم يخصّمون هل ينزل بهم العذاب ام لا ومعنى يخصّمون يخصم بعضهم بعضا
الصيحة ضرب من النفخ وهي النفخة التي تصحبها شدة وهلاك وعذاب واللفظ كانه
مستعار لتاثير الفاعل الحق في انشاء الصور وافادة الارواح اما في هذا العالم بوساطة
ملك روحاني او روح بشري او في عالم الآخرة تشبيها له بالنفخ في مادة النار كالفحم فانه
الموجب تارة لاشتعال النار الكامنة او حصولها في الفحم بسبب مجاورته لنار اخرى وتارة
لخمودها وذلك لان النفوس الحيوانية الانسانية بمنزلة نيرانات او انوار ملكوتية
حاصلة في مواد الابدان ولطائف اعضائها الدخانية والبخارية المجاورة بحسب صفائها
ولطافتها بنار عالم الملكوت حادثة فيها عند حصول الاستعداد التام والتسوية بالنفخ
الالهي كما في قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي او بواسطة عبده المقرب كما في قوله
فتنفخ فيه فتكون طيرا باذن الله وكما ان المادة الدخانية المجاورة للنار الحسية انما
تكون نارا مشتعلة بواسطة نفخات متعددة بعضها يحصل لها اصل الحرارة واللون
وبعضها شدة التسخين وبعضها التنوير والاضاءة فكذلك خلق الله في مادة الانسان
صورا ثلاثا بالنفخات الثلث فبالنفخة الاولى يتولد قوة النماء والتغذي وبالثانية
يتولد قوة الحس والحركة وبالثالثة يتولد قوة النطق والادراك المعقول ففي الاولى
كان الانسان بمنزلة نائم وفي الثانية بمنزلة حيوان ذي هيمان لكن تنبه من نوم شديد بل
وفي الثالثة ينبعث من نوم الغفلة ويستيقظ من رقدة الجهالة قائما منتصبا لطلب
العلوم ومعرفة الاحوال والتفطن بحال من اوجده وبعثه من نوم الجمادية وسنة
النباتية وحيرة الحيوانية شاكرا لنعمه تعالى عارفا بحقه طالبا لخدمته سالكا سبيل قربه
وجواره منخرطا في سلك عباده الصالحين وانما يستكمل بعد الانتباه بكمال بعد كمال
من ساعده التقدير ووافقه التدبير باضافات ونفخات اخرى رحمانية والهامات
واعلامات ربانية سبحانية يرتقي بكل منها من عالم الى عالم ومن نشاة الى اخرى

حتى

حتى بلغ الغاية القصوى ويرجع الى ربه الاعلى بعد استنارته بنور روح القدس كرجوع
النار الكامنة في الحطب بعد حصولها بالنفخات واشتعالها الى نار عظيمة هي فوق هذا العالم
الادنى فالعالم بمنزلة شجرة ثمرتها الانسان والانسان كشجرة ثمرتها العقل النظري وهو كلمة
طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء وثمرتها العقل الفعال والروح القدسي الذي يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار وهذا الروح القدسي كشجرة ثمرتها لقاء الله الواحد القهار يهدي
الله لنوره من يشاء من عباده فاذن يرقى نور العبد الى نور الرب بعد ان هبط منه وحصل
بنفخة في مكامن الكون فاذا علمت هذا فاعلم ان وحدة النفخ وكثرته باعتبار وحدة
المتعلق به وكثرته ولما كان مجموع النفوس والارواح بل جميع العالم حقيقة واحدة وجميعها
بها يكون الجميع امرا واحدا فيكون النفخات المتعلقة بها نفخة واحدة وايضا فتشتت
وتحقق والتكثف وتنوع ان التعاقب والتجدد والتكثر والتعدد انما تعين في هذا
العالم بحسب الحضور والغيبة في المكانيات والمضي والحالية في الزمانيات انما يكون بالقياس
الى الموجودات الواقعة في هذا العالم لتقيد وجود كل منها بمادة مخصوصة واختصاصه في مكان
زمان معين واما بالقياس الى العوالي والشواهق العقلية والنفسية وما هو فوق الاوان
ووراء الحدوث فالمتغيرات الزمانية كلها كآن واحد والمختلفات المكانية كلها كنقطة واحدة فعلى
هذا كون النفخات الكثيرة حسب كثرة المواد والازمنة نفخة واحدة بالقياس اليه ولا يحتاج
الى تجوّز بيان وبرهان ولا اشتباه بان جميع الممكنات حاصلة من فيض واحد موجب
الحق ونفخة واحدة وكلمة جامعة هي كلمة كن عبر عن انبساط الفيض النوري الوجودي
منه تعرض هياكل الممكنات بالنفس الرحماني المشتمل على الحروف الوجودية والكلمات الكونية
الطالع من افق شمس الحقيقة في صباح نور الازل المنتشر ضوءه في اهوية الهويات
الممكنة وسطوح قوابل المياه الاستعداد به المنقسم باعتبار كل موطن من مواطن
القرب والبعد ومنزل من منازل العلو والسفل الى الجواهر العقلية والنفسية والطبيعية
والاعراض الكمية والكيفية والنسبية ثم اعلم بعد ذلك ان من الجائز ان يكون نفخة واحدة
احياء لقوم واهلاكا لآخرين اما بحسب الاختلاف في نحو الصدور من النافخ رحمة
وغضبا كاختلاف نفخة من الانسان يوجب حصول النارية ولاخرى منه يوجب خمادها
كما مرت اليه الاشارة في قوله تع فاذا هم خامدون واما بحسب اختلاف القوابل مع وحدة
النفخ بان يكون نفخة واحدة رحمة على قوم وغضبا على اخرى او حياة لقوم ومماة للاخرين
او يكون رحمة لاحد وقتا وكراهة ومشقة له في وقت آخر او يكون مكروها لطائفة
فما عنهم وهو خير لهم او محبوبا عندهم وهو في الواقع شر لهم كما في قوله عسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم الآية الا ترى كيف اخرج الله الجنين من مضيق بطن امه الى فضاء العالم وهو
مكروه له مع كونه عين الرحمة له حيث انقذه من الطبيعية التي اقر فيها وسيانه
المبادية التي احوجها منذ كونه نطفة وعلقة من تلطخه بالانجاس وتغذيه بدم الحيض
وهو النجس المحرمات واخلاده الى ارض الرحم بصحبة الظلمات فطهره عن تلوث هذه
الانجاس والادناس وعوض له عن دم الحيض بلبن سائغ شرابه من ينبوع نهر

كالسلسبيل ليتغذى به بدنه ويتقوى قواه الجسمانية ويسترع في سعة العالم ويتعيش في فضاء
الارض من حين تبدلت هذه الارض عن ارض الرحم وتبوء منها حيث يشاء فيخرج من ذنوبه
السابقة كيوم ولدته امه وكذلك اذا بلغ درجة العلم واليقين يخرج من نوم الجهالة ويغفر الله له ما تقدم
من ذنوب الجهل والنقصان ونسيان العمى والحرمان وطهره عن ادناس الغباوة والضلالة وعوض له
من الاغذية الجسمانية المنقذ لحدث في النقصان والقصور بالاغذية النفسانية التي هي الوان
المعارف والتصورات والاغراض النفسانية ومن ههنا يعلم ويتحقق ان اله الدنيا والاخرة لما كان واحد
وسنته لا يتبدل ولا يتحول اذا كان منذ كون الانسان وخلقه من لدن كونه جمادا ونباتا او
ومضغة وعلقة الى تمام خلقته وكمال عقله كالصيحة من الله وقعت عليه او نفخة نفخت فيه
يوجب له تحولا من حيوة دنية الى حيوة هي اشرف واعلى فالظاهر ان اماتة الله وتوفيته للانسان
واخراجه اياه عن هذا العالم يوجب له حيوة كاملة تامة لا قصور معها ولا زوال ولا آفة ولا مرض
ولا حزن فيستحكم عند ذلك رجاؤه ويقوى طمعه في جود الله بان الصيحة العظيمة وان كانت
ذات تهويل وفزع اكبر وزلزلة عظيمة صعق بها من في السموات والارض الا ان جانب اللطف
ارجح وفضل الرحمة ابسط واوسع فربما يكون هذه الصيحة لطفا لطايفة وان كانت سخطا
للاخرى او يكون اماتة في نشاءة وهي بعينها احياء في نشاءة اخرى كما ان موت الحواس
حيوة للعقل وموت الاجساد زيادة حيوة الحقيقة لان الدنيا والاخرة متعاندتان ما يوجب فناء
احدهما فهو يوجب بقاء الاخرى وسياتيك زيادة كشف في تفسير النفخة الثانية قوله سبحانه
فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون هذا اخبار عما يغشى الناس في النفخة الاولى
وعند قيام الساعة من الاحوال والاهوال بعدما ذكره من الاحوال المشتركة بين القيامتين
الكبرى والصغرى اما انهم لا يستطيعون اي لا يقدرون على الايصاء بشئ ينفعهم في امر اخرتهم
او في اعقابهم واخلافهم لانقطاع العمل والسعي عند قيام الساعة وانتفاء العقب والاهل والولد
بعد الموت لان ثبوت الشئ للشئ واضافته اليه متوقف على بقاء ذلك الشئ المنسوب اليه ابقاء
الطرفين والاول متحقق في القيمة الصغرى والثاني في الكبرى واما نفي القدرة على الرجوع
الى اهلهم لما علمت من استحالة رجوع النفوس من نشاة وقعت فيها الى نشاة سابقة عليها
لان الطبايع مفطورة على التوجه الى غاياتها الذاتية والتوجهات الفطرية والتطورات الطبيعية
يمتنع الانعكاس والانقلاب فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وهذا اصل
متين قد ابتنى عليه كثير من القواعد والاحكام وقد بنينا عليه ابطال التناسخ كما هو مذكور
في مقامه قوله سبحانه ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون هذه هي
النفخة الثانية التي يحيي بها اموات القبور للبعث والنشور ان للنفخ صورة ونتيجة هي روحه
وسره اما صورته فاخراج الهواء من جوف النافخ الى جوف المنفوخ فيه حتى تشتعل الحطب
او الفحم وبالجملة الجسم القابل للصورة النارية فالنفخ سبب الاشتعال وصورة النفخ مستحيل
في حق الله لانه قيوم صمد لا جوف له والسبب والنتيجة غير محال في حقه وقد يعبر
بالسبب والمبدأ عن المسبب والفعل المستفاد منه فيعبر عن نتيجة الغضب بالغضب وعن نتيجة
الانتقام بالانتقام كما في قوله تعم وغضب الله عليهم وقوله فانتقمنا منهم فان حقيقة الغضب
مستحيل في حقه لانه عبارة عن نوع تغير ونقصان في غضبان يتاذى به ويتشفى بالانتقام

ونتيجته

ونتيجته اهلاك المغضوب عليه وايلامه يعبر به عن النتيجة فكذا يعبر عن نتيجة النفخ بالنفخ
وان لم يكن على صورة النفخ فيكون مجازا مرسلا هكذا قيل والارجح عندي ان النفخ ههنا عبارة
عن مجرد انشاء الارواح تشبيها له بانشاء النار كتشبيه آلة النفخ بالصور على وزان تشبيه الارواح
الكامنة في مكامن استعداداتها من الابدان وخفيها بالنيرانات المختفية في مكامن موادها الحطبية
والدخانية فيكون في الكلام استعارة مصرحة او مكنية او تمثيلا كل منها باعتبار هذا اذا كان
موضوعات هذه الالفاظ ما اشترط فيها كونها ذوات اشكال واوضاع وهيئات جسمانية
والامر الممكن ان يستعمل ولو بحسب العرف الخاص ولسان الشريعة على معان هي غايات لمعانيها
اللغوية وملاكها واسرارها وبواطنها فيكون منقولات شرعية مستعملة في معانيها الحقيقية
عند اهل الحق فالصور بسكون الواو هو في اللغة بمعنى القرن فاستعير او نقل كما علمت لما يقع به النفخ
مطلقا سواء كان من قرن او من شئ آخر وسواء كان محسوسا او غير محسوس بل هو جوهر من
جواهر عالم الملكوت الاعلى اسمه روح القدس به يحيي الله اموات الاشباح الانسانية بالا
الفايض من هذا الروح الاعظم وهو الذي اشتعل به نور النفس في فتيلة النطفة عند
التسوية اولا كما اشار اليه تعم بقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقد علم ان النافخ
ههنا انما هو الله بلا ترائي او بواسطة ملك مقرب هو الروح الاسرافيل المقدس المتوسط في فيض
الحيوة العقلية والنور المطلق بين الله وبين الارواح الجزئية الانسانية التي هي انوار ملكوتية
متعلقة بالابدان كتوسط الشمس في فيض النور الحسي والحرارة الغريزية بين الله وبين
الاكوان العنصرية وطبايعها المستنيرة بالانوار الحسية والحيوة الدنيوية ومنهم من جعل الصور
جمع صورة واكد ذلك بتحرك الواو في قراءة بعض القراء والمراد منها الصورة النوعية
تتهيأ بها الاجسام الانسانية بقبول النفس فيكون المراد منها ما تقبل النفخ الالهي الا ما يقع
به النفخ من الروح الاسرافيل المشار اليه في قوله ونفخت فيه من روحي فان قلت جميع الاشياء
انما حصلت من ايجاد الله لها برحمته وفيضه فما معنى هذه النسبة فانها مما يؤذن بمزيد
اتصال واقتران قلت كل ما كان نسبته الى نفسه لان وجود هذا الروح منه فالجميع وقد
نسب البشر لماء الطين ومنه تحصل روح سيد المرسلين عم وان كان معناه انجز
من الله افاض على القالب كما يفيض الماء من اناء مملو الى اناء او كما يعطي المال على السائل
فهذه يوجب تجزية ذات الله الواحد وتكثر احديته وهو ممتنع فقد بطل كونها فاضته
بمعنى انفصال شئ عن شئ فهذا الكلام موهم والعبارة عنه قاصرة عن بيان معنى هذه
الاضافة في الافاضة وليكتف الضعفاء البصائر القاصرون في ادراك العلوم الالهية
بمثال الشمس في هذا القول فان الشمس لو نطقت وقالت افضت على الارض من نوري لكان
حقا وصدقا ويكون معنى هذه النسبة ان النور الحاصل منها على وجه الارض من جنس نورها
الذي يوجب حيوة المكونات ونشو الحيوان والنبات وانبعاث النائمين من النفوس عن
مراقدها كقبور الاموات ونفي الظلمات ويعذب الكفرة الخفافيش والفويسقات ويطرد
الموذيات ويبعد مردة الجنة والشياطين برواجم الساطعات وهذه الجنسية ثابتة وان كان

الفايض الواقع على وجه الارض من النور في غاية الضعف بالقياس الى نور الشمس فعلى
هذا القياس قد علم ان الروح منزه المهيات والاطلاع على المغيبات والاقتدار على احضار
صور المجردات واستخدام ملائكة القوى والروحانيات وارض بقبضته وطى السموات
بيمينه وهذه كلها مضاهاة له مع الله وتشبيه باخلاقه تعم كما اشير اليه في الحديث النبوي
فلذلك وقعت له هذه الضافة المعنوية وخصت بهذه الكرامة الالهية من بين ساير الموجودات
التي ليست لها درجة التجرد عن الماديات والاحاطة بالعقليات من الاسرار
العظيمة المتعلقة بقوله تعم فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون انما تحقق وانكشف لذوي
البصاير المستنيرة بنور الله والصدور المنشرحة للاسلام ان الدنيا مثال الاخرة والقالب
ظل القلب فاحوالها كلها شاهدة على احوال الاخرة والعاقبة بنتيجة السابقة والظاهر عنوان
الباطن فنقل الابدان من القبور الى مواقف الاخرة كنقل الارواح من الابدان الى
المواقف الالهية ليعلم ان الرب نعم غاية قصد الانسان وسعيه كما انه مبدأ كونه وجلوته
فيتحقق معنى قوله تعالى الى ربهم ينسلون وهذا مما لا يتيسر لاحد الاطلاع عليه
الا من جهة معرفة مبادي تكون الانسان وغاياته بعد ما تصور وتحقق ان الانسان
ذو جهتين احد وجهيه جسماني مظلم متغير في ذاته قابل للفناء والاخر منهما روحاني
منير ثابت دايم بدوام علته الفياضية باق ببقاء ربه الحي القيوم كل من عليها فان
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام والوجه الجسماني انما حيوته ودوامه بالوجه النفساني
ومنه يصل الخير والمدد الى هذا الوجه ولو انقطع عن هذا فيضه لحظة لخرب سريعا وانهدم
بناؤه وتعطلت الاته وتفسخت صورته فانت اذا طلبت مبدأ الانسان وفتشت عنه
فعليك ان تطلب وتفتش مبدأ جوهريه جميعا الجسماني والروحاني فاعلم اولا
ان غاية كل شي مرتبط بمبدأه بل هي عينه كما وقعت الاشارة اليه مرارا وان المبدأ
والغاية كلما كانا ارفع من الوقوع تحت الاكوان المتغيرة كانا الى جهة الوحدة
والجمعية اقرب وكلما كانا ادنى وانزل كانا الى التعدد والافتراق اميل ثم اعلم
انه لا بد للحقوق من المرور على المنازل والمراتب عند النزول عن عالم الوحدة والجمعية
ثم الصعود اليها ان ساعده التوفيق بل لكل من الاكوان الطبيعية مبادي مترتبة في
النزول وغايات مترتبة في الصعود الى جهة الحق الذي هو مبدأ كل شي وغايته فمعرفة
المبدأ والغاية للانسان بل لكل شي افضل اجزاء العلوم الحقيقية والمعارف النبوية والعلم
بمعاد الانسان وما يؤول اليه حاله من اهم المطالب وهو الدواء النافع والدرياق الاعظم
والاكسير الاحمر والجهل بالاخرة هو السم الناقع والمرض المهلك وبه يكون مرارة النزع عند الموت
والفزع عند البعث للنفوس المريضة بداء الجهالة فمن عرف انه يجيء من اين عرف ان ذهابه
الى اين ومن تامل في كل واحد واحد من الافاعيل التي لها غايات اختيارية او طبيعية او ذاتية
وتدبر فيما هو المبدأ بالذات لصدورها وما هو الغاية بالذات لورودها لعلم يقينا ان
الغاية في كل شي هي بعينها ما هو المبدأ على وجه اشرف وارفع ونحن بسبيل العلم بحقائق

المبادي المتقدمة لوجود الانسان بكل جزئيه على وجه الاجمال ونشير الى ان العلم بالغايات
منوط بالعلم بالمبادي ليستنتج وينكشف من ذلك الحكم بان الارواح الانسانية لا بد لها
من رجوعها الى ربها اما راضية مرضية مشرقة زاهرة بالاخرة ناظرة واما منحوسة منكوسة
الرؤوس مسجونة مقيدة بالسلاسل محبوسة بالاغلال مطرودة كما من باب الله معذبة
بنار الله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ليتحقق ان الكل مع اختلاف
مراتبهم ومساعيهم وتكثر نشآتهم وحالاتهم راجعون اليه تعالى اما تحصيل مبادي
تكون الانسان واسباب تحققه بكلا جزئيه الجسماني والروحاني فمبادي جوهره الجسماني
بعد الاسباب القصوى المشتركة بين الكل من الملاء الاعلى والجواهر الملكوتية امور اولها
القوة الهيولانية التي قوة محضة واستعداد محض ثم مرتبة الجسم المطلق الذي لا نعت له سوى
الامتداد والانبساط في الابعاد وهو مناط النقص والافة ومنبع الجهل والنسيان والكفر
اذ لا حضور لصورة جزء منه عند جزء اخر والعلم ليس الا ادراك صورة الشي وههنا
غاب الكل في الكل والنفس اذا تعلقت به غابت عن نفسها ونسيت عالمها وربها نسوا الله
فانساهم انفسهم ثم الجسم الطبيعي المركب الذي وجدت له صورة طبيعية غير الصورة
الامتدادية هي مبدأ الكيفيات الفعلية والانفعالية ثم الجسم النباتي الذي له صورة تفعل
النماء وتطلب الغذاء كالنطفة التي حصلت فيها قوة الجذب والنشو وهي العلقة ليس
بعد ذلك كالمضغة ثم الجسد الحيواني الذي تقبل الحس والحركة الاختيارية كالجنين
والطفل ثم البدن الانساني الذي فيه قوة الفرق بين الضار والنافع والخير والشر فهذه
خمسة مبادي واجزاء متداخلة وخمسة حجب مترتبة جسمانية للانسان عن باريه سبحانه
بحسب هويته الجسمانية واما المراتب التي بازائها بحسب هويته الروحانية عند ترقي
الابصار فاولها كمال النفس وقت تعلقها بالجسم المفرد الذي لا نعت له سوى الجسمية
ويكون اسمها في هذه المرتبة الطبيعية ثم كمالها عند كونها في الجسم المركب واسمها
عند ذلك القوة المزاجية ثم كونها في درجة الاجسام النباتية واسمها النفس النامية
ثم كونها عند تمامها نفسا حيوانية كما في مرتبة الجنينية او الصبوية فان احدهما حيوان نايم
والاخر حيوان مستيقظ ثم كونها عند تمامها نفسا ادمية كما في مرتبة البلوغ وههنا غاية
امتزاج النفس بالبدن وتواصلها بقواها والاتحاد ونهاية تعانقهما بجنودهما وللحق
ان يقال عند ذلك برز الاسلام كله والكفر كله ثم بعده تفترقان في التوجه الى الغاية
ويستدعيان البلوغ الى الموطن الاصلي فينبغا لبان فيقع التطارد بين جندي
الملائكة والشياطين في معركة القلب والقلب متردد بينهما وهو في التغير والانقلاب
دايما من جهة هذه الاسباب فالشهوات واغراض الدنيا الدنية منبعثة من القوى
البدنية بوسوسة الشيطان وهو موجود خلقه الله لعمارة هذه النشأة الادنى
وبناؤها بجنوده الشريرة من الشهوة والغضب والكبر والحسد فطول الامل ونسيان

الاخرة واليأس من رحمة الله والامن من مكر الله وغيرها مما يجري مجرى هذه
الصفات والعلوم والمعارف والتقدس والطهارة والتقوى منبعثة من القوى
الروحانية بالهام الملك وهو موجود ابدعه الله لعمارة الدار الاخرة بجنوده
الخيرة الفاضلة من الصبر والشكر والخضوع والتواضع والزهد والقناعة والخوف
والرجاء والتملق والدعاء والهيبة والخشية وغيرها مما يجري مجرى هذه فالقلب
واقع ما دام التطارد باقيا بين الجندين فيما بين الملك والهامه والشيطان
والهامه لقوله فالهمها فجورها وتقويها ولقوله ص قلب المؤمن بين اصبعين من
اصابع الرحمن الى ان يفتح القلب لاحدهما فيستوطنه الروح ويكون اجتياز الثاني
بمجرد اختلاس وبه يتحقق حكم السعادة والشقاوة في الاخرة فمراتب الروح
بعد ذلك الفتح بحسب الغاية ايضا خمس فانها اذا تهيات لرحمة الله والثواب
الاكتساب واستعدا للنظر في عالم الملكوت كان اسمها العقل العملي والنفس المطمئنة واذا
نظرت في حقايق الاشياء وتاملت في العالم الالهية والمقاصد الايمانية تسمى بالعقل النظري
والنفس الفاكرة واذا حصلت لها قوة المكالمة الحقيقية مع الحق ومشاهدة الحقايق
بنور مستفاد من الله تعالى في قلبه يسمى بالنفس الناطقة واذا اتصلت الى لقاء
الله وانخرطت في المقربين يسمى بروح القدس وحينئذ بلغت الى غايتها الاصلية من
غير علوق شيء من الاضداد والخصوم ومزاحمة شيء من العوايق والموذيات والهمها
واما اذا كانت الغلبة للجند الظلماني بجنوده الظلمانية وقواه الشيطانية وكان الروح
اسيرا بيد الشيطان وجنوده فلا يبالي في اي واد يهلكه من اودية الظلمات وفي
درك يستهوي به من دركات الجهالات وهذه الدركات الجحيمية معادن الشياطين
ومهالك الروح الانسانية عند متابعة النفس والشيطان ومع ذلك يكون مرجع
الكل الى ربهم وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا الا ان حشر الخلايق اليه تعالى على انحاء مختلفة
حسب اعمالهم ودرجاتهم فبعضهم مستويا وبعضهم منكوسا والقوم على سبيل الوفد
يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا والقوم على وجه التعذيب ويوم يحشر اعداء الله الى
النار فوربك لنحشرنهم والشياطين وحشر لكل احد الى ما هلك او الى ما يعمل لاجله ويحبه
احشروا الذين ظلموا وازواجهم حتى انه لو احب احد حجرا لحشر معه هذه
الاختلافات الكثيرة متحققة فيما يحشر اليه الناس ومع ذلك فالجميع محشورون اليه تعالى
واليه مصير كل صايرة الا الى الله تصير الامور كما منه بدء وكل بادوا اليه معاد كل موجود وكما
منه نشو كما نشا الله بدا الخلق ثم يعيده ثم اليه تحشرون وذلك لسعة مملكته وتعدد
جهاته وكثرة اسمائه وشدة قوته واحاطة علمه وسمعه وبصره وتجرد ذاته عن الاغشية
والحجب فالزمان علة التغير والتجدد مطلقا وهما مناط الغيبة والخفاء فاذا ارتفعا
في القيامة ارتفعت الحجب بين الخلايق فيجمع الخلايق كلهم الاولون والاخرون في صعيد

القيامة لاهل القيامة فهي يوم الجمع يوم يجمعكم ليوم الجمع في تصوير معنى هذه
الاية وتحقيق خروج الخلق سراعا من القبور الى الله واسراعهم من الاجداث الى ربهم مما
يجب ان يعلم كل من له نصيب من علم الكتاب وله قدم في العلم بما فيه من الخطاب ان الانسان
من لدن حدوثه وتولده عند كونه نطفة ذات صورة طبيعية الى نهاية امره يكون ابدا
في التحول والانفعال نفسا وبدنا وفي السفر والارتحال سرا وعلنا وفي التبدل والتطور
من منزل الى منزل ومن حال الى حال ومن صورة الى صورة ومن صفة الى صفة الى هذا
الوقت الذي بلغ اشده وهذا امر ظاهر لمن نظر في احوال الانسان ولاحظ تقلباته
وتوجهاته من كونه اولا نطفة ثم مضغة ثم علقة ثم جنينا ثم خلقا آخر فتبارك الله احسن
الخالقين ثم تدرج في التوغل في نشاة اخرى من كونه صبيا مميزا ثم رجلا عاقلا ثم
شكورا ثم حكيما وقورا وهكذا لا يزال في الامعان الى تقوية الباطن وتوهين الظاهر
والتقرب الى عالم الغيب والخروج عن عالم الشهادة نسيا نسيا فيصير كهلا ثم شيخا
ثم هرما مضمحلا ثم فانيا كل ذلك بحسب طبعه وجوهره لا بامر اتفاقي او عرضي وقسري
ثم اذا بطلت منه هذه الحيوة الدنياوية بطلت صورة التاليف وحصل الافتراق والانفصال
ثم لا يبقى في هذا الانفصال ايضا بل يمعن البدن في الانحلال والتوجه الى مراكز الاثقال حتى
ينتهي الى الارضية ثم الى الهيولوية والجوهرية الصرفة ويمعن النفس اذا كانت على الاستقامة
في اطوارها واحوالها حتى يبلغ الغاية القصوى التي موطنها الاصلي وذلك لان كل شيء
يتحول من مرتبة الى مرتبة ومن منزل الى منزل بحسب الطبع فله للعشر حيث يرتحل
ويبعد من مرتبة ويتوجه ويسلك الى مرتبة اخرى يكون غاية طبيعية ذاتية هي اخر
ما يطمئن اليه ويسكن لديه ويتوطن فيه ولا بد ايضا ان يكون هي اصلح الحالات واوفقها
له وانسب المراتب والدرجات واليقها لديه وما ذلك الا ما يكون سببا ذاته ومقوم وجوده
فغايته ما يناسب منه وهو الموطن الطبيعي والموقف والمعدن الاصلي دون غيره من المراتب
والغايات الضاقية والحدود التي في الاوساط لان كلا منها لو كان غاية حقيقية لما وقع
التوجه منها الى غيره توجها طبيعيا ذاتيا ودأب الرحمة الالهية ان يمسك الشيء على اشرف
الحالات التي يليق بذوات المراتب التي يتصور في حقه من غير انتقال منه وانتقال عنه
وتمامية الشيء وكماله انما يحصل له عند وصوله الى الحالة الاصلية التي كانت له بحسب الذات
اذ هي مما يوافق ذاته ويلايم طباعه وكل ما يكون غير تلك الحالة له من سائر الحالات
فهي لا محالة غريبة عن ذاتها مولمة لها والحالات الغريبة عن الشيء تزول عنه فيرجع الشيء
آخرا الا الى الصفة الاصلية التي كانت لها اولا كما ان الحالة الاصلية للشيء انما يحصل له في
مادتها الطبيعي والمادي الطبيع للنفوس والارواح الانسانية عالم الاخرة التي هي باطن هذا
العالم الظاهر وغيب هذه الشهادة وهو عالم الارواح وموطنها الحقيقي ومعادها بحسب
طبقاتها ودرجاتها ومعادنها الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ومبادي النفوس
ومواطنها مختلفة وكلها من عالم الملائكة النورانية على كثرة طبقاتهم وكل منها يرجع الى
اصله ان لم يزاحمها شيء من العوايق والشياطين قل كل يعمل على شاكلته ولكل درجات مما

عملوا فالنفوس الصالحة المضيئة تحشر في زمرة الملائكة وتاوي الى رحمة الله والنفوس
الشقية تحشر مع الشياطين ممنوعة عن عالمها ومعدنها لم ينكس ولم تطمئن من انزعاجها
واستغرارها لانها كانت في ماويها الاصلي حية نضارة لطيفة عالمة قادرة بقوة صفاتها
وسائحة في عالمها فرحانة مطمئنة عند باريها في مقعد صدق عند مليك مقتدر فاذا هبطت
من عالمها وماويها وجنة ابيها وانحطت الى السفل وحولت الى الدنيا واجسامها المكدرة
الظلمانية انقلبت حيوتها موتا وتبدل اختيارها اضطرارا ولطافتها كثافة وقدرتها
عجزا وعلمها جهلا فزالت كرامتها وشرفها وكمالها الى المذلة والهوان والخسة والنقص والوبال
وصدرت منه معاصي كثيرة واثام غريبة كمن عرض له مرض شديد وكما ظهرت منه
اثار كثيرة غريبة كالحرارة الشديدة وهي علامة النار والثقل العظيم وهو من الارض ونوبة
الطافة وهو من الهواء وسال العرق من مساماته وعروقه كقطرات الامطار وهكذا الحال
على الاتصال الى ان يعود الى الحالة السابقة الاصلية فتنعدم هذه المتولدات وتنفقد
شيا فشيا الى ان تزول بالكلية ان ساعده التوفيق فهكذا حال النفس في سقوطها عن
مرتبتها وهبوطها عن شانها حيث تكونت منها امور مختلفة عند نقصانها وضعفها الذي
لحقها بسبب بعدها عن مقرها وعالمها اذ البعد عن الموطن الاصلي مثار الضعف والافة
ومناط الكثرة والانقسام وتوزع الهمال واختلاف الاحوال فاذا عادت الى معادها ازالت
الكثرة والتفرقة عنها بالكلية كانها لم يكن ان لم يزاحمها قيود السلاسل والاغلال المستحجبة
اياها من جهة امتزاجها بالارذال وعلوق غبار الهيئات الردية وظلمات الاعمال السيئة
المقترنة بها بسبب مجاورة الاقران السوء وشوم صحبتهم ورجس خلطتهم الا ترى
ترى الى الماء النازل من السماء كيف كان مجموعا في ماواه الاصلي ذا وقار وثقل وطمانينة
وصفاء تترائى فيه الصور والنقوش فاذا انتقل الحيز الادنى تبدلت الجمعية بالتفرقة
والثقل بالخفة والاطمينان بالاضطراب والصفاء والاستقامة بالكدورة
والاعوجاج بوقوعه في الاودية الفلاة وشعب الافاق ثم اذا رجع الى ماواه الذي
كان فيه زالت الاحوال الغريبة والافات وعادت الحالة الاصلية وكان قد تحصل
عن قطرة ثم عاد اليها بعد تطورات وتشكلات باشكال غريبة وتسميات باسماء
كثيرة فكان بحرا فاذا تبخر سمي بخارا واذا تراكم بخاره سمي سحابا واذا تقاطر
سحابه سمي مطرا واذا سال سمي نهرا واذا اتصل النهر بالبحر سمي بحرا كما
كان وكذا القياس في غيره من الاركان وفي كل جماد ونبات وحيوان فانظر الى
حال السمك في مكان السمندل والسمندل في مكان السمك قد فصلنا الايات لقوم
يفقهون قوله سبحانه قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون قرئ يا ويلتنا وفي مصحف ابن مسعود من اهبنا
من هبت من نومه اذا انتبه واهببته غيره وقرئ ايضا هبنا بمعنى اهبنا وقرئ
من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر المجرور بها لا على من الاستفهامية
وصيغة الماضي الموصول بها وهذا مبتدا خبره ما بعده سواء كان الخبر مفردا ان

كانت ما مصدرية او جملة من صلة وموصول ان كانت موصولة ويكون المجموع جملة
مستانفة ويكون من بعثنا من مرقدنا كلاما تاما يوقف عليه ويحتمل ان يكون هذا صفة لمرقدنا
اي مرقدنا الذي كنا رقودا فيه فيكون الوقف على مرقدنا هذا ويكون ما وعد مبتدا خبره
محذوف تقديره اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم او يكون خبر مبتدا محذوف
اي هذا وعد الرحمن اي فلما راوا اهوال القيمة وشدايدها لكونهم صاروا بسبب خروجهم
عن قبورهم وقيامهم عن منامهم مكشوفي الغطاء حديدي البصر قالوا يا ويلنا من بعثنا
من مرقدنا وحشرنا من منامنا الذي كنا فيه نياما ثم قيل لهم هذا بعينه ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون اي هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد
والصدق ان جعلت ما مصدرية واما ان جعلت موصولة فيكون معنى الذي صدقه المرسلون
الذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني سن
بكره وانما يطابق هذا الجواب لسوالهم عن الباعث لهم عن مرقدهم لكونه بمعنى بعثكم الرحمن
الذي وعدكم البعث وانباكم به رسله الا انه جي به على نهج التخويف والتهويل لقلوبهم
والنعي ليهم في احوالهم وذكر منشا فعلهم واهوالهم من سبق كفرهم بالله وتكذيبهم الرسل
والاخبار لهم بوقوع ما انذروا به على سبيل لسان الانبياء ولا يبعد ان يكون المراد من
طي الجواب ان الحال اشد عليهم من ان يسع لهم السوال وتساهلوا الجواب عن سبب
البعث والنشور كانه قيل لهم ليس البعث الذي عرفتموه من بعث النايم في الدنيا من
مرقده حتى يسع لكم السوال عمن يبعثكم ان هذا هو البعث الاكبر والقيامة الكبرى ذات
الشدايد والاهوال والاخواف والافزاع وهو الذي وعده الله في مواضع كثيرة من كتبه
المنزلة على السنة رسله الصادقين ومعانيها الواردة على قلوب اوليايه الصالحين
واختلف اهل التفسير في ان القايل لهذا الكلام من هو فعن مجاهد انه كلام الملائكة حيث
يقع للكفار هجعة بعد النفخة الاولى يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور
الصيحة الثانية قالوا من بعثنا من مرقدنا فقالت لهم الملائكة هذا ما وعد الرحمن
وعن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وعن قتادة نحو ذلك حيث قال اول
الاية للكافرين واخره للمسلمين قال الكافرون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقال
المسلمون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وقيل تمامه كلام الكافرين يتذكرون
ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وقيل انهم لما عاينوا الاهوال
القيامة عدوا احوالهم في قبورهم بالاضافة الى الاهوال رقادا وقال قتادة هي النومة
بين النفختين لا يفتر عذاب القبر الا فيما بينهما فيرقدون قد تحقق عند النفوس
المستنيرة بانوار العلوم الاخروية والمعارف السلوكية ان الانسان ابدا في التحول والانتقال
من مراتب الدنيا الى فضاء الاخرة وهو دايما في القيام والانبعاث من هذه القبور واللحود
الى ساهرة القيامة وهو لا يزال في طلب الخروج والارتحال بحسب الجبلة من مكامن

ارحام النشاة الاولى الى سعة عرصات النشاة الاخرى بل له كل ساعة ولحظة
خلع ولبس جديد الى ان يلقى الله تعم اما فرحا نا مسرورا واما معذبا مقهورا لقوله
تعم يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه فاما من اوتي الايات واكثر الناس
فى غفلة عن بصيرة وذهول عنه لقوله تعم لقد كنت فى غفلة عن هذا وقوله بل هم في
لبس من خلق جديد وقوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب فمن هنا
الجهل المحيط بهم نشا تعلقهم بهذه الحيوة الفانية واخلادهم الى هذه الاجسام البالية
وركونهم الى البدن ونسيانهم امر العاقبة وجعلهم الدنيا نصب اعينهم والاخرة خلف
اذانهم وانكبابهم الى الشهوات واعراضهم عن سماع الايات فكل هذه الامور ناشية
من ذهولهم وغفلتهم عن زوال الدنيا وثبات الاخرة وجهلهم بان الدنيا ليست الا
لحظات اوهام وخطرات افهام ولمحات ابصار وفلتات خواطر ولهذا تعجبوا عند
ظهور الساعة وتحقق البعث والكشف قائلين يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فقيل لهم هذا ما
وعد الرحمن وصدق المرسلون فهؤلاء وهم اكثر الناس منكرون بالحقيقة للقيمة والبعث شاكون
فى قيام الساعة وتحقق المعاد يوم يرونه بعيدا ونراه قريبا واما المقر بالاخرة المؤمن بالمعاد
الموقن بيوم الحساب فهو الذي تنبهت نفسه من نوم الغفلة ورقدة الضلالة وانبعث
من موت الجهالة وحيي بروح للعارف وانفتحت لها عين البصيرة فيشاهد يوم القيمة وبرى
كانها قد قامت فاذا سئل فقيل له كيف اصبحت قال اصبحت مؤمنا حقا فاذا قيل له وما حقيقة ايمانك قال
ارى كان القيمة قد قامت وكانى بعرش ربي بارزا وكان الخلايق فى الحساب وكانى باهل
الجنة فيها متنعمين وباهل النار فيها معذبين فقيل قد اصبت فالزم يعني الطريق كما ورد في
الحديث المتفق على صحته وهذا بعينه حال من مات عن حيوة هذه النشاة وحيي بحيوة الاخرة
فقد قامت عليه الساعة وان كان بعد فى الدنيا بحسب الصورة الظاهرة لقوله صم من مات فقد
مات قامت قيامته واما القيامة الكلية فهي انما يتحقق عند موت الجميع وفناء الكل والعارف لا
فى مشاهدة احوال الاخرة الى فناء الكل وقيام الساعة على الجميع لانه من اهل الاعراف المشاهدين
للحكام الاخرة واحوال الدنيا جميعا العارفين بمن فى الجنة والنار لقوله تعم وعلى الاعراف رجال
يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت
ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وهم الرجال الذين لا
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله لانهم قوم انبعثوا من موت الجهالة وانتبهوا من رقدة
الغفلة وانفتحت بصيرتهم واستبصروا بعين اليقين ونور الهداية وشاهدوا يوم جمع الخلايق
وحشرهم وحسابهم لانهم حاسبوا انفسهم قبل ان يحاسبوا يوم حساب الخلايق وهم
قوم استوت عندهم الاماكن والازمان وتساوت الامور وتصاريف الاحوال فقد صارت
الايام كلها يوما واحدا لهم وعيدا واحدا وجهة واحدة تحققهم لتحققهم بقوله صم بعثت انا
والساعة كهاتين فيوم واحد لهم كالف سنة مما تعدون وخمسين الف سنة لغيرهم وصارت
الاماكن كلها مسجدا واحدا لتحققهم بقوله صم جعلت لى الارض مسجدا والجهات كلها قبلة واحدة

لقد صح

لتحققهم ايما تولوا فثم وجه الله وصارت حركاتهم كلها عبادة وسكناتهم طاعة واستوى عندهم
مدح المادحين وذم الذامين وتقلبات الامور وتصاريف الاحوال فى الازمنة والدهور
لتصديقهم قوله تعم ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبراها
ان ذلك على الله يسير لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم وكانت الدنيا وما فيها حقيرة
عندهم كما قال امير المومنين عم والله ما دنياكم الا كعفطة عنز والله لدنياكم عندي اهون
من عراق خنزير في يد مجذوم قوله سبحانه ان كانت الا صيحة واحدة ثم اخبر سبحانه
عن سرعة بعث الخلايق الى المحشر وسعيهم اليه بعد يوم العرض الاكبر بان تلك المدة لم تكن الا
صيحة واحدة بالقياس الى قدرة الله تعم وعالم قدرته وجبروته وسكان ملكوته من اهل قربه وولايته
وان كانت صيحات عظيمة كثيرة حسب كثرة الخلايق متمادية الازمنة والدهور بالقياس الى من يقع
عليهم من اهل القبور وسكنة عالم الهلاك والدثور وهذا كما ان الصيحة الصغرى نفخة واحدة
لموت شخص واحد وقيامه وهي نفخات متعددة متمادية بالقياس الى كثرة اعضائه وقواه فان
جميع احوال القيامة الصغرى واهوالها عند موت انسان واحد وبعث روحه ونشر صحيفته
وزلزلة ارض بدنه واندكاك جبال عظامه وانفجار عروق جبينه وتكور شمس قلبه وانكدار نجوم حواسه
وتعطل عشار قواه كلها دلائل وشواهد على احوال القيامة الكبرى التي لجميع الخلايق لقوله صم من مات
فقد قامت قيامته وذلك لكون الانسان عالما صغيرا فيه انموذج من جميع ما في العالم الكبير ولست
اطول في موازنة جميع الاحوال ولكني اقول كما قال بعض محققي الاسلاميين وكلمائهم وموحديهم
ان بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة ولا يفوتك من القيامة الكبرى شئ مما يخصك بل ما يخص
غيرك فان بقاء الكواكب فى حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التي بها تنتفع بالكواكب
والاعمى يستوي عنده الليل والنهار وانكساف الشمس وانجلاءها لانها قد كسفت فى حقه
دفعة واحدة وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره وكذلك من انشق راسه فقد انشق
سماؤه اذ السماء عبارة عما يلي جهة الراس فمن لا راس له لا سماء له فمن اين ينفعه بقاء السماء في حق
غيره فهذه هي القيامة الصغرى والخوف بعد الخوف والهول بعد الهول ووراء ذلك القيامة الطامة
الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والارض ونسفت الجبال وتمت الاهوال فهذه الصغرى
وان طول فى وصفها فانا لم نذكر عشر عشير اوصافها فهي بالنسبة الى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى
بالنسبة الى الولادة الكبرى فان للانسان ولادتين احديهما الخروج من الصلب والترايب الى مستودع
الرحم فى قرار مكين الى قدر معلوم وله فى سلوكه الى الكمال منازل واطوار من نطفة وعلقة ومضغة
وغيرها الى ان يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة
الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه بالموت الى
سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا ايضا الى الرحم بل اوسع واعظم بكثير فقس الاخرة بالاولى فما خلقكم ولا
بعثكم الا كنفس واحدة وما النشاة الثانية الا على قياس النشاة الاولى اذا فهم النشاة الاولى فلولا تذكرون
بل اعداد النشاءات ليست محصورة فى اثنتين وننشئكم فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين مومن بعالم الغيب
والشهادة موقن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى
احد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالاعور الدجال قوله سبحانه فاذا هم جميع
يعني اذا نفخ فى الصور نفخة واحدة اجتمعت الخلايق كلهم حاضرين عند الله كما كانوا دائما وعند
انفسهم جميعا فى ساهرة واحدة لارتفاع الحجب الواقعة بينهم بالموت فيشاهد بعضهم بعضا وكلهم

موضوعا تد

القيامة

القيامة

كلا فكل من وجد في وقت من الاوقات وفي حيز من الاحياز من اول الدنيا الى اخرها فهو يحشر مع مجموع
مع غيره في زمان واحد متصل هو مجموع الازمنة ومكان واحد متصل هو مجموع الامكنة ومجموع
الازمنة كساعة واحدة في القيمة ومجموع الامكنة كمجلس واحد في الحشر وتحقيق ذلك ان الموجودات
الدنياوية لها اكوان ناقصة لانها من حيث كونها الدنياوية امور مادية وموجودات تعلقية لا نحو اهما
المتفرقة الى مواضعها فهي لنقص تكونها وضعف وجودها وتغيرها وانقلابها من صورة الى صورة
وانتقالها من حال الى حال يحتاج كالاطفال والصبيان الى قابلة كالزمان ومهد كالمكان وقد سبق
منا ان المتحرك من حيث كونه متحركا كالحركة في كونها غير قار الذات وكذا الزماني كالزمان والمكاني
كالمكان وكل واحد من الزمان والمكان من الامور الضعيفة الوجود لان وجود كل جزء من كل
منهما يقتضي عدم الجزء الاخر وحضور كل جزء يقتضي غيبة الجزء الاخر واما وجود الاخرة
فهو الكون التام وموجوداتها اكوان دائمة ثابتة مستقلة فيعزل التغير عن المتغير والزوال
عن الزائل والغيبة عن الغايب فيتصف المتغير هناك بالثابت والغايب بالحاضر لان الاخرة
دار الحقايق ولكل شيء حقيقة ثابتة فلزمان الاخرة خاصية البقاء والثبات وللمكان خاصية
الحضور والجمعية يوم يجمعكم ليوم الجمع لكن اذا اريد ان يخبر عنهما للمحبوسين في حبس الزمان
والمسجونين في سجن المكان يعبر عنهما بامثلة زمانية او مكانية فعبر عن حقيقة الزمان باقل
زمان لان الموجود من الزمان عند الجمهور ليس الا ما يسمونه انا فقيل وما امر الساعة الا
كلمح البصر او هو اقرب واذا اشير الى مكان الاخرة وحقيقة المكان عبر عنهما باوسع مكان
لان المكان شانه السعة والاحاطة ويتحدد باوسع الاجسام فقيل عرضها السموات
والارض وكذلك يعبر عن زمان القيمة بالساعة وعن مكانها بالساهرة فيكون الخلايق
مجموعين حاضرين في محشر واحد في ساعة واحدة فكما ان يوم القيمة يجمع فيها الناس
كلهم من الازل الى الابد فكذلك يجمع الاولين والاخرين في وجه الارض بساحتها المعينة التي لها عند
المهندسين فهنا يصير يوم القيمة انبساط وتمادي بحسب تمادي الازمنة المارة عليه
فان وجه الارض في كل لحظة وساعة غير ذلك الوجه في لحظة وساعة اخرى ووجه الارض باعتبار
محليته لوقوع خلايق عليها غيره باعتبار محليته لوقوع خلايق اخرى فاذا اجتمعت يوم القيمة
الخلايق الواقعة في القرون والدهور الماضية والمستقبلة اجتمعت بحسبها وجوه الارض التي
كانت الخلايق جميعا فيها من ابتداء الدنيا الى انقضائها في كل قرن ودهر فيكون وجه الارض يومئذ
بمقدار تسع فيه اهل الحشر كلهم ومن هاهنا يزول الاستبعاد ويندفع استنكار اهل الجحود
والعناد ويحل شبهة المنكرين للمعاد في حضور الخلايق كلهم السابقين واللاحقين في صعيد واحد
لعدم تصورهم ارض القيامة التي هي بوجه غير ارض الدنيا يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات مطويات بيمينه وبرزوا لله الواحد القهار قوله سبحانه فاليوم لا تظلم نفس
شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون لانه يوم ايفاء الحقوق وجزاء الاعمال على وجه الحق
والعدل في الثواب والعقاب اذ لا حكم لاحد غير الواحد القهار لارتفاع الاسباب العرضية
والعلل الاتفاقية وانعدام اسباب الجور والظلم من جهالة الحكام وعجزهم من امضاء
الاحكام على التمام وتدليس المتحاكمين وابداءهم الشبه والاوهام ولانتفاء القواسر والموانع
وانسلاب التزاحم والتصادم والتضايق وغير ذلك من الامور التي هي من باب ضروريات
الاكوان الدنياوية والقوابل المادية المركبة من العناصر المتضادات والاركان المتفاسدات
الموجبة للتغالب والتفاسد في الموجودات المتغيرة الاحوال المتخالفة الاغراض والامال
واما الدار الاخرة فالموثر هناك اسباب عالية باذن ربهم وعمال موتمرة بامر موجدهم

لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون والمتاخرة نفوس وارواح انسانية بحسب نياتهم
ونياتهم مجردة عن الاغشية والالبوسات ووساوس النفس وسوء العادات وبالجملة الظلم اذا لو
وقع فانما يقع اما من الشخص على نفسه او من غيره عليه وكلاهما مستحيلان يوم الاخرة اما استحالة
الثاني فيه فان المؤثر في الشيء هناك ليس الا ما هو علة ذاتية لذلك الشيء لارتفاع الاسباب العرضية
والمبادي القسرية وعدم تزاحم الامور وتصادم الاسباب الاتفاقية وتضايق الوجود فيه والعلة
الذاتية للشيء مقوم لوجوده ومحصل لذاته وملائم لطبعه فلا يظلم ربك احدا واما استحالة
الشق الاول فلان ما يصل الى احد في الدار الاخرة ليس الا الحاصل ما فعله في الدنيا لانها دار الثواب
والجزاء بلا عمل كما ان الدنيا دار العمل بلا جزاء فان وقع ظلم من احد على نفسه فقد وقع في
الدنيا لا في العقبى ولهذا قال بعض الكبراء ليس الخوف من سوء العاقبة انما الخوف من سوء السابقة
الشقي شقي في بطن امه اي في الدنيا فقد ثبت قوله فاليوم لا تظلم نفس شيئا اي لا ينقص
من له حق من حقه من الثواب ولا يفعل به الا بما لا يستحقه من العقاب اذ الامور جارية على
مقتضى الحق والحساب معمولة على قانون العدالة والصواب وذلك قوله ولا تجزون الا ما كنتم
تعملون ان قوله فاليوم لا تظلم نفس شيئا مما يشعر بانحصار تحقق الظلم والشقاوة في
هذه الدنيا الفانية واما الواصل الى الاشقياء من عذاب النار وشدايدها فانما هي نتيجة اعمالهم
في الدنيا وظلمهم على نفوسهم فيها لقوله وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي بما سبق
منهم في الدنيا وليس يتصور منهم ظلم مستانف في الاخرة لا على انفسهم ولا على غيرهم والسبب الالهي
لاختصاص وقوع الظلم والشر في الدنيا دون الاخرة مع ان الالة والمؤثر فيهما جميعا واحد
حق يفعل ما يشاء ويختار ما يريد من غير مدافع او مشارك هو ما وقعت الاشارة اليه من
انها دار الحركات والاستعدادات لانها واقعة في اخر الدرجات من الوجود وفي اسفل الدركات
من مراتب الخير والجود وبعد مرتبتها في النزول والخسة ليس الا العدم المحض والبطلان
بل وجودها في مرتبة العدم الا انها بحسب سنخها وجوهرها الهيولى مما لها قوة وجود اشياء
كثيرة وفيها استعداد الصور الحسية والنفسية والروحية بحسب امتزاجات وقعت بين عناصرها
المتضادة التي كل منها لا يتحرك عن مواضعها الطبيعية الا باسباب سماوية منبعثة لاغراض عالية
ومقاصد عقلية مترتبة على اشواقها الكلية وحركاتها الدورية بحسب قضاء الله ومشيته المقتضية
نشو الكاينات من الحيوان والنبات بعناصرها المتضادة وموادها المتفاسدة ثم لما كان نوع
الانسان اشرف انواع الحيوان وكان له استعداد الارتقاء الى مرتبة الشرف والكمال واحتمال البقاء
والدوام في نشاة اخرى هي نشاة التمام ويوم قيام الخلايق بين يدي الحق العلام ولا يمكن استكماله
الى هذه الغاية الا باسباب اخرى خارجية اتفاقية من التاديب والتهذيب والارشاد والوعد
والايعاد منبعثة من جانب المبدا الجواد بانزال الملائكة والكتب والرسل للانذار والهداية
الى يوم المعاد وسبب انتظام العباد ولا يتعيش وجوده الدنياوي ايضا الا بتعاون وتمع من
بني نوعه وجنسه وتمدن واجتماع ومعاملات وحكومة وسياسات وحدود وجرائم وقعت من

سلطان قاهر له او عليه وهذه جملة من الاسباب لا ينعقد الا ويلزمها نقايص وآفات وتمام
شرور وظلامات فقد قضى الله بوجود هذه الشرور في هذه الدنيا لكونها لازمة للخيرات الكثيرة
هي اسباب سياقة عباده الى رضوانه فعلم ان الظلم في الدنيا مقتضي والعدل مرضي واما الآخرة
التي هي دار المتقين ففيها عدل بلا جور وخير بلا شر ولهذا قال نعم في حق حبيبه وللآخرة خير لك
من الاولى وقال حكاية عن دعاء خليله والحقني بالصالحين وقال وليه اخو رسوله
عليهما السلام عند ضربه شهد فيها رب فزت ورب الكعبة وذلك لان الدنيا مشحونة بالآفات
والمحن والظلم والجور على اولياء الله واحبائه ويحكى عن بعض من يعتقد هذا الرأي انه لقي اخا
من اهل زمانه فقال له كيف اصبحت يا اخي في هذه الدنيا قال بخير نرجو خيرا من هذه الدنيا
ان سلمنا من آفاتها وبلياتها ان شاء الله فكيف انت وكيف حالك فقال كيف حال من يصبح في دار
غربة اسيرا فقيرا لا يقدر على جر منفعة ولا يجوز دفع مضرة قال الاخ وكيف ذلك قال لانا قد اصبحنا
في الدنيا معذبين في صورة المنعمين مجبورين في صورة المختارين مغرورين في صورة المغبوطين
احرارا كراما في صورة عبيد لها تين مسلط علينا خمسة حكام يسوموننا سوء العذاب ينفذون علينا
احكامهم شئنا او ابينا قال له الاخ اخبرني من هؤلاء الحكام قال نعم اولهم هذا الفلك الدوار الذي
نحن فيه محبوسين وكواكبه هذه السيارة التي لا تزال تنحدر علينا لا تهدأ ولا تسكن تارة بحيا
بالليل وظلمته وتارة بالنهار وهاجرته وتارة بالصيف وحرارته وتارة بالشتاء وبرودته وتارة
بالرياح العاصفة وتارة بالغيوم الغاشية والامطار والبروق الخاطفة وتارة بالصواعق
والزلازل المهلكة والاخاويف الموحشة والخسوفات والكسوفات والانقلابات المظلمة وتارة بالجدب
والغلاء وتارة بالموتان والوباء وتارة بالحروب والفتن والبلاء وتارة بالهموم والاحزان ليس
منها خلاص ولا من هذه سهامها مناص الا بالموت واما الآخر فهو هذه الطبيعة وامورها المركوزة
في الجبلة من حرارة الجوع ولهيب العطش ونار الشوق فحريق الشهوات والآلام والامراض والاسقام
وكثرة الحاجات ليس لها شغل الا طلب الحيلة لجر منفعة او لدفع مضرة عن هذه الاجسام
التي لا تقف على حالة ولحدة طرفة عين فنفوسنا في جهد وبلاء وكد وعناء وبؤس وشقاء ليس
لنا راحة منها الا الممات فهذا اثنان واما الثالث فهو هذا الناموس الاكبر واحكامه وحدوده واوامره
ونواهيه ووعده ووعيده وزجره وتهديده وتوبيخه والم الجوع عند الصيام وتعب
الابدان عند القيام ومجاهدة النفس عند اخراج الزكوات وتعب الاسفار عند قضاء الحج ومشقة
الابدان عند المهاجرة وجرحها بالسيف والسنان عند المجاهدة ومحاربة اهل الكفر والعدوان
والبغي وذلك من الآلام وترك اللذات والراحات وشدايد اجتناب الشهوات والمحرمات واما الرابع
فهذا السلطان المسلط الجابر المالك للرقاب قهرا وجبرا والمستعبد للعباد جبرا وكرها فانا
حينا نخدمه ونطيعه طاعته بما نقاسي من الجهد والبلوي اكثر من ان يحصى من تعب الاجساد
وهموم النفوس وعناء الارواح مع تضييع العمر في خدمته وسخط الباري يوم القيمة وعذاب
الآخرة والحجاب عن الله في طاعته وان فررنا من سلطانه فلا يطيب العيش لنا الا هكذا لافتقارنا
في الدنيا الى التعاون والتمدن والسياسة والرياسة فهذه اربعة واما الخامس فهو شدة
الحاجة الى مواد خارجية ولحذيه بدنية لا قوام لهذا الهيكل الا بها من المأكول والمشروب واللباس
والمسكن والمنكوح والمركوب وما لا بد منه في قوام هذه الحيوة الدنيا وما نقاسي من الجهد
والبلوي في طلبها ليلا ونهارا في تعلم الصنايع الشاقة والتجارات المتعبة والمكاسب المكدرة
من الحرث والزرع والبيع والشرى والمناقشة في الحسابات والمكايسة في المعاملات والحرص

والشره في جمع الاموال وحفظها من اللصوص وحراستها من الآفات العارضة ومكابرة القطاع ومنازعة
اهل الجور والظلم فهذه حالنا واكثر ابناء جنسنا في هذه الدار واما من يريد المقام في الدنيا ويتمنى الخلود
فيها مع هذه الآفات والشدايد فهو اما غير مؤمن بالآخرة ولا مصدق بالمعاد او المتصور للوجود
الا هكذا او توهم ان بعد الموت عدما صرفا او شرا محضا على العالمين بشيء من الآخرة كما يئس الكفار
من اهل القبور واما من تصور كيفية الدار الآخرة وحقق امر المعاد وعرف فضيلتها وشرفها وسرور اهلها
ولذات السعداء ونعيمهم وملكهم فاني عنده لفي التمني للخلود في الدنيا والاخلاد الى الارض وطلب
الرفعة والرياسة فيها الا خللا وسفها اوفسادا في اعتقاده وايمانه كاكثر من نراه من المنتسبين
الى الايمان وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون حجة هذه الآية ونظايرها كقوله
هل تجزون الا ما كنتم تعملون وقوله ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وقوله يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وغيرها نصوص جلية وبراهين واضحة على ان الثواب والعقاب في دار
الآخرة انما يكونان بنفس الاعمال والاخلاق الحسنة والسيئة لا بشيء يترتب عليها فالملذ والمؤلم
والنعمة والجنة والنار في دار القرار هي نفس صور الاعمال والآثار كما دل عليه قوله صلى الله عليه وآله انما
هي اعمالكم ترد عليكم وقوله ان الجنة قيعان وان غراسها سبحان الله وكذا قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب
وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقد تحقيق هذا المطالب في سالف القول فالعقوبات الالهية الواصلة
الى المجرمين كما انها ليست من باب الانتقام الواقع عليهم من منتقم منفصل مباين موقع الآلام والشدايد
عليهم ويوصل المكاره والمحن اليهم فكذلك ليست الآلام والمكاره امورا خارجة عن ذاتهم وصفاتهم مترتبة
عليها بل الاعمال القبيحة الواقعة منهم في الدنيا بواسطة ما في ضمايرهم ونياتهم صارت ملكة راسخة في نفوسهم
وانعقدت بسببها فطرتهم الاصلية بوجب لهم تصورات باطلة وافكار ابولية موحشة معجودة بوجود
اخروي بناسبها فتطلع على افئدتهم ما كان مستكنا فيها ولو تيسر للشقي الفاجر ان يشاهد باطنه
في الدنيا بنور البصيرة لرآه مشحونا باصناف السباع والشياطين وانواع الوحوش والهوام وهي مثل
شهوته وحقده وحسده وعجبه ورياه ومكره وحيلته وهي التي لا تزال تفترسه وتنهشه الا
انه محجوب عن مشاهدتها فاذا رفع هذا الحجاب وانكشف الغطاء ووضع في قبره عاينها وقد تمثلت بصور
واشكالها الموافقة لمعانيها واول ما يقع بصاحبها على صورة عمله المطابقة اياه يرى بعينه
والحيات قد احدقت به وانما هي صفاته الحاضرة الآن قد انكشفت له صورتها فيقول يا ليت بيني
وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ويريد ان يهرب عنها وانى يتصور للانسان ان يهرب من نفسه ولوازم
نفسه وعلى هذا القياس حكم الاعمال الحسنة الواقعة من اهل السعادة الاخروية المتصورة في القيمة بصور
ملذة حسان من قصور وغلمان وجنة ورضوان فان حقيقة تلك الصور هي موجودة معه مختفية
في باطنه وانما يصير حاضرة مشهودة يوم القيمة بواسطة رفع الحجاب لقوله تعالى فلا تعلم نفس ما
اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وقوله سبحانه ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون
وقد ذكرنا في تفسير آية الكرسي ان اصحاب النار بالاصالة هي النفس والشيطان لانهما ظلمانيتان
بجوهرهما حاصلتان من سنخ الطبيعة النارية الكدرة الدخانية من عالم الاجرام السفلية وان اصحاب
الجنة بالاصالة هي الروح والملائكة لانهما نورانيتان بجوهرهما حاصلتان من سنخ الحقيقة
النورية اللطيفة من عالم الانوار العلوية واما القلب الانساني فهو ذو وجهين وجه الى النفس ووجه
الى الروح وانما ينقلب الى احد من هذين القبيلين بزاوله اعمالا يناسبه فيصير اما من اصحاب

الجنة وهم اصحاب اليمين واما من اصحاب النار وهم اصحاب الشمال والجنة موطن اهل السعادة ومصعدهم
في جهة العلو كما ان النار موطن اهل الشقاوة ومهبطهم في جهة السفل والتنكير في قوله في شغل مشعر بان شغلهم
شغل لا يوصف مبدعا اما المشغول فيه فما ظنك بشغل من وصل الى دار الكرامة ومنزل المصطفين الابرار في
الخيرات الحسان وفاز بالنعيم الدايم ووصل الى الحق القايم ووقع في ملاذ وسعادات لا يكتنه وصفها ولا
يحاط بنعتها مع كرامة وتعظيم وشرف مقيم واما المشغول عنه فجميع شدايد الدنيا واخرتها وآلامها
والامها وهمومها اما منها فاهوالها من مشاق والتكليف ومضايق التقوى والخشية ومرارة الصبر عن
اللذات والمرغوبات وتخطي الاهوال والاخطار والموت عما نوسابها بالاختيار والاضطرار ومفارقة الاحبة
والاخوان ومهاجرة الاولاد والاقران ومقاساة المحن من الحساد والاعداء ومشاهدة اوضاع الفجرة
والفساق وسوء عقايدهم وقبح اعمالهم وغدرهم ومكرهم وترفع حال الجهال وتصدر الارذال الى غير
ذلك من مكاره هذه النشاة الدنيا وتره وشدايدها وآفاتها ونقايصها والامها ومحنها وامراضها واوجاعها
وبالجملة شرورها التي لا ينفك عنها الثاني تكيف المؤمن الغريب في هذه الدار المشحونة بالآفات والاخطار
الطافحة بالشرور والاسلام ثم مرارة الموت وكربه وزهوق الروح وتعبه ووحشة القبر وخطره وقيام
الساعة وهولها والمناقشة في الحساب ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب وعن ابن عباس في افتضاض
الابكار ولا يبعد ان يكون المراد منه كشف الحقايق العلمية وشهود المعارف العقلية كشفا وشهودا لا يمكن البلوغ
الى حده والوصول الى نيله على تلك الغاية الا في الدار الاخرة وعنه ايضا في ضرب الاوتار ولعله ليس ببعيد ايضا
ان يكون المراد منه سماع نغمات الابدال بل الاتصال بنفوس الضاربين للاوتار الادوار والمحركين لاشواق
الدايرات في عشق جمال الابدعلى الفلك الدوار والواهبين سوانح اللذات الداعات على الرقاصين في ملاحظة
جلال السرمد على بساط الرحمة بمشاعل الانوار وعن ابن كيسان في التزاور وعن بعضهم في ضيافة الله وعن الحسن
شغلهم عما فيه اهل النار بما هم فيه وعن الكلبي في شغل عن اهاليهم من اهل النار بهم امرهم ولا يذكرونهم
لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم والفظجا بضمتين وفتحتين وضم وسكون وكرة وسكون والفاكهة
والمتلذذ وكذا الفكه ومنه الفاكهة لانه مما يتلذذ به وكذا الفكاهة وهي المزاحة وقرى ابو جعفر فكهون
بغير الف وهو بكسر الكاف وضمها كقولهم نجل حدث وحدث اي كثير الحديث ونطق ونطق للمبالغ في
الشيء والباقون بالالف في كل القرآن الا حفصا وانه ابي جعفر في المطففين انقلبوا فكهين وقرى فاكهين ما
وفكهين على انه حال والظرف مستقر الشغل كثيرا ما يطلق ويراد منه الصنعة والكسب
وقد تحقق لنا بارصاد روحانية وانظار دقيقة كشفية ان النفس الانسانية اذا استكملت ذاتها بالعلم
والتقوى وتجردت عن غشاوة العالم الادنى وتشبهت باخلاق الله وطارت بجناحي الكروبيين ووصلت
الى عالمها وبلغت الى فطرتها وتجردت عن غشاوة العالم الادنى وتشبهت باخلاق الله وطارت بجناحيه
الكروبيين ووصلت الى عالمها وبلغت الى فطرتها الاولى اصبحت مخترعة للصور الغيبية المستورة عن الحواس
فاعلة للاشكال الحسنة الجثمانية الخارجة عن ادراك اهل الظن والقياس لكونها شديدة الشبه عند
الاستكمال والتجرد عن هذا العالم بالمبدا الفعال في الصفات والافعال كالحديدة الحامية المجاورة للنار
الفاعلة فعلها من الانارة والاشتعال وساير الآثار فما ظنك بنفوس كريمة تنورت بنور الله وتلبست
بلباس الهيبة والعظمة والنور وتسربلت بسربال الكرامة والسرور فصيرورتها واهبة الحيوة لما تصورت
صورة لحقيقة معطية الوجود والشوق لما انشاتها نشاة ثانوية لكونها واقعة في افق العظمة والاشراق
مستوطنة في دار كرامة الله العزيز الخلاق وجنة رحمته التي فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ولكل احد
من اهل الله في الجنة ما تشتهيه كما قال لكم فيها ما تشتهي انفسكم وسياتي بعد هذه الآية بادنى فاصلة قوله
ولهم ما يدعون اشارة الى هذا المعنى ثم انظر كيف جعل الله النفس الانسانية ذات اقتدار على انشاء
الصور المطهرة في الدار الاخرة المترفعة عن ادناس عالم الحواس لقيامها خاضعة خاشعة بين يدي
الحق رب العالمين خلاقة صور الاشياء بالابداع والتكوين مفيض القوة والقدرة على المخلصين الصابرين

رب الطول والحول الواقفين القارعين باب الرحمة والخود العاكفين في جناب الحق ينبوع الوجود
فاذا عرفت هذا فاعلم ان معنى قوله اصحاب الجنة اليوم في شغل انهم مشغولون بعمارة الجنة حيث انهم بانون
وهم قايمون بانشاء الصور الحقية النقية الحسان التي لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لصدورهم
من جملة اخوان التقديس لا يشغلهم شان عن شان وسياتي زيادة كشف لهذا المعنى وتلخيص
هذه الحالة لهم باليوم الاخروان كان لبعض المتجردين عن جلباب البشرية ان يخترع بنفوسهم صورا
حية يشاهدونها في صقع من الملكوت لان تمام هذا الاقتدار انما يتيسر لهم في دار القرار واما التي يخترعونها
ويشاهدونها قبل ذلك فهي غير ثابتة لهم دايما بل في بعض الاحايين على وجه مستحق مثالي ليس فيها
الاشراق والانارة لشوايب آفات الدنيا ومنغصاتها قوله سبحانه هم وازواجهم في ظلال على الارائك
متكئون هم اما مبتدا خبره اما في ظلال او على الارائك او متكئون واما تاكيد للضمير في شغل وفي فاكهون
على ان ازواجهم يشاركهم في الشغل والتفكه والارائك جمع اريكة وهو السرير في الحجلة وقيل
الارائك الوسايد وقال الازهري كل ما اتكئ عليه فهو اريكة وقرى في ظلل وقرا ابن مسعود
متكئين اخبر سبحانه عن بعض احوال السعداء فقال هم وازواجهم في ظلال اي هم وحلايلهم في الدنيا
ممن وافقهم على ايمانهم في استار عن وهج الشمس وسمومها كانهم في حفظ عن برد الزمهرير
وحروره فهم في حالة معتدلة لا حر فيها ولا برد لقوله لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وقيل ازواجهم
اللاتي زوجهم الله في الجنة من الحور العين في ظلال اشجار الجنة او في ظلال يسترهم عن نظر العيون
اليهم على الارائك وهي السرر عليها الحجال الضمير راجع الى ارواح اهل الايمان الذين استكملوا
بالعلم والتقوى فصاروا تحت ظلال الملكوت مرتفعين عن عالم الناسوت وازواجهم نفوسهم
التي يسكنون اليها فان نسبة النفس الى الروح نسبة الزوج الى الزوج لانفعالها وتاثرها
عن واردات الروح وانقيادها وتسليمها له اذا كانت صالحة مطواعة غير ناشزة انفة عن طاعته
ولا كانت غدارة في صحبته اياهم ونفوسهم الموافقة لهم في التوجه الى الحق الشايقة المطاوعة اياهم
في طريق العبودية لله في ظلال من انوار الصفات وهي الحجب النورية والوسايط العقلية
المشار اليها في قوله ان لله سبعين الف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه
كل ما انتهى اليه نظره على الارائك المقامات والدرجات متكئون ويحتمل ان يكون هم مبتدا خبره
على الارائك متكئون ويكون وازواجهم في ظلال جملة حالية من مبتدا وخبر فان النفس واقعة
في ظل الروح بل الظرفية تجوز به من باب عموم المجاز لان النفس هي بعينها ظل نور الروح وجود
نارة كما ان البدن بصفوة اخلاطه وروحه النفساني ظل النفس وكرمها قوله سبحانه
لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون اي للاصحاب الجنة في الجنة فواكه كثيرة ولهم فيها ما يدعون هو
من الدعاء اي يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واحتمل اذا شوى وحمل لنفسه وفي قول
لبيد فاشتوى ليلة ريح واحتمل ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه
وقيل معناه لهم فيها ما يتمنون ويشتهون قال ابو عبيدة تقول العرب ادع على ما شئت اي تمنه
علي وفلان في خير ما ادعى اي في خير ما تمنى وقيل معناه ان كل من يدعي شيئا فهو له بحكم الله لانه قد
هذب طباعهم فلا يدعون الا ما يحسن منهم وقال الزجاج هو ماخوذ من الدعاء يعني ان
اهل الجنة كل ما يدعون به ياتيهم قوله سبحانه سلام قولا من رب رحيم سلام مبتدا
محذوف الخبر لدلالة لهم ما يدعون عليه كانه قال لهم ما يدعون ولهم سلام ويجوز ايضا
ان يكون بدلا من ما يدعون وقولا مفعول به اي يقول الله قولا يسمعونه من رب رحيم او ونعيم

بدوام الامن والسلامة مع شيوع النعمة والكرامة او مفعول مطلق اي يقال لهم قولا من جهة
رب رحيم بمعنى انه سبحانه سلم عليهم بلا واسطة او بواسطة الملئكة تعظيما وتكريما لهم وعلى تقدير
البدلية يكون اشعارا بان ذلك غاية ما يتمنونه وغاية منى اهل الجنة ان يسلم الله عليهم ولهم
ذلك من غير منع وعن ابن عباس الملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ان الملائكة
يدخلون عليهم من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وفي الكشاف قيل ما يدعون مبتدأ
وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله ولهم
ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وهو من مجاز
وقرئ سلم وفي قراءة ابن مسعود سلاما على الحالية اي لهم ما يدعونه سالما
قد سبقت الاشارة الى ان الانسان اذا مات عن الدنيا ولذاتها وصفت نفسه عن درن الشهوات
وتنورت بانوار العبودية والطاعة وتخلقت باخلاق الله وبلغت مقام الفناء في التوحيد
نحشا الى ربه وتسرمد بسرمديته وتفتحكمه في العالم على حسب الذاتية ومقام الرضا
ذاته اللطيفة الصافية باشراق نور المحبة في ارجائها فتكرم بكرامة التكوين والايجاد فيصير لها في
الملك والملكوت ويسمع دعاءه ودعوته في عالم الجبروت لكونه وليد القدس وخليفة الله
في ارضه ويكون ممن امر الله سبحانه بواطن الملكوت والروحانيين وعباده المسبحين بان يسجد
له كلهم لقوله اسجدوا لآدم ويكون ممن يطيع له الملكوت ويسجدون له كما سجد الملائكة كلهم
لابيه آدم حين امرهم الله بسجوده كما في قوله تعالى اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين وههنا يظهر سر ما ورد في الحديث عنه ان العالم ليستغفر
له من في السماء ومن في الارض حتى الحيتان في البحر وبالجملة الانسان اذا انحط في سلك المقربين
يصير نفسه تصوره لكل ما يتمناه نفس وجود ذلك الشيء في العين كما ان قبل ذلك يتم لكل احد
اذا تصور شيئا وتمناه خضع له في عالم توهمه ويكون نفس تصوره لشيء وجوده الخيالي كما ذهبنا
له فلكل احد ههنا ما يشتهي نفسه في خياله وضميره الا ان ضميره وباطنه في غاية القصور والاذية
وهمته في غاية الضعف فيكون للاشياء بالقياس اليه وجود كالعدم وحضور كالغيبة ولما في
الاخرة فاذا قوي روح الانسان بالعلم والايمان وتخلص عن قيود الامكان ورفع الحدثان ونوسلا
الذنوب وغل العصيان كان الذهن لخارجا والعلم عينا والغيب حضورا فيحضر ويوجد له
دفعة كلما همه ويهواه وهذا هو المراد بقوله ولهم ما يدعون ثم اعلم انه ورد في الحديث في
خبر اهل الجنة انه ياتي اليهم الملك بعد ان يستاذن عليهم في الدخول عليهم فاذا دخل ناولهم
كتابا من عند الله بعد ان يسلم عليهم من الله فاذا في الكتاب لكل انسان يخاطبه به من الحي القيوم
الى الحي القيوم اما بعد فاني اقول للشيء كن فيكون وقد جعلتك اليوم تقول للشيء كن فيكون فقال
صم فلا يقول احد من اهل الجنة لشيء كن الا ويكون قال بعض اهل الكشف في شرح
هذا الحديث ان قوله صلى الله عليه واله فلا يقول احد من اهل الجنة لشيء كن الا ويكون جاء
بشيء نكرة فعم وغاية الطبيعة تكوين الاجسام وبالجملة مما لا يخلو عنه وغاية النفس تكوين
الارواح الجزئية في النشأة الطبيعية فما اعطي العموم الا الانسان الكامل حامل السر الالهي فكل
ما سوى الله شطر من الانسان الكامل فاعقل ان كنت تعقل ومن اراد ان يعرف كماله فلينظر
في نفسه في امره ونهيه وتكوينه بلا واسطة لسان ولا جارحة ولا مخلوق غيره فهو بينه من ربه
في كماله فان امده بها وشرع في التكوين بواسطتها بجارحة من جوارحه فلم يقع شيء من ذلك او
وقع في شيء دون شيء ولم يعم مع عموم ذلك بترك الواسطة وقد كمل فلا يقدح في كماله ما لم يقع
في الوجود عن امره بالواسطة فان الصورة الالهية بهذا ظهرت في الوجود فانه معبادة على

خيالات

٤٠٤
اطاع له
السنة رسله وفي كتبه فمنهم من اطاع ومنهم من عصى وبارتفاع الواسطة لا سبيل الا الطاعة
خاصة كما قال صلى الله عليه واله يد الله مع الجماعة وقدرته نافذة ولهذا اذا اجتمع الانسان
في نفسه حتى صار شيئا واحدا نفذت همته فيما يريد وهذا نوع جميع اهل الله قاطبة انتهى
وقال في بعض موضع اخر بالوهم يخلق الله كل انسان في قوة خياله ما لا وجود له الا فيها وهذا
هو الامر العام الفاشي والعارف يخلق بالهمة ما يكون له وجود من خارج محل الهمة ولكن لا تزال
الهمة يحفظه ولا يؤدها حفظ ما خلقته فمتى طرأ على العارف غفلة عن حفظ ما خلق عدم ذلك
المخلوق انتهى وقال الغزالي في الرسالة المضنون بها على غير اهلها ان النوم مستحق لاجل
انقطاعه فلو كانت دائمة لم يظهر الفرق بين الخيالي والحسي لان التذاذ الانسان بالصور من حيث
انطباعها في الخيال والحس لا من حيث وجودها من خارج فلو وجد في الخارج ولم يوجد فيه
بالانطباع فلا لذة له ولو بقي المنطبع في الحس وعدم في الخارج لدامت اللذة وللقوة المتخيلة
قدرة على اختراع الصور في هذا العالم الا ان صورة المخترعة متخيلة وليست محسوسة ولا
منطبعة في القوة الباصرة فلذلك لو اخترع صورة جميلة في الغاية وتوهم حضورها ومشاهدتها
لم يعظم لانه ليس يصير مبصرا كما في المنام فلو كانت للخيال قوة على تصويرها في القوة المتخيلة
لعظمت لذته وتنزل منزلة الصورة الموجودة من خارج ولم تفارق الدنيا الاخرة في هذا المعنى
الا من حيث كمال القدرة على تصويرها الصورة في القوة الباصرة فكلما تشتهيه يحضر عنده في الخيال
فيكون شهوته سبب تخيله وتخيله سبب ابصاره اي سبب انطباعه في القوة الباصرة ولا يحضر بالشيء
يميل اليه الا ويوجد في الخيال اي يوجد ليحث بابه واليه الاشارة بقولهم ان في الجنة سوقا يباع فيه
الصور والسوق عبارة عن اللطف الالهي هو منبع القدرة على اختراع الصور بحسب المشتهى وانطباع
القوة الباصرة بعدها انطباعا ثابتا الى دوام المشتهى لا انطباعا هو بعرض الزوال كما في النوم في هذا
العالم وهذه القدرة اوسع واكمل من القدرة على الايجاد من خارج الحس لان الموجود من خارج
لا يوجد في مكانين واذا صار مشغولا باستماع واحد ومشاهدته وبما يستبصار مستغرقا به
محجوبا من غيره واما هذا فيتسع اتساعا لا ضيق فيه ولا منع حتى لو اشتهى مشاهدة النبي صلعم مثلا في
شخص في الف مكان في حالة واحدة لشاهده كما خطر بالهم في المكانات المختلفة واما الابصار
الحاصل من شخص النبي صلعم الموجود من خارج الحس فلا يكون الا في مكان واحد ومحل امور الاخرة
على ما هو اوسع واتم للشهوات واوفق لها اول ولا ينقص عنه بنتيها في الوجود انتفاء وجودها
من خارج فان وجودها مراد للاجل حظ وحظ من وجوده في حسه فاذا وجد فقد توفر حظه
والباقي فضل لا حاجة اليه وانما يراد لانه طريق المقصود وقد تعين كونه طريقا في هذا العالم الضيق
القاصر اما في ذلك العالم فيتسع الطرق ولا يتعين هذا الطريق انتهى كلامه انه هذا
النحرير الخبير قد تتبع اثر كلام فاضل المشائين ابي علي بن سينا في تحصيل مسئلة المعاد الجسماني
حيث قال في اخر كتابه المعروف بالشفا بعد ان صحح اعتقاده في المعاد يكون بعض الاجرام السماوية
موضوعا للتخيلات المتوسطين في السعادة والاشقياء فجميع ما اعتقدوه من الاحوال الاخروية
او سمعوه من الانذارات في الدنيا من احوال القبر والبعث والثواب والعقاب بهذه العبارة ان
الصورة الخيالية ليست تضعف عن الحسية بل تزداد عليها تاثيرا وصفاء كما يشاهد في المنام
فربما كان المحكوم به اعظم شانا في بابه من المحسوس على ان الاخروي اشد استقرارا من الموجود
في المنام بحسب قلة العوائق وتجرد النفس وصفاء القابل وليست الصورة التي ترى في المنام
وبل التي تحس في اليقظة كما علمت الا المرتسمة في النفس الا ان احدهما تبتدئ من باطن وتنحدر

اليه والثانية تبتدى من خارج ويرتفع اليه فاذا ارتسم فى النفس ثم هناك ادراك المشاهد وانما
يلتذ ويتاذى بالحقيقة بهذا المرتسم فى النفس لا الموجود فى خارج وكلما ارتسم فى النفس فعل فعله وان لم يكن
سبب من خارج فان السبب الذاتى هو هذا المرتسم والخارج هو سبب بالعرض او سبب السبب انتهت
العاظه والعجب منهما جميعا كيف اقتنعا فى هذه المسئلة المهمة الشريفة الدينية التى لا ينجح الانسان
من خطر سوء العاقبة الا بتحقيقها وتثبتهما بهذه المرتبة الدنية وقصرها فى الاعتقاد بيوم المعاد على هذه
الدرجة النازلة بل الحق الحقيق بالاعتقاد والتصديق هو ما تنورت به نفوس الراسخين فى العلم
المتثبتين فى الحكمة والعرفان من علماء هذه الملة البيضاء وحكماء هذه الشريعة الغراء وهو ان الصور
الموجودة الموعودة فى الدار الآخرة موجودات عينية وثابتات خارجية منفصلة عن النفس لا انها
حالة فيها حلول الصور الانطباعية وانما هى جواهر هاجواهر عينية وهى على اشكالها وهياتها وصفاتها
المنعوتة فى الكتاب والسنة واقدارها واعظامها واعدادها الموعودة فى لسان الشريعة من غير تجوزات
واستعارات فى اللفظ وتكلفات وتمحلات فى الحكاية وهى اقوى تأثيرا وادوم آثارا من موجودات هذا
العالم بل لا نسبة بينهما وبين هذه الداثرات المستحيلات فى باب الموجودية وترتب الآثار وليست انها
بحيث يمكن ان يرى بهذه الابصار البالية الفانية كما ذهب اليها الظاهريون ولا انها خيالية او اجرام فلكية
محضة لا وجود لها فى العين او مثالية محضة لا يشاهد الا فى مظاهر اخرى نفسانية او خيالية او اجرام فلكية
او كوكبية كما رآه آخرون ولا انها مجرد مفهومات عقلية وامور ذهنية كلية كما زعمه المتاولون ولا انها
مثالات عقلية لاجسام نوعية وارباب انواع جسمانية للصناع شخصية كما ذهب اليه الرواقيون ولا
انها اشخاص واجسام سيوجد فى هذا العالم ويتعلق بها النفوس الناقصة والمتوسطة بعد مرور
ادوار وادوار كثيرة ومضى دهور ودهور واحقاب عديدة كما تمحله وانتحله التناسخية بل كما ذكرناه صورة
عينية جوهرية موجودة لا تثبت فى هذا العالم ودار العمل ولا تشاهد بهذه الحواس وانما هى ثابتة
فى عالم الآخرة ودار الثواب وعالم الآخرة جنس لعوالم كثيرة كل منها اعظم من هذا العالم بما لا نسبة
بينهما ولكل نفس من نفوس الاخيار عالم عظيم الفسحة ومملكة اعظم من السموات والارض بعدة اضعاف الا ان
وجود امور الآخرة وان كان يشبه وجود الصور التى يراها الانسان فى المنام او فى المرآة من وجه
الموجودة فى المنام والمرآة امور ضعيفة شانها الحكاية المحضة واما الصور الموجودة فى الدار الآخرة
فهى امور قوية الوجود شديدة التاثير نسبتها الى هذه الصور الدنياوية كنسبة هذه الصور
المحسوسة الى الموجودة فى المنام من بقايا المرتسمات الوهمية والمخزونات الخيالية كما ورد فى
الحديث من قوله ص الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فيعلم منه ان الكون فى الدنيا والعيش فيها اشارات
لطيفة وتنبيهات على كيفية وجود الصور الاخروية واما بيانه التفصيلى على النهج البرهانى بالنظم
الحكمى المتعارف بين المباحثين المناسب للناظرين فقد اودعناه فى بعض الاسفار الالهية الموسومة
المتعالية وليجمله فانما يستفاد من هذه الآية ونظايرها بملاحظة ان النفس الناطقة الانسانية
من سنخ الملكوت وعالم القدرة والتوحيدية والنور فياض لذاته والملكوتيون لهم اقتدار على ابداع
الصور من غير حاجة الى مادة وموضوع تصرفونها كارباب الصنايع فى صنايعهم ووجود المادة
وعدمها مناط الفرق بين الصنع والابداع فان الحاصل بالانشاء والابداع يكون صورة من غير مادة
وموضوع والحاصل بالصنع والتكوين صورة فى مادة او مع مادة لكن النفس ما دامت متعلقة
بهذا البدن الكثيف الظلمانى المركب من الاضداد لا يمكنها انشاء الصور والاشكال التى ارادتها
الضعيفة الكون سجية الوجود بمنزلة الظلال والرسوم التى لا تترتب عليها الآثار المطلوبة ولا يكون
ايضا ثابتة باقية بل داثرة زائلة لان مظهرها القوة الخيالية وهى دائمة التحلل والتجدد والزوال
والانتقال من حال الى حال بحسب اختلاف امزجة محلها بسبب ما يرد على الروح البخارى من المشوشات
والآلات الخارجة والداخلة او لا ترى ان النفس كلما استراحت من الشواغل الضرورية وغيرها

الضرورية والحركات اللازمة لحفظ البدن المجتمع من الامور المتضادة المتداعية الى الانفكاك وتعطلت
حواسها الظاهرة واحتجبت عن استعمالها والاشتغال بها اما بالنوم او بتوجهها الى الجنبة العالية
بقوة فى ذاتها نظرية او كسبية اغتنمت الفرصة ورجعت الى ذاتها النورية الفياضة فاصبحت مخترعة
للصور مشاهدة اياها بحواسها التى لها فى ذاتها بلا مشاركة للبدن فان للنفس فى ذاتها بصرا
وسمعا وذوقا وشما ولمسا من دون حاجة لها الى البدن وقواه بل هى اتم واقوى واصفى
من هذه التى فى البدن بل هذه هى ظلال تلك وكان حواس البدن كلها يرجع الى حقيقة
واحدة ذاتها النورية الفياضة للصور وقد اشرنا الى ان نزول الشئ عن فطرته يكثر ويعدد
ويضعفه فهذه الحواس على كثرتها كانها هى صفات النفس الموجودة فى ذاتها بوجود
واحد تشعبت وتكثرت فى البدن والضعف مما يوجب التكثر والانقسام كالنبض
ويتواتر عند ضعفه فاذا رجعت النفس الى فطرتها وذاتها من هذا العالم صار ادراكها للاشياء
عين قدرتها عليها فيكون علمها فعليا وحسها قدرة وكلما كانت اتم قوة واقوى تجوهرا
واقل مزاحمة من قواها وشواغلها كانت ملاقاتها للصور العينية الغيبية ومشاهدتها
اياها وترتب آثار الوجود على صورها المشهودة التذاذا وايلاما اكثر وربما كانت قوة
بعض النفوس لغاية تجلاتها وقربها من الحق سبحانه بحيث يقوى بضبط الجانبين وتسع للتصرف
فى النشاتين فكانت مع تعلقها بهذا البدن مشاهد العالم الآخرة وذلك لبعضهم غبار هذه
المحسوسات عن ادبار نفوسهم وعدم التفاتهم الى صور هذه الدار الا بعين الاحتقار فلا يشغلهم
شان عن شان ولا يحجبهم منزل عن منزل ولا يلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وتذكر الامور الاخروية
فهى كالمبادى الفعالة ذاتا وصفة وفعلا فيقدرون على ايجاد الصور وانشاء الاعيان وذلك
لظهور سلطان الآخرة على قلوبهم وقيامهم الى الله عن هذه القبور البالية فهذه انموذج
احوال الآخرة وما يراه الانسان من الصور الملذة والموذية الموعودة او المتوعد عليها فى الجنة
فى هذه الآية من قوله ولهم ما يدعون بل يعلم ايضا ان كل نفس سواء كانت سعيدة او شقية
فهى اذا انقطعت عن البدن وارتحلت عن هذه الدار وارتفعت عنها شواغل صحبة الاعيان
رجعت الى ذاتها وعالمها وصارت حواسها الباطنية لادراك الامور الاخروية قوية حديدة
لقوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فلتشاهد الصور الغيبية المخزونة عندها
من نتايج اعمالها وانفعالها ومطامح انظارها ومقاصد طباعها وغاية همها وقصودها
فان كانت هى من الامور القدسية الدائمة الباقية المقربة الى الحق المؤكدة للروح والريحان
والانس بروايح القدس كانت الروح عند ملاقاتها مسرورة بها قريرة العين بمشاهدتها
كالجنة والرضوان ومجاورة الرحمان وان كانت من باب اللذات الداثرة والشهوات الدنية
الفانية كانت الروح عند ملاقاتها فى غصة وعذاب اليم وتصلية جحيم
ثم انى لا تعجب من بعض الشيوخ الموصوفين بالعلم والحكمة ومعرفة الآيات بالاشارة الالهية مع
شدة توغله فى فهم الاسرار وعلم الآثار واعتقاده بوجود عالم الجنة وانهار اليه رجعى نفوس
الاخيار والعصاة كيف صوب واختار قول بعض العلماء وتفاصوبه واختاره الشيخان

السعداء

الجليلان وهما ابو علي والغزالي تصريحا وتلميحا من كون جرم سماوي موضوعا لتخيلات طوايف من
والاشقياء مستدلا بانهم لم يتصور لهم العالم العقلي ولم ينقطع علاقتهم عن الاجرام وهم بعد بالقوة التي
احتاجت بها النفس الى علاقة البدن وقال انه كلام حسن موافقا لما قال ابو علي بعد نقله اياه ان عاشيه
ان يكون كلاما حقا وكالشارة الغزالي في مقالته المضنون بها وهو ما نقلناه انفا الا ان هذا الشيخ الاشراقي
خالفهما في تعلق نفوس الاشقياء بتلك الاجرام الشريفة ذوات النورانية حيث قال والقوة بحوجهم الى التخيل
الحي فليس يمتنع ان يكون تحت فلك القمر وفوق كرة النار جرم وغير منخرق هو نوع نفقه ويكون برزخا بين
العالم الاثيري والعنصري موضوعا لتخيلاتهم فيتخيلون به من اعمالهم السيئة مثلا من نيران وحيات تلسع
وعقارب تلدغ وزقوم تشرب وغير ذلك قال ولست اشك لما اشتغلت به من الرياضات ان الجهال والفجرة
لو تجرد واعن قوة جسمية يذكرهم لاحوالهم مستتبعة لملكاتهم وخيالاتهم مخصصة لتصوراتهم نجو الى الروح
الاكبر انتهى ولا يخفى على اللبيب ان كون جسم من الاجسام فلكيا او عنصريا موضوعا لتخيل النفس ومراة لمشاهد
صور الاشياء لا يستقيم الا بان يكون لها معه علاقة ذاتية او وضعية بتوسط ما هو لها مع تلك العلاقة
بالذات وبالجملة لا بد من ان يكون ذلك الجسم في تصرف النفس بوجه من الوجوه داخلة كما يكون في المرايا
التي لها علاقة وضعية بالنسبة الى المادة البدنية التي موضوعة لافاعيل النفس ومحل لقوتها وسطح لاشعتها
ولخواتها المنبعثة عن ذاتها النيرة الواقعة عليه فانك اذا ترى صورة في المراة فهو لاجل علاقة وضعية لها ابتداء
او بتوسط مراة اخرى مع عينك التي هي ايضا مراة في تصرف النفس بعلاقة طبيعية وليس الجرم الفلكي او ما
يجري مجراه بما يوثر فيه شيء من النفوس الا نفسه الفايض عليه من مبداه وقد تقرر عندنا ان الاجرام
العلوية ليست مطيعة لغير مبادئها الذاتية وهي ملايكة السموات بامر ربها ولا قابلة للتاثرات الغريبة من القوى
وليست لتلك النفوس المفارقة عن هذه الابدان ابدان اخرى حتى يكون لابدانها بالقياس الى تلك الاجرام العلوية
علاقة وضعية ليصير مرآة لتلك النفوس يشاهدون ما فيها من الصور وعلى تقدير صحة كونها مراة يكون
الصور المرتسمة فيها انما هي تخيلات الافلاك وما في حكمها لا تخيلات تلك النفوس فكيف يجوز ان يكون
الصور مما يلتذ به السعداء او يتعذب بالاشقياء كيف والصور المولمة لهم عليها اعتقاداتهم الا
هياتهم الروية وتخيلاتهم النفسانية المشوشة الباطلة وعقايدهم الوهمانية الخبيثة الفاسدة دون الصور
المطابقة لما هو الواقع لان الكاين في الفاعل الذي في غاية الخلوص والنقاء كالاجرام العالية من الفاعل الذي في
غاية الشرف والبهاء كالمبادي العقلية لا يكون الا صورا علمية مطابقة لما عليه الامر في نفسه ثم من المعلوم ان علاقة
الجوهر الروحاني بجسم انما هي لنسبة طبيعية بين مادته البدنية وبين الجوهر الروحاني فاية نسبة حدثت
بينهما بالموت حتى اوجبت اختصاصه به واتخاذه من عالمه البدن دون غيره من الاجرام بل المختصة دون بقية
الاجسام من نوع ذلك الجرم ثم ان الجسم الذي هو موضوع التخيلات يجب ان يتصرف فيه النفس ويحركه
بحركات جسمية تابعة للحركات النفسانية وارادته الفكرية كما يعرض لجوهر الدماغ من الانفعالات والتغيرات
وظاهر ان الجوهر الفلكي يابى عن تصرف فيه من غير نفسه المحركة اياه حركة متشابهة مستمرة على نهج واحد
وان كان جرما مركبا دخانيا تحت كرة النار كما زعم قوم فهو ايضا غير صحيح لعدم اعتدال فيه يصلح لقبول النفس
المدبرة فانه ان قرب من النار فيحيل بسرعة الى جوهرها وان بعد منها ويكون في حيز الهواء فاما ان يتحلل
فيصعد بخارا ويتكاثف فينزل بردا وليس فيه جرم محيط يغلب عليه من الصلابة واليبس ما يحفظ عن التبدد
ويحرسه عن مما يتجزيه كما للجوهر الدماغي فينا لتعين فيه محل التخيل بتشكلاته ولا بد من جوهر يابس ليحفظ
فيه الصور وكل ذلك يعقل ثم لما كانت النفوس المفارقة عن الابدان الانسانية غير متناهية عندهم لزم ما ذكره
اجتماع المفارقات كلها على جسم من اجسام العالم فيلزم اما نهاية تلك الجواهر او عدم نهاية ذلك الجسم وكلاهما
محال فلا نسلم ما قالوه ولا يستقيم ما تصوروه من كونها مما يتعذب به الاشقياء وكلام ذلك في الجرم الفلكي
فكذلك لا يصح في جرم ابداعي غير متخرق منحصر نوعه في شخص كما توهموه بل هذا الجرم ايضا كما وضعوه لطبيعة
خامسة فلكية وان كان تحت كرة القمر اللزوم كونه غير مستقيم الحركة بل ذا حركة مستديرة دائمة يخرج بها اوضاعه
وكالاثر من القوة الى الفعل وسائر صفات الافلاك على رايهم ولما عدد نفوس الاشقياء غير متناه على رايهم

كلامه فكيف يكون جرم واحد متناه موضوعا لتصوراتها وصورها الادراكية الغير المتناهية اذ لا اقل من ان يكون
فيه بازاء تعلق كل نفس وكل ارتسام صورة فيها قوة واستعداد لها فيلزم ان يكون جرم واحد ذا قوة غير متناهية
مجتمع وذلك معلوم الفساد بل الحق ان الصور الملذة للسعداء والموذية للاشقياء في النشاة الثانية كما وعدها
الشريعة الحقة النبوية على الصادع بها وآله افضل الصلوة والتحية هي واقعة في صقع اخر مظاهرها نفوس هاتين
الطايفتين بضرب من الفعل والتاثير كان الصور يقع في المراة بضرب من القبول ولا منافاة بين صدور الفعل عن شيء
بجهة وانفعاله عنه بجهة اخرى كان الصحة والمرض البدنيين ينشآن من النفس في هذه الدار كما هو التحقيق بواسطة
ما سبق من افعال تغير المزاج ثم ينفعل النفس منهما ويكون من احدهما في راحة ومن الاخر في مشقة وذلك لكونها
ذات جهتين قوة وفعل وكمال ونقص ووجوب وامكان يفعل باحدهما وينفعل بالاخرى وهكذا يكون حالها
بحسب فعل الطاعات واتيان السيئات الموذية الى الصور الحسنة والقبيحة يوم الاخرة عند تجسم الاعمال فيتنعم
او يتعذب وهاتان الجنتان موجودتان في النفس ما لم تصر عقلا بسيطا صرفا يكون فعالا ووداكا وقد ثبت عندنا
ان عنه وفيه في المفارقات المحضة شيء واحد فقد صح ان جميع ما يلحق النفس في الاخرة هو ما نشا منها فظهر بطلان
قول هولاء المتشبثين باذيال الافكار الفلسفية الواقفين عن الارتقاء الى ذروة قدس الملة المصطفوية
وادراج عرفان الحكمة المحمدية على الصادع بها وآله ازكى الصلوات الابدية   وما يوكد
ويوضح ما ذكرناه من بطلان قول هولاء بتعلق الارواح بعد الموت باجسام فلكية او دخانية ليكون لها حاصل
في قواها من الصور المثالية هي بعينها جنة السعداء وجحيم الاشقياء وتصحيح ان تلك الصور والاشباح
حادثة عن الارواح في صقع منها وفي عالمها المختص بها بنتيجة لاعمالها واخلاقها الحاصلة في الدنيا
ما صرح به بعض اهل الكشف واليقين بقوله عليك ان تعلم ان البرزخ الذي يكون الارواح فيها بعد المفارقة من النشاة
الدنيا وبه هو غير البرزخ الذي بين الارواح المجردة والاجسام لان تنزلات الوجود ومعارجه دورية
والمرتبة التي قبل النشاة الدنياوية هي من مراتب التنزلات ولها الاولية والتي بعدها من مراتب المعارج
ولها الاخرية وايضا الصور التي يلحق الارواح في البرزخ الاخير انما هي صور الاعمال ونتيجة الافعال السابقة
في الدنيا بخلاف صور البرزخ الاول فلا يكون احدهما عين الاخر لكنهما يشتركان في كونهما عالما
روحانيا وجوهرا مثاليا انتهى وقال في الباب الثالث والستين من فتوحاته المكية فجميع ما يدركه الانسان
بعد موته في البرزخ من الامور بعين الصور التي هو بها في الدنيا وقال في اخر هذا الباب كل انسان
في البرزخ مرهون بكسبه محبوس في صور اعماله الى ان يبعث يوم القيمة في النشاة الاخرة انتهى كلامه
وبه يعلم ان تلك الصور الملذة والمولمة مبدا وجودها النفوس لانها نتايج الاعمال اللاحقة وهي ليست
تخيلات الافلاك وتصوراتها التي هي بعينها صور عالم المثال السابقة عندهم ولا يمكن ايضا ان يتسم فيها
صور عالم المثال اخرى حاصلة من تلك النفوس والا لانفعلت منها وتاثرت من اثارها فانفسدت
بكثرة التاثيرات الغريبة ويعلم من قوله فجميع ما يدركه الانسان بعد موته الى اخره ان الصور الاعتقادية
هي بعينها ستصير بعد القيامة موجودات عينية متحققة القوام مستمرة الثبات والدوام موذية في
النفوس اذا وايلاما وان المكاسب العملية هي بعينها ستصير اما منشاء انطلاق النفس عن وثاقها
الى سعة الرحمة الالهية او منشا ولانحباسها عن عالمها وتقييدها بسلاسل التعلقات وضيق غطها
وطردها عن الرحمة وبعدها عن الجنة فتعذب بعذاب اليم وانجذابها الى هوى الجحيم قوله سبحانه
وامتازوا اليوم ايها المجرمون اي انفصلوا وتفردوا واعتزلوا ايها المجرمون من الكافرين والمنافقين
عن المومنين الكاملين في العلم واليقين وكونوا على حدة وذلك حين كشف الغطا ورفع الحجب

بالموت بل عند القيام الى المحشر عن هذه القبور ونحوه قوله تعم يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما
الذين آمنوا فهم فى روضة يحبرون واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك فى العذاب محضرون
وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يحل فيه فيردم بابه لا يرى ولا يرى ومعناه ان بعضهم متميز عن
بعض قد سبقت الاشارة الى كون افراد الانسان فى النشاة الثانية وبحسب الباطن واقعة تحت انواع
كثيرة حسب اختلاف الصفات والملكات لان النفوس الانسانية وان كانت بحسب الفطرة الاولى متشابهة
بالحقيقة متماثلة الهوية لكونها صورة فائضة على المركب العنصرى من الممتزج الواقع فى غرض المزاج النوعي
الانساني الا انها مادة عقلية قابلة لهيئات نفسانية وصور عقلية يصير بها خارجة من القوة الى الفعل فى
اطوار مختلفة فالنفوس السبعية يغلب عقولها الهيولانية هيئات سبعية من الغضب والغلبة والجور
والوثام والتعالى والتفاخر وغيرها حتى يصير صورتها التى يخرج بها من القوة الى الفعل صورا سبعية
ولكل نفس منها صورة سبعية مخصوصة لنوع من انواع السباع الذي يناسبه ويحشر ويختص بتلك
الهيئات التى رسخت فى تلك النفس وكذا النفوس البهيمية يغلب عقلها الهيولانية هيئات بهيمية من الشهوة
والحرص ولذة البطن ولذة الفرج والزينة والرعونة وغيرها حتى يصير مادة يكون فيها صورة بهيمية
لكل نفس ما يناسبها من تلك الصور والنفوس الشيطانية تغلب عليها هيئات ابليسية من الجهل
الراسخ والاستكبار والمكر والحيلة والجربزة والوعد بالشر والايعاد بالخير وغير ذلك من صفات
اهل اللعنة والكفر والطرد حتى يصير عقولها شياطين بعينها واما النفوس الملكية فالغالب عليها من اوله
العلوم العقلية وطلب المعارف الالهية ومحبة الحق وملائكة الله المقربين ومقاماتها بعد الرسل والائمة عليهم
السلام والصبر والورع عن محارم الله والاعراض عن الدنيا والتجافى عن دار الغرور وتذكر الموت والآخرة
وهكذا حتى يصير جنس الملكية المقربين لكل نفس بحسب قوة ايمانه وشدة اجتنابه عن اللذات فاذا
تقرر هذا ظهر ان كل نفس من النفوس الانسانية يوم القيامة تحت نوع من انواع تلك الاجناس الاربعة
السبعية والبهيمية والشيطانية والملكية وتحشر معها فالنفوس البشرية منحصرة يوم الآخرة فى اجناس اربعة
لكل جنس انواع كثيرة لكل نوع منها افراد غير محصورة وهذه الاجناس الاربعة من النفوس اثنتان
منها عمليتان شريرتان حاصلتان من مكرر الاعمال السيئة واثنتان منها علميتان حاصلتان
من تكرر الافكار العلمية احديها شريرة والاخرى خيرة واما لم يحصل من تكرر الاعمال الصالحة
لانها اما تروك محضة او مؤدية الى تروك واعدام بل يؤدى اكثرها الى كسر القوى ورفض الدواعي
والغاية الاصلية فيها تصفية الباطن وخلوه عن الحجب الدنياوية وعن الغشاوات النفسانية فلا
يجب ان يحصل منها صورة كالتى يحصل مما يؤدى الحضور فى النفس اما بهيمية او سبعية واما اكتساب
العلوم بمزاولة الافكار فلا محالة تؤدى تكررها الحضور فى النفس امرا بالفعل فان كانت الافكار
والتاملات مستقيمة مسددة مطابقة للقوانين الدينية والحكمية موافقة لاصول الموجودات الالهية
الحقيقية كالباري جل مجده وصفاته وملكوته وجبروته وكلامه وكتبه ورسله واليوم الآخر واستواء
الرحمن على العرش وصراطه وميزانه وحسابه وجمع الخلائق فى عرصة واحدة وجنته وناره ونصره
يوم القيمة بالموجودية والوحدانية والقهر ونحو ذلك من المعارف الالهية والعلوم الربانية فيصير بها
الانسان من جملة الملائكة المقربين وان كانت الافكار والتاملات من باب الشبهات والمغالطات الموجبة
للاغترار بالظنون الفاسدة والاوهام الكاسدة والاحتجاب بها عن الحق والارتهان بالامور الباطلة
وترويج الباطل فى صورة الحق والمماراة مع العلماء والمداراة مع السفهاء وجعل العلوم وسيلة للجاه
والمنزلة عند الناس وتحليل ما حرم الله وتحريم باطله بالوسواس والقياس والتلذذ بعنادته
السلطان والترفع بها على الاقران الى غير ذلك من الامور الشيطانية التى اشتغل بها اكثر علماء الزمان
التى منشاها قصور النظر وعدم التفرقة بين السفسطة والبرهان والاشتباه بين المغلطة والايقان
والبهتان والعرفان والالتباس بين التوفيق والخذلان والعصيان والحرمان واذا استحكمت هذه الافعال
لشنيعة وتلك الصفات الناشية منها فى النفس ورسخت فيها محبة الباطل والاعراض عن الحكمة

والانحراف عن سمت الحق والحقيقة وصارت النفس عند ذلك شيطانا مريدا لعنة الله وصورتها
صورة تحشر عندها القردة والخنازير كما ورد فى الحديث والله تعم اشارة الى هذه الاجناس
الردية من النفوس الشهوية والغضبية والشيطانية بقوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله
من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ثم قال اشارة الى القسم
الاخير اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل وتلك الشقاوة كالسعادة على ضربين عملي وعلمي فالشقاوتان
والشقاوة العمليتان ابديتان مخلدتان غير منقطعتين بخلاف الشقاوة العلمية فانها مما يحتمل الانقطاع
ومما ينفع فيها شفاعة الشافعين واما الكفر والجحود وما يترتب عليهما من الصفات فلا يطمع الانقطاع
عنهما لان عذاب الجهل المشفوع بالاصل المركب مع الانكار والاعجاب والاستكبار مما لا ينزول ابدا
مخلدا نعوذ بالله منه فقوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون اشارة الى هذه الامتيازات والانفصالات
الواقعة اذا وقعت الواقعة وهذه الصورة مبادي الفصول المقسمات المنكشفة يوم القيامة للخلائق
واليه الاشارة بقوله ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ومما يدل على
ان الناس بحسب البواطن والقلوب انواع مختلفة حسب اختلاف الصفات الراسخة فيهم قوله يومئذ يومئذ
يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم وفى القرآن آيات كثيرة دالة على ان هذه النفوس الانسانية كانت
فى مبادى الفطرة واوائل النشاة الدنياوية نوعا واحدا ثم اختلفت الفطرة الآخرة والنشاة الثانية انواعا
كثيرة بواسطة اختلاف الضماير والنيات الحاصلة فى الاعمال المناسبة لها مثل قوله تعم كان الناس
امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربهم لقضى بينهم فيما هم فيه يختلفون وقوله وما كان
الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقوله ولو شاء لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من
يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون وقوله ومن الناس والشجر والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك
انما يخشى الله من عباده العلماء فدلت هذه الآية على ان الانسان تختلف الانواع كالنبات والحيوان وان
وان العلماء اهل الخشية نوع مباين لغيرهم من افراد البشر وانما ذلك بحسب الفطرة الثانية والنشاة الا
قال بعض الحكماء المتقدمين من اراد الحكمة فليستحدث لنفسه فطرة اخرى ومن لم يجعل الله له نورا
فما له من نور ثم لما كان الامتياز بين النفوس الآدمية فى الدار الآخرة وترتب الجزاء على الاعمال والثواب
للمطيع المسلم والعقاب للشقي المجرم منشأة لاحدهما طاعة الله وللاخر طاعة الشيطان وهي مشتركة
بين تلك الاقسام الثلاثة الشقية من النفوس اي البهيمية والسبعية والشيطانية وان كان اسوءها
عاقبة هي النفوس الشيطانية الكافرة بنعمة الايمان المكذبة لمطلعة فى اوهامها وتفكراتها للشيطان لما
من ان عذابها ابدي وهي غير قابلة للرحمة ولا ينفع فيها الشفاعة خصهم الله تعالى بالذكر عقيب هذه
الآية توبيخا لهم وتعنيفا عليهم فيما هم فيه من الحسرة والندامة من جهة الهلاك المؤبد والشقاء المخلد
بقوله سبحانه الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط
مستقيم والعهد فى اللغة بمعنى الوصية وعهد اليه اذا اوصاه وقرئ اعهد بكسر الهمزة وفتح الهاء وفتحها
عند اهل اللغة والاشتقاق كسحرف المضارعة غير الياء فى باب فعل كله واعهد بفتح الهمزة وكسر الهاء
ونقل عن الزجاج نحو ذلك يكون هذا الفعل من باب نعم ينعم وضرب يضرب واحمد بابدال العين حاء واحد
بابدال الهاء ايضا حاء ومنه قولهم دحا دحا وعهد الله الى بنى آدم بان فطرهم الله على فطرة الاستعداد
لابداع التوحيد فى ذواتهم المشار اليه بقوله الست بربكم ولاقتناء الخيرات واكتساب السعادات
الاخروية وميثاق ذلك العهد ما ركز فى نفوسهم من اوائل المعقولات وادلة العقليات وشواهد
السمعيات للتوحيد والزام ذلك العلم اياهم وجعله من اللوازم الذاتية لهم بحيث اذا تجردوا عن

[illegible]

اشهادهم على انفسهم يكون ذلك العلم فطريا بتهم حينئذ واجابتهم لذلك بقولهم بلى فبولهم الذاتي
وتقض ذلك العهد انهماكهم فى اللذات البدنية والغواشى الطبيعية وتعبدهم للهوى والشيطان
بحيث احتجبوا عن علم التوحيد ومعارف الايمان وعداوة الشيطان لبنى آدم هى اضلالهم عن الطريق
المستقيم المودى بسالكه الى الوصول بالحق وجنة النعيم ودعوتهم اياهم الى ما فيه هلاكهم وانما قال
انكم عدو مبين لانه مجبول على عداوتهم اذ نشأ من الوسوسة فى الصدور وجبلة الامر بالفحشاء
والمنكر والبغى والوعد بالشر والتوعيد على الخير ان اردت ايها الراغب
الحكيم اسرار القرآن ودرك اغواره ان يسمع كلاما فى كيفية عبادة افراد النفوس الانسية للشيطان
وطاعتهم لجنوده فاسمع لما على ما يتلى عليك ان شاء الله من تحقيق الكلام وتبيين المرام باصول عقلية هى
دعائم لكشف هذا المقام والله ولى التوفيق والالهام ان لله صفتين متقابلتين من
الصفات المتقابلة اسمها الهادى والمضل وبا ثارهما فى المخلوقات معانى وصفات متضادة وافراد
وانواع متفاسدة متعاندة كالوجوب والامكان والخير والشر والنور والظلمة والعلم والجهل و
الشقاوة والتوفيق والخذلان والملك والشيطان والرحمة والغضب والجنة والنيران والدنيا والآخرة
الى غير ذلك من الامور المتقابلة المنوعة فى سلسلة المعلولية والحاجة الى الله اما الصادر
الاشرف فاولا وبالذات وبالاصالة واما الطرف الاخر فثانيا وبالعرض وعلى سبيل التبعية
والاستجرار اللازم لقصور القوابل الامكانية عن قبول الفيض والرحمة من الحق الصرف والنور
المحض على التمام من غير نقص لقوله سبقت رحمتى غضبى فالخيرات كلها برضاه والشرور كلها
بقضاه وبهذا يدفع شبهة الثنوية القائلة بوجود مبدأين بالذات فالملائكة كلهم مخلوقون
من نور رحمة الله والشياطين صادرة من نار غضبه والانسان فى اول الفطرة حاصل من الله تعالى
باسمائه المتقابلة ممتزج من جهتى نور وظلمة مخمر طينته بيديه اربعين صباحا مركب من روح و
بدن وسر وعلن اما روحه فجوهر لطيف نورى علوى سماوى حاصل من نفخه تعالى واما بدنه فجسم
كدر ظلمانى ارضى سفلى حاصل من تركب الاجساد وامتزاج الاضداد وقلبه اى نفسه الناطقة واقع
بين الطرفين متوسط بين النشاتين له وجه الى البدن وقواه الجسمانية ووجه الى الروح وقواه
الروحانية وله قوتان علميتان احديهما كالملك بحسب اصل الفطرة واخريهما كالشيطان بحسب
الفطرة وهو القوة الوهمية وله ايضا قوتان اخريان عمليتان احديهما كالبهيمة وكالمرأة الفاسقة اسمها
الشهوة وفعلها جلب اللذة والنفع واخريهما كالسبع الضارى وكالرجل الظالم اسمها الغضب وفعلها
الانتقام والغلبة ولكل من هاتين القوتين فروع وخدم كثيرة لا يمكن حصرها ولا يعلم عددها الا الله
لقوله وما يعلم جنود ربك الا هو وجميع المخلوقة فى مملكة الادمى لعبادة الله وطاعته العقل الذى هو
من اسرار الله وخليفة الله فى ارضه مبعوث من جانبه على تسخير هذه الجنود وصرفها فيما خلقت
لاجله ومنعها عن طاعة الوهم وعبادة الشيطان كما يدل عليه قوله فى هذه الآية الم اعهد اليكم يا بنى آدم
ان لا تعبدوا الشيطان ان مبادى الافعال الاختيارية من الانسان سواء كانت حسنة او قبيحة
طاعة او معصية امور اربعة اولها تصور الشى الممكن ادخاله فى الوجود بقدرتنا وفعلنا جلبا او دفعا
والتصديق بفايدته او ملائمته لنا وثانيها الشوق وهو توجه نفسانى جلبي الى الشى المرغوب فيه مثل
قوة حيوانية ذات شعبتين احديهما شهوية للطلب والاخرى غضبية للهرب وثالثها العزم وهو تصميم
الشوق وتنفيذه وهو قوة نفسانية ذات شعبتين هما الارادة والكراهة ورابعها قوة جسمانية
مباشرة للتحريك شانها ان تعد العضلات للانتقال بان تبسط العضل بارخاء الاعصاب الى خلاف
جهة مبداها لينبسط العضو وتزداد طولا وتنقص عرضا او بقبضه بتمديد الاعصاب الى جهة
مبداها لينقبض العضو ويزداد عرضا وينقص طولا فهذه مبادى مترتبة للافعال الانسانية ابعدها
من عالم الحركة والفعل العقل العملى فى الانسان باستخدام الوهم والخيال ان كان من اهل الحياة الانسانية

الفاعلية كما ان العقل العملى او الوهم هو الرئيس فى القوى المدركة الباعثة وبعد الشوقية وقبل الفاعلية هى القوة
المسمى بالارادة والكراهة واخرها هى المحركة المباشرة للتحريك ان القلب الحقيقى للانسان الذى
هو الجوهر النطقى مثاله مثال مرآة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فترى صورة بعد صورة
لا يخلو عنها دائما ومداخل هذه الامور المتجددة فى مرآة القلب وسهام الحوادث المتواردة على هدفه فى الحال
اما من الظاهر كالحواس واما من الباطن كالخيال والشهوة والغضب والاخلاق الادمية فانه مهما ادرك
بالحواس شيأ حصل منها اثر فى القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة او الغضب حصل من كل منهما اثر فى
القلب وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة فى النفس تبقى وتنتقل المتخيلة من شى الى شى ومن صورة الى
الصورة وبحسب انتقالها ينتقل باطن الانسان من حال الى حال فاطلنا ان فى التغير والانفعال انما
من هذه الاسباب واخص الاسباب الحاصلة فيه هى الخواطر اى الافكار والادراكات التى هى من نوع الادراكات
والتصورات اما على الوجه التجددى او على سبيل التذكر والاستحضار من المحفوظات فى الحافظة بالقوة
المستحفظة وهى المسماة بالخواطر وهى المحركات للاشواق والارادات فان النية والعزم والارادة انما يكون بعد
حضور صورة المنوى بالبال وحصول صورته فى الخيال فمبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك
العزم والعزم والنية تحرك الاعضاء بالقبض والبسط كما مر ان الله تعالى فى العالم مخلوقين هما سببان
اخران فى قلوب بنى آدم فوق ما ذكرنا من المبادى الاربعة احدهما بالخير والسعادة والاخر بالشقاوة اسم
احدهما الملك وهو مخلوق من نور رحمة الله واسم الاخر الشيطان وهو مخلوق من نار غضبه والى هاتين الصفتين
وقعت الاشارة بقوله عليه وآله الصلوة والسلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء
وروى ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر و
تكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق ومن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمده
ومن وجد الاخر فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء
والله يعدكم مغفرة منه وفضلا وتحقيق اثبات هذين المؤثرين فى القلب الانسانى مما ذكرناه فى
مقام مستقصى وتلخيص القول فيهما اما فى المؤثر الرحمانى فبيان الامور النادرة الواقعة فى هذا العالم
من خوارق العادات مثل الخسف والزلزلة والرجفة والوباء العام والقتل العام على امر كفرتهما لا يمكن
ان ينسب الى عناية الحق الاول والعقول الصريحة بالذات كما حققه بعض الحكماء بل بواسطة مدبر
يفعل الاشياء بقصد جزئى ويتخيل الامور وينفعل عن دعاء المظلومين ويجيب الدعوات اغاثة للملهوف
وينتقم من الظلمة ويفعل العقوبات ويعذب قوما حل عليهم غضب الجبار كل ذلك باذن من الحق ورحمته
فى ايجاد هذا الموجود الملكى على سبيل العناية فقال بعضهم انه نفس منطبعة بعالم الكون والفساد والاكثر
من الحكماء انه نفس متولدة عن العقول والنفوس السماوية خصوصا نفس فلك الشمس او الفلك
المائل وانه مدبر لما تحت السماء بمعاضدة الملائكة المتعلقة بالكواكب والسماوات ويسطع نور
الرحمة الالهية المنبثة فى عالم العقول وقد لزم من تصوره بوجه الخير انفعال المادة العنصرية وتلبسها
فى الخارج بصورة ذلك المعقول قال ابن سينا فى بعض كتبه يشبه ان يكون ذلك حقا فلا ينبغى ان ننكر
امثال هذه الوقايع فى هذا العالم ونفسه فان العالم مشتمل على قوى فعالة ومنفعلة يحدث منها امور
عجيبة نادرة حادثة متجددة لا نعرف لعدم الاطلاع الجاحدين للنبوات واما فى المؤثر الشيطانى فيوشك انه
ينبغى لك ان تتصور اولا ما قد وضح لنا بالكشف الصحيح المطابق للعقل الصريح ان فى مقابلة ذلك
المدبر للعالم على وجه الخير والصلاح المتكون من قوى الاجرام الفلكية موجودا اخر نفسانيا مسلطا

الكاذبة والآفات الحاصلة ولكن له سلطنة بحسب الطبع على الاجسام الدخانية والبخارية وقواها
ونفوسها الجهنمية وطبايعها فيطيعه تلك النفوس والقوى لمناسبة النقص والخسة ويكون المسمى
بابليس الوارد في الكتب الالهية والسنة الانبياء عليهم السلام هو هذا الشيطان المغوي المضل وكونه مجبولا
على الاغواء والاضلال وادعاه الاستكبار والعلو كما استفاد من قوله تعالى استكبرت ام كنت من العالين
انما هو بمقتضى طبعه الغالب عليه النارية الموجبة للاهلاك والعلو المكاني الموهم لعلو المكانة والمنزلة وانما
وجه تاثيره في نفوس الادميين بالشر انما من جانب المؤثر للطافته وسعة نفوذه في عروقهم ودمائهم
التي هي محال الشعور والاعتقادات واقتداره على اغوائهم بالوسوسة والتخييلات وكان الشهوات
ممتزجة بلحم الادمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ويحيط بالقلب الذي هو منبع
الدم المركب للروح البخاري الحامل للقوى الوهمية والشهوية والغضبية ولذلك ورد في الحديث النبوي ان الشيطان
ليجري من ابن ادم مجرى الدم وكما لا يتصور ان ينفك آدمي من وسواس فلا يتصور ان ينفك من شيطان
ولذلك قال ما منكم من احد الا وله شيطان وهذه الشياطين الجزئية من اثار الشيطان الكلي فرعيات ذلك
الموجود الشرير الذي ذكرنا كما ان العقول الجزئية الانسانية من اثار الملك الملهم للخيرات واما من جانب القابل
فلقصور القوى الدراكة لاكثر الناس وضعفها عن المعارضة والمدافعة والمجاهدة مع جنوده واخابرهم من
لا سيما الوهمية الا من عصمه الله من عباده المخلصين الذين ايدهم الله بالعقل القويم وهداهم الى الصراط المستقيم
اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم الغالبون وذلك للجهل بتسخيرهم قويهم البدنية خصوصا الوهمية التي
هي احد اعداء الله المجيبة لدعوة الشيطان اذا لم يسخره العقل المهتدي بنور هدى الرحمن ان الله
خلق للعقل الانساني جنودا كثيرة ليكونوا مطيعات له معينة عليه حادثة اياه في طريق سفره الى الله وسعيه
ولهذا خلقه وخلقها انما خلق الانسان في اول حدوثه ضعيفا في خلقته ناقصا في فطرته وفي قوته ادراكه
عظمة الله وصفاته واياته وله استعداد الترقي من مرتبة الى مرتبة حتى يصل الى المعبود الحق ولابد لكل
مسافر في طريق مخوف فيه اعداء وقطاع من مركب وزاد وخدم بمنزلة مادة البدن وزاده العلم
والتقوى وجنوده الاعضاء والقوى وعدوه الشيطان وقطاع طريقه الدواعي النفسانية والوهمية
وهذه الجنود على صنفين صنف يرى بالابصار وهي الاعضاء والجوارح وصنف لا يرى بالابصار
ولا يدرك بالحواس الظاهرة وهي القوى والمشاعر وجميعها خلقت خادمة للعقل مسخرة له بحسب فطرتها
وهو المتصرف فيها والمحول لها باصبعه العاقل والعامل وهي مجبولة على طاعته اما الجند الاول والصنف
لا يستطيعون له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين للانفتاح انفتحت واذا امر الرجل للحركة تحركت واذا
امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا ساير الاعضاء واما الجند الاخر فهو ايضا كذلك الا ان
الوهم له شيطنة بحسب الفطرة يقبل اغواء الشيطان ومغاليطه فيعارض العقل في المعقولات فيحتاج
الى تاييد من جانب الحق ليقهره ويغلب عليه وتسخر الحواس للعقل من وجه يشبه تسخر الملائكة السماوية
لله تعالى حيث انهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له خلافا لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وتمرد الوهم عن طاعة العقل شبيه بتمرد الشيطان عن طاعة الله وهذا مما يطول شرحه ومن رؤساء
جنود العقل الشهوة والغضب وهما قد ينقادان له انقيادا تاما فيعينانه على طريقه الذي يسلكه
وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد للجل طاعة الوهم المطيع للشيطان حتى يملكانه ويستعبدانه
وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللعقل فوقها جند اخر من
جند الهي هو العلم والحكمة فحقه ان يستعين بهذا الجند لانه حزب الله على الجندين الاخرين من المحققين

الحكمة واولياء الوهم نفى سلطه على نفسه الشهوة والغضب وهلك يقينا وخسر خسرانا مبينا
واني في مدة عمري ما رايت احدا من المعرضين عن تعلم الحكمة الا وقد غلب عليه الدنيا وطلب الرياسة
فيها والاخلاد الى الارض وقد صار عقله مسخرا لشهوته في استنباط وجوه الحيل للوصول
الى المستلذات النفسانية حتى استهواه الشيطان واستجاب دعوته وكيده فجعل آخر الامر في نظم جنوده
واوليائه وخرج عن الانتظام في سلك حزب الله واوليائه نعوذ بالله منه وفي دعاء الصحيفة
الملكوتية لمولانا وسيدنا علي بن الحسين عليهما السلام ما وقع الاستعاذة به عن مثل ذلك من قوله
اللهم اجعلنا في نظم اعدائه واعزلنا عن عداد اوليائه لا نطيع له اذا استهوانا ولا نستجيب له اذا دعانا
اللهم واهزم جنده وابطل كيده واهدم كهفه وارغم انفه

في استيناف القول في الخواطر

وتقسيمها الى الخاطر الخير وخاطر الشر اعلم ان الخواطر المحركة للرغبة والرهبة في القلب الانساني ينقسم الى
ما يدعو الى الخير اعني ما ينفع في الدار الاخرة والى ما يدعو الى الشر وهو ما يضر في العاقبة وهما خاطران
مختلفان فافتقر الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم وسواسا وكل منهما
عند ارباب الرياضات والخلوات بدقيق تاملاتهم ولطيف افهامهم وتصفياتهم بقسمين اما الاول فالى
الرحماني والملكي واما الثاني فالى الشيطاني والنفساني ولسنا الآن نشتغل بتحقيق كل قسم من قسمي التقسيم
بخصوصه لعدم الحاجة اليه فيما كنا بصدده من بيان كيفية خصومة الشيطان لابن آدم اي القوة العاقلة
التي هي نتيجة الروح الاعظم والعقل الكلي الفعال وهي حقيقة الانسان وبيان العداوة الواقعة بينه وبين اعداء
الله وكيفية المحاربة والمجاهدة بين حزب الله وحزب الشيطان ثم انك قد علمت ان هذه الخواطر
حادثة لما اشرنا اليه وكل حادث لا بد له من سبب ومهما اختلفت المعلولات دل اختلافها على اختلاف
العلل وكما ان اتفاقهما في اصل الامكان دل على افتقارها الى قيوم واحد وجوده كوحدته عين ذاته
فكذلك اختلافهما يحتاج الى اسباب مختلفة متوسطة بينهما وبين مسبب الاسباب وهذا مع قطع النظر
عن الانظار البرهانية معروف في سنة الله تعالى وعادته في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما
استنار حيطان البيت واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب الاسوداد غير سبب
الاستنارة فحكمت بان سبب الاستنارة نور النار وسبب الاستظلام ظلمة الدخان كذلك
انوار القلب وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير في عرف الشريعة يسمى ملكا و
الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا
والذي به يتهيأ لقبول وسوسة الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة تحتاج الى اسام
مختلفة وقد تقدم في الاصل الرابع بيان ماهية الملك والشيطان وان احدهما عبارة عن خلق شانه
افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف وقد خلقه الله وسخره لذلك والاخر عبارة
عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والتخويف كما دلت عليه الآية المنقولة وقوله تعالى ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وهاهنا ان سبحانه لقدرته
في تقليب القلوب كما ان لك اصابع مسخرة لقدرتك في تقليب الاجسام كما دل عليه الحديث المنقول
فانه تعالى ان يكون له اصبع جسماني مركب من لحم وعظم ودم منقسم بالانامل ولكن روح
الاصبع ومعناه كما ذكره بعض اعاظم المحققين واسطة التحريك والتحرك والتقليب القدرة
على التغيير والتصريف وكما انك تفعل باصابعك فالله سبحانه انما يفعل ما يفعله باستسخار الملك
والشيطان وهما جنود حكمته واسرار سنته في نظم الامور وترتيب الاشياء ليكونوا اسبابا بالمعنى القاهر

ان القلب الانساني لصفائه ولطافته صالح في اصل الفطرة الهيولانية لقبول اثار

الملكية والشيطانية صلاحا متساويا وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والانكباب على الشهوات او

الاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى شهوته وغضبه ظهر تسليط الشيطان بواسطة الاوهام

الكاذبة والخيالات الفاسدة المشيرة الى اتباع الهوى والشهوات فصار القلب عش الشيطان

ومعدنه والبدن مملكته وجنوده لان الهوى مرعى الشيطان ومرتعه لمناسبة ما بينهما ونحو من الاتحاد

وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه ولم يتبعها بل عارضها عند البرهان اليقيني على وجود نشاة

ثانية باقية تضاد هذه النشاة الداثرة الفانية ودافع الظنون والاوهام الكاذبة المستدعية للشهوات

والركون الى الدنيا والوثوق بلذاتها والخلاد الى الارض والاقتصار على هذه النشاة الناقصة الزايلة

وتشبه باخلاق الملائكة في اقتناء المعلومات الالهية وتذكر المعارف اليقينية واستحق بقوة الايمان

نسبة الانبياء والاولياء عليهم السلام في ترك الدنيا والزهد فيها صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطها

تنزل كل يوم بزيادته كانبياء في موضعه ولما كان كل واحد من الناس ما دام في هذا العالم لا يخلو عن شهوة

وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من الصفات البشرية المتشعبة عن الهوى المتبع

للقوة الوهمية التي شانها ادراك الامور على غير وجهها فلا جرم لا يخلو الباطن عن جولان الشيطانية

فيه بالوسوسة الا من عصمه الله ولذلك قال النبي صلى الله عليه واله وسلم ما منكم الا وله شيطان قالوا

وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله اعانني عليه فاسلم على يدي فمهما غلب على النفس ذكر الدنيا

ومقتضيات الهوى ومستلذات الشهوات وجد الشيطان المتدرع بها مجالا فوسوس لها ومهما انصرف

النفس الى ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم والنفس بسولانيته الوجود لها

قابلية الارتباط بكل من الملك والشيطان بتوسط قوتيه العقلية والوهمية باستعانة الكتاب والقوى

الشهوية والغضبية والوهمية وضعفها او استيلائها وسوسها واكثر النفوس مما قد فتحها وسخرها

جنود الشيطان وملكوها فامتلات بالوسواس الداعي الى اطراح الاخرة وايثار العاجلة

في كيفية قبول الانسان كلا من الالهام والوسوسة من الملك والشيطان اعلم ان حصول الالهام

من الملك والوسوسة من الشيطان يقع في قلوب الانسان على وجوه اربعة كالهواء والشهوة الصادرين

من جانب شمال القلب في مقابلة العلم واليقين الحاصلين في جانب يمينه وثانيها كالصور العلمية الحاصلة

من هيئة العالم الكبير الذي هو كصورة العالم الانساني وهي بمنزلة عقبة بين الوسوسة والالهام من

حيث انك لو نظرت الى ايات الافاق والانفس على سبيل الاشتباه والغفلة والاعراض عنها كما

وقع لعوام الناس والمقلدين نشا لك منها الشبه والوسواس في الواهمة والمتخيلة وهما على جانب

الشمال وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وفي الحديث ويل

لمن تلى هذه الاية ثم مسح سبلته والاية قوله ان في خلق السموات الى اخرها واذا نظرت الى تلك الايات

على سبيل النظام والاحكام مع التدبر اللايق والتامل التام زالت عنك الشكوك والاوهام وحصلت

المعرفة واليقين في القوة العاقلة التي هي على الجانب اليمين وضرب من الملائكة المقربين وحجب

من جنود الشياطين فان الايات المحكمات بمنزلة الملائكة والعقول والنفوس الكلية لانها مبادي

العلوم البرهانية والمتشابهات بمنزلة الشياطين والنفوس الوهمية والخيالية لانها مبادي

المقدمات السفسطية السفسطية ومن الحكايات في هذا الباب بعد ما ذكر ان سبب وقوع

النفوس الانسانية في هذا العالم او لا ومنشاء ابتلاء بني آدم بهذه البليات الدنيوية التي

احاطت بهم من الذنوب والمعاصي كانت هو الخطيئة الواقعة حدة التي اكتسبها ابوهم آدم

وامهم حوا لما ذاقا الشجرة وبدت لهما سواتهما لنقص امكاني في جوهرهما وقصور جبلي

فيهما هو انه لما تعجل ابليس على آدم ونال بغيته بالصال الاذية اليه وبلغ امنيته

[margin: ... الوسوسة عليه ... وسلطه ... [illegible] ... الى يوم يبعثون]

يوم

يبعثون فاجيب الى يوم الوقت المعلوم اخذ لنفسه جنة غرس فيها اشجارا واجرى فيها انهارا ووضع

فيها اشكالا وهيئات وتماثيل وصورا شبيهة بما في الجنة من الصور الحسان ليشاكل بها الجنة التي

اسكنها الله آدم وقاس عليها وهندس على مثالها هندسة فانية مضمحلة لا بقاء لها لهم وجعل

مسكن اهله واولاده وذريته وجنوده وهي كمثل السراب الذي يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه

لم يجده شيئا وذلك انه كان من الجن ومن شان كان قبل التخيل والتمثيل لما لا حقيقة له كذلك

فعل ابليس وجنوده انما هو تمويه وتزويق ومخاريق وتمنيق لا حقيقة لها والحق عندها كالفنا

المغالطين السفسطي ليصد بها الناس عن سبيل الحق والصراط المستقيم وبذلك وعد ذرية آدم

كما حكى الله عنه بقوله لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم

شاكرين ومثالها متابعة اهل الجحود والانكار واهل التعطيل والمشبهة والكفار في مقابلة طاعة

الرسول المختار والائمة الاطهار والعلماء الاخيار صلوات الله عليهم من المغترين المغفلين فكل من سلك

سبيل الضلال فهو بمنزلة الشياطين ومن تابعه فقد تابع الشيطان اللعين وكل من سلك سبيل

الهداية فهو من حزب الملائكة ومن تابع اهل الله وذوي الالهامات الحقة فقد تابع انبياء الله

وملائكته المقدسين الملهمين للايمان واليقين ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ورابعهما من جهة

الغايات وباعتبار الدرجات فان التوجه الى الملائكة العقلانية المهيمنة والمدبرات الكلية الملكوتية

يوجب الحشر اليهم والانخراط معهم واستفاضة المعارف منهم وكانت العلوم المستفاضة منهم من

قبيل التعقلات والالهامات الكلية وقعا بل التوجه الى الامال المحجوبة عن الله المطرودة عن

جناب القدس المحبوسة في الظلمات واكتساب الحيل والخديعة والمكر وكانت المستفادة منها من

قبيل الافكار المتعلقة بالامور السفلية فالانسان على الوجه الاول شابه الملائكة وجنود الرحمن

وعلى الثاني شابه الشياطين ومردة الجن المحبوسة في طبقات الجحيم المحرومة في الدنيا عن الارتقاء

الى ملكوت السماء المحجوبة في الاخرة عن الجنة والنعيم وقد انكشف من هذا ان طبقة من الجن وضربا

من مردة الشياطين حيث سقطت درجتهم عن درجة الملكوت مما لا اقتدار لهم على فعل الضر على اولياء

الله لانهم صم بكم عمي مقيدون في السلاسل والاغلال في الجحيم معذبون بالعذاب والنكال الاليم فقد

ثبت ان اصل الضلال والعمى والجهل من الشيطان وان اصل الهدى والبصيرة واليقين من الملك والله

الهادي والمضل فوق الكل وان اسم ابليس كاسم شجرة خبيثة والشياطين بمنزلة اغصان تلك الشجرة

الملعونة وثمارها تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين فانهم لاكلون منها فمالئون منها

البطون واسم الملك كاسم شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء يؤتي اكلها كل حين باذن ربها وثمارها

الحاصلة منها هي العلوم الكلية الالهية والمعارف الحكمية الربانية اذا تمهدت هذه الاصول فنقول

معنى قوله الم اعهد اليكم ان لا تعبدوا الشيطان انه خلقتكم على فطرة العقل القادس والبصيرة الباطنية

التي لها القوة على ادراك الحقايق وجعلت لكم السمع والابصار والافئدة والاقتدار على مدافعة

تسويلات الوهم الموسوس بالشيطان وقهره بنور البرهان وقوة الايمان والاطلاع على حيله ومكره

وجنوده واخباره واتباعه بسلامة الذوق والوجدان وقوله انه لكم عدو مبين معناه ان الضدية

والعناد ثابتة بينكم وبينه كما بين الملك والجن والنور والنار والبرهان والمغلطة والالهام والوسوسة

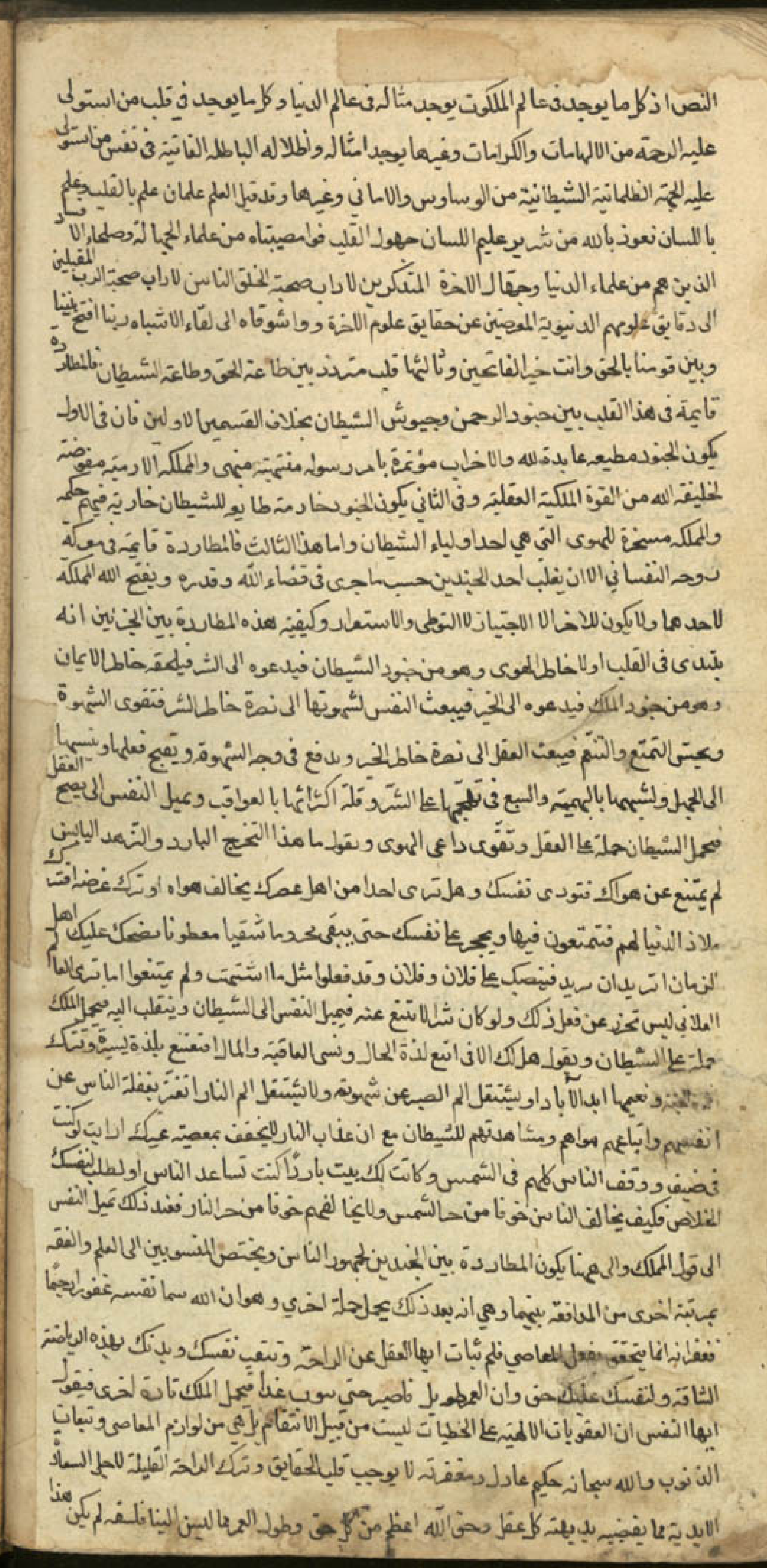
والتوفيق والخذلان والهداية والضلال والسعادة والنكال وقوله وان اعبدوني هذا صراط مستقيم

انما وقعت المعارضة بين البرهان والسفسطة والحق والباطل والعقل والوهم والهام الملك بايثار الاخرة

على الاولى ووسوسة الشيطان بايثار العاجلة على الاجلة فاطيعوا امر الحق واحضوا حيث تومرون

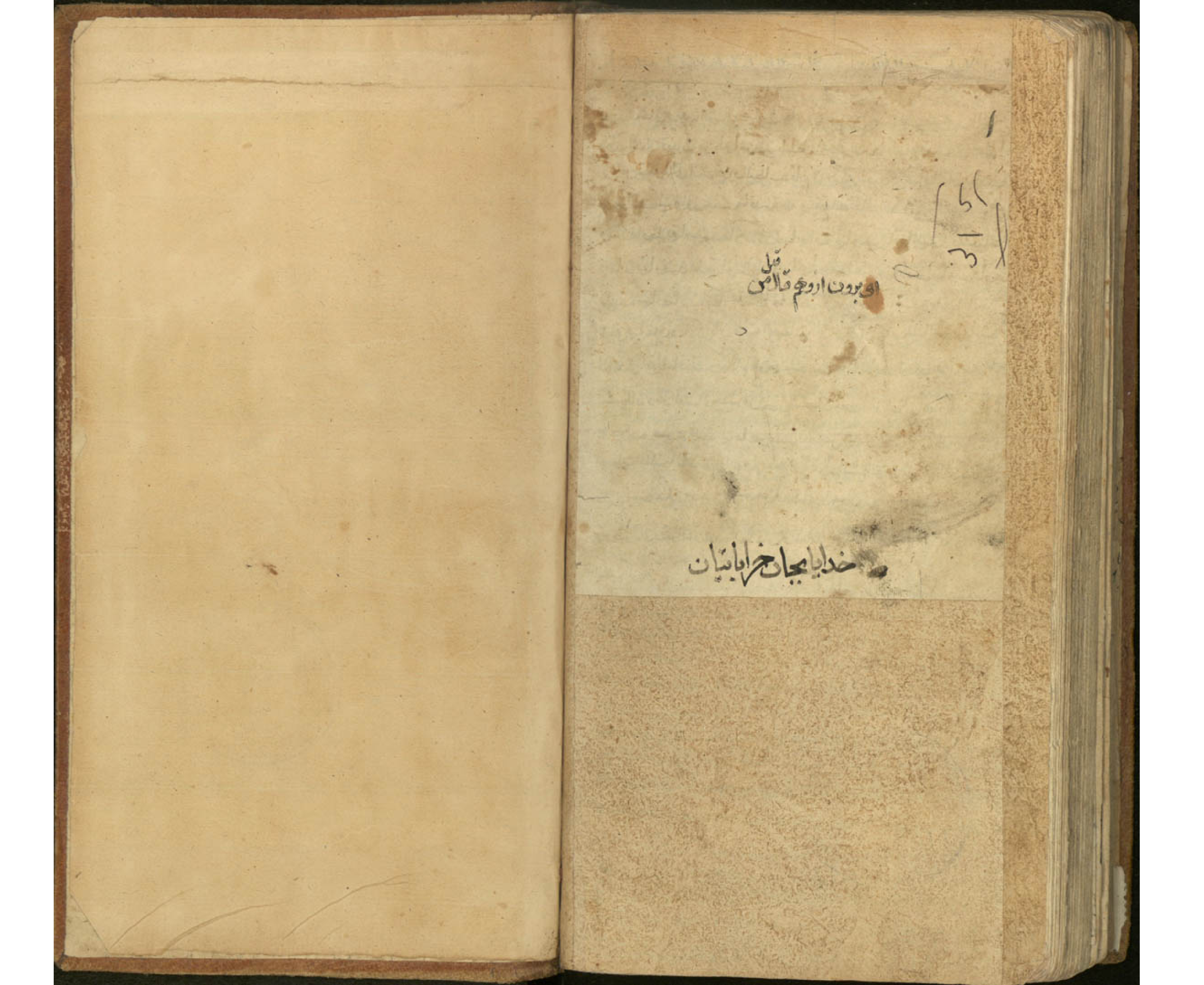
واسمعوا قول العقل الصريح والشرع الصحيح واتبعوا سبيل المسلمين ولا تتبعوا امر المفسدين المسرفين
وانحرفوا عن طريق المجرمين ولا تطيعوا امرهم ان هذا صراط يؤدي الى عالم الرحمة والقربة والرضوان
وما في الصراطات معوجة منتهية الى عالم النقمة والطرد والحرمان والهلاك والنيران
اعلم ان هذه العبارة المشار اليها في الاية الموجبة للكون على الصراط المستقيم والتخلص عن الشيطان
الرجيم هو الاستقامة على طريق الحق بالعلم والعمل اما اصل العلم الذي اتضح في هذه العبارة فهو
العلم الديني المتعلق بذات وصفاته وافعاله وكتبه ورسله وحقيقة الملائكة والشياطين وعلم القلب
واحواله وكيفية سلوك العبد من الدنيا الى الاخرة وسر الاخرة الخلق الى الخلق وطريق تخلصه من اضلال
الشياطين واستعداده للالهام الملكي فهذه هي اصل العلوم الايمانية التي بها يمكن للانسان المجاهدة مع
احزاب الشيطان وهي اصل الصراط المستقيم المدعو من الله في كل صلوة مع مرتين وهو دين التوحيد
المسلوك لنبينا وساير الانبياء عليه وعليهم السلام اجمعين لقوله قل هذه سبيلي وقوله شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين
ولا تتفرقوا وقوله كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم وفي الادعية السجادية
والصحيفة العبادية على منشيها افضل الصلوة والتحية وقعت الاستعاذة من شر الشيطان
بهذا الاصل كثيرا حيث قال عم اللهم اخساه عنا بعبادتك واكبته بدؤوبنا في محبتك واجعل بيننا وبينه
سترا لا يهتكه وردما مصمتا لا تفتقه اللهم متعنا من الهدى بمثل ضلالته وزودنا من التقوى ضد
غوايته واسلك بنا من التقى خلاف سبيله اللهم لا تجعل له في قلوبنا مدخلا ولا توطن له فيما لدينا منزلا
اللهم وما سول لنا من باطل فعرفناه واذا عرفتناه فقناه وبصرنا ما نكايده به والهمنا ما نعده له
وايقظنا عن سنة الغفلة بالركون اليه واحسن بتوفيقك عوننا عليه اللهم واشرب قلوبنا انكار عمله
والطف بنا في نقض حيله اللهم واعمم بذلك من شهد لك بالربوبية واخلص لك بالوحدانية وعاداه
لك بحقيقة العبودية واستظهر بك عليه في معرفة العلوم الربانية واما اصل العمل فله فنون كثيرة مرجع
الجميع الى سلامة القلب عن كدورة الشهوة وغشاوة الغضب ولا شيء للانسان بعد المعرفة انفع من
سلامة قلبه من الكدورات والغواشي يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وهذه
المرتبة هي التي امر الله بها خليله عم اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين فمن اسلم فاولئك
تحروا رشدا فكل من سلم قلبه فقد فاز بدرجة الاسلام الحقيقي وهذا ايضا مما لا يتيسر الا بتوفيق الله
حسبما قدر له في الازل ان يكون من جملة الاخيار امنا من سخط الجبار كما قال تعالى ما كان ليذر المؤمنين
على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب فالمؤمن بالحقيقة من يميز خبيثه الجسماني الشيطاني عن طيبه
الروحاني الملكي اعلم ان القلوب الانسانية في الثبات على الخير وعبادة الحق او الشر
وعبادة الشيطان او التردد بين الطرفين على ثلثة اقسام كما ذكره بعض علماء الاسلام احدها قلب
طهر بالتقوى وزكى بالرياضة ونقى عن خبائث الاخلاق وينقدح فيه خواطر الخير من خزاين الملكوت
فتصرف عقله الى التفكر في عواقب الامور والتدبر في مقدماتها ويطلع على اسرار الخيرات والطاعات
وينكشف له بنور البصيرة حقيقة الخيرية فيها فيحكم عقله بانه لا بد من فعلها وترك اضدادها من المعاصي
فيدعوه الى العمل الخير وينهى نفسه عن العمل الشر فينظر الملك الهادي والمعلم للحقايق الى قلبه
اي نفسه الناطقة فيجده طيبا بجوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل فافاض عليه انوار المعرفة
والهدى وايده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات اخرى والهامات ترى حتى ينجر الخير الى الخير ويمتد
النور الى النور وفي مثل هذه اللطيفة الربانية يشرق نور المصباح من مشكوة الربوبية حتى لا يخفى
فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الملساء ولا
يروج فيه شيء من مكايد الشيطان بل يقف على باب قلبه ويوحي زخرف القول غرورا وهو لا يلتفت
الى مكره ويتوجه الى الله ويذكره والى مثله الاشارة في قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من

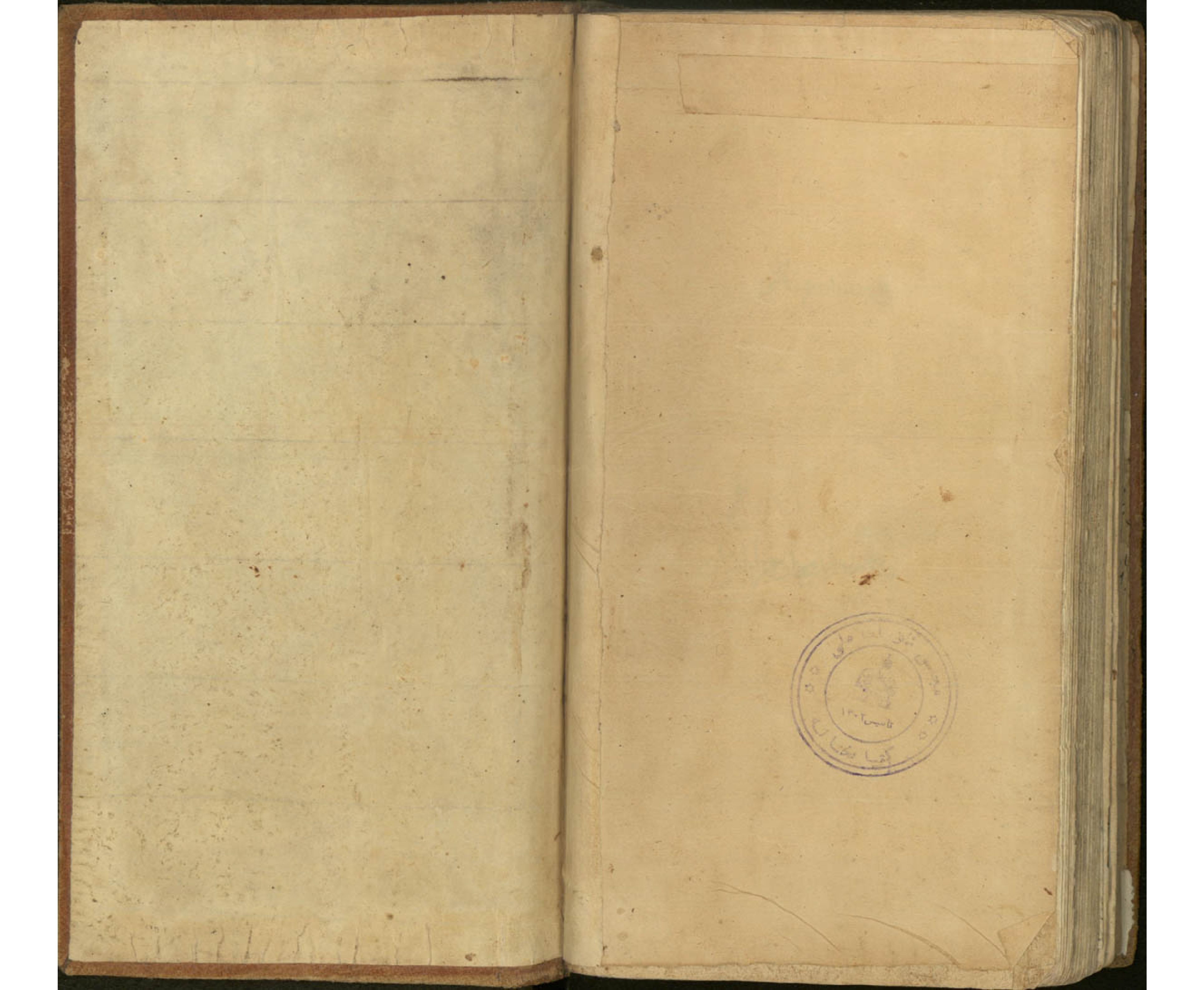
الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وثانيها قلب مخذول مشحون بالهوى مقهور بالشهوات مفتوح
عليه ابواب الشياطين مغلق عليه ابواب الملكية ومبدا الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى
ويهجس فيه صورة من الشهوة فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتي فيه وهو قد الف خدمة الهوى
وانس به واستمر على مساعدة الهوى واستنباط وجوه الحيل في جواب هواه فيشير الى فعل فينشرح
الصدر بالهوى وينبسط فيه ظلماته لانحباس نور العلم عنه وانقهار جند العقل عن مدافعة
الوهم فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور
والاماني ويوحي بذلك زخرفا في القول غرورا وانضعف سلطنة البرهان على خوف القيامة فيحجب
نور الايمان بالوعد والوعيد اذ يتصاعد الى القلب دخان مظلم من الهوى يملا جوانبه ويطفئ سراج
العقل ويصير البصيرة الباطنة كالعين التي ملا الدخان اجفانها فلا تقدر ان ترى الاشياء كما هي
وهكذا الفعل عليه الشهوة وحب الجاه وطلب الرياسة بالانسان ولو بصره احد بعيوب نفسه
بالوعظ والنصيحة ويوقظه من هذا النوم الغالب عليه وينبهه من هذه الغفلة المحيطة به
ويستفيقه من هذا الشراب الذي اسكره ويسمعه ما هو الحق الصريح عمي عن الفهم وصم عن
السمع كما اشير اليه بقوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يبصرون لهاج شهوته وطغى غضبه وصال عليه كالسبع
الضاري والكلب العقور وتحركت جوارحه على وفق الهوى واشتد مرض الحرص واشتعل نار غيظه
الخامد وانتشر دم الفاسد فطوى مجلده الجامد متكلما بحذيته البارد فتحطيه هذا الناصح المشفق
ويصورته الكريه طلبا للانتقام وتشفيا فتحقق بالاحكام فظهرت المعصية عنه في عالم الشهادة من خزاين
الغيب بقضاء الله وقدره والى مثل هذا القلب اشار تعالى بقوله افرايت من اتخذ الهه هواه الى قوله
بل هم اضل سبيلا وبقوله لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون الى قوله ام لم تنذرهم فهم لا يؤمنون
وقد يترتب هذه الحالة بالاضافة الى بعض الشهوات دون بعض اعلم ان كلا من هاتين الطائفتين
مشغوف بما عنده مغرور بما لديه فرحان بما يجري على ملويه كل حزب بما لديهم فرحون فكان
المحق مشغوف بما لديه من الحقايق والالهامات والبراهين البينة الواضحة والمعارف الحقة الدائمة
فكذا المبطل مسرور من الوساوس المسدلة والوهميات الكاذبة مغرور بالاماني الشيطانية والمخاريق
العامية والمقدمات المشهورة الجمهورية التي يستعمل في جلب القلوب وتكثير الشعوب فانظر كيف حكى الله
لك كيفية مناظرة وقعت بين محق ومبطل فالمحق هو الشيخ الموحدين ابراهيم الخليل على نبينا وعليه السلام
الملك الجليل والمبطل هو نمرود اللعين الذي من جملة الشياطين في قوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم
في ربه ان اتاه الله الملك قال ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت فتامل في انه اذا كان
هذا المقدار من الاحياء والاماتة الذي قد كان للملوك من اقتدارهم على قتل احد وتخليص اخر
من القتل موجبا للاشتباه والاغترار والمغالطة حيث ادعى الملعون ان ما سماه بالاحياء والاماتة
احياء حقيقي واماتة حقيقية فكيف في غير ذلك فسبب اغترار الشيطان وجنوده في اكثر المباحث
المنادية من هذا القبيل ومرجعه الى القياس الفقهي الذي دينه اول من قاس به ابليس في مقابلة



النص اذ كل ما يوجد في عالم الملكوت يوجد مثاله في عالم الدنيا وكل ما يوجد في قلب من استولى
عليه الرحمة من الالهامات والكرامات وغيرها يوجد امثاله واظلاله الباطلة الفانية في نفس من استولى
عليه الجهة الظلمانية الشيطانية من الوساوس والاماني وغيرها وقد قيل العلم علمان علم بالقلب وعلم
باللسان نعوذ بالله من شر علم اللسان وجهل القلب فوا مصيبتاه من علماء الجهلاء وصلحاء الفساد
الذين هم من علماء الدنيا وجهال الاخرة المنكرين لاداب صحبة الخلق الناسين لاداب صحبة الرب المقبلين
الى دقايق علومهم الدنيوية المعرضين عن حقايق علوم الاخرة وواشوقاه الى لقاء الاشباه ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وثالثها قلب متردد بين طاعة الحق وطاعة الشيطان فالمطاردة
قايمة في هذا القلب بين جنود الرحمن وجيوش الشيطان بخلاف القسمين الاولين فان في الاول
يكون الجنود مطيعة عابدة لله والاحزاب مؤتمرة بامر رسوله منتهية عن نهيه والمملكة الادمية مفوضة
لخليفة الله من القوة الملكية العقلية وفي الثاني يكون الجنود خادمة طايعة للشيطان جارية فيهم حكمه
والمملكة مسخرة للهوى التي هي لاحد اولياء الشيطان واما هذا الثالث فالمطاردة قايمة في معركة
صدره النفساني الى ان يغلب احد الجندين حسب ما جرى في قضاء الله وقدره ويفتح الله المملكة
لاحدهما ولا يكون للاخر الا الاجتياز لا التوطن والاستعداد وكيفية هذه المطاردة بين الجندين انه
يبتدى في القلب اولا خاطر الهوى وهو من جنود الشيطان فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان
وهو من جنود الملك فيدعوه الى الخير فيبعث النفس لشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة
ويحسن التمتع والتنعم فيبعث العقل الى نصرة خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها
الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب ويميل النفس الى نصح العقل
فيحمل الشيطان حملة على العقل ويقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد والزهد اليابس
لم يمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه فتترك
ملاذ الدنيا لهم فيتمتعون فيها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا مطعونا يضحك عليك اهل
الزمان اتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم
الفلاني ليس يتحرز عن فعل ذلك ولو كان شرا لامتنع عنه فيميل النفس الى الشيطان وينقلب اليه فيحمل الملك
حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة والمال افتقنع بلذة يسيرة وتترك
لذة الجنة ونعيمها ابد الاباد او يستثقل الم الصبر عن شهوته ولا يستثقل الم النار اتغتر بغفلة الناس عن
انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم للشيطان مع ان عذاب النار لا يخفف بمعصية غيرك ارايت لو كنت
في صيف ووقف الناس كلهم في الشمس وكانت لك بيت بارد اكنت تساعد الناس او تطلب لنفسك
الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تميل النفس
الى قول الملك والى هنا يكون المطاردة بين الجندين لجمهور الناس ويختص المنسوبين الى العلم والفقه
بمرتبة اخرى من المدافعة بينهما وهي انه بعد ذلك يحمل حملة اخرى وهو ان الله سمى نفسه غفورا رحيما
فغفرانه انما يتحقق بفعل المعاصي فلم تبالي ايها العقل عن الراحة وتتعب نفسك وبدنك بهذه الرياضة
الشاقة ولنفسك عليك حق وان العمر طويل فاصبر حتى سوف غدا فيحمل الملك تارة اخرى فيقول
ايها النفس ان العقوبات الالهية على الخطيات ليست من قبيل الانتقام بل هي من لوازم المعاصي وتبعات
الذنوب والله سبحانه حكيم عادل ومغفرته لا يوجب قلب الحقايق وترك الراحة القليلة لاجل السعادة
الابدية مما يقتضيه بديهة كل عقل وحق الله اعظم من كل حق وطول العمر ما ليس الينا فلعله لم يكن هذا

الا ساعة وقد ورد ان اكثر صيحة اهل النار من تسويف التوبة ثم ليت شعري ايها النفس هل
عجزت في الحال لقوة الشهوة وهي ليست تفارقك يوم اخر او سنة اخرى بل هي قرينك في الدنيا
حتى يهلك ان تعدت عن قلعها من طينة ملكك فلا يزال الحرب والقلب بين الجندين متجاذبا بين
الجندين منقلبا الى الطرفين والتطارد قايم في معركة الصدر الانساني الى ان يغلب عليه
ما هو انسب اليه واولى بحسب ما قدره الله ويفتح الله المملكة الانسانية وعماراتها وبيوتها
ومنازلها وخلايقها وجنودها وارباب صنايعها وحرفها وحيواناتها البهيمية والسبعية ونباتاتها
وجماداتها وفنون اطعمتها واشربتها ومياهها واشجارها وعمرانها وخرابها وبرها وبحرها
لواحدة منهما فصارت المملكة اقطاعا لها خاصة ويخرج عنها الثانية وربما عنها بالكلية بحيث
لا يبقى فيها عين ولا اثر فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية
التي ذكرناها اما فطرة او اكتسابا من جهة المعاشرة مع الاشرار او التدين بدين الكفار غلب عليه
الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشيطان معرضا عن احزاب الله واوليائه وجرى
على جوارحه بسوابق التقدير ما هو سبب بعده عن الله ورحمته وان كان الغالب عليه
الصفات الملكية مال الى حزب الله ولم يصغ الى اغواء الشيطان وتسويلات النفس الامارة
فظهرت منه الطاعة موجب ما سبق من القضاء على جوارحه ويكون سبب قربه من الله
ووصوله الى رضوانه وهذه الطاعات والمعاصي يظهر من خزاين الغيب الى عالم الشهادة بواسطة انه
القلب لكونه


ای برون از وهم قال و قیل من
خدایا بحال خراباتیان


تاسیس ۱۳۰۲